مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُـرآنُنـــا

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيـون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

القسم الأول: من الحلقة الاولى الى الحلقة الخامسة عشر

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

الحلقة الاولى

تفسير سورة الفاتحة

السلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، مساكم الله بالخير والإيمان، برنامجٌ جديد وهذه الحلقة الأولى من برنامج قرآننا، برنامجُ قرآننا أو قُرآنُنا على نحو الحكاية أتناول فيهِ في كل حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج صفحةً واحدةً من صفحات المصحف الشريف ربما أتجاوزها إلى آيةٍ أو آيتين بحسب الحاجة إلى إتمام المعنى، أحاول أن أبتعد عن التعقيدات في تفسير كتاب الله فلا أحاول الدخول إلى تفاصيل علم البلاغة أو إلى ما يذكرهُ المتكلمون والفلاسفة، أُسلِّطُ الضوء على المعاني اللغوية وعلى ما ورد عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بنحوٍ مجمل لا بنحو التفصيل وأشرعُ من الصفحة الأولى من كتاب الله الكريم.

أولُ صفحةٍ من صفحات الكتاب الكريم تواجهنا سورة الفاتحة ذاتُ الآيات السبعة، سورة الفاتحة هي بمثابةِ براعة استهلالٍ للكتاب الكريم الخطوط العامة والمضامين الرئيسة في الكتاب الكريم تجتمعُ في هذه السورة، السورة التي سماها الباري سبحانه وتعالى السبع المثاني وسميت بالسبع المثاني لأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين مرةً في مكة ومرةً في المدينة وهناك قولٌ أنها سميت بالسبع المثاني لأنها تُقرأ على نحو الوجوب في كل صلاةٍ مرتين ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب كما يقول صلى الله عليه وآله وسلم الفاتحة هي التي يُفتتح بها كتابُ الله وهي بمثابة المقدمة الأمثلةُ تُضرَبُ ولا تُقاس حينما يكتب أيُ كاتب كتاباً، يُصنِّفُ أي مصنفٍ مُصنَّفاً فيجعلُ لهُ مقدمة في مقدمة الكتاب يحاول المؤلف أن يُجمل أهم المطالب أهم المعاني أهم الخطوط في كتابه فيضعها في هذه المقدمة كتعريفٍ لكتابهِ هذا المعنى هو نفسهُ موجودٌ في الكتاب الكريم ولربما أخذ المؤلفون والمصنفون هذه الطريقة من الكتاب الكريم وعلى أي حالٍ الفاتحةُ هي خُلاصةٌ لأهم مضامين الكتاب الكريم بشكلٍ مُجمل أمر على آيات سورة الفاتحة.

أولُ آيةٍ وهي البسملة وقد وصفتها روايات أهل بيت العصمة بأنها أعظمُ آيةٍ في كتاب الله المخالفون لأهل البيت حذفوا هذه الآية من سورة الفاتحة لذلك في كلمات إمامنا الصادق عليه السلام وغيرهِ من الأئمة: **قاتلهم الله عَمَدوا إلى أفضل آيةٍ في كتاب الله فحذفوها واعتبروا إظهارها بدعة**، هكذا في كلمات المعصومين، أولُ آيةٍ هي آيةُ البسملة وهي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله ثم تبدأُ الآياتُ تِباعاً الآيةُ الثانية تحميدٌ لله

رب العالمين وفي هذه الآية حديثٌ عن التوحيد ثم أهم صفات الباري الرحمن الرحيم ثم مالك يوم الدين، والرحمن الرحيم هي إشارةٌ إلى صفات جمالهِ ومالك يوم الدين إشارة إلى صفات جلالهِ البسملة والآيتان اللتان بعد البسملة ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرحمن الرحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ هذه الآيات كلها تتحدثُ عن التوحيد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ الحديثُ هنا عن عبادةٍ وعن استعانة وعن صراطٍ مستقيمٍ وعن هداية وهو أهمُ مطلب يتحدثُ عنه القرآن ثم بيانٌ للناس ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ **هذا صنف** ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾ صنفٌ آخر ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ صنفٌ ثالث، فالآية تتحدثُ عن التوحيد في خطوطهِ العامة وتتحدثُ عن الدين في خطوطهِ العامة من العبادة والاستعانةِ والهداية والصراط المستقيم وتتحدثُ عن تصنيف الناسِ إلى الذين انعمت عليهم وإلى المغضوب عليهم وإلى الضالين وتقريباً هذه هي أهمُ المطالب وأهم المضامين التي تحدَّثَ عنها القرآن الكريم لذلك كانت هذه السورة فاتحةً للكتاب ومختصرةً ومُجمِلةً لأهم مضامينهِ ولأهم مطالبه، هذا المعنى العام المجمل لسورة الفاتحة. أدخلُ في كلماتها وألفاظها وآياتها من دون التوغل كثيراً في المطالب الجانبية تبتدئُ السورة:

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الباءُ هذه متعلقة بفعلٍ محذوف في العربية حينما يأتي الجار والمجرور لابد أن يسبقهُ عامل هذا العامل هو الذي يؤثرُ عملهُ في الجار والمجرور فالجار والمجرور متعلق بفعلٍ محذوف التقدير: **أفتَتِحُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، لذلك هي الفاتحة ربما قدَّرهُ البعض أبتدئُ ولكني أرى أن أفتَتِحَ أولى لأنها هي الفاتحة وإن كان الابتداء هو افتتاح لكنَّ الأنسب بأسم السورة الفاتحة فأقول: **أفتَتِحُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، الأسمُ في لغة العرب مأخوذٌ من السِمة والسمة هي العلامة ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولفظُ الجلالة الله في أصلهِ في أصل تكوينه اللغوي مأخوذٌ من الوله أو من الأله، الوله الحيرة وذاتهُ هي الذات التي تتحير فيها العقول كلما ازددتم تفكراً كما يقول إمامنا الصادق عليه السلام: كلما ازددتم تفكراً في الله كلما ازددتم تحيراً، والأله العبادة فهو الذات التي تُعبد والتي تتحير فيها العقول ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **الرَّحْمَنِ**: في العربية هي صيغةُ مبالغة ولذلك يُقال: الرحمن رحمانٌ بالمؤمن والكافر رحمانٌ بكل الخلائق، **الرَّحِيمِ**: صفة مُشبّهة والرحمن والرحيم يأتيان من الرحمة، الرحمة الإلهية لا يمكننا أن نتصور حقيقتها لكننا ننطلقُ من رحمة المخلوق لأن المخلوق فيهِ شيءٌ من صفة الخالق ما في المخلوق شيء إلا وهو من الله سبحانه وتعالى، الرحمة عند الإنسان الرحمةُ هي انفعال حينما شعورٌ انفعاليٌ يلم بالقلب الإنسان الرحيم أو حينما يتصفُ الإنسان بالرحمة أو يعيشُ حالة الرحمة ينتابهُ شعورٌ انفعاليٌ ينفعل لأي شيءٍ لإتمام نقص

غيرهِ، حينما نرى إنساناً جائعاً يتضور من الجوع يصيبنا شعورٌ هذا الشعور هو انفعال بما رأيناه من نقصٍ عند هذا الإنسان عند هذا المخلوق هذا الشعور يدفعنا لإتمام نقصهِ لأن نُطعِمَ هذا الجائع، حينما يمرضُ طفلٌ من أطفالنا فيُصيبنا هذا الانفعال يصيبنا هذا الشعور بأننا نحاول أن نُتَمِمَ هذا النقص نأخذ هذا الطفل المريض إلى الطبيب ثم نُمرِّضهُ ثم نعالجهُ ثم نُراقبُ دوائهُ وهكذا، الرحمةُ هو شعورٌ انفعاليٌ يلم بقلب الإنسان لأي شيءٍ حينما يرى مخلوقاً يحتاجُ إلى إتمام نقصهِ طبعاً هذا بالنسبة للإنسان الإنسان يمتلك المشاعر والإنسان تصيبهُ حالة الانفعال بالنسبة لله سبحانه وتعالى الله سبحانه وتعالى مُنزَّهٌ عن هذه المشاعر الناقصة ومُنزَّهٌ عن حالة الانفعال التي انفعل بها أنا أو غيري من المخلوقات.

رحمة الباري سبحانه وتعالى لطفهُ وجمالهُ وفيضهُ الذي يَعمُّ جميع الوجود – **يا مَنْ وَسِعَت رَحْمَتهُ كُلَّ شَيء** – جمالهُ الظاهرُ في كل الوجود ولطفه الظاهر في كل الوجود رحمتهُ التي وسعت كل شيء ولطفهُ الذي نفذَ في كل شيء وعَمَّ كُل شيء رحمتهُ معنىً من المعاني التي لا يجدُ الإنسان عبارةً أو لفظاً يشرحها أو يُعبِّرُ عن هذا المعنى أو عن هذا المضمون نعم نحنُ نتحسسها، نتحسسُ رحمة الله بالفطرة وبالبديهة نتحسسُ جمال الله بوجداننا وبباطن عقولنا وبقلوبنا هذه المعاني الإلهية لا نستطيعُ أن نُعبِّرَ عنها بالألفاظ لكننا نُعبّر عن معاني الرحمة في المخلوق ومن خلالها يمكننا أن نُشيرَ من بعيد إلى معنى رحمة الله سبحانه وتعالى فهو الرحمن وهو الرحيم، الرحمن والرحيم في أصلهما من معنى الرحمة لكن الفارق بينهما أن الرحمن صيغة مبالغة والرحيم كما يُقال صفة مُشبّهة فالرحمن تشير إلى عموم الرحمة ولذلك يُقال أن الرحمن يشير إلى الرحمة العامة والرحيم يشير إلى الرحمة الخاصة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالسورةُ تبتدئ بأسم الله الذي صفتهُ الرحمانية والرحيمية وكلُّ شيءٍ في هذا الوجود ما وُجد إلا وقد شعَّ عليه فيضٌ من أسم الله في رواياتنا الشريفة – **كان الله ولم يكن معهُ شيء** – كان الله ولم يكن معهُ شيء، هو الأول الذي لا أولية لأوليته وهو الآخر الذي لا آخرية لآخريته، هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو المحيطُ بكل شيء سبحانه سبحانهُ سبحانه، فكان ولم يكن معهُ شيء ثم تكلَّمَ بكلمة فكانت هذه الكلمة نوراً ومن ذلك النور أفاض الله سبحانه وتعالى بفيضهِ على الوجود من ذلك النور تفرَّعَت كُلُّ الأنوار، تفرَّعَت الأنوار العالية وتفرَّعت كلُّ الوجودات في عوالمها العلوية والسفلية في عوالم الغيب وفي عوالم الشهادة هذه الكلمة الأولى هي أسمُ الله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه الكلمة الأولى هي أسمُ الله الذي تجلى فيها معنى الرحمانية ومعنى الرحيمية فَكُلُّ ما في هذا الوجود هو منشقٌ من ذلك النور الذي جاء من الكلمة الأولى، كلُّ شيءٍ في هذا الوجود يحملُ سِمةً ويحمل عنواناً ويحمل سبباً وارتباطاً بتلكم الكلمة الأولى التي تكلَّم بها سبحانه وتعالى فكانت نوراً وكانت روحاً ومن ذلك النور ومن تلكم

الحقيقة شعَّت كل الأنوار الأخرى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمدُ هو شكرٌ ولكنهُ لهُ خصوصية عندنا نفس هذه الحروف الحاء والميم والدال تُركَّب مرةً فيُقال حَمد ومرةً يُقال مدح ما الفارقُ بين الحمد وبين المدح؟ الحمدُ شكرٌ والمدح شكرٌ، الحمدُ كما يُقال هو شكرٌ على الجميل الاختياري والمدحُ هو شكرٌ على الجميل الاضطراري لا أريد الخوض كثيراً في هذه المصطلحات وفي هذه التفاصيل لكن بشكلٍ موجز أقول: الجميلُ الاختياري هو الجميل الذي يصدرُ عن فعل صاحب هذا الجميل لنأخذ الإنسان مثالاً، الإنسانُ الذي يتمتعُ بجمال الوجه وبجمال الجسد ويتمتعُ بجمال العقل وبالذكاء هذا النحو من الجمال هذا جمالٌ اضطراري لم يكن الإنسان قد أوجدهُ في نفسهِ حينما يملكُ الإنسان جمال الوجه وجمال الجسد وجمال العقل وجمال الذكاء هذه المعاني لم يكن الإنسان قد أوجدها لنفسهِ بنفسه فيُقال لهذا النحو من الجمال جمالٌ اضطراري جاءهُ على نحو الاضطرار لكن حينما يكون الإنسان صادقاً حينما يكون الإنسان أميناً حينما يكون الإنسان كريماً تصدرُ منهُ أفعال الصدق وأفعال الأمانة وأفعال الكرم وسائرُ الأفعال الجميلة تصدر منه بفعلهِ وبنيتهِ وباختيارهِ يُقال لهذا الجمال جمالٌ اختياري ففارقٌ بين الجمالين بين الجمال الاضطراري وبين الجمال الاختياري، الجمال الاختياري هو الذي يصدرُ من الإنسان بنيتهِ وبرغبتهِ وبإرادتهِ وباختياره.

﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هنا ثناءٌ وشكرٌ لله سبحانه وتعالى على جميلهِ الاختياري الله سبحانه وتعالى حين فاضَ على الوجود بفضلهِ وبِمنّهِ فكان باختيارهِ لم يكن هناك من اضطرارٍ اضطرهُ لذلك هو مختارٌ من صفاتهِ سبحانه وتعالى أنهُ مختارٌ مُريدٌ هو أراد هذا الأمر وباختيارهِ أراد أن يوجد الوجود وباختيارهِ أوجد الوجود وباختياره أسبغ على هذا الوجود هذا الجمال وهذا اللطف وهذه الرحمة فالتحميد هنا تحميدٌ شكرٌ لله على جميلهِ الاختياري ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وربّ: هي بمعنى المربي، رب مثلُ كلمة عدل حينما نقول شاهدٌ عدل، الشاهد العدل كلمة عدل هي مصدر في أصلها في لغة العرب والصفةُ شاهدٌ عادل لكن العرب في بعض الأحيان تستعمل المصدر على سبيل الصفة فكأن هذا الشاهد هو مصدرٌ للعدل فيوصفُ بالعدل شاهدٌ عدل كلمة عدل مصدر لكننا نقول شاهدُ عدل، كذلك رب هي مصدر وإلا الصفة مُربي، الحمد لله مربي العالمين ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب هو المربي والمربي هو الذي يُنشئ الأشياء شيئاً فشيئاً، يُنشئها شيئاً فشيئاً يُكمِّلُها شيئاً فشيئاً، يُنبتها نباتاً حسناً ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ العالمين: جمعٌ لعالم والعالم هو ما يُعْلَم، والذي يُعلم لابد أن تكون لهُ حدود لابد أن تكون له خصائص حتى يُعلم بحدودهِ وبخصائصهِ، فكلُّ مجموعةٍ أو كلُّ طبقةٍ من طبقات هذا الوجود لها خصائص لها مميزات يُقال لها

عالم، العالم هو الذي يُعْلَم والذي يُعلَم لابد أن يكون موجوداً ولابد أن يكون متصفاً بصفاتٍ تُميزهُ عن غيرهِ فنقول العالم مثلاً سين يتصفُ بصفاتٍ معينة والعالم صاد يتصفُ بصفاتٍ أخرى.

﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الكثير من المفسرين قالوا المقصود من العالمين هنا البشر وأُريدَ من العالمين كل عالم يعني كل شعبٍ من الشعوب وأرى هذا بعيداً، نعم هم استدلوا على ذلك بالآية ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقالوا بأن يوم الدين هو يومٌ يحشَرُ فيهِ الإنسُ والجن، فالمراد من العالمين عوالم الجن وعوالم الإنس لكن الذي يتناسب مع كون السورة هي فاتحة لكتاب الله ومشتملة على مضامين كتاب الله بنحوٍ عام بنحوٍ مُجمل فليس العوالم التي خلقها الله سبحانه وتعالى محصورة بعوالم الإنس وعوالم الجن ما عوالم الإنس وعوالم الجن إلا شيئاً بسيطاً فيما خلقهُ الله سبحانه وتعالى، فالمراد من العالمين هنا جميع العوالم العوالم التي عرفناها والعوالم التي لم نعرفها، كل العوالم العوالم العلوية والعوالم السفلية عوالم الشهادة وعوالم الغيب.

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو تحميدٌ، ثناءٌ، شكرٌ لله سبحانه وتعالى على ما أسبغهُ على جميع الوجود وهذا يكون أنسب مع المقام الإلهي أن التحميد هنا وأن التربية هنا لجميع مقامات الوجود لجميع العوالم وليست خاصةً بعالم الإنس والجن ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هو بيانٌ لربِّ العالمين ولتربيته التي أصلها من رحمانيته ومن رحيميتهِ فما تربيتهُ للعالمين هذه التربية والتي لها مظاهر كثيرة الإخراجُ من العدم إلى الوجود هو نحوٌ من أنحاء التربية إسباغٌ الفضلِ والكرم على الموجودِ بما يحتاجه لقوام وجودهِ ولبقائهِ هو نحوٌ من التربية ترقي هذه الموجودات بأي نحوٍ من أنحاء الترقي ونمو هذه الموجودات أكان ذلك النمو نمواً مادياً أو نمواً معنوياً هو أيضاً نحو من أنحاء التربية وكل ذلك مَرَدُّهُ إلى الرحمانية وإلى الرحيمية ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهنا الآية تُشيرُ إلى مالكيتهِ إنما جاءت الآية متحدثةً عن يوم الدين لأن الكتاب الكريم أعتمدَ من أولهِ إلى آخرهِ على خطين أساسيين: على خط التوحيد وخط الاعتقادِ بالمعاد، كلُّ ما في الكتاب الكريم روحُ ما في الكتاب الكريم يستندُ إلى التوحيدِ والمعاد أما النبوة والإمامة فهي متفرعةٌ عن التوحيد، النبوة والإمامة متفرعةٌ عن التوحيد الكتاب كله دائماً يُركِّز على هذين المعنيين وإذا أردنا أن نتتبعَ دعوات الأنبياء وأديان الأنبياء والتي هي دينٌ واحد إن الدين عند الله الإسلام كل الأنبياء دينهم واحد لكن هناك مظاهر وصور تتناسب مع كل زمانٍ ومع كل قوم، فالكتابُ كله يُرَكِّزُ على التوحيد وعلى المعاد وبهذين الأمرين تُضبَطُ مسيرةُ الإنسان لأن الإنسان من دون التوحيد سيضيع سيضل ومن دون أن تُضبط هذه المسيرة بالمعاد – **ورحم الله أمرئ عَرِفَ من أين وإلى أين** – من أين هو

التوحيد – **إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** – فنحنُ راجعونَ إليه رحم الله امرئٍ عرف من أين من أين وهو المبدأ، وإلى أين وهو المعاد، هداية الإنسان تتوقف على هذين العمودين على المبدأ والمعاد، النبوة والإمامة تتفرعُ على المبدأ، وتكون واصلةً بالمعاد هي التي تقود الناس إلى معادهم الحميم ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم الدين لأنهُ هو العلامة الفارقة والعلامة الواضحة في مسيرة الإنسان ذلك اليوم الذي لهُ جلالهُ الخاص وهيبتهُ الخاصة ولا نريدُ الحديث هنا عن يوم الدين وخصوصياته كما قلتُ في بداية حديثي نحاول أن نُيسر المعاني بقدر ما يمكن، لكن الآية أشارت إلى يوم الدين لأن الذي يكون مالكاً ليوم الدين فهو مالكٌ لكل شيء فيوم الدين هو قرارٌ وهو محطة وهو نقطةٌ تكون جميع الأشياء محصورةٌ وحاصلة في ذلك اليوم الذي يملك يوم الدين هو يملكُ كل شيء لذلك السورة الكريمة أشارت إلى الرحمانية والرحيمية وعن الرحمانية والرحيمية تتفرعُ كل صفات الجمال وأشارت إلى مالكية يوم الدين وعن هذه المالكية تتفرع كل صفات الجلال، فَقَهَارِيَتهُ تَتَفَرعُ عن مالكيتهِ ليوم الدين وجباريتهُ وقابضيتهُ كل هذه المعاني تتفرع عن مالكيتهِ ليوم الدين.

﴿أَيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الآيات هذا القسم الأول من الآيات من البسملة إلى الآية الثانية ثم الآية الثالثة ثم الآية الرابعة الحديثُ عن التوحيد عن الله، الآن ينتقل الكلام عن العبد ﴿أَيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والآية صريحةٌ في أن العبادة لله سبحانه وتعالى والعبادة ليست مخصوصةٌ بنحوٍ من الأنحاء وبطقسٍ من الطقوس نحن عبيدٌ لله والعبودية لله سبحانه وتعالى تتجلى في كل جزءٍ من أجزاء وجودنا وفي كل جزءٍ من أجزاء حياتنا والإنسانُ عبدٌ لله سواء أقرَّ بذلك أم لم يقر، إقرار العبد وإقرار الإنسان بالعبودية هذه مرتبةٌ عرضيةٌ من العبودية وإلا كل مخلوقٍ هو عبدٌ لله سبحانه وتعالى، أليس العبدُ وما في يدهِ لمولاه، فكلُّ مخلوقٍ هو لله سبحانه وتعالى هل هناك من مخلوق يستطيع أن يفر من حكومة الله وهل يمكن الفرار من حكومته؟ نحنُ نفرُّ إلى الله من الله ونلجأُ إلى الله من الله ونعوذُ بالله من الله ونلوذُ بالله من الله لا يمكن الفرار من حكومته نحنُ نفرُ من الله وإلى الله ونحنُ نبدأُ من الله ونعودُ إلى الله – **إِنَّا لِلّهِ** – هذه العبارة تختصرُ كل هذه المعاني – **إِنَّا لِلّهِ** – هذه اللام هي لام الملك – **إِنَّا لِلّه** – نحنُ ملكٌ لهُ – **وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** – ومعادنا ومآبنا ومرجعنا إليه فنحنُ عبيده أعبدناه أم لم نعبده آآمنا بهِ أم لم نؤمن به أين نفر إلى أين نفر؟ الفرار من الله وإلى الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ العبادة محصورةٌ به والعبودية محصورة له ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقُدِّمَ الضمير هنا الضمير المنفصل لأجل الحصر ولا أريد الخوض في هذه التفصيلات النحوية أو البلاغية، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ العبادة لك وحدك فأنت المعبود ولا سواك ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإني في عبادتي إياك استعين حتى في عبادتي لولا

معونتك يا آله العالمين فإني لا أستطيع عبادتك – **بِكَ عَرَفْتُكَ** – أنت الذي عرَّفتني عليك – **بِكَ عَرَفْتُكَ وأنتَ الذي دَلَلتني عليك ودَعوتني إليك ولولا أنتَ لم أدري ما أنت** – كلما قلتُ الحمد لله وجبَ عليّ أن أقول الحمد لله مرةً أخرى لأنهُ هو الذي وفقني أن أقول الحمدُ لله ولِذا حمدنا لله سبحانه وتعالى حمدٌ تسلسلي لا يمكن أن ينقطع لو قلنا مرةً الحمدُ لله فيجب علينا أن نقول الحمدُ لله ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ العبادةُ لهُ وإليه وبهِ والاستعانةُ منه. ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ عبادتنا لك ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ونستعينُ بك، فالاستعانة منك حتى في عبادتنا فما قَدرُ عبادتنا إذا نُسبت إلينا كلُّ شيءٍ منه وكل شيءٍ إليه ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ والصراط هو الطريق الصراط أو السراط على قراءتين والمعنى واحد الصراطُ والسراط هو الطريق وفي كتب اللغة يقولون أن السراطَ أو الصراط هو الطريق الواضح البيّن لم تستعمل الآية هنا اهدنا الطريق قالت اهدنا الصراط، الصراط هو الطريق الواضح ووصفتهُ بصفة الصراط المستقيم هذه الهداية للصراط المستقيم متى تأتي؟

بعد العبادة والاستعانة إذا هذه هدايةٌ خاصة وإلا حينما أقول إياك نعبدُ فإنني قد بلغتُ الهدى هل يمكن لقائلٍ يقول: إياك نعبدُ وإياك نستعين أعبدك وبك أستعين ولولا معونتك لما عبدتك يا إلهي، أليس هذا هو الهدى؟ إذاً أيةُ هدايةٍ هذه؟ هذه هداية أرقى من الهداية التي قبلها، نحن بعد أن نعبدهُ وبعد أن نستعين به نطلب منهُ الهداية ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ ثم تأتي الآية ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ**﴾ والهداية يُقال أن الهداية على نوعين: هداية إيصال وهداية إرائه، ما المراد من هداية الإيصال ومن هداية الإرائه؟!

هدايةُ الإيصال أنك توصلٌ شخصاً إلى هدفهِ حينما يطلبُ منك أن ترشدهُ إلى غايةٍ معينة إلى مكانٍ معين فإنك تأخذ بيدهِ فتوصلهُ، ومرةً تكشفُ لهُ عن الطريق تقول تذهب من هنا إلى هناك وتمر بكذا وكذا هذه إرائه، مرةً أوصلك إلى الهدف ومرةً أريك الهدف، فحين أوصلك إلى الهدف فهذه هداية إيصال وحين أريك الهدف أريك الغاية فهذه هداية إرائه والهداية هنا تشيرُ إلى المعنيين معاً ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ**﴾ اهدنا هداية الإيصال واهدنا هداية أرائه فنحنُ بحاجةٍ إلى هداية الإرائه وبحاجةٍ إلى هداية الإيصال لكن تبقى هذه النقطة مهمة أن هذه الهداية تأتي بعد ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ لأن إياك نعبد وإياك نستعين تحتاجُ إلى هدايةٍ قبلها وإلا كيفَ نعبدهُ ونستعين بهِ في العبادة إن لم نكن قد هُدينا فلابد من هدايةٍ أولى ووفقاً للهداية الأولى عبدناهُ واستعنا بهِ ثم كانت هناك هداية ثانية، الهداية الأولى مستبطنة في قولنا إياك نعبد وإياك نستعين، والهداية الأولى هي التي بينتها الآيات السابقة من البسملة والتحميد وقولنا:

﴿الرحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من هنا يظهر معنى الهداية الأولى والتي تستتبعها العبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذا ما بلغنا بالعبادة إلى ذروتها ولا تبلغ العبادة إلى ذروتها إلا بالاستعانة بالله سبحانه وتعالى حينئذٍ نطلبُ الهداية حينئذٍ تُفتح لنا أبواب جديدة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ نطلب الهداية إلى صراطٍ مستقيم، أعودُ إلى معنى الصراط المستقيم بعد بيان تمام معنى الآيات الشريفة، هذا الصراط المستقيم تُبين لنا سورة الفاتحة الكريمة جانباً من أوصافهِ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ هذا الصراط صراطٌ لأُناسٍ لمخلوقات أنعمت عليها والحديث هنا أُناس واضح لأننا نتحدثُ عن البشر نتحدثُ عن الجن والإنس ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا﴾ نحن البشر، نحن الإنسُ والجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ هؤلاء ﴿غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وواضح هناك فئة أنعم الله عليها وهناك فئة غضبَ الله عليها وهناك فئة ضالة.

الذين أنعَمَ الله عليهم من هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟! قطعاً هم أشرف مخلوقاتهِ، هناك لو رجعنا إلى الكتاب الكريم لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد أنعمَ على كثيرٍ من خلقهِ لكن قطعاً حينما يتحدث عن صراطٍ مستقيم عن صراطٍ كامل وينسب هذا الصراط إلى مجموعة من خلقهِ لابد أن تكون هذه المجموعة هي المجموعة الكاملة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ صراط مستقيم صراط كامل ليس فيه اعوجاج ونُسِبَ إلى مجموعة وهذه المجموعة أنعم الله عليها وقلتُ في الكتاب الكريم هناك أصناف كثيرة من مخلوقات الله، الله قد أنعم عليها لكن قطعاً بقرينة الصراط المستقيم بقرينة الصراط الكامل فهو يتحدث عن مجموعةٍ كاملة وهي أشرف المجموعات التي أنعم الله عليها وهؤلاء هم قطعاً لا يُغضَبُ عليهم ولا يضلون ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لا أريد الخوض في أقوال المفسرين أذهبُ بشكلٍ مستقيم ونحن على الصراط المستقيم وأذهبُ بشكلٍ مستقيم إلى أقوال الأئمة عليهم السلام قال المغضوب عليهم عن باقر العترة عن صادق العترة عن الصادقين المعصومين قالوا المغضوب عليهم هم النُصاب أعداء أهل البيت وفي بعض الروايات سموا بأسمائهم فلان وفلان، والضالون قال هم المشككون في الإمامة وفي الإمام الشُكّاك، قلت المفسرون قالوا وقالوا لكنَّ هذا قول مستقيم كالصراط المستقيم فنحنُ هنا نبحثُ عن الصراط المستقيم فنذهبُ بشكلٍ مستقيم إلى قول الأئمة إلى قول العترة إلى العترة الذين هم عدل الكتاب الذين هم تراجمه الكتاب تراجمه وحي الله، قالوا المغضوب عليهم النُصاب أعداءُ أهل البيت المخالفون لأهل البيت والضالون المشككون في

الإمامة والمشككون في عليٍ صلوات الله وسلامه عليه، هذه المعاني المجملة في سورة الفاتحة الآيات الأولى في التوحيد ثم الحديث عن الخطوط العامة للدين ثم تقسيم الناس، القرآن من أولهِ إلى آخره تحدَّثَ عن هذه المجموعات عن مجموعاتٍ أنعم الله عليها، عن مجموعاتٍ ضلوا وأضلوا وعن مجموعاتٍ غضبَ الله عليها ولا توجد مجموعات أخرى غير هذه المجموعات لذلك كانت هذه السورة هي الفاتحة هي التي كما قلت في أول حديثي هي براعة استهلالٍ للكتاب الكريم، براعة استهلال يعني البداية التي يبتدئ بها المتكلم فيوجز ما يريد أن يتكلم عنه بنحوٍ مقتضب.

تقريباً هذا المعنى العام في سورة الفاتحة الكريمة لكن بقيَ عندنا أن نقف عند الصراط المستقيم وهذه الآية هي جوهرُ سورة الفاتحة لأننا بعد التوحيد وبعد أن اهتدينا وقلنا إياك نعبد وإياك نستعين وصلنا إلى الهدف، الهدف الأسمى من الكتاب الكريم أيُ هدفٍ الكتاب ماذا يريدُ منا؟ يريد منا أن نتبع الصراط المستقيم لذلك لو نذهب إلى سورة الأنعام المباركة والآية الثالثة والخمسون بعد المئة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ المتكلم هو الله وهذه الآية يتحدثُ فيها الباري سبحانه وتعالى عن صراطهِ هو ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ الله سبحانه وتعالى ينسبُ الصراط إلى نفسه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ولا تتبعوا السبل، إذا اتبعنا السُبل النتيجة ما هي؟ ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن صِراطه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ كلمة اتبعوه إذا أردنا أن نقفَ عليها ﴿وَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ .

إذا نرجع إلى كتب اللغة إلى لسان العرب لا أعني بلسان العرب كتاب لسان العرب ولا بأس بالرجوع إلى لسان العرب فهو من أفضل الموسوعات اللغوية إذا رجعنا إلى لسان العرب وإلى كلام العرب نجد أن هذا الفعل تَبِعَ يُستعملُ في الأصل وفي الحقيقة هو بإتباع الإنسان لا بإتباع غير الإنسان نعم قد يُقال أنك تتبع شيئاً ما يُقال هذا لكن في الأصل الاستعمال الأصلي لكلمة الإتباع هو إتباعٌ للإنسان إتباعٌ لمن يُتَبَع لقائدٍ لإمامٍ لِمُرشدٍ لِمُعلِّمٍ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الإشارة هنا واضحة طبعاً في روايات أهل البيت المقصود بالصراط المستقيم هنا عليٌ وبالسبل غيرُ عليٍ مهما تشتت الأقوال والأراء ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ مرادي من ذكر هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى حدد الهدف، الهدف الذي يريدهُ الله سبحانه وتعالى من الإنسان هو إتباعُ الصراط المستقيم وأن الهدف الذي يتحدثُ

عنه القرآن كلُّ القرآن ما هو هدفُ القرآن؟ هدف القرآن هو بنايةُ الإنسان بناءُ الإنسان القرآن ليس كتاباً سياسياً وليس كتاباً تاريخياً وليس كتاباً في الفلسفة أو في التصوف أو في العرفان القرآن ليس كتاباً فقهياً القرآن كتابٌ لبناء الإنسان، جاء محمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم كي يبني الإنسان كيف يبني الإنسان؟ جاء محَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ليخرجَ الناس من الظلمات إلى النور ليخرِجَ الناس من الموتِ إلى الحياة، إذا أردت أن أُعرِّفَ القرآنَ القرآنُ كتابُ حياة ومعنى أن القرآن كتابُ حياة هو كتابُ بناء الإنسان، كيف يُبنى هذا الإنسان؟ نحنُ الآن الأمثلة تُضرب ولا تقاس لكن الآن في حياة الناس أي جهاز من الأجهزة الألكترونية أي جهاز من الأجهزة هناك معهُ كُتيب مُرشد يُرشدك كيف تستعمل هذا الجهاز ومن دون هذا الكُتيب إذا أردت أن تستعمل الجهاز خصوصاً الآن الأجهزة المعقدة فإنك سَتُفسِدُ هذا الجهاز.

القرآن هو هذا الكتاب الذي جاء وفيه كل المقومات لبناء الإنسان لأن يُعطي للإنسان حياةً يريدها الله الحياة الحقيقية الحياة التي عُبِّرَ عنها بالحيوان، الحيوان المعنى الأبل للحياة، القرآنُ كتابٌ لبناء الإنسان القرآن هو كتاب النور هو كتابُ الحياة وكتابُ الحكمة وكما قلت ليس كتاباً فلسفياً قد تجدُ في القرآن فلسفةً وقد تجدُ في القرآن عرفاناً وقد تجدُ في القرآن سياسةً وقد تجدُ في القرآن أدباً وبلاغةً وقد تجدُ في القرآن فقهاً وقد تجدُ وتجدُ في القرآن والقرآن تبيانٌ لكل شيءٍ قد تجدُ كل ذلك في القرآن لكنَّ القرآن تجمعهُ حقيقةٌ واحدة أنهُ كتابٌ لبناء الإنسان أنه كتاب الحياة الحقيقية هذه الحياة الحقيقية وهذا البناء الإنساني أين هدفهُ، أين يتكامل، أين يتجلى؟ يتجلى في الاهتداء إلى الصراط المستقيم ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ كما مرَّ علينا قبل قليل في الآية الكريمة من سورة الأنعام المباركة ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾ والنتيجة ما هي ﴿**فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ هذا هو الصراط المستقيم ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ الهدفُ هنا.

ولذلك قلت بأن جوهرة سورة الفاتحة هي هذه الآية الآيةُ السادسة ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ وهنا نقفُ عند هذه الآية الكريمة لا أقفُ عند معنى الهداية فإنني قلت الهداية قد تأتي بمعنى الإيصال أو بمعنى الإرائة وسيأتينا كلامٌ عن الهدايةِ في ما يأتي من برامج فيما يأتي من صفحاتٍ أخرى من صفحات الكتاب الكريم ربما نتحدث عن الهداية حينها وعن مراتبها وعن مضامينها لكنني أريدُ أن أقف عند الصراط المستقيم لأن الصراط المستقيم هو قلبُ سورة الفاتحة ولذلك قالها عليٌ صلوات الله وسلامه عليه: **وأنا النقطةُ تحت الباء**، هذه النقطة التي تحت الباء هي الصراط المستقيم، إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال:

الصراط صراطان: صراطٌ في الدنيا وهو عليٌ وهو الإمام المعصوم وصراطٌ في الآخرة وهو جسرٌ ممدودٌ على جهنم، وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا.

كلُّ الناس كلُّ البشر وكل الجان سيمرون على هذا الصراط لكنهم يختلفون في سرعة تجاوزهم وعبورهم، الروايات تقول إن الصراطَ إن الجسر الممدود على جهنم أدَقُ من الشعرة أدقُ من حد السيف أو كحد السيف والذين يعبرون منهم من يعبر كالبرق الخاطف بسرعة البرق، ومنهم من يعبر كعدوة الفرس كالفرس حين تعدوا، ومنهم من يعبرُ ماشياً، ومنهم من يعبرُ محتبياً يحبو وهو يحبو وهذا الذي تأخذُ جهنم منهُ شيئاً هكذا في الروايات، وإنما وردَ في وصف سيد الأوصياء بأنهُ قائدُ الغر المحجلين، من هم الغر المحجلون؟ الروايات تقول: هم شيعتهُ الذين يعبرون سِراعاً على صراط جهنم، غُر هناك أنوار في جباههم، محجلون هناك أنوار في أقدامهم تكشف لهم ظلمات الصراط على جهنم لأن هذا الجسر الممدود على جهنم يغوص في ظلمات جهنم هو أدق من الشعرة وعليه وحوله ظلماتٌ فوقها ظلمات، لا يتمكن من العبور إلا من كان عندهُ شيءٌ من نور فما بالك بأولئك الذين الأضواء والأنوار تسطع من جباههم ومن أقدامهم، يمكن أن أُقرِّب لك المعنى الآن الذين يعملون في المناجم المهندسون العُمال إلا يضعون مصابيح على الخوذ التي يلبسونها وفي بعض الأمكنة يستعملون نوع من الإضاءة في أرجلهم في أحذيتهم الغُر المحجلون الذين تسطع الأنوار من غُرَرِهم من جباههم ومن أقدامهم محجلون من موضع الحجل، موضع الحجل الموضع الذي تلبس فيه المرأة الحجل الحلية حلية الحجل فهم محجلون تسطع الأنوار من أقدامهم ومن جباههم فكما تمسكوا بصراطهم في الدنيا سيجوزون على صراطهم في الآخرة على أي حالٍ الروايات فيها تفصيل أكثر من ذلك وأنا قلت أنا سأقتضبُ المعاني لا أريد الغوص كثيراً في تفصيلات التفسير.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ لكن هنا وقفة هنا وقفة أقف عند الصراط المستقيم، صراط مستقيم هناك طريق وصفهُ الله سبحانه وتعالى بالاستقامة الله سبحانه وتعالى يصفُ طريقاً بالاستقامة وهذا هو الذي قال: ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ هذا الصراط هو المنسوب إلى الله ووصفهُ بالاستقامة هذا يعني أنهُ صراطٌ كامل لا عيب فيه لا خدش فيه لا نقص فيه، بالله عليك أين هو هذا الصراط؟ دعني من الروايات ودعني من أقوال المفسرين لِنحكِّم وجداننا لِنحكِّم الفهم الإنساني، تحدثتُ فيما مر عن الدليل الإنساني وعن الخطاب الإنساني لِنُحكِّم الإنسانية فينا أين هذا هو الصراط المستقيم؟ هذا الصراطُ المستقيم هل هو خطٌ وهمي، هل هو خطٌ وهمي كما نقول مثلاً عن خط الاستواء، أو نقول مثلاً عن خط كرينتش، خط الاستواء كيف يُعرِّفهُ الجغرافيون؟ يقولون هو خطٌ وهمي يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين إلى نصفين متساويين فهناك ما يقع شمال خط الاستواء وهناك ما يقع جنوب خط الاستواء أو ما يُقال عنه خط

كرينتش خطٌ وهمي يُرمَزُ له برقم الصفر على أساسهِ يتم ترقيم الخطوط الأخرى خطوط الطول لأجل وضع موازين للتوقيت على أي حال هذه قضية معروفة في علم الجغرافيا فهو خطٌ وهمي خط الاستواء خطٌ وهمي وخط كرينتش خطٌ وهمي لا وجود لهُ، الصراط المستقيم هل هو خطٌ وهمي بالله عليك دلني عليه أين هو ما تعريفهُ؟! هل هو خطٌ وهمي نتبعه فكيف يكون صراطاً مستقيماً وهو خطٌ وهمي، هل هو خطٌ معنوي يتألفُ من نصوص متناثرة؟! القرآنُ حمالٌ ذو وجوه القرآن الكريم هل هو الصراط المستقيم إذا رجعنا لهُ لوحدهِ؟! والقرآن هو يحدِّثُنا في الآية السابعة من سورة آل عمران الآية صريحة هي تُعرِّفُ لنا الكتاب:

﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ فهناك مُحكمات وهناك متشابهات هو يُعرِّفُ نفسهُ هكذا يعني من يريد أن يدخل إلى هذا الكتاب سيضيعُ فيه سيتيهُ فيه.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ ﴾ إذاً في القرآن منافذ وأبواب لابتغاء الفتنة وللزيغ فهل أن القرآن هو الصراط المستقيم؟ أو أن هناك شيئاً آخر هو الصراط المستقيم لأن القرآن إذا كان هو الصراط المستقيم فلماذا يكون أو يحدثُ بسببهِ هذا الزيغ؟ الصراط المستقيم واضح يمكنُ للإنسانِ الضال والمهتدي أن يراه وأن يبصره لكن الضال ينحرفُ عنه، فهل القرآن هو الصراط المستقيم؟ نعم القرآن يُدِلُنا على الصراط المستقيم، القرآنُ يُرشدنا على الصراط المستقيم لكن الصراط المستقيم ليس هو خطاً وهمياً ولا هو مجموع نصوص في الكتاب الكريم وفي حديث المعصومين الصراط المستقيم لابد أن يكون وجوداً كاملاً متكاملاً على أساسهِ يتم التشخيص – **ولولاك يا علي لم يُعرَف المؤمنون بعدي** – الصراط المستقيم لابد أن يكون علامةً واضحةً مميزةً، نحنُ إذا أردنا أن نرجع إلى سورة النساء وأنا هنا لا أريدُ أن استعمل أسلوب التفسير الموضوعي فذلك سيُدخلُني في موضوعٍ طويلٍ مُفصَّل لكن أشير إلى هذه الآيات الكريمة الآيات التي تبتدئ من الآية الرابعة والستين من سورة النساء وتنتهي بالآية التاسعة والستين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ ﴾ وفي رواياتنا جاؤوك يا علي وواضح ﴿ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ لأن الكلام لو كان لرسول الله لكانت الآية تقول: جاؤوك يا رسول الله فاستغفروا الله واستغفرت لهم لكن الآية قالت:

﴿ جَآؤُوكَ ﴾ يا علي ﴿ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ بعد أن جاؤوكَ ﴿ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فيما شَجَرَ بينهم في السقيفة حينما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وما شَجَرَ بينهم ما حدث بينهم من الشجار.

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ وتستمر الآيات ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم ﴾ الحديث عن التسليم ﴿ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

في ورايات أهل البيت: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله أنا ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ قال: عليٌ ﴿ وَالشُّهَدَاء ﴾ قال: الحسن والحسين ﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ قال: حمزة وجعفر ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ العترة الطاهرة من ولد الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ الصراط المستقيم هو عليٌ وآل عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأعود بغض النظر عن هذه التفصيلات التي وردت في الروايات وقلت أنا لا أريد الخوض في كل هذه التفاصيل، أقفُ عند الصراط المستقيم فالصراط المستقيم كما قلتُ قبل قليل لا هو بخطٍ وهمي ولا هو بمجموعاتٍ من النصوص، هو موجودٌ هو حقيقةٌ هذه الحقيقة هي الإمام، الصراط المستقيم هو الإمام هو عليٌ هو الحسن هو الحسين هو إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه الصراط المستقيم هو هذا وهي هذه المعرفة الحقيقية هناك هداية مستبطنةٌ في إياك نعبد وإياك نستعين وهناك هدايةٌ أعلى وأسمى وأرقى ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ والصراط المستقيم هو الإمام صلوات الله وسلامه عليه هذه الخطوط العامة والمعاني المُجملة لسورة الفاتحة للسورة الأولى الكريمة من كتاب الله الكريم ونحن إن شاء الله في كل حلقة من هذا البرنامج نتناول صفحةً من صفحات المصحف الشريف من دون الدخول في التفاصيل الكثيرة ومن دون التوغل في المعاني الجانبية والأراء المختلفة للمفسرين.

الطريقة التي أتبعها إن شاء الله نفس الطريقة التي اتبعتها اليوم أحاول تسليط الضوء على المعاني اللغوية وبشكل مُجمل على ما وردَ من روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإلا فتفسير سورة الفاتحة يحتاج إلى كلامٍ طويلٍ وطويلٍ وطويل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمَّدٍ وآله الطيبين الطاهرين

وفي أمان الله.

الحلقة الثانية

تفسير سورة البقرة من الآية ١ الى الآية ١٦

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ منه وبركات، مسَّاكم الله بالخير والإيمان، وهذه الحلقة الثانية من برنامج قرآننا كما ذكرتُ في الحلقة الماضية أنني في كل حلقة من حلقات هذا البرنامج أحاول أن أبين جانباً من معاني صفحةٍ واحدة من صفحات المصحف الشريف قد أزيدُ بعضاً من السطور من الصفحة الأخرى إذا اقتضت الضرورة. اليوم نشرع في سورة البقرة المباركة، تبتدئ السورة بالبسملة الشريفة:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الم﴾ الحروفُ المقطَّعةُ في الكتاب الكريم والآراء فيها كثيرةٌ جداً ولا أريد الوقوف عند ما قالهُ المفسرون وعند الذي قالهُ الشُرَّاح لكنني بشكلٍ مُجمل أقول ﴿الم﴾ في وجهٍ من وجوهها وردَ في روايات أهل بيت العصمة أنا الله العليم أنا الله العالم ولكن بالجملة فإن الحروف المُقطَّعة هي من جملة أسرار الكتاب الكريم وهي خُزانةُ أسرار الكتاب الكريم، هي بمثابة شفرةٍ لا يعرف تفكيكها ولا يعرف رموزها إلا تراجمة وحي الله إلا الأئمة المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قطعاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿الم﴾ نقرأ الآيات الخمسة والتي بحسب طباعة وكتابة المصاحف الموجودة بين أيدينا تكون في موازاة سورة الفاتحة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هذه الآيات الكريمة تحتاجُ إلى وقفةٍ دقيقة لتمييز معانيها قلنا ﴿الم﴾ إنها من أسرار القرآن ومن متشابه القرآن من المعاني المتشابهة المعاني المتشابهة على أنحاء أحدُ أنحاء المعاني المتشابهة هي الأسرار هناك أسرارٌ في القرآن بالنسبةِ لنا تكون متشابهة لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الآية تتحدثُ عن كتابٍ لا ريب فيه لا شكَّ فيه هذا الكتاب هدىً لمن؟ للمتقين، لَمَّا نقول متقون هل أنهم على ضلالة حتى يأتي هذا الكتاب لهدايتهم؟

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هل هم ضالون حتى يأتي هذا الكتابُ كي يهديهم هم متقون وصاحب التقوى وصاحبُ هدى إذاً هذه هدايةٌ ثانية كما مرَّ علينا في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالهدايةُ حاصلةٌ هنا حينما نقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ثم نقول ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ﴾ هذه هدايةٌ ثانية، كذلك الآية الشريفة تشير إلى هدايتين ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾ لمن؟ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هدىً للمهتدين، فإذاً هناك مجموعة مهتدية وهذا الكتاب يُضيفُ لها هدايةً ثانية، إذاً لنرى ما هي أوصاف المتقين؟ هؤلاء المتقون من هم؟ المتقون هؤلاء:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ما هو الذي أُنزِلَ على النبي صلى الله عليه وآله؟ أليس القرآن؟! فإذاً ذلك الكتاب إذاً ليس هو القرآن ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هذه من صفات المتقين وهؤلاء المتقون الذين يوصفون بهذه الأوصاف ذلك الكتاب المذكور في الآية الثانية والذي لا ريب فيه سيكون هدىً لهم، هم متقون وأوصافهم: يؤمنون بالغيب، يقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون، ويؤمنون بما أُنزِلَ إليك وما أنزل من قبلك هو بقرينة ما أُنزل من قبلك لربما قد يقول قائل والذين يؤمنون بما أنزل إليك ببعض ما أُنزِلَ إليك لكن بالقرينة الموجودة ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني الكتب السابقة، ما أُنزِلَ إليكَ من كتابٍ يا رسول الله وما أُنزِلَ من قبلك من كتب، ما أُنزِلَ إليك يعني تمام الكتاب تمام القرآن ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هذا الهدى الأول ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

المتقون الذين تتحدث عنهم هذه الآيات نأتي إلى أوصافهم صفةً صفة، المتقون الذين تلبَّسوا بصفة التقوى وصفة التقوى كما في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي جُنة الله الحصينة، الجُنة الدرع، الجنة اللباس الذي يتقي به الإنسان الضرر قد يكون ضرراً حربياً، قد يكون ضرراً صحياً أيُ نوعٍ من أنواع الضرر ما نلبسهُ ما نتقي بهِ يُقالُ لهُ جُنة، التقوى هي درعُ الله الحصينة أو جُنة الله الحصينة هكذا وردَ وصفها في كلمات أهل البيت، التقوى هي جُنة الله الحصينة أو درعُ الله الحصينة بها يتحصَّنُ الإنسان من أي شيءٍ، يتحصَّنُ من غضب الله، يتحصَّنُ من عذاب الله فمن ورع عن محارم الله فهو من أورع الناس أو هو أورعُ الناس كما وقعَ في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **من ورعُ من كفَّ عن**

محارم الله فهو من أورع الناس من أتقى الناس – التقوى هي درعُ الله الحصينة، هي جُنة الله الحصينة في كلمة سيد الأوصياء – **التقوى أن يجدك الله في مواضع طاعته وأن يفتقدك من مواضع معصيته** – والتقوى في معناها الأصيل في معناها الحقيقي هي ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه لأنها هي التي تقي الإنسان في الدنيا من الضلال ومن الانحراف عن جادة الحق وتقي الإنسان من العذاب في يوم القيامة وهي التي تحولُ بينهُ وبين الدخول إلى جهنم حينما يُمَدُ الصراطُ على جهنم الذي يحول بين الإنسان وبين سقوطهِ في جهنم ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه، أليس في الروايات أنهُ لا يجوزُ على الصراط إلا من كان عنده صكٌ من عليٍ بولايتهِ من كان عندهُ صكٌ من عليٍ هو هذا الذي يجوزُ على صراط جهنم وفي هذا المعنى رواياتٌ كثيرةٌ جداً وهذه الروايات موجودةٌ في كتبنا وفي كتب غيرنا وأنا هنا لا أريد الاستدلال ولا أريدُ أن أوردَ ما جاء في كتب غيرنا.

القرآن هو قرآننا والبرنامج أسمهُ قرآننا، القرآن قُرآننا والعترة عترتنا والتفسير تفسيرنا وتفسيرنا وقرآننا نأخذهُ من عترتنا من أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، التقوى هي ولاية عليٍ وهذا هو المعنى الحقيقي للتقوى أما ما يترتب وما يتفرَّع على هذا المعنى الحقيقي فهو مظاهر التقوى، حينما يتجنب الإنسان عن محارم الله وحينما يأتي بطاعات الله حينما يأتي بما يجبُ عليه وحينما ينتهي عمَّا يحرمُ عليه حينما يكون الإنسان في دائر القربات هذه القربات هي فروع هي مظاهر لولاية عليٍ وولاية عليٍ هي ولاية الله سبحانه وتعالى، هؤلاء المتقون الذين يؤمنون بالغيب الإيمانُ بالغيب الغيب مصطلحٌ واسع الغيب قد يُطلق على كل ما غاب عن الحواس قد يُستعمل في عالم الأدب وفي عالم الثقافة العامة يُقال عن هذا الشيء شيءٌ غيبي يُقصَدُ بهِ ما غاب عن الحواس وقد يُقال شيءٌ غيبي لكل ما غاب عن مداركنا ما غاب عن المدارك البشرية كلُ شيءٍ غاب عن المدارك الإنسانية يُقالُ لهُ غيب فما غاب عن الحواس يُقالُ له غيب وما غاب عن المدارك البشرية يُقالُ له غيب وما غاب عنَّا علمهُ كما الآن مثلاً نحن نجلسُ في هذا المكان فيغيبُ عنا كل شيءٍ يقع خارج هذا المكان وإن كان شيئاً حسياً ويمكن أن تصل حواسنا إليه لكن لأننا محجوزون في هذا المكان وحواسنا محدودةٌ بحدود هذا المكان، فأيضاً يُقالُ لِما هو بعيدٌ عنا لِما هو خارج عن علمنا خارج عن حواسنا في وقوعهِ وفي حدثهِ أنهُ غيب ويُقالُ كذلك لكل ما هو من غير عالم الشهادة هو عالم الغيب وعالم الشهادة هو عالم الطبيعة هذا العالم الذي نتحسسهُ ونتلمّسهُ وتصل إليه مداركنا سواء وصلت إليه هذه المدارك عن طريق الحواس أو عن طريق الوجدان أو عن طريق العقل بالاستعانة بالحواس أيضاً يُقال لهُ عالم الشهادة وغيرُ هذا العالم غيرُ عالم الشهادة يُقال له عالم الغيب ويُقال الغيب أيضاً لكل المعتقدات التي نعتقدُ بها من دون دليلٍ حسيٍ عليها أخبرنا عنها النبي صلى الله عليه وآله أخبرنا عنها الكتاب الكريم كل المعتقدات ما يتعلقُ بالعوالم العلوية بعالم الملائكة بعالم الجان وبكل العوالم الأخرى ما يتعلقُ بالجنة وبالنار

وبالعرش وبالكرسي وبكل التفاصيل العقائدية وبكل المعارف الأخرى التي وصلت إلينا من طريق الوحي يُقال لكل هذا غيب ويُقال لِما هو أبعدُ من ذلك الغيب ويُقال عن حقيقة الله أنها غيب الغيوب.

الغيبُ دائرةٌ واسعة ومعنىً واسع فما المراد هنا ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قد يُرادُ كل هذه المعاني الإيمانُ بالغيب ولكننا حينما نرجعُ إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الروايات تقول الغيب إمامٌ غائب إمامٌ قائم إمام يغيب هؤلاء المتقون الذين تلبَّسوا بلباس التقوى والتقوى ولاية عليٍ بماذا يؤمنون ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يؤمنون بالغيب يؤمنون بإمامهم والإيمانُ بإمامٍ غائب بإمام زماننا هو إيمانٌ بكل معاني الغيب التي تحدثت عنها لأن هذا الإمام هو الذي يمثل مركز الغيب كل المعاني الغيبية التي أشرتُ إليها إنما تتجلى في الإيمان بهذا الإمام ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ الصلاة هذه العبادة المفروضة الواجبة والتي هي أهم عبادتنا وأهم واجباتنا والتي هي المائزُ بين الإنسان المؤمن وبين غيرِهِ الصلاةُ هذه هي المائزُ الظاهري، الإنسان حينما لا يؤدي صلاته وحينما يتركُ صلاتهُ فإنهُ يخرجُ من دائرة المؤمنين ويخرجُ من لباس المؤمنين يخلعُ لباس الإيمان لكنَّ المعنى الحقيقي للصلاة هو ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه يقيمون الصلاة يقيمون ولاية عليٍ وإلا الروايات الشريفة تقول: من لم يأتي بولاية علي ومن لم يؤمن بولاية علي والأئمة صلوات الله عليهم سيان عند الله صلى أم زنا، الروايات الشريفة عن باقر العترة عن صادق العترة وعن غيرهما من الأئمة المعصومين: سيان عند الله صلى أم زنا، إن لم يكن يؤمن بولاية عليٍ، فإذاً الصلاة الحقيقية هي ولاية عليٍ ولكن هذه الصلاة كيف تتفعّل في المظهر الخارجي المظهر الخارجي لهذه الولاية لهذه الصلاة هي هذه صلاتنا بركوعها وسجودها وأركانها وأجزائها وشرائطها وشروطها.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وإلا من يصلي ويأتي بكل أجزاء الصلاة من دون ولاية عليٍ فهو يصلي يؤدي الصلاة لكنهُ لا يقيمها إقامة الصلاة هناك فارقٌ بين من يؤدي الصلاة ومن يقيم الصلاة قد يأتي إنسانٌ فيتوضأ ويتوجه للقبلة ويبدأ بفروض الصلاة وأجزائها وأركانها ويُتمها على أحسن وجهٍ بالأداء الفعلي الظاهري لكنهُ لا يؤمن بولاية علي فإنهُ ما كان قد أقام الصلاة هو قد أدى الصلاة إقامة الصلاة لابد أن تُقام هذه الصلاة بعمودها وعمود الصلاة ولاية عليٍ، الصلاة عمود الدين عمود الدين العمود الذي يرتكزُ عليه الدين ولاية علي وإنما هذه الصلاة مظهرٌ لتلك الولاية ولذلك في كلمات أهل البيت: أنا الصلاة، كما يقول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، أنا صلاة المؤمنين وصيامهم، ولا أريد التوغل كثيراً في مثل هذه الإشارات والرموز ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قطعاً من معاني الإنفاق ما ينفقهُ الإنسان من أمواله وهذا المعنى واضحٌ ولا أريدُ الوقوف عندهُ كثيراً لكننا وجدنا في روايات أهل البيت ومما رزقناهم ينفقون مما

علمناهم يبثون مما علمناهم ينفقون العلم لا يعني أن المعنى الأول ليس صحيحاً لكن المعنى الثاني هو المعنى الأعمق وهو المعنى الأدق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ مما علمناهم يبثون وهذا هو بثُ حديث أهل البيت وهذا هو نشرُ فكر أهل البيت وهذا هو إحياءُ أمر أهل البيت.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يؤمنون بالقرآن، ماذا أُنزِلَ على رسول الله؟ أُنزِلَ عليه القرآن إذاً الآية الأولى ذلك الكتاب ليس الإشارة في هذه الآية إلى القرآن الروايات عن أهل البيت قالت: ذلك الكتاب عليٌ صلوات الله وسلامه عليه، الآيات صريحة واضحة الآن من أول نظرة ومن أول وهلة لنقرأ الآيات ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هذا الكتاب المذكور في هذه الآية هو هدىً للمتقين من هم هؤلاء المتقون ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يؤمنون بالكتاب الذي أُنزِلَ إليك، إيمانهم بهذا الكتاب سيكون سبباً لهدايتهم كما في الآية الخامسة:

﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هؤلاء المتقون، هؤلاء على هُدىً من ربهم وهم مفلحون وأوصافهم مرت يؤمنون بالغيب يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ويؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون هذه المعاني كلها حاصلة لهذه المجموعة من الناس لذلك وصفوا بأنهم متقون فهم يؤمنون بالكتاب وهم يعتقدون بالكتاب وهم يهتدون بالكتاب إذاً ما هو هذا الكتاب الذي سيضيفُ هدايةً ثانيةً إلى الهداية الأولى ذلك الكتاب هو عليٌ صلوات الله وسلامه عليه وأعتقد أن المنصف لو دقق النظر وليس لوقتٍ طويل سيرى أن الآيات الأولى من سورة البقرة تتحدث عن متقين فيهم جملة من الأوصاف من جملة هذه الأوصاف يؤمنون بالقرآن وهذا الإيمان بالقرآن كان سبباً لهدايتهم ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وكان سبباً لفلاحهم ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هؤلاء المتقون هم الذين سيكون الكتاب المذكور في الآية الثانية ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ سيكون هدىً لهم فهذه هدايةٌ ثانية وهذه الهداية الثانية هي هداية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه القرآن الكريم قد يقول قائل لَمَّا نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله، البدو العرب كيف فهموا القرآن؟ هل فهموه بمثل هذا الفهم الذي أشرت إليه؟

قطعاً لا هؤلاء كانوا يعبدون الحجارة لا يمكن لأُناس بتلكم العقول التي كانت تعبد الحجارة تصنعُ ربَّاً من حجارة وتعبدهُ تصنع ربَّاً من تمرٍ وحين تجوع تأكله هؤلاء الذين يعبدون الحجارة وجعلوا لهم ديناً وأحكاماً

صدرت من سفاهة عقولهم هؤلاء قطعاً حينما يريدون أن يفهموا كلام الله سيفهمونه بحسب الموازين اللغوية والعرفية التي توافقوا عليها في طريقة التفاهم بلغة العرب قطعاً لن يفهموا هذه الإشارات وهذه الدلالات لذلك يعني العقيدة إنما هي في ترقي والعقيدة إنما هي في تقدم لذلك نقول إن ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن قد كَمُل إلا في يوم الغدير ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الإكمال كان في يوم الغدير باعتبار أن الحقائق التي لم يكن النبي صلى الله عليه وآله قد بينها لعموم الناس بينها لخواصهِ نعم النبي صلى الله عليه وآله كلَّمَ الناس على قدر عقولهم: **إنا معاشر الأنبياء نُكلِّمُ الناس على قدر عقولهم وما كلمناهم قط على قدر عقولنا**، النبي والأئمة هكذا قالوا إننا ما كلمنا الناس قط على قدر عقولنا وإنما كلمنا الناس على قدر عقولهم وعقول الناس متباينة فكل مجموعة في مستوى معين يُكلمها النبي يكلمها الإمام بحسب المستوى الذي تتمكن أن تستوعبهُ وأن تعيه، فالحقائق بشكلٍ عام لم تُبيّن لكل الناس ربما فهمها سلمان بُينت لسلمان بُينت لأبي ذر بُينت لِعمَّار لمن هم في هذا المستوى أما أولئكم الأعراب أولئكم الذين حدود تفكيرهم يعني محدودة وضيقة جداً لم تُبيّن لهم الحقائق وهذا واضحٌ في كلمات النبي وكلمات أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم لذلك القرآن لا يقف عند حدٍ معين القرآن هو لكل زمان، هذا الذي يسأل الإمام الكاظم صلوات الله وسلامه عليه لماذا نجدُ القرآن غضاً طرياً كلمَّا مرَّ الزمان؟

مُرادهُ أننا نجدُ القرآن غضاً طرياً كلمَّا مرَّ الزمان أن الإنسان كُلمَّا رجعَ إلى القرآن وجد فيهِ شيئاً جديداً وهذه هذه الخاصية موجودة في كلام الله وفي كلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، السرُّ أن القرآن كتابٌ ليس محدوداً بزمانٍ معين حينما قرأهُ الناس في القرن الأول ظهر لهم الكثير من المعاني وحينما قرأوه في القرن الثاني وهكذا إلى يومنا هذا وإلى الأجيال التي ستأتي بعدنا كلمَّا جاء جيلٌ وقرأ القرآن وجدَ فيهِ الكثير من المعاني ووجد فيهِ الكثير من الأسرار وتجلت الكثير من الحقائق.

الرواية في بصائر الدرجات لشيخنا أبي جعفرٍ محمد بن الحسن الصفار رضوان الله تعالى عليه بسندهِ إلى الفضيل بن يسار يسأل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الفَضيل أو الفُضَيل – **الفضيل يسأل الإمام الباقر عليه السلام يقول: سألتهُ عن الرواية** – رواية منقولة عن الأئمة – **سألتهُ عن الرواية ما من آيةٍ إلا ولها ظهرٌ وبطن** – وهذا المعنى متكرر في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **مامن آيةٍ إلا ولها ظهرٌ وبطن** – الفضيل يسأل الإمام عن هذه الرواية فماذا قال الإمامُ الباقر عليه السلام – **قال: ظهرٌ وبطن وهو تأويلهُ** – تأويلهُ: التأويل هو المعنى الحقيقي للقرآن – **قال: ظهرٌ وبطن وهو تأويلهُ منه ما قد مضى** – منهُ ما قد مضى من تأويل الكتاب من الحقائق والأحداث التي قد مضت ووقعت – **منهُ ما قد مضى ومنه ما لم يجئ، إنهُ يجري كما تجري الشمس والقمر كلما جاء شيءٌ من**

تأويلهِ – من تأويل الكتاب الكريم –**كلما جاء شيءٌ من تأويلهِ يكون على الأموات كما يكون على الأحياء** – لا يعني أن الآية تموت بموت صاحبها – **يكونُ على الأموات كما يكون على الأحياء** – الأجيال التي ذهبت والأجيال التي ستأتي فالقرآن حيٌ يكونُ – **يكونُ على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله تبارك وتعالى:** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ **ثم قال عليه السلام نحن نعلمهُ** – الأئمة العترة الطاهرة، فالمعاني التي فهمها الجيل الأول لا يعني أن القرآن يقفُ عندها فهموا القرآن بحسب عقولهم وبحسب ما بُيّنَ لهم من الحقائق وإن كان هناك من الجيل الأول من أمثال سلمان ممن نال العلم الأول والعلم الآخر كما في الروايات من أمثال سلمان وهو أعلم صحابة النبي صلى الله عليه وآله وأعلم صحابة أمير المؤمنين، لَمَّا أقول أعلم الصحابة فلا أقول بعد عليٍ لأن عليٌ لم يكن من صحابة رسول الله فعليٌ نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقول أعلمُ الصحابة من غير عليٍ فعليٌ هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله فَعَلِم سلمان وعَلِم المقداد وعَلِم أبو ذر وكلٌ بحسبهِ والروايات تقول – **لو عَلِم أبو ذر ما في قلب سلمان لكفَّره أو لَقَتَله أو لَترَحَّمَ على قاتله** – ومثلُ هذا كثيرٌ في حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين للحديث أو للإشارة عن التباين وعن الاختلاف والتعدد في مراتب العلم والمعرفة واليقين إلى غير ذلك من هذه المعاني.

فالآيات الشريفة هذه لو دققنا النظر إليها لوجدنا أن الكتاب الذي جاء في الآية الثانية في أول السورة هو غير الذي جاء مذكوراً في الآية الرابعة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وهذا هو الكتاب الكريم، المتقون يؤمنون بالغيب يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك والذين يؤمنون بالقرآن وما أنزل من قبلك بالتوراة والإنجيل ثم وبالآخرة هم يوقنون هؤلاء المتقون الذين يحملون هذه الأوصاف ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هؤلاء هم الذين يكون الكتابُ الذي لا ريب فيه هدىً لهم ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والكتاب في أصلهِ في لغة العرب هو الجامع كتبَ جمعَ لذلك يُقال كتيبة لمجموعة الرجال ويُقال لمن يكتب على الورق كتبَ لأنه يجمع الحروف فتتكون الكلمات ثم يجمع الكلمات فتتكون الجمل ثم يجمع الجمل فيتكون الكلام الكثير ذلك الكتاب وذلك تشير إلى حقيقةٍ بعيدة لو كان المراد الكتاب الذي بين أيدينا لقالت الآية هذا الكتاب فهناك هناك قرينتان واضحتان ذلك تشير إلى غير الكتاب الذي هو بين الدفتين ثم المتقون هم مهتدون ومن جملة أسباب هدايتهم أنهم آمنوا بما أنزل إليك وهو القرآن وسبّبَ لهم الهداية الأولى، الهداية الثانية هي جاءت بسبب هذا الكتاب بسبب هذه

الحقيقة الجامعة وهو عليٌ ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ والهاد هو هذا الكتاب الجامع هو الكتابُ الناطق الحقيقي هو القرآن الحقيقي هو جوهر القرآن النبي وعليٌ وآلهما الأطهار هم جوهر القرآن وهم حقيقة القرآن وحينما يكون الحديث عن عليٍ فهو نفسهُ حديثٌ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نمر مروراً سريعاً على الآيات الشريفة ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وطبعاً هناك أيضاً من يشير إلى أن ﴿الم﴾ هي رمز وعنوان للحقيقة العلوية ولذلك ذلك هي إشارة إلى: ﴿الم﴾ ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ وكأن ﴿الم﴾ البعيدة عن أذهاننا البعيدة عن عقولنا هذه الحقيقة هذا رمز ﴿الم﴾ رمز ذلك الرمز هو الكتاب الذي لا ريب فيه ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ ﴿الم﴾ هي خزانة الأسرار وخزانة أسرار الله هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأنا لا أريد الخوض في كل هذه التفاصيل فإنني أحاول أن أختصر معاني التفسير وأحاول أن أجعل التفسير تفسيراً مُيسراً وفقاً لكلام العرب ووفقاً لِما جاء عن العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ والإنذار وظيفة النبي صلى الله عليه وآله إنما أنت منذر، هو البشير النذير ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الكفر على أنواع، الكفر على أنحاء هناك كفرٌ بالله الإلحاد، الذين يُقال لهم الدهريون في الأزمنة القديمة الملحدون في زماننا هذا الذين ينكرون وجود الله ووجود الغيب، وجود الله ويُنكرون الدين بكل تفاصيلهِ ينكرون الغيب بكل تفاصيلهِ، هناك الكافرون الذين يكفرون بكل شيء وهناك الكافرون الذين يكفرون بما يريد الله سبحانه وتعالى قد يكفرون بأنعم الله قد يكفرون بآيات الله قد يكفرون بأحكام الله هناك درجات ومراتب من الكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ وهؤلاء كلهم يتفقون في هذه القضية فالكفر ملةٌ واحدة سواء الذين كفروا بالله وبالغيب مطلقاً أو الذين كفروا بأحكام الله أو الذين كفروا بأنعم الله أو الذين كفروا بآيات الله ومن أوضح مصاديق الكفر بأنعم الله وبأحكام الله وبآيات الله الكفرُ بإمام نصبهُ الله سبحانه وتعالى حينما ينصب الله إماماً ويأتي الناس فيكفرون بهذا الإمام يُنكرونهُ بل يقتلونهُ هذا من أوضح معاني الكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تُبين الآية الأخرى لماذا ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الغِشاوة هي الغطاء، تغشى تغطى، غِشاوة غطاء

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ ختم طبع ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لماذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم؟ الله سبحانه وتعالى هل يريد الباري سبحانه وتعالى من الناس أن يكفروا؟ هذا الختم متى حصل لهؤلاء الذين كفروا؟

كل إنسانٍ يولدُ على الفطرة وكل إنسانٍ هو قابلٌ للهداية لكن هناك عوامل عديدة تؤدي إلى أن الإنسان يذهبُ إلى الضلال عوامل عديدة ولسنا بصدد الحديث عن هذه العوامل لكن قطعاً من جملة هذه العوامل هو الدنيا بتفاريعها حينما يتعلق الإنسان بالدنيا وبالسلطان وبالعرشِ وبالكرسي، الدنيا بكل شؤوناتها، وحينما يجعل الدنيا هي الرقم الأول في حياتهِ يجعل الأولوية للدنيا وإلا كلنا نحبُّ الدنيا والإنسانُ مجبولٌ على حب الدنيا والإنسانُ لا يمكن أن يكون متجرداً من حب الدنيا فكيف يعيش؟! إذا لم يحب الإنسان الدنيا حينئذٍ لن يسعى إلى تحصيل ضرورات الحياة لأن الإنسان لو فرضنا أن الإنسان يمكن في حالةٍ من الحالات لا يُحبُّ الدنيا فحينئذٍ لا يسعى لتحصيل ضرورات الحياة وحينئذٍ سيهلك الإنسان، والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لأجل أن يبقى في هذه الحياة وتنتهي مسيرة الإنسان بحسب ما خطط لهُ الباري سبحانه وتعالى لا أن يوجد الإنسان فيسعى الإنسان إلى هلاك نفسهِ فمن عوامل سلامة الإنسان هو حب الإنسان للدنيا حين نحب الدنيا فحينئذٍ سَنُحِبُّ السلامة وحين نحبُّ السلامةَ في الحياة ونحبُّ الصحة في الحياة سنسعى لتحصيل ولتحقيق الضرورات والمقدمات التي تحقق لنا الصحة وتحقق لنا السلامة وتحقق لنا الأمن وتحقق لنا العيش الكريم وتحقق لنا الأسباب التي من خلالها ننال الراحة واللباس والمسكن والمطعم والمشرب والجنس وغير ذلك من المعاني التي يحتاجها الإنسان في الحياة.

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهو قابلٌ للهداية لم يخلق الله سبحانه وتعالى إنساناً ومن البداية ختم على قلبهِ أن يكون كافراً لابد أن يكون هذا الإنسان قد قام بأمرٍ بسبب هذا الأمر جاءت عملية الختم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الحديث هنا عن أُناس كفروا بالولاية فبعد أن كفروا بالولاية ختم الله على قلوبهم وإلا ليس الحديث عن أُناسٍ كفروا من البداية بكل شيءٍ خصوصاً وأن الآية في سياق الآيات السابقة الآيات السابقة تحدثت عن إمامةٍ وتحدثت عن ولايةٍ وتحدثت عن متقين هناك متقون اتصفوا بأوصاف معينة وهناك كتاب أضاف إليهم هدايةً ثانية فوق هداية التقوى ثم جاءت الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وطبعاً في روايات أهل البيت وروايات كثيرة جداً الحديث عن الغدير وواقعة الغدير أنا قلت أن القرآن حي لا يعني أن هذه الآية لَمَّا نزلت نزلت في واقعة الغدير لكنَّ القرآن يجري كما تجري الشمس والقمر كما يجري الليل والنهار لا يعني إذا مات قومٌ كانت

الآية بخصوصهم فتموت الآية، الآية حية فإذا ذهب ذلك الجيل وجاء جيلٌ آخر فهذه الآيات تتحدثت عن الجيل الذي جاء بعد ذلك الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الدين بعد رسول الله هو دين الولاية للأئمة فالآيات في الكتاب الكريم من هنا نجدُ في الروايات أن القرآن كلهُ فينا أهل البيت القرآن كلهُ فينا أهل البيت بهذا المنظور بهذا المعنى فالقرآن ليس في أفقٍ واحد القرآن لهُ أفاق عديدة، إذا جعلنا القرآن يتعلق بمجموعةٍ من أُناسٍ عاشوا في زمان رسول الله والأحداث والآيات تتحدث عن قريشٍ والكلام عن قريشٍ فقط وعن أُناسٍ عبدوا الأحجار سيكون القرآن كتاباً تأريخياً.

القرآن هكذا يفهمهُ أهل البيت أن القرآن حي وفي كل زمانٍ يبقى القرآن غضاً طرياً جديداً الدين بعد رسول الله هو ولاية عليٍ وآل عليٍ صلوات الله عليهم أجمعين، ولذلك نجدُ هذه المعاني واضحةً في روايات أهل البيت على سبيل المثال نحنُ مثلاً إذا أردنا أن نرجع إلى تفسير البرهان وهو تفسيرٌ جامعٌ لأحاديث أهل البيت التي فسرت القرآن أو رجعنا إلى تفسير نور الثقلين أو إلى غيرهما من كتب الحديث التي جاءت في تفسير الكتاب الكريم فإننا سنجدُ الروايات الكثيرة جداً التي تُفسِّرُ هذه الآيات في بيعة الغدير وما ترتَّب عليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ هؤلاء كفروا بولاية عليٍ فلمَّا كفروا ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ قامت عليهم الحُجج وإلا ليس هؤلاء الذين كفروا في الجاهلية فأيُ حُجةٍ قامت عليهم؟! صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله أقام عليهم الحجَج لكن هذه الآيات إذا أردنا أن ننظر إليها مع الآيات المتقدمة الآيات المتقدمة تتحدثُ عن ولايةٍ وعن إمامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ كم من الحجج أقامها النبي على صحابتهِ وكم من الحُجج أقامها النبي على مُشركي قُريش لو أردنا أن نقوم بعملية إحصاء لعدد الحُجَج التي أقامها النبي صلى الله عليه وآله في ولاية عليٍ على صحابته ولو نظرنا إلى عدد الحُجج التي أقامها النبي صلى الله عليه وآله على مشركي قريش لوجدنا أن عدد الحجج التي أقامها النبي صلى الله عليه وآله على صحابتهِ كان أكثر والسبب أنه كان يعيش معهم وما كان يعيش مع مشركي قريش وأن الصورة الكاملة للدين أتضحت بعد الهجرة ومشركوا قريش كانوا بعيدين عن النبي ما كانوا يعيشون مع النبي صلى الله عليه وآله الذين كانوا يعيشون مع النبي ويُلازمون النبي أصحابهُ فهل كان يُقيم على أصحابهِ الحجَج بالتوحيد فهم قد آمنوا ووحدوا وقبلوا الدين وآمنوا بالتوحيد وآمنوا بنبوة النبي فأي حُجج كان يقيمها عليهم؟

الحُجج التي كان يقيمها عليهم حُجج ولاية عليٍ وآل عليٍ لذلك مرَّ علينا في بعض البرامج السابقة قلت بأننا لا نجد في كتب الحديث أن الصحابة يسألون النبي إلى من يذهبون بعد النبي؟! وأنا قلت في وقتها

أَفَهل كان الصحابة سُفهاء إلى هذه الدرجة لا عقول لهم بحيث لا يفكرون بهذا الأمر؟! الزوجة تسأل زوجها لو يُسافر، لو يسافر زوجها لمدة أسبوع أو لمدة شهر فتسألهُ أنهُ في غيابهِ الأمر الفلاني القضية الفلانية لمن نرجع فيها هذه قضية بديهية واضحة، لماذا لم يسأل الصحابة وذلك أن النبي قد أقام عليهم الحجج لمئاتٍ من المرات بيّنَ لهم هذه الحقائق، لذلك هؤلاء الذين جاءوا فأنكروا هذه الحُجج ما هي عقوبتهم؟

عقوبتهم أن ختم الله على قلوبهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ الختم أولاً على القلوب لأن هذه القلوب هي التي عاندت وجحدت الحُجج، النبي أقام عليهم الحُجج لكنهم هم عرفوا هذه الحُجج لكنهم جحدوها، جحدوها بسبب الحسد بسبب الدنيا ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هذه طبقة أخرى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم يقولون نحن آمنا بالله وباليوم الآخر، لماذا هم ليسوا بمؤمنين ليسوا بمؤمنين لأنهم لم يؤمنوا بالإمام الذي نَصَبَهُ الله هم آمنوا بالله وباليوم الآخر ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يخادعون الله والذين آمنوا بأي شيءٍ الروايات موجودة عندنا عن الأئمة أنهم إذا لقوا سلمان وأبا ذر وأضراب هؤلاء قالوا نحن نؤمن بولاية علي كما تؤمنون ولكنهم في قلوبهم لا يؤمنون بذلك ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾ في قلوبهم مرض هذا المرض هو مرض الحسد مرض العداوة لعليٍ وآل عليٍ، مرض الحسد، مرضُ العداوة ولذلك هم اجتمعوا أصحاب الصحيفة قالوا إننا بعد أن يموت محمَّد لن نترك هذا الأمر في أهل بيتهِ واتفقوا على ذلك والروايات واضحة في هذا المعنى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾ هذا المرض الثاني من الله أضافهُ لهم عقوبة لهم نفس الكلام ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أولئك الذين كفروا ختم الله على قلوبهم وهؤلاء الذين يخادعون الله والذين آمنوا في قلوبهم مرض أي مرض؟

هذا مرض النصب ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ

﴿تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ يعني هؤلاء الذين رفضوا خلافة عليٍ وقالوا إن العربَ لن تطيع علياً لِصِغَر سنهِ ولأنه قتل الكثير من صناديدهم وقالوا ما قالوا المحاججات والمناقشات وأنهم اختاروا طريقاً وهذا الطريق الذي اختاروه هو هذا طريقُ الإصلاح ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَاسُ﴾ في الروايات كما آمن سلمان وأبو ذر وعمار ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء﴾ يعتبرون هؤلاء سُفهاء ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ ولذلك مرَّ علينا في أحاديث الكافي في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ماذا قال الإمام عليه السلام؟

قال لا يكونُ الإمامُ سفيهاً لن يكون السفيه إمام التقي، السفيه لن يكون إماماً والسفاهة أجلى معانيها عبادة الأصنام ﴿قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا﴾ عملية المخادعة ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ في الروايات رواية ينقلها ابن شهرآشوب المحدِّث المازندراني في المناقب ينقلها عن الإمام الباقر عليه السلام يقول هذه الآية نزلت في ثلاثة لَمَّا قام النبي صلى الله عليه وآله بولاية أمير المؤمنين يعني في الغدير فإنهم أظهروا الإيمان والرضا وإذا خلوا إلى شياطينهم إلى أعداء عليٍ من أمثالهم استهزأوا بذلك أستهزأوا بأمير المؤمنين ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا﴾ إمامنا الباقر هو الذي يقول هذه الآية نزلت في ثلاثة لَمَّا قام النبي صلى الله عليه وآله بولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير يعني هؤلاء أظهروا الإيمان والرضا وإذا خلوا إلى أعداء أمير المؤمنين قالوا إنا مستهزؤون، مستهزؤون بعليٍ ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الرواية عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه ينقلها شيخنا الصدوق عن ابن فضَّال ابن فضّال يسأل الإمام الرضا عليه السلام ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ قال إن الله لا يستهزئ ولكنهُ يجازيهم جزاء الاستهزاء، استهزائهم بأمير المؤمنين الله يجازيهم هذا الجزاء ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يمدّهم

في طغيانهم: الطغيان هو الزيادة إن للعلم طغياناً إن للمال طغياناً إن للشهوة طغياناً إن للحكم طغياناً، يمدهم في طغيانهم يُملي لهم وهو الإملاء الله سبحانه وتعالى حينما يَسودُ قلبُ الإنسان يُعاقبهُ الباري سبحانه وتعالى بالإملاء هؤلاء حينما عاندوا وجحدوا الحقائق الله سبحانه وتعالى مدّهم في طغيانهم ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العَمَه هو الضلالة والحيرة والجهل وهذه أوصافهم لمن أراد أن يرجعَ إلى كتب التأريخ وكتب الحديث يجد أن الذين عادوا أمير المؤمنين وخالفوا أمير المؤمنين هي هذه أوصافهم في طغيانهم يعمهون.

رواية عن ابن عباس في معنى أن الله يستهزئ بهم، الروايات تقول هكذا إذا مُدَ الصراط على جهنم الذين آمنوا بولاية عليٍ يعبرون والذين عادوا علياً سيقعون في جهنم الروايات كثيرة في هذا المعنى، رواية ابن عباس تتحدث عن معنى الاستهزاء، هؤلاء المستهزؤون الذين استهزؤوا بالله وبآياتهِ وبعليٍ صلوات الله وسلامه عليه الرواية تقول إن الله يقول لمالك خازن النيران يقول لمالك أن استهزئ بهم، فمالك يناديهم وهم في جهنم يفتح لهم باباً فيقول لهم إن هذا الباب يأخذكم إلى الجنة الرواية تقول فيسبحون في بحار جهنم سبعين خريفاً باتجاه الباب، سبعين خريف سبعين سنة من سني جهنم والروايات تستعمل كلمة خريف باعتبار أن الخريف هو فيه إشارة إلى البؤس فيهِ إشارة إلى الضجر يعني فصلٌ بائس فصلٌ مُضجر، فيسبحون في بحار جهنم سبعين خريفاً فما أن يصلوا قريباً من هذا الباب يُغلق الباب ثم يفتح لهم باباً في جهةٍ أخرى فيسبحون إلى ذلك وهكذا كلما وصلوا إلى باب فتح لهم باباً من جهةٍ أخرى وهذا هو استهزاء مالك بهم في جهنم يُستهزئ بهم وهؤلاء يتصورون أنهم اقتربوا من الباب فيُغلَق الباب ويُفتح لهم بابٌ آخر، الرواية هنا تشير إلى نوع من أنواع الاستهزاء بهم في جهنم.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ليس الله هو الذي يستهزئ وإنما يجازيهم جزاء الاستهزاء ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ والهدى ولاية عليٍ، هذا الهدى نفسهُ الذي جاء في الآية الأولى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هؤلاء باعوا هذا الهدى بالضلالة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ .

وبهذا أكملنا صفحة من صفحات المصحف الشريف وإن شاء الله في الحلقة القادمة أيضاً أتناولُ صفحةٌ أخرى من صفحات الكتاب الكريم. أسألكم الدعاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الثالثة

تفسير سورة البقرة من الآية ١٧ الى الآية ٢٤

سلامٌ عليكم، مسَّاكم الله بالخيرِ والإيمان وهذه حلقةٌ أخرى من برنامج قُرآننا. وصل بنا الكلام في الحلقة الماضية إلى الآية السادسة بعد العاشرة من سورة البقرة، الآيات التي تقدَّمَ الحديثُ عنها تحدَّثت عن ثلاثِ مجموعات:

المجموعة الأولى: هم المتقون والذين جاء ذكرهم في أول سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إلى آخر أوصاف التي ذكرتها السورة المباركة هذه المجموعة الأولى المتقون.

المجموعة الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ إلى آخر ما ذكرت السورة المباركة، المجموعة الثانية الكافرون، كافرون بالله كافرون بأنعم الله كافرون بآيات الله كافرون بأولياء الله.

المجموعة الثالثة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخر ما جاء في وصفهم هم المخادعون هم المنافقون وفي الحقيقة هم السفهاء كما جاء في نفس السورة المباركة ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ .

فهناك مجموعة المتقين وهناك مجموعة الكافرين وهناك مجموعة السفهاء وهم المنافقون هذه المجموعات الثلاثة تحدَّثت الآيات المتقدمة الآيات الأولى من سورة البقرة المباركة عن هذه المجموعات الثلاثة. الآية السادسة بعد العاشرة وهي آخرُ آيةٍ تحدَّثنا عنها ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ والآية هنا تتحدثُ عن المجموعة الثالثة عن مجموعة السفهاء عن مجموعة المنافقين هؤلاء الذين هم السفهاء ولكن لا يعلمون هؤلاء هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم، تجارتهم هكذا كانت باعوا الهدى واشتروا الضلالة فرأسُ مالهم وتجارتهم الضلال. الآيات التي نتناولها في هذه الحلقة هي

تتمة لِما تقدَّم ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقد تقدَّمَ الكلامُ في أن هذه الآيات بحسب روايات أهل بيت العصمة تتحدَّثُ عن عليٍ وآل علي عن ولاية الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مرَّ علينا في برنامج في فناء الكافي الشريف الأحاديثُ الشريفةُ التي تحدَّثت: إنما يعبدُ الله من يَعرِفُ الله، فكيفَ تكونُ معرفة الله؟ هو التصديقُ بالله والتصديقُ برسولهِ وموالاة عليٍ والإئتمام بهِ وبالأئمة من بعدهِ والبراءة من أعدائهم هكذا يُعرَفُ الله وهكذا يُعْبَدُ الله ومن لم يعرف الله هكذا فإنما يعبدهُ هكذا ضلالاً.

كما مرَّ علينا في الأحاديث الشريفة المعصومية عن أهل بيت العصمة والقرآن الكريم إنما يجري مجرى الشمس والقمر يجري مجرى الليل والنهار فإن القرآن لا يموتُ بموت من نزل فيهم من الجهة التأريخية وإلا إذا مات الذي نزلت فيهِ الآية وبقيت الآية محصورةً به فإن الآية ستموت بموت صاحبها وحينئذٍ سيموت القرآن والقرآن كتابٌ حي ليس محصوراً بزمانٍ معين وليس محصوراً بمكانٍ مُعيّن وليس محصوراً بأشخاصٍ مُعيَّنين، لذلك إن كان الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله حينما تتحدث الآيات عن الشرك فيُطبقونها على مُشركي قريش فإنهُ بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وآله يُطبَّقُ معنى الشرك على الذين أشركوا بالله الذين نصبوا أئمةً غير الأئمة الذين نصبهم الله فجعلوا أنفسهم شُركاء لله في نصب الأئمة فيكون الشرك بهذا المعنى ويكون الكفرُ بإمامٍ نصبهُ الله وتكونُ الضلالةُ بالابتعادِ عن أهل بيت العصمة هكذا تكون المعاني لأن القرآن حيٌ وحياة القرآن بحياة معانيه الحقيقية التي تتطابقُ مع الواقع والتي تجري مع الحياة مجرى الليل والنهار ومجرى الشمس والقمر.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ مثالٌ والقرآن مليءٌ بالأمثلة، الكتب السماوية بشكلٍ عام مليئةٌ بالأمثلة حتى الكتب التي سبقت القرآن، التوراة، الزبور، الإنجيل، الصحف السابقة الصحف التي أُنزِلت على آدم الصُحف التي أُنزِلت على إبراهيم صحف الأنبياء كتب الأنبياء مليئة بالأمثلة وقد وردَ عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأمرَ بدراسة أمثال القرآن فأمثال القرآن على أنحاء على ضروب وأنا هنا لا أريدُ أن أتحدَّثَ كثيراً عن أنواعِ الأمثال ففي كلِّ حلقةٍ نتحدثُ بما يسمحُ بهِ الوقت وبما أخذناهُ عهداً في هذا البرنامج أن يكونَ التفسيرُ تفسيراً مُيسراً ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ المَثَلُ هنا هكذا يرسمُ لنا القرآن صورةٌ جوٌ مُظلم ليلةٌ ظلماء ليس فيها نجمٌ ليس فيها قمرٌ ليس فيها بدرٌ ليس فيها نور ليلةٌ ظلماء الظلام يُخيِّمُ في كل مكان وهناك أُناسٌ يقفون في هذا الظلام يريدون أن يبصروا ما

حولهم فماذا يصنعون فيوقدون ناراً كي يستضيئوا بنورها كي يستنيروا بنورها فحينما أوقدوا هذه النار وأضاءت هذه النار في وسط هذه الظُلمة الحالكة فأضاءت ما حولها أضاءت ما حولهم ما حول هؤلاء الناس وفُجأةً تخمدُ هذه النار، الله يُخمِدُها فيخمدُ الضوء فماذا سيحلُ بهم ستكون حينئذٍ الظُلمةُ مضاعفة من كان يقفُ في الظلام ثم يستنيرُ بشيءٍ من النور ثم ينطفئ النور فإن الظلمة ستكون مضاعفة فهناك ظُلمتان الظُلمة الأولى هي ظُلمة الواقع الذي يعيشون فيه والظلمة الثانية متأتية من الوسيلة ومن الآلة التي أرادوا أن يستنيروا بها فتحولت إلى ظُلمة والمثَلُ واضح الظُلمة الأولى هي ظُلمة الابتعادِ عن ولاية أهل البيت ظُلمة الابتعادِ عن الهادي الذي يأخذُ الناس إلى الطريق الواضح إلى الصراط المستقيم والظُلمة الثانية هي الظُلمة التي جاءت من الوسيلةِ من الإمام الذي نصبوه واتبعوه هذا الإمام الذي نصبوه واتبعوه باختيارهم تصوروا أنهُ هو الوسيلة التي ستقودهم إلى الهدى تقودهم إلى إنارة الطريق ولكن هذه الوسيلة ماذا كانت عاقبتها؟ عاقبتها الظُلمة المضاعفة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ الآية الشريفة ستأتينا ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ لو نظرنا إلى هذه الآية بنظر الدقة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ هذا واضح يخرجهم من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى أما الذين كفروا يُخرجهم الطاغوت يخرجهم الشيطان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ إلى أين يُخرجونهم ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يقول إن الذين كفروا متى كان لهم نور حتى يُخرجهم الطاغوت يخرجهم الشيطان من النور إلى الظلمات أهو نور الكفر؟

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أيُ نورٍ هذا؟ الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو نورُ ولاية عليٍ نورُ ولاية عليٍ المستبطنُ في ولاية مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فالطاغوت يُخرجون هؤلاء من نور ولاية عليٍ إلى ظُلمات أعداءهِ إلى ظلمات الانحراف عن طريق الهدى ستأتينا الآية، الآية هي أيضاً في سورة البقرة هي من جملة آية الكرسي المباركة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ ظُلمات فوقها ظُلمات واقعٌ مُظلم وأُناسٌ أرادوا أن يستنيروا بضوء النار فاستوقدوا ناراً فأخمدها الله سبحانه وتعالى ستكون الظُلمة حينئذٍ مُضاعفة ظُلمة الواقع وظُلمة الآلة التي أرادوا أن يستنيروا بها الوسيلة النار وسيلة كانت بمثابة الوسيلة بمثابة السبب بمثابة الآلة بمثابة الطريق من خلالها توصلوا إلى الاستنارة ولكنَّ هذه النار خَمُدت

وانطفأت فازدادت الظُلمة ظُلمةً أخرى مَثَلُهُم هؤلاء الذين باعوا الهدى واشتروا الضلالة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ﴾ تصور أنهُ هو قد ربحَ في التجارة لكن التجارة ما كانت قد ربحت وإنما قد خسر كل شيء ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وماذا كانت العاقبة؟

الآية السابقة تقول ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ وهذه الآية تقول ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ ثم تأتي الآية بعدها ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ الصُم الذين لا يسمعون، الصُم الذين يولدون من بطون أمهاتهم وهم لا يسمعون، والبُكم هم الخرُس الذي يولد أخرس من بطن أمه والأخرس هو أيضاً أصم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ والعُمي هم الذين يولدون عمياناً من بطون أمهاتهم ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ لا يرجعون أيُ شيءٍ لا يرجعون؟ يعني لا يرجعون جواباً يعني لا يفهمون شيئاً لأنك حين تُحدِّثُ الأصم تُحدِّثُ الأبكم أو تريد من الأعمى أن يرى شيئاً فلا يعطيك جواباً لا الأصم يعطيك جواباً بسبب فقدانهِ للسمع ولا الأبكم يعطيك جواباً بسبب فقدانهِ للكلام ولا الأعمى يعطيك جواباً بسبب فقدانهِ للبصر **{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}** هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ هذا مثالٌ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ: صَيِّب هو زخة المطر الشديدة المتواصلة، صَيِّب مطرٌ متواصلٌ شديد مطرٌ زخّار ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ الصَيِّب المطر الزخَّار المطر الشديد الذي يُصيبُ كل مكان يُصيبُ التلال يُصيبُ الجبال يُصيبُ الوهاد يُصيبُ الأغوار يُصيبُ الأنجاد يُصيبُ السهول يُصيبُ كل شيء يصيبُ الشجر يصيبُ الحيوان يُصيبُ النبات ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ الصَيِّب مطر شديد متواصل زخَّاخٌ وزخَّار ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء﴾ من السماء، السماء هي جهة العلو من أين يأتي المطر؟ يأتي من السماء حينما نقول وتقول الآيات الكريمة وأنزلنا من السماء، الإنزال من السماء من أين من جهة العلو، الغيوم هي أين؟ الغيوم أليس تسبحُ في

الفضاء تسبحُ في داخل الغلاف الغازي ألا ترون أن الطائرات حين تطير تطيرُ فوق الغيوم، الغيوم لها أرتفاع مُعيّن والمطر ينزلُ من هذه الغيوم المرتفعة في الفضاء في الهواء فإنزالُ الماء من السماء يعني من جهة العلو ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ من الجهة العالية التي فوقنا ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ مطر شديد في وقت الظلام ظلام حالك حديث عن ضلالة المثال السابق أيضاً كلام عن ظلام ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ مطر شديد في وقت الظُلمة فيهِ ظُلمات وهذا المطر الشديد مصحوبٌ برعد ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ والمعاني واضحة الرعد والبرق معانيه واضحة ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ هناك ظُلمة ثم مطر زخَّار وعادةً الإنسان يتأذى من المطر الشديد يُحاول أن يجدَ مكاناً يأوي فيه لِنَنظُر إلى هذه الصورة ظلمات شديدة ومطر شديد زخَّار وفُجأةً البرق باعتبار البرق الإنسان يراه قبل أن يسمع صوت الرعد وهذه حقيقة علمية واضحة لأن الضوء أسرع من الصوت لذلك نحنُ نرى البرق أولاً ثم بعد ذلك نسمعُ صوت الرعد.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ هنا قرينة أو إشارة أو تصوير إلى قوة صوت الرعد بحيث يُخيف، ظُلمات ومطر شديد بحيث هنا تصعب الرؤية أكثر الظُلمة، الظُلمة هي نفسها لا تُمكِّن الإنسان من أن يرى ما حولهُ ثم يأتي مانعٌ آخر وهو المطر الشديد المتواصل ومع ذلك هناك الرعد الشديد القاصف والذي يكون مُصاحباً للصواعق ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ هم حينما يضعون أصابعهم في آذانهم خوفاً من الصواعق فهل تنفعهم أصابعهم الصاعقة تنزلُ من السماء فما نفعُ الأصابع في الآذان هم فقط يحاولون أن يُبعدوا خوف صوت الرعد وإلا الصاعقة إذا أرادت أن تنزلَ فإنها تنزلُ على رؤوسهم ولا تنفع الأصابع التي وضعت في الآذان ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ والكلام عن مكان مُظلم صحراء مفتوحة في الصحراء الصواعق أين تنزل؟ الصواعق تنزل على المكان الأكثر أرتفاعاً علمياً هذا ثابت أن الصاعقة حين تنزل تنزل على المكان الذي هو أكثر ارتفاعاً إذا كان هناك شجرة تنزل الصاعقة على الشجرة أما إذا كانت الأرض خالية والظلام قد أحاط بها ولا يوجد فيها إلا أُناس الصواعق سوف تنزل على أولئك الأُناس الذين يقفون في تلكم الظُلمة.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ ولكن

حتى لو أنهم خلصوا من الموت بالصواعق فهل سيخلصون ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وفوق كل ذلك هناك قُدرة الباري سبحانه وتعالى التي استطالت على كل شيء – **اللّهُمَّ إني أسألُك بقدرتك التي استطلت بها على كل شيء وكل قدرتك مستطيلة** – هناك قدرةٌ استطال بها سبحانه وتعالى على كل شيء ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وهنا استعمال هذه الصفة مُحيط الإحاطة من جميع الجهات إحاطةٌ بالزمان وبالمكان إحاطةٌ بالمادة وبالمعنى إحاطةٌ من جميع الجهات إحاطةٌ بالعقل وبالقلب وبالروح وبالنفسِ وبالضمير وبالوجدان إحاقةٌ وإحاطةٌ بِما يملكُ الإنسان في داخلهِ وفي خارجهِ إحاطةٌ بالإنسانِ وما يحتوي وما يملك وما يتعلق بهِ من بعيدٍ أو من قريب فأين يولي الإنسان وأين يفرُ الإنسان وهو محيطٌ بهِ وهو أقربُ إليه من حبل الوريد.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ حينما تبرق السماء بذلك البرق المتوهج اللامع من شدة لمعانهِ يكادُ أن يخطفَ أبصارهم هم في ظلمة والمطر متواصل ويخافون من الصواعق يحذرون من الموت والرعد شديد ووضعوا أصابعهم في آذانهم لكنهم يريدون أن يُبصروا شيئاً ينتظرون ومضة البرق هذه الومضة الخاطفة في بعض الأحيان الفضول يدفعهم للنظر إلى هذا الوميض الآية تقول ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ وهم في حيرةٍ، حيرة تشدهم في نظرهم إلى هذا البرق الخاطف أو إلى هذه الخطفة النورية السريعة التي قد تُنيرُ لهم شيئاً من الطريق ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ كلما برق البرق مشوا بحسب الوقت القصير لخطفة النور هذه ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وإذا أظلم انتهى وقت البرق وقت الوميض قاموا وقفوا لا يستطيعون الحِراك لماذا؟

لا يستطيعون الحراك بسبب الظُلمة بسبب المطر الزخَّار بسبب الخوف من الصواعق بسبب هذا الرعد الصاعق وهذا الرعد المذهل لذلك وضعوا أصابعهم في آذانهم فهم يترددون بين خطفة النور وهذه خطفة النور ما سمعوه من كلام رسول الله من آياتٍ وحُجَج في بعض الأحيان تخطرُ في أذهانهم فكأنهم يقتربون إلى الهدى ولكن بعد ذلك يبتعدون إلى الضلال لأنهم قد باعوا الهدى واشتروا الضلال.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ فهم في تردد

وفي حيرة لِذا تجد أولئك الذين ابتعدوا عن دارة عليٍ وآل عليٍ تأتيهم لحظات يُقرون بولاية علي ثم تغيب هذه اللحظات لا أقول عند الكثير منهم لكن عند بعضهم تأتيهم لحظات لكن هذه اللحظات تنتهي تنقطع تندثر لسوء نيتهم ولسوء أفعالهم ولِحُبِّهم لأعداء عليٍ كحال ذلك الذي قال لسيد الأوصياء إني أُحبُّكَ وأُحِبُّ فلاناً وذكر شخصاً من أعداء عليٍ ومن أعداء الزهراء صلوات الله عليها فقال لهُ سيدُ الأوصياء أما أنك لأعور فإما أن تعمى وإما أن تُبصر هذا العوَر هُنا الآيات تُشير إلى هذا العَوَر الذي قد يقعُ فيهِ بعضُ الأشخاص وإلا الكثيرُ منهم قد عُموا كما قالت الآية ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلا أن البعض منهم أعور هذا الأعور هو الذي تتحدث عنهُ هذه الآية ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ولكن بعد ذلك سيؤل مصيرهم إلى العمى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يُذهب بسمعهم وبأبصارهم لفعل ولكنها الدنيا وهي دارُ الإبتلاء ودار الإمتحان ودارُ الفتنةِ ودارُ التمحيص ولابد من الإمتحان.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعد أن تمَّ الحديث عن هذه المجموعات الثلاثة المتقون، الكافرون بآيات الله بأنعُم الله بحجج الله ثم السفهاء، ثم تحدَّثَ القرآن عن أمثلةٍ يُقرِّبُ فيها صورة هؤلاء السفهاء هؤلاء الذين استوقدوا ناراً فلما أضاءت ما حولهم ذهب الله بنورهم، أو هؤلاء الذين يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارهم جاءت الآية هنا في خطابٍ لكل البشر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخطاب هنا خطابٌ للناس والخطابُ هنا خطابٌ للناسِ بِكُلَّ ما فيهم خِطابٌ لعقولهم وخطابٌ لفطرتهم وخطابٌ لوجدانهم وخطابٌ لضمائرهم وخطابٌ لحواسهم وخطابٌ للواقع الذي يعيشون فيه وخطابٌ لتجاربهم ولمعرفتهم ولعلمهم ولكل ما فيهم خطابٌ لكل وجودهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون يُرجعنا إلى أول السورة الشريفة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فالكتابُ والذي قلنا عنهُ عليٌ هو هدىً للمتقين والخطابُ في هذه الآية خطابٌ لكل الناس ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تصلون إلى درجة التقوى، ولعل كما يُقال تفيد ماذا؟ تفيد الترجي يُرجى لكم أن تصلوا إلى درجة التقوى إذا وصلتم إلى درجة التقوى حينئذٍ سيكون ذلك الكتاب هُدىً لكم ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يُرجى لكم التقوى إذا عبدتم ربكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية هنا تُشيرُ إلى هذه الحقيقة، الحقيقةُ أن الخالق هو الله فقط، الله الذي خلقكم لابد أن تعبدوه لأي شيءٍ؟

العبادة صحيحٌ أنها هي شكرٌ لخالقنا لكنَّ العبادة في حقيقتها هي تتمةٌ لخلقنا لأن الله سبحانه وتعالى حين خلقنا وخلق هذه الجنبة المادية حين خلق أبداننا وخلق أرواحنا وأعطانا العقلَ والفطرة والوجدان والحواسَ فمثل ما هناك نواقص وحاجات يحتاجها هذا البدن وهذا الجسم وهذا الجسد كذلك هناك حاجات تحتاجها الروح ويحتاجها العقل، العبادةُ تتمةٌ لِما تقدَّم من خلقنا وإلا فالباري سبحانه وتعالى ليس بحاجةٍ لِشُكرنا ولا بحاجةٍ لعبادتنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الآية هنا تشير إلى الخلق وتشير إلى التربية، الخطاب إلى الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي﴾ الرب هو المربي الذي خلقكم خلق الأبدان خلق الأرواح وهو الذي ربَّاها هو الذي نماها ربَّاها أخرجها من العدمِ إلى الوجود ثم أتمَ نواقصها ونماها ولازال فيضهُ متواصلاً إليها هذا النَفَس القدرة عند الإنسان على أخذ الهواء ثم وجود الهواء بهذا النحو المجاني لا يملكهُ أحد هذا الهواء لو ملكتهُ الحكومات أو ملكتهُ الشركات أو مَلَكهُ إنسان أو مَلَكهُ الأغنياء أو أصحاب رؤوس الأموال لَمَا تمكنا أن نصل إليه لفعلوا بنا الأفاعيل ولفعلوا بنا الأعاجيب لكنَّ هذا الهواء الذي هو سر الحياة سرُ البقاء على الأرض هذا الهواء الله سبحانه وتعالى أعطاهُ بالمجان بذلهُ بالمجان وهو يصلُ إلينا شئنا أم أبينا هذا الهواء الذي يُحيطُ بنا أعطانا القدرة على أخذهِ أعطانا القدرة على الانتفاع منه وجعلهُ مبذولاً في كل مكانٍ في كل ثقبٍ من ثقوب الأرض في كل زاويةٍ من زواياها وإلا لو كان هذا الهواء بيد الإنسان لمنعهُ الإنسان عن الإنسان ألم يمنع بنو أمية الماء عن الحسين وهو أبنُ رسول الله لو كانوا يستطيعون أن يمنعوا الهواء عن الحسين لمنعوا الهواء عن الحسين كما منع بنو أمية الماء لو كانوا يتمكنون من منع الهواء لمنعوا الهواء عن الحسين وعن عيال الحسين الله سبحانه وتعالى خلقنا وأعطانا هذه القدرات وهو الذي ربَّانا ومن وسائل التربية العبادة.

العبادةُ وسيلةٌ من وسائل التربية طبعاً الإنسان يتناول الكثير من الأطعمة التي تضرهُ ويقوم بالكثير من الأعمال التي تعود بالمضرة عليه لذلك الإنسان حينما لا يعبد الله ويُنكر العبادة أو يعبدُ الله ويسيء في العبادة فليس بغريب مثل ما يسيء إلى نفسهِ في طعامهِ وشرابهِ ولباسهِ ومسكنهِ وعملهِ فهو يسيء كذلك إلى روحهِ من جهة الإساءة في العبادة إما بتركها وإما بالإيتان بها بنحو الناقص من دون الإتيان بشرائطها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هو خلقنا ومن تمام خلقتنا العبادة كما أن من تمام خلقتنا

الطعام والشراب كما أن من تمام خلقتنا النوم والراحة كما أن من تمام خلقتنا الدواء حين المرض كما أن كما أن الكثير من الأشياء المحيطة بحياتنا والتي نحتاجها نحتاجُ إلى العبادة، لكنَّ الإنسانَ لجهلهِ ولتعلقهِ بالماديات الله سبحانه وتعالى أمرهُ بهذا الأمر لأن الإنسان مشدود إلى الماديات الله سبحانه وتعالى لم يأمرهُ بأن يأكل وبأن يشرب بل أن الله سبحانه وتعالى أمرهُ أن يأكل وأن يشرب لكن قال لا تسرفوا قال: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ لأن الإنسان مشدودٌ إلى الإسراف وهنا كلوا وأشربوا ليس فقط المراد منها الأكل والشرب فقط وإنما الحاجات المادية والجسدية للإنسان، الإسراف في النوم مضرة الإسراف في الجنس مضرة الإسراف في الأكل مضرة الإسراف في كل شيءٍ مضرة ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ الإنسان يذهبُ باتجاه الإسراف أما في العبادة لم يَرِد نصٌ في القرآن أن اعبدوا الله ولا تسرفوا في العبادة لأن الإنسان أصلاً هو مُعرِضٌ عن العبادة مُعرِضُ عن الذي فيهِ منفعةٌ لروحهِ ولعقلهِ ولعاقبتهِ.

الأكل والشرب قد يكون لهما مدخلية في عاقبة الإنسان لكن مدخلية الأكل والشرب لا كمدخلية العبادة، الأكل والشرب قد يكون لهما مدخلية فيما سيكون عليه الإنسان في عالم الآخرة لكن لا كمدخلية العبادة الإنسان الشيء الأهم يتركهُ ويذهب إلى الشيء الذي تكون أهميته وضرورتهُ ليست بالغة إلى الحد الأعظم العبادة هي الضرورة الأهم هي التي ستُحدد مصير الإنسان مصيرهُ في الدنيا وتحدد مصيرهُ في الآخرة لذلك لأن هذه القضية مهمة الله سبحانه وتعالى يوجبها على العباد لأجل مصالح العباد لأن هذا الإنسان مثل ما يصيبه النقص حين ينقص طعامه وشرابهُ يصيبهُ النقص حين تنقص عبادتهُ والعبادةُ ليست مخصوصةً فقط في الصلاة أو في الصيام العبادة دخيلةٌ في كل جزءٍ من أجزاء الحياة الصلاة والصيام مصاديق ومظاهر من مظاهر العبادة، العبادة الحقيقية هي النيةُ الدخيلةُ في كل جزءٍ من أجزاء الحياة، وإنما خلد أهل الجنان في الجنان بنياتهم وهذه هي العبادة الحقيقية، النيةُ في أننا نبقى على طاعة الله مهما عشنا في هذه الحياة هذه هي العبادة الحقيقية والصلاة والصيامُ وسائرُ العبادات الشرعية الأخرى إنما هي مصاديق ومظاهر لهذه النية وهذه النيةُ في حقيقتها وفي معناها الجوهري هي ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلنا إذا ما عبدنا الله سبحانه وتعالى لعلنا بهذه العبادة نتكاملُ فنصلُ إلى التقوى، إذا وصلنا إلى التقوى حينئذٍ يُفتَحُ لنا أيُ باب؟ بابُ ذلك الكتاب ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً

لَّكُمْ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً: لا تحدوا بلاغةً كبلاغة القرآن ولا تحدوا جمالاً في التعبير وفي الوصف كجمال تعبير ووصف القرآن ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ الفِراش هو الفِراش الذي نعرفهُ هو هذا الذي يكونُ سبباً لراحتنا، هو هذا الذي ننامُ عليه نتقلب عليه أو نجلسُ عليه هذا الفراش الذي لا هو بالسائل الذي يكونُ كالماء فلا نستطيعُ أن ننتفع منه ولاهو الذي بالصلب بالصلد لذلك الناس من أي شيءٍ يصنعون الفِراش؟ ألا يصنعونهُ من القطن أو من الصوف أو من مادةٍ أخرى كمادة الاسفنج الصناعية الآن الموجودة أو مواد أخرى التي يكونُ منها الفِراش لا هو بالسائل كالماء فلا نتفعُ منه ولا هو كالصخر يكونُ ليناً الله سبحانه وتعالى جعل الأرض فِراشاً، فِراشاً يعني جعلها سَهِلةً لينةً مناسبةً لحياتنا ومناسبة لِطباعنا هذه الأرض لا هي بالأرض المتموجة الرخوة التي تبتلعنا مثل ما قد يكون في بعض الأماكن الرمال المتموجة الرمال السَهِلة الرمال التي قد تبتلع الإنسان أو مثل بعض المناطق الطينية التي لا يتمكن الإنسان من أن يتماسك ويقف عليها.

الله سبحانه وتعالى جعل الأرض بشكلٍ عام جعل هذه الأرض ليست لينة إلى الحد البعيد ولم يجعلها صلبة بحيث لا نتمكن من التعامل معها فلا نستطيع أن نزرعها لو كانت الأرض صلبة لا يستطيع الإنسان أن يخترقها لَمَا استطاع أن يزرعها ولَمَا استطاع أن يتحفر الآبار والأنهار فيها فيستنبط الماء منها ولَمَا استطاع أن يستفيد من تُرابها ومن طينها لبناء البيوت والمدن والعمران، الله سبحانه وتعالى جعل الأرض فِراشاً جعلها بالنحو الذي نسيرُ عليه فلا نشعرُ الصعوبة هذه الجاذبية قوة الجاذبية الله سبحانه وتعالى جعلها في الأرض جعلها في فضاءه في الكواكب وفي النجوم جعل هذه الجاذبية في الأرض لا بالنحو الذي يطيرُ الإنسان من فوق الأرض فلا يتمكن من السير عليها ولا بالنحو الذي يلتصقُ إلى الأرض فيكونُ مشدوداً نحنُ نتحرك على هذه الأرض ولا نشعرُ بقوةٍ تشدنا إلى الأرض بينما هناك قوة، قوة الجذب التي تجعلنا نعيشُ على هذه الأرض ولو أختل ميزانُ الجاذبية لَمَا استطاع الإنسان يعيشُ متوازناً ويسير متزناً على هذه الأرض، الله سبحانه وتعالى جعل لنا هذه الأرض فِراشاً نسيرُ عليها نزرعُ فيها نُخرِجُ فيها نخرِجُ الماء منها نخرِجُ النفط منها والمعادن والجواهر نخرِجُ منها كل شيء ثم نُدفن فيها ثم نستعملها لكل استعمالات الحياة المختلفة هذا معنى أن الله سبحانه وتعالى جعل الارض فراشاً والسماء بناء والسماء هي الجهة العليا بكل طبقاتها جعل السماء بناء السماء هي الجهة التي يأتي منها المطر جهة الغيم السماء هي الغلاف الغازي المحيط بالأرض والذي يُجنِّبُ الأرض الكثير من المخاطر من مخاطر الأشعة من مخاطر الموجات الكهرومغناطيسية الآتية من الفضاء هذا الحزام الحافظ وهذا الثوب هذا الدرع الواقي الغلاف الغازي هي أيضاً ينطبقُ عليها معنى السماء، السماء هذا الفضاء الواسع الذي تسبحُ فيه المجموعة الشمسية والمجرات الهائلة كلُّ هذا يسمى السماء هذا السماء

كان سقفاً محفوظاً بناءً ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ لو كانت هذه الأرض ليست فِراشاً كانت صلدةً، كانت صلبةً لَمَا نفذ فيها الماء ولَمَا خرج منها الشجر ولَمَا خرج من الشجر الثمر، ثمر الشجر من أين يأتي؟ المواد التي تكوَّن منها الثمر ألم يكن من باطن الأرض من هذا التراب ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ هذه كلها من معاني التربية ألم تكن الآية تخاطبنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ خلقكم ربكم الرب هو المربي من جملة معاني هذه التربية ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ هذه التربية المادية وأما العبادة التي يأمرنا بها فهي التربية المعنوية فهو الرب يربينا بالعبادة المعنوية ويربينا كذلك بهذا الفيض المادي الذي يُنزِلهُ لنا وعلينا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُم﴾ الرزق هو قِوام الحياة قِوامُ العيش الله سبحانه وتعالى ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ هذا الرزق هو قِوامُ الحياة كما أن العلم قِوامُ العقل وقِوام الروح وأيضاً في الروايات الشريفة هناك إشارات واضحة أن السماء المُرادُ بها رسولُ الله والمرادُ بها الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فما يأتينا من علمٍ ومن تربيةٍ ومن هدايةٍ هو هذا الرزقُ الذي تتقومُ بهِ أرواحنا.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ الأنداد جمعُ ند والند هو المثل، لا تجلعوا لله أمثالاً ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأنتم تعلمون أن هذا الكون وأن هذه الحياة وأن هذه الثمار وأن هذه الأرض خالقها هو الله سبحانه وتعالى ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً﴾ وهل هناك ندٌ لله سبحانه وتعالى وهل هناك شكٌ في الله سبحانه وتعالى الفطرة السليمةُ هي التي تقول أمن شكٍ في الله وهل هناك من ندٍ لله سبحانه وتعالى، هذا النظام المتكامل هذه الوحدانية في هذا النظام هذا الجمال الواحد هذا الإتساق في الكون كلهُ يشيرُ إلى واحدٍ واحدٍ واحد إلى أحدٍ أحدٍ أحد.

﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ وعبدنا هنا العبدُ الحقيقي هو خاتمُ الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، العبدُ الحقيقي هو العبدُ الذي يتحققُ فيهِ معنى المعرفة الكاملة ولا تتحققُ معنى المعرفة الكاملة إلا في خاتم الأنبياء لذلك العبودية التحقيقيةُ هي التي تتجلى في رسول الله صلى الله عليه وآله وفي آله الأطهار أما نحنُ العبودية فينا عبوديةٌ متجزئة لأن العبودية هي فرعُ المعرفة فإذا

كانت المعرفةُ كاملة كانت العبودية كاملة وإذا كانت المعرفة مجزوئة منقوصة كانت العبودية متجزئةً ومنقوصة ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الريب هو الشك ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ إذا كنتم تشكون الآن القرآن أمرنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ هذا كلامُ الله إن كنتم في شكٍ من كلام الله إن كنتم في شكٍ من قرآن الله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل هذا القرآن أأتوا بسورةٍ من سور هذا القرآن ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ فأتوا بسورةٍ إما من مثل القرآن أو فأتوا بسورة من مثل مُحَمَّد قد تكون الهاء تعود على القرآن على الذي نزلنا وقد تكون الهاء تعود على عبدنا ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل القرآن من مثل ما نزل أو فأتوا بسورةٍ من مثل عبدنا من مثل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وسورة من مثل مُحَمَّد لأن القرآن هو الكتاب الصامت ومُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله هو الكتاب الناطق ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ من مثل القرآن والسورة هنا تنطبق على أطول سورةٍ وعلى أقصر سورةٍ فأتوا بسورةٍ أقصر سورة كما هو المعروف هي سورة الكوثر فأتوا بسورةٍ إن كنتم قادرين من مثل سورة الكوثر.

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ شُهداءكم: ادعوا علمائكم، ادعوا أئمتكم ادعوا أصنامكم، ادعوا آلِهتكم التي تدّعون ادعوا من تريدون وادعوا شُهداءكم الذي يشهدون عليكم هم شهودٌ عليكم والذين يشهدون عليكم هم الذين يعلمون بأحوالكم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ ادعوا أئمتكم، ادعوا أصنامكم آلِهتكم ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كنتم صادقين: فيما تدّعون من إثارتكم للريب وللشكِ وللشبهة، القرآن هنا يتحدثُ عن نفسهِ والقرآن هنا يتحدثُ عن اعجازهِ القرآن مُعجِز وإعجازُ القرآن كيف يتجلى، يتجلى إعجازُ القرآن في فهم القرآن، ليس صحيحاً أن نقول بأن إعجاز القرآن في بلاغتهِ فقط بلاغة القرآن وجهٌ من وجوه إعجاز القرآن، القرآن مُعجزٍ بكُلّهِ، إذا أراد البُلغاءُ أن يعودوا إلى القرآن سيجدون إعجاز القرآن في بلاغتهِ، صحيح إن الوجه الأول من إعجاز القرآن هو الوجه البلاغي من جهتين باعتبار أن القرآن هو ألفاظ وكلمات وجُمل وأقوال ومن جهةٍ أن القرآن جاء في مواجهة أُمَّة العرب وأُمَّة العرب، العرب عُرِفوا بالبلاغة وبالبيان فمن هنا كانت الصورة الأولى من صور الإعجاز القرآني الصورة البلاغية وبلاغة القرآن ليست في حدٍ واحد يشتبه من يتصور أن بلاغة القرآن في حدٍ واحدٍ بلاغة القرآن الكلام البليغ لا تكون بلاغتهُ في حدٍ واحدٍ والا إذا كان الكلام كلهُ بحدٍ واحدٍ من البلاغة ليس بليغاً، بلاغةُ القرآن في درجات بحسب المعنى بحسب الحدث الذي

يتحدث عنهُ القرآن، بلاغةُ القرآن حين يتحدثُ عن تأريخ الأُمَم السابقة عن قصص الأنبياء تختصُ بنوع تلكم الأحداث وبنوع تلكم القَصص وحين يتحدثُ عن الجنة والنار فبلاغتهُ تختلف بلاغةُ القرآن على درجاتٍ ومظاهر البلاغة في القرآن متعددة الكلام البليغ لا يجب أن يكون بدرجة واحدة من البلاغة وإنما تكون البلاغة بحسب المقصود وبحسب المضمون وبحسب المعنى، القرآن كلهُ بليغ لكن درجات البلاغة في القرآن ودرجات البيان في القرآن تختلفُ من حيثُ المضامين ومن حيثُ الأحداثِ ومن حيث أسباب النزول القرآن كلهُ بليغ والقرآن فيهِ حلاوةٌ وعليه طلاوة ربما الذين لا يتذوقون العربية وربما الذين لم يكونوا قد تمرنوا وتعودوا على الاستماع أو على قراءةِ النصوص الأدبية البليغة قد لا يستشعرون حلاوة بلاغة القرآن لكن في القرآن حلاوة وعلى القرآن طلاوة وفي القرآن عطرٌ بلاغيٌ لا يُشابههُ عطر في أي كلامٍ آخر.

في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات المباركات تتجلى فيها معاني البلاغة القرآنية. الآية الكريمة في سورة النبأ المباركة مثلاً الآيات من الآية الحادية والعشرين إلى الآية السادسة والعشرين: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾. الآية الثانية والعشرون من سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

الآية الرابعة والأربعون من سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ﴾ في قصة نوحٍ عليه السلام حتى جرسُ صوت الحروف وحتى ترتيب الكلمات ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لو أن حجراً أستمع إليها لو أن حجراً تبَصَّرَ في بلاغتها فليس بغريبٍ أن يرقص طرباً من بلاغتها ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ ليس غريباً أن نقرأ في كتب التأريخ وفي كتب السير أن رجلاً جاء من اليمن في أوائل البعثة الشريفة وسمع بخبر النبي صلى الله عليه وآله في مكة وجد هناك ضجيجاً وكلاماً كثيراً يدور عن

دينٍ جديد عن نبيٍ جديد عن كتابٍ جديد فطلب من بعض المسلمين أن يُسمعوهُ مما جاء في هذا الكتاب فقرأ عليهِ هذه الآيات: قرأ الآية الرابعة والأربعون من سورة هود ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هذا الرجل ما أن سمع هذه الآية حتى مات من شدة بلاغتها ولا عجب في ذلك، لا عجب في ذلك نعم نحن لابتعادنا عن الذوق البلاغي والحس البلاغي قد نستغربُ من ذلك على أي حالٍ إعجازُ القرآن في جانبٍ منهُ في بلاغتهِ وإنما إعجازُ القرآن في جميع وجوههِ، إعجازُ القرآن في معارفهِ، إعجازُ القرآن في العلوم المودعة فيه، إعجاز القرآن في روعتهِ القَصصية والأدبية، إعجازُ القرآن في أحكامهِ وتشريعاتهِ، إعجازُ القرآن في كل جانبٍ من جوانبهِ لكننا لا نتحسسُ هذا الإعجاز إلا أن نُحيط فهماً ومعرفةً ولا نتمكنُ أن نُحيط فهماً ومعرفةً إلا بوجودِ من يُترجِمُ لنا هذا الإعجاز لذلك رسالةُ النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن نتصور كمالها بكتابٍ من دون مُفسِّرٍ ومُترجِمٍ لهذا الكتاب من هنا جاءت الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ في أي شيءٍ؟

لأن النبي صلى الله عليه وآله بلَّغَ الدين وأوصل الرسالة الإلهية إلى حدها الذي بلغ فيهِ ما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم وأتم الكتاب ووضع الكتاب بين يدي الناس ثم شخَّصَ لهم المفسِّرَ لهذا الكتاب فَكَمُلَ الدينُ بذلك وإلا إذا تصورنا أن الكتاب من دون مُفسر من دون راعٍ من دون قيوم على هذا الكتاب فإن الدين سيكون ناقصاً، فإعجازُ القرآن بحقيقتهِ لا نتمكنُ أن نصل إليهِ إلا من طريق مُفسِّرٍ وهذا المُفسِر لا يعتمد على قولِ شاعرٍ جاهليٍ عاشَ في الزمن الأول في زمن الجاهلية الأول أو على مَثَلٍ من الأمثال العربية مثلاً أو على ذوقٍ يتذوقهُ، هذا الكتابُ بحاجةٍ إلى مُفسِّرٍ يتصلُ بسببٍ إلى السماء وهذا المفسرُ الذي يتصلُ بسببٍ إلى السماء لا يمكن أن يكون متصلاً بسببٍ إلى السماء ما لم يكن قلبهُ قلباً طاهراً معصوماً.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ: لم تفيد الجزم تفيد النفي ولكن لن تفيد النفي التأبيدي ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ لن تتمكنوا من ذلك أبداً فإذا كنتم كذلك على الحالتين فإن لم تفعلوا لم تقوموا بمواجهة هذا الكتاب وإنكم لن تفعلوا لو أردتم في كل الأحوال ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ﴾ وهنا اتقوا أستعمل لفظة اتقوا، يعود بنا الكلام إلى الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعود بنا إلى أول السورة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وفي وقتها قلتُ التقوى هي ولاية عليٍ

لأنها هي التي تقينا من الضلالة في الدنيا وتقينا من النار في الآخرة ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ هذه النار نارُ الآخرة نارُ جهنم بأيِ شيءٍ تتقد؟

هذه وقودها جمرها الناس والحجارة، هناك حجارةُ النار التي هي نار وهناك الناس سيكونون جزءاً من الوقود، الناس نفسهم سيكونون جزءاً من وقود هذا النار كما أن الجمر جزء من وقود النار الناس سيكونون جمراً لتلكم النار ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أُعِدت للكافرين الذين مرَّ ذكرهم في الآيات السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه النار أعدت لهم لماذا؟ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

فقط أخذ الآية الأخيرة هي الآية الخامسة والعشرون ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الآية الشريفة هي التي ستكون بدايةً لحلقتنا القادمة إن شاء الله تعالى أسألكم الدعاء جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الرابعة

تفسير سورة البقرة من الآية ٢٥ الى الآية ٢٩

سلامٌ من الله عليكم جميعاً ورحمةٌ منه وبركات مسَّاكم الله بالخير والإيمان وهذه الحلقة الرابعة من برنامج قُرآنُنا. وصل بنا الكلامُ إلى الآية الشريفة الخامسة والعشرين من سورة البقرة المباركة:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الآية الشريفة بدأت وبَشِّر والبشارة هي الإنباءُ بِما يُفرِحُ وبِما يُسر لذلك في أوصاف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم البشير النذير فهناك البِشارةُ وهناك الإنذار، البِشارةُ هي الإنباءُ وهي الإخبار بما يُفرِح وبما يُسر والإنذارُ هو معاكسٌ لذلك ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تُفسَرُ هذه العبارة ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ الذين آمنوا: آمنوا بولاية عليٍ وآل علي والإيمان بولاية عليٍ وآل علي هو الإيمانُ برسول الله وهو الإيمانُ بالله سبحانه وتعالى ﴿ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ الصالحات ما كان من عملٍ صالحٍ في ظل هذه العقيدة في ظل عقيدة الولاءِ لعليٍ وآل عليٍ صلوات الله عليهم الذين آمنوا آمنوا بولاية عليٍ والإيمانُ بولاية عليٍ هو التوحيد وهو النبوة وهو الإمامةُ ﴿ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ الصالحات كلُّ عملٍ صالحٍ يقعُ تحت فيء وتحت ظل هذه العقيدة.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ لأن كل عملٍ لا يقعُ تحت ظل هذه العقيدة لا يقع تحت ظل الولاء لعليٍ وآل علي فهو عملٌ باطل هكذا حدّثنا أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلا يمكن أن يوصف بالصالحات ولا يمكن أن يوصفَ بالعمل الصالح، العملُ الصالحُ هو العمل الذي يكونُ تحت ظلِ الولاء لعليٍ وآل عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ

﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ الجنات واضحٌ معناها الجناتُ هي الحدائقُ الغنَّاء ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ وفي وصف الجناتِ في وصف هذه الحدائق الغنَّاء هناك المساكن التي لا تشبهُ مساكن الدنيا ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ كلما رزقوا منها من هذه الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ: بما قدَّموا من عقيدةٍ سليمةٍ ومن عملٍ صالح فما يصدرُ من الإنسان في عالم الدنيا سيأتيهِ بنفسهِ مُصوَّراً بصورةٍ تتناسب مع العالم الأخروي هذه الثمار هذه الجنان هذه الأنهار وذلك الرضوانُ من الله وهو الرضوان الأكبر والفضلُ الأكبر كل هذه المعاني التي سيجدها أهلُ الجنان في جنانهم وكل تلك المعاني المخيفة التي سيجدها أهل النيران في نيرانهم إنما هي أعمالهم بنفسها فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ إن كان ذلك من خيرٍ أو إن كان ذلك من شرٍ يره، يرى نفس العمل، فمن يعمل مثقال ذرةٍ إن كان ذلك المثقال من ذرةٍ خير أو من ذرة شرٍ هو يرى نفس العمل سيُجازى بنفس عملهِ.

﴿قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ رُزِقوا عمل الخير ورزقوا التوفيق ورزقوا الهدايةَ، الهدايةُ والتوفيق والعملُ الصالح الذي رزقوا بهِ في عالم الدنيا سيأتيهم في عالم الآخرة لذلك الإنسانُ بأي شيءٍ يُحاسب؟ هل يُحاسب ويجازى بشيءٍ غير عملهِ؟ قطعاً لا، لأن الله سبحانه وتعالى حين يُعاقب الإنسان فهو لم يكن محتاجاً لعقوبة الإنسان وإنما يُعاقب الإنسان بنفس عملهِ هذه النيران هي صورٌ تتناسبُ مع العالم الأخروي لنفس العمل الذي قام بهِ الإنسان وهذه الجنان هي صورٌ تتناسبُ مع العالم الأخروي لنفس العمل الذي قام بهِ الإنسان في حياتهِ الدنيوية ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ من هذه الجنان ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ: يعني أنهم رُزِقوا نفسُ هذا الشيء من قبل من قبل أين في العالم الدنيوي، تلاحظون الآية ماذا تقول ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ لَمَّا تأتيهم أرزاقهم في الجنان ماذا يقولون ﴿قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ من قبل في أي مكان؟ في عالم الدنيا كيف رُزِقوا بهِ من قبل هل رُزِقوا بثمار الجنان في العالم الدنيوي؟ قطعاً لا، وإنما رُزِقوا الهداية رُزِقوا التوفيق رُزِقوا الأعمال الصالحة الهداية والتوفيقُ والأعمال الصالحة تتصورُ في العالم الأخروي بصور الجنان بصور المساكن الطيبة بصور الثمار اليانعة بصور ما يجدهُ الإنسان في العالم الجناني.

وهكذا ما يجدهُ الإنسان في عالم النيران ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ بعلي وآل علي ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ بِمَبَرَّةِ إخوانهم كما جاء في الروايات ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ هذه الأنهار جاريةٌ تحت أشجارهم وتحت مساكنهم ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ من الجنان ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ هو هذا نفسُ الشيء الذي نحن رُزِقناه في العالم الدنيوي لكن الصورة الدنيوية كانت عقيدةً وعملاً صالحاً ونيةً طيبةً وما كان يجري منهم في العالم الدنيوي ﴿قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ أوتوا بهِ متشابهاً كما ورد في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أن ثمار الجنان يؤتى بها متشبهة المقصود هو هذا المعنى مثلاً: إذا جيئَ بثمرة التين أو بثمرة الرمان وعندنا في الروايات إن أكثر ثمار الدنيا شبهاً بثمار الجنة هو التين لماذا؟ لأنهُ لا توجد فيهِ فضلات كفضلات بقية الثمار قشورهُ تؤكل ولا يوجد فيهِ نوى لا توجد فيهِ أجزاء تُرمى الثمرة تؤكل بكاملها تؤكل بنواها الموجود في داخلها وتؤكل بقشورها تؤكل بما فيها من أجزاء خارجية وداخلية لذلك الإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول: إن أشبه ثمار الدنيا بثمار الجنة هو التين لخلوهِ من الفضلات الكثيرة كما هو موجود مثلاً في الرمان أو في غيرهِ من الفواكه الأخرى.

﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ الثمار في الدنيا مثلاً الآن إذا عندنا سلة من فاكهة التفاح حينما ننظر إلى هذه السلة نجد أن ألوان التفاح مختلفة إن كان التفاح مثلاً يعني لونهُ أحمر من التفاح الأحمر مثلاً فنجد أن كل تفاحة يختلف لونها عن التفاحة الأخرى ربما يكون اللون الأحمر فاتحاً غامقاً فيه بقع وهكذا لا يوجد هناك تشابه دقيق في لون التفاح لا يوجد هناك ايضاً تشابه في حجمها هناك ما هو الكبير هناك ما هو الصغير أيضاً لا يوجد تناسق في كل هذه التفاحات الموجودة في السلة ربما تكون هناك تفاحة فيها شيء من الارتفاع هناك تفاحة فيها مثلاً شيء من الانخفاض هناك مثلاً تفاحة كأنها قد نَقُصت حجمها غير متناسقة بالنتيجة هذا التفاح الموجود في السلة أو التفاح الموجود على شجرة التفاح غير متناسق بحجمٍ واحد بشكلٍ هندسيٍ واحد أيضاً طعومها تختلف منها ما هو شديد الحلاوة ومنها ما هو قليلُ الحلاوة ومنها ما هو عديم الطعم أيضاً كذلك النُضج بعض هذا التفاح ناضج وبعض هذا التفاح إلى الآن لم ينضج تماماً وبعض هذا التفاح تجاوز حالة النُضج بحيث كأنهُ وصلَ إلى حالة الفساد ما بعد النضج وتجد تفاحة قد نضج قسمٌ منها والقسم الآخر لم ينضج تجد بعض التفاح في داخلهِ تسوس تجد وتجد هناك اختلافات فيما بين هذه التفاحات الموجودة في السلة الواحدة وهكذا بقية أنواع الفواكه في الدنيا بينما ثمارُ الجنة لا يوجدُ فيها كلٌ هذا. ثمارُ الجنة متشابهة في طعمها في لونها في حجمها في شكلها الهندسي في نضجها وفي كل أنحائها الأخرى

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ هذه الثمار متشابهة من جميع الجهات.

حديثٌ عن بشارةٍ للذين آمنوا بولاية عليٍ وآل علي للذين عملوا الصالحات في ظل هذه الولاية ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ كل نوع من أنواع الثمار يأتي متشابهاً متساوياً متناسقاً في لونهِ في حجمهِ في شكلهِ الهندسي في طعمهِ وفي كل كمالاتهِ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ في هذه الجنان هناك مساكن هناك حدائق غناء هناك أنهار هناك ثمار متكاملة متشابهة ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ووردَ في الروايات أن ثمار الجنان وأن أطعمة الجنان ليس فيها من الفضلات الذي يكونُ فيها من الفضلات يكون بمثابة عرقٍ كالمسك من اطيب الطيب يخرجُ من أبدان أهل الجنان فلا توجد هناك فضلات ولا أوساخ هكذا وردَ في الروايات إذا كان لها من شيء من أثر فهو شيءٌ كعرقٍ يخرجُ من بدنِ الجنانيين وليس هو كعرق أهل الدنيا وإنما هو من أطيب الطيب كالمسك الأذفر ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أزواج مطهرة وردَ في الروايات الأزواج المُطهرة الأزواج التي لا عيبَ فيها وطبعاً هذا الكلام ينطبقُ على أهل الجنان أيضاً على النساء والرجال لكن لأن الحديث دائماً يأتي بالصيغة الغالبة في الكلام في لغة العرب وفي كل اللغات في كل لغات العالم حينما يكون الكلام يكون الكلام بصيغة الذكور الخطاب للصيغة المذكرة وهو يشملُ الجميع.

{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ} أزواج مطهرة إشارة إلى الحور العين مُطهرة مطهرة من كل نقص من النقص المادي ومن النقص المعنوي **{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ}** باعتبار أن الزوج والزوجة يكونوا فيما بينهم لأجل التآلُفِ والاستئناس فهناك حاجةٌ للتكامل المادي وحاجة للتكامل المعنوي الزوج والزوجة يُكمِّل بعضهما البعض الآخر ويحتاج أحدهما للآخر يحتاج أحدهما للآخر للإمتاع الجسدي وكذلك للإمتاع النفسي وكذلك للإستئناس أن يستئانس الزوج بزوجتهِ وأن تستئانس الزوجة بزوجها والاستئناس هو شيءٌ آخر غير الاستمتاع المعنوي وغير الاستمتاع الجسدي والاستمتاع الجنسي بالنتيجة هناك حاجات يحتاجها الزوج من زوجتهِ والزوجةُ من زوجها وهذه حاجات كثيرة، الازواج المطهرة المقصود هنا أن الأزواج إن كان من الرجال أو من النساء أهلُ الجنان برجالهم وبنسائهم فهم كاملون ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أزواجٌ مُطهرة حورياتٌ مُطهرات من الحدثِ ومن النقص ومن كل خللٍ جسديٍ ماديٍ أو معنوي ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وخلودهم في الجنان إنما كان بنياتهم هكذا وردَ في أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم لأن المؤمنين هذه

هي نيتهم في الدنيا أنهم باقون على طاعة الله ما بقوا في هذه الحياة خُلِّدوا بهذا السبب وإلا لم يُخلَّدوا بسبب أعمالهم التي تُقاسُ بزمانٍ مُعين بآجال أعمارهم الإنسان يعيش في الدنيا لمدة سبعين سنة لمدة خمسين سنة فلا يجازى بالخلود بسبب الخمسين سنة أو بسبب السبعين سنة لا يُجازى بالخلود في النار وبالخلود في الجنة بهذا العمر المحدود إنما يجازى بالخلود بحسب نيتهِ لأن نية المؤمن كانت أنهُ يبقى على الطاعة حتى لو خلد في الدنيا ونية الكافر يبقى على المعصية حتى لو خلد في الدنيا لذلك يخلد في النار بسبب نيتهِ هذه ويخلد المؤمن في الجنة بسبب نيتهِ هذه إنما خلد أهل الجنان في الجنان بنياتهم وخلد أهلُ النيران في النيران بنياتهم هكذا علَّمنا أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الآية التي بعدها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ مرَّ علينا في الحلقة الماضية الحديث عن بعض الأمثال في القرآن الكريم وأن في القرآن أمثالاً ووردت الروايات عن الأئمة صلوات الله عليهم أن نتبصَّرَ في أمثال القرآن وهناك من علمائنا من كتب كتباً خاصة فقط جمع فيها أمثال القرآن الآية هنا تتحدث عن مَثَلٍ عن البعوضة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ القرآن ذكر أمثلةً عديدة على سبيل المثال مثلاً في سورة الحج في سورة الحج الآية الثالثة والسبعون ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الآية الثالثة والسبعون من سورة الحج المباركة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ ما هو هذا المَثَل؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ المثل هنا عن الذباب. في سورة العنكبوت أيضاً في الآيةِ الحادية والأربعين ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ مَثَل أيضاً ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ .

في سورة الحج في الآية الثالثة والسبعين كان المثل عن الذباب في سورة العنكبوت في الآية الحادية والأربعين كان المثل عن العنكبوت وسميت السورة بسورة العنكبوت. في هذه الآية في الآية السادسة والعشرين من سورة البقرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ما فوق البعوضة قد يكون الذباب ما

فوق البعوضة العنكبوت، فما فوقها يعني ما هو أكبر منها هذا في قولٍ من الأقوال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ فهناك تمثيلٌ مرةً بالبعوضة كما في هذه الآية ومرةً كان التمثيل بالذباب ومرةً كان التمثيل بالعنكبوت وفي سورة النحل بالنحل وهكذا، الآية عن أي شيءٍ تتحدث في سورة البقرة مرَّ علينا ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ مرَّ علينا في الحلقة السابقة ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وقلتُ في حينها الكلام عن أولئك الذين عاندوا النبي في رفضهم لولاية عليٍ وآل عليٍ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ هو في الظلام، أوقدَ ناراً ثم إن الله سبحانه وتعالى أخمد تلك النار فزادت الظُلمةُ ظُلمةً أخرى الظُلمة الأولى والظُلمة التي تُصيبُ الإنسان بعد أن يفقد النور في الظُلمة فكأنهُ كما في الروايات هناك ممن استمع إلى القرآن فقال ما المراد من هذا المَثَل كأنهُ استنقص هذا التمثيل واستنقص هذا المعنى لذلك الآية تقول: إن الله سبحانه وتعالى لا يستحي أن يضرب، أي مَثَل ما دام في هذا المَثَل منفعة للناس لتوضيح الأمر.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ يعلمون أن الأمثلة التي يأتي بها الباري سبحانه وتعالى لبيان معنىً من المعاني يعلمون أن ذلك هو الحق، الحق في نفس المَثَل والحق في نفس المعنى الذي أشارَ إليهِ المثَل والمثَل الذي تقدم ذكرهُ في سورة البقرة مثل عن أولئك الذين زادت ظُلمتهم ظُلمة فوق ظُلمة بسبب انحرافهم عن العترة الطاهرة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ يضلُ بهِ كثيراً ليس بنفس المَثَل كلفظ وإنما بما دلَ عليه المثل ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ وهي دينُ الولاية هناك قد ضلَّ الكثيرُ بسبب عقيدة الولاء وهناك قد اهتدى كثيرٌ بسبب عقيدة الولاء ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الآية فيها عدة جهات طبعاً في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هناك معانٍ وإشارات أخرى أنا لا أشيرُ إليها في هذه الحلقة لأن البرنامج لا يحتمل التفصيل ونحن كما اتفقنا سابقاً في هذا البرنامج أننا في كل حلقة نحاول أن نُبين معنى صفحة واحدة من صفحات الكتاب الكريم بشكلٍ مُيسّر لكنني كما وعدتُ المشاهدين فيما مضى من البرامج أننا سنشرع في شرح الزيارة الجامعة

الكبيرة إن شاء الله حينما أشرعُ في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة سأُشير إلى هذه المضامين وإلى هذا المضمون بالذات لأنني لو دخلت فيه فأحتاجُ إلى وقتٍ طويل ولا أريد أن أدخل في تفاصيل هذا المطلب أكتفي بما أشرتُ إليه إن الآية الشريفة تتحدث عن مَثَلٍ جاء مضروباً فيها وهو البعوضة وهذا النوع من المَثَل أو من الأمثلة ورد في الكتاب الكريم كما مرَّ علينا في سورة الحج جاء ذكرُ الذباب وكما جاء في سورة العنكبوت جاء ذكرُ العنكبوت فهذه أمثلة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ لربما الإشارة أيضاً كما ذهب إليه بعضُ المفسرين الإشارة إلى أن قريش استهزأت بما جاء من الأمثلة أو ليس قريش أيُ إنسانٍ ليس فقط الكلام ينطبق على قريش وإنما على قريش وغير قريش على أي إنسانٍ يستهزئ بالأمثلة التي جاءت في الكتاب الكريم والآية هنا أشارت إلى البعوضة باعتبار أن الإنسان يستصغر هذا المخلوق الصغير وهو من عجائب خلق الله سبحانه وتعالى في الروايات الشريفة عن إمامنا الصادق عليه السلام يقول إمامنا الصادق يُشير إلى هذه الحقيقة أن هذه البعوضة فيها من الأوصاف فيها من الأعضاء فيها من الآلات في جسمها أكثر مما في الفيل وهذه الحقيقة أثبتها العلمُ المعاصر حينما وضعت البعوضة تحت مجهر الدراسة ووضعت تحت مجهر التشريح العلماء اكتشفوا وعرفوا الكثير من الحقائق عن هذا الحيوان الصغير، علماء الحيوان يقولون هذه البعوضة هذه الحشرة الصغيرة في رأسها مئةُ عين باعتبار الحشرات عيونها مركبة فعدد العيون المركبة في رأس هذه الحشرة مئةُ عين، مئةُ عين عند هذه الحشرة الصغيرة عدد أسنانها التي في فمها ثمانية وأربعين سن يعني أكثر من أسنان الإنسان هذا الحيوان الصغير يملك مئة عين في عيونهِ المركبة ويملك ثمانية وأربعين سن في فمه هذا الحيوان الصغير يملك ثلاثة قلوب الإنسان كلهُ يملك قلباً واحداً هذا الحيوان الصغير يملك ثلاثة قلوب هذا الحيوان عندهُ ثلاثة أزواج من الأجنحة هذه الأزواج الثلاثة عندها القدرة أن تتحرك خمسمئة حركة في الثانية الواحدة بحيث من سرعة حركتها الإنسان لا يتمكن من رؤية الأجنحة أثناء حركتها وهذا الطنين الذي يُسمع من البعوضة إنما يخرجُ من الأجنحة هذا الطنين الذي يُزعج الإنسان هذا الطنين يخرج من الأجنحة بسبب هذه الحركة السريعة المتوالية وهذا الطنين هو بمثابة إشارات ولغة للتفاهم مع البعوضات الأخرى مع البعوض نوع من أنواع التفاهم، كيف يتم التحسس عن طريق اللوامس الموجودة في رأس البعوضة هذه اللوامس هناك شعرتان لامستان في رأس البعوضة هذه أجهزة تنصت وأجهزة تحسس في غاية الدقة وأجهزة تواصل واتصال مع البعوض الآخر مع الحشرات الأخرى من البعوض هذه البعوضة كما يقول علماء الحيوان تملك جهازاً ليلياً تنتفع منهُ في الليل طبعاً للعلم البعوضة التي تمتصُ دمَ الإنسان هي الانثى

وإلا الذكر فإنهُ يتغذى على رحيق الأزهار يعني ذكور هذه الحشرات تتغذى على رحيق الأزهار وإنما هذه الانثى من البعوض هي التي تتغذى على دم الإنسان هذا الحيوان الصغير عندهُ جهاز كاشف ليلي يُشبهونهُ بالأجهزة التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء هذه الأجهزة التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء والتي يُستفاد منها للكشف عن الأمور وقت الليل وقت الظلام حينما لا يوجد هناك ضوء فعلماء الحيوان يقولون هذا الحيوان عندهُ جهاز في جسمهِ هناك نظام في جسمهِ يُرسل نوع من الأشعة إلى جسم الإنسان أو إلى جسم الحيوان الذي يريد أن يمتص منهُ الدم فتتلون البقعة في عيني البعوضة بلون بنفسجي حتى تتمكن من أن تغرز الخرطوم والشيء الغريب أن هذا الخرطوم مُجهَز بنظام تخدير موضعي بحيث أن الحشرة حينما تغرز خرطومها في جسم الإنسان، الإنسان لا يحس بغرز الخرطوم في داخل جسمهِ لكن ما نشعر بهِ من لسعة هو حينما تبدأ هذه الحشرة بمص الدم هذه اللسعة التي نشعرها حينما نتصور أن البعوضة قد لسعتنا هي لم تلسعنا هي خدّرت الموضع وادخلت خرطومها لكن حين تبتدئ بمص الدم يشعر الإنسان بلسعة البعوض.

ثم هذا الخرطوم مجهز بنظام آخر وهو نظام تحليل الدم يقولون إن هذه البعوضة حينما تغرز خرطومها في جسم الإنسان لا تمتص الدم من كل أحد بعض أنواع الدماء لا تمتصها لأن هناك جهاز يميز هذا الدم من ذلك الدم فبعض أنواع الدماء بسبب التحليل الذي يقوم بهِ الجهاز المودع في جسم هذه البعوضة لا تمتص بعض أنواع الدماء وبعض أنواع الدماء تمتص منها بغزارة وبعض أنواع الدماء تمتص منها بقلة بسبب قدرتها على تحليل الدم، وهناك أيضاً جهاز آخر قدرة أخرى تعمل على تمييع الدم لأن خرطوم البعوضة دقيق جداً والدم كثيف فكيف يدخل فهناك قدرة في هذا الخرطوم على تُميّع الدم تُسيِّل الدم بحيث يكون أكثر سيولةً حتى تستطيع أن تمتصهُ وأن تنقلهُ إلى داخل جسمها ثم إن هذا الخرطوم ليس كخرطوم الفيل خرطوم الفيل عبارة عن أنبوب أما خرطوم هذه البعوضة فهو يشتمل على عدة أجهزة عبارة عن ستة سكاكين ولو يعني كانت هناك صور لرأيتم بعض هذه السكاكين تشبه المنشار بأشكال مختلفة كالسكاكين التي تُستعمل في المطابخ مثلاً بأنواع وأشكال مختلفة هذا الخرطوم يشتمل على ستة سكاكين ستة أنواع من السكاكين تحتاجها بحسب الموضع الذي تريد أن تدخل فيه تُدخِل فيه خرطومها هناك ما هو بشكل المثقاب هناك ما هو بشكل المنشار، وهناك أشكال مختلفة يمكن لو أردنا أن نذهب إلى الصور الموجودة على الأنترنيت موجودة أو في كتب علم الحيوان هناك صور حينما تأتي صور تشريح جسم هذه الحشرة موجودة لهذه السكاكين الستة وهناك شيء أغرب من ذلك الشيء الأغرب أن علماء الحيوان وجدوا هناك حشرة صغيرة مجهرية تعيش فوق جسم البعوضة لذلك ربما الإشارة في الآية بعوضة فما فوقها ربما الإشارة إلى هذه الحشرة المجهرية الموجودة على جسم البعوضة لا تُرى بالعين المُجردة وإنما تُرى بواسطة العدسات والعيون المجهرية فهناك حشرة صغيرة جداً موجودة على جسم البعوضة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى عالمٌ بعجائب خلقهِ، هذا الإنسان الجاهل، هؤلاء الأعراب الذين عاشوا مع النبي هؤلاء الأعراب هؤلاء الجهلاء يسمى بعصر الجاهلية أعراب بدو لا يفهمون حقائق الأمور لذلك يعترضون ويُشكِلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ فلربما الإشارة فما فوقها إلى هذه الحشرة الصغيرة أو فما فوقها إشارة إلى الحشرات والحيوانات الأخرى التي ضرب الله بها مثلاً في الكتاب الكريم مثل الذباب مثل العنكبوت مثل النحل أو غير ذلك من الأمثلة الأخرى الكثيرة وإنما يوردُ الله سبحانه وتعالى هذه الأمثلة لأجل توضيح المطالب وتبيين المعاني مثل ما جاء عندنا في سورة العنكبوت كما جاءنا في سورة العنكبوت المباركة في الآية الحادية والأربعين:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ هم لا يعلمون كيف أن أوهن البيوت لبيت العنكبوت قبلاً كانوا يقولون إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت باعتبار أن بيت العنكبوت ليس متيناً قد صُنِعَ من هذه الخيوط التي تصنعها العنكبوت بنفسها فهو ليس متيناً لكن علماء الحيوان حينما راقبوا هذه الحشرة وجدوا أن العنكبوت تأكل أطفالها تأكل أسرتها وجدوا أن العنكبوت تقتل زوجها وتأكل أطفالها فهو هذا البيت الذي هو أوهن البيوت ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فالأمثلة حينما يؤتى بها لأجل الاعتبار بها ولأجل تقريب المعاني وتوضيح الحقائق ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ في أيِّ مَثَلٍ في المَثَل الذي تقدَّم ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ لأولئك الذين ضلوا وانحرفوا عن ولاية علي ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ لكن من الذين سيضلون؟ ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ وتقدم عندنا في معنى الفاسق هو الذي تجرَّدَ وابتعدَ عن لباس الشريعة لأن كلمة الفسق هو خروج التمرة من قشرها يقولون هذه تمرةٌ فاسقة أو فسقت التمرة حينما تخرجُ لُبّةُ التمرة من قشرها فالفاسقُ هو الذي ينزعُ رداء الشريعة لباس الشريعة ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ ﴾ أيُ عهدٍ هو هذا الذي ينقضونهُ ما هو عهدُ الله؟ عهدُ الله هو عهدُ الإمامة لا يوجدُ عهدٌ آخر ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا

﴿أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ وإلا ليس المراد أنهم ينقضون عهد الله أن يرتكبوا المعاصي الإنسان حينما يرتكبُ المعصية هو لا ينقضُ عهد الله هو يخالفُ أمر الله سبحانه وتعالى وإلا الإنسان قد يرتكب المعصية وهو خائفٌ من الله وهو يعلم بأن الله مُطلّعٌ عليه لكنها الشقوة التي تغلبهُ ولكنهُ الهوى الذي يدفعهُ وجموح المعصية وجموح الشهوة الذي يأخذهُ مع أنهُ يعلم أنهُ يرتكبُ الخطأ مع أنهُ يعلم أنهُ يسيء إلى نفسهِ مع أنهُ يعلم أن هذا لا يُرضي الله مع أنهُ يعلم أن الله مُطلعٌ عليه، العهد هو عهدُ الإيمان الإنسان حينما يرتكبُ المعصية لا يكونُ قد نقض عهد الله وهو عهدُ الإيمان لكن متى يُنقضُ عهدُ الله؟ عهدُ الله يُنقض حين يُنقض الإيمان والإيمان لا يكتملُ إلا بالإمامة بولاية عليٍ فحينَ يُنقَضُ عهدُ الإمامة يُنقضُ عهدُ الله ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ يقطعون الولاية ماذا أمرَ الله أن يوصل؟ الله سبحانه وتعالى أمرَ أن يوصل عهدُ الولاية، كيف يوصل؟

هناك عندنا في رواياتنا صلةُ الرحم وقطيعة الرحم في الروايات الشريفة تقول إن المعنى الأصلي لصلة الرحم والمعنى الأصلي لقطيعة الرحم ولقطع الرحم هو صلةُ رحم آل مُحَمَّد وهو قطيعةُ رحم آل محمَّد والمقصود من المعنى هو صلةُ العترة هو الإيمان بالعترة وهو الابتعادُ عن العترة نحن نقرأ في زيارة سيدتنا أم الحسن والحسين صلوات الله عليها: **وأنَّ مَنْ وَصَلَكِ فقد وَصَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنَّ مَنْ قَطَعَكِ فقد قَطَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله.** ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ لذلك عندنا في الروايات عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن من وصلَ رَحِمَ آل محمَّد وقطع رَحِمَهُ في الدنيا فإنهُ في يوم القيامة يوقف للحساب أيضاً يحاسب لماذا قطعت رَحِمَك؟ لكن الروايات تقول إن رَحِمَ آل مُحَمَّدٍ يشفعُ فيه فيقولُ لأرحامهِ الذين قطعهم في الدنيا تنازلوا عن حقكم أغفروا له تنازلوا عن حقكم وخذوا من حسناتنا ما تشاءون من أي حسنات؟ من حسنات أهل البيت. وأما الذي قطع رَحِمَ آل محمَّد ووصل رَحِمهُ في الدنيا فإنهُ يُوكلُ إلى من قد ذهب إليهم ودان بإمامتهم وسيُقطَعُ رَحِمَهُ في الآخرة، هو المطلوب أن نصلَ رَحِمَ آل مُحَمَّد وأن نَصِلَ أرحامنا ولكن لو كان الأمرُ بين أن نصل أرحام آل مُحَمَّد وأن نقطع أرحامنا فلنقطع أرحامنا ولنصل أرحام آل محمَّد والمراد هنا من أرحام آل محمَّد العترة الطاهرة المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهل هناك فساد أكبر من هذا الفساد من قطيعة رحم رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ هؤلاء هم الذين سيخسرون دنياهم ويخسرون دينهم، من

هم؟ ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الآية التي بعدها ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وجهٌ لهذه الآية الشريفة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ كنتم في أصلاب أبائكم حينما كنتم نُطَفاً هذه النطفة ميتةٌ، ميتة بالمعنى الظاهري وإلا هي تحمل معنى الحياة كيف ستخصب البيضة وكيف سينشأ بعد ذلك الجنين لكن حياة النطفة حياة بشكل آخر والكلام هنا عن الحياة الكاملة للإنسان على الأرض وإلا النطفة ليست ميتة كما أن هذه البذرة أو الحبة التي نراها ميتة لكن حياة الشجرة موجودةٌ في داخلها حينما نقول فالقُ الحب فهو يفلقُ الحب ليُخرِجَ الحياة التي أودعها في داخل الحبة وكذلك هناك حياة مودعة في هذه النطفة في هذه الحيامن في هذه البويضة عند المرأة هناك حياة مودعة فيها والله سبحانه وتعالى هو الذي يُخرج الحياة من هذه المخلوقات لكن الكلام هنا عن الحياة الكاملة للإنسان الكامل بروحهِ وبجسدهِ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نُطفاً في أصلاب أبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ فأخرجكم أولدكم من بطون أمهاتكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ الحياةُ في القبر لأنهُ في الروايات القبر إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حُفَر النيران فكيف يكون القبر روضةً من رياض الجنان أو حفرة من حُفَر النيران ما لم يكن الإنسان حياً في القبر يستشعرُ ذلك ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وذلك في يوم القيامة في يوم المعاد هذه المراحل ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ في أصلاب أبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية تتحدث عن المراحل التي يمرُ فيها الإنسان من بداية نشوئه كنُطفة في صُلب أبيه إلى أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى.

ولكن هناك أيضاً وجهٌ آخر في الآية فيها إشارةٌ إلى الرجعة وسنتكلم عن عقيدة الرجعة إن شاء الله في برنامجنا الحجة بن الحسن العسكري إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه حين يأتي وقتها ولكن الآية فيها إشارة إلى هذا المعنى، إشارة إلى الرجعة إلى عقيدة الرجعة التي نعتقد بها وفي رواياتنا أنهُ من لم يؤمن برجعتنا فليس منا ليس من شيعتنا من لم يؤمن بشفاعتنا من لم يؤمن برجعتنا فليس منا ليس، من شيعتنا ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ هذا الموت نحن حينما كُنا نُطفاً ما كُنا أمواتاً أصلاً ما كنا موجودين حتى نكون أمواتاً وإنما متنا في البداية كنا نُطفاً في أصلاب أبائنا فلا توصف النطفة بالموت ولا بالحياة بعد أن ولدنا

وعشنا فمتنا فهذا هو الموت ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ هذا الإحياء وهو الرجعة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ هذه الإماتة بعد الرجعة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ هذا الإحياء الذي سيكون قبل يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قد يكون هو هذا المعنى وقد يكون المعنى الأول وعلى أي حالٍ فالرجعة عقيدةٌ ثابتةٌ في كتاب الله وفي حديث المعصومين سواء دلت هذه الآية عليها أم لم تدل.

عندنا في سورة غافر الآية الحادية بعد العاشرة ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية إذا فرضنا أن الآية في سورة البقرة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً﴾ يعني كنا نُطفاً في أصلاب أبائنا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ وهو الموت ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القبور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فلنقل إن الآية هي هذه دلالتها لكن ما معنى هذه الآية ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ يعني عملية إماتة فحينما كنا نطفاً لم يُمتنا الله سبحانه وتعالى في أصلاب أبائنا ربما كنا أمواتاً توصف النطفة بأنها ميتة بالقياس للإنسان الحي الكامل لكن الآية هنا تتحدث عن إماتة عن عملية إماتة أن الله يُميتنا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ فأين هذه هي الإماتة الثانية الإماتة الأولى هي بعد حياتنا هذه فالإماتة الثانية أين كانت؟

فلابد أن تكون حياة بعد الموت وهي الرجعة وبعد الرجعة تكون إماتة ثانية وإلا ما معنى الإماتة الثانية ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وطبعاً نحن إذا أردنا أن نتحدث عن الرجعة سورة البقرة المباركة في نفس السورة سيأتينا ونشير إليها في وقتها تأتينا أمثلة مثلاً عندنا الآية التاسعة والخمسين بعد المئتين ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ بعثهُ في الدنيا، هذا مصداق على الرجعة مصداق واضح وهذه الآية كما هو المشهور والمعروف في كتب التفسير في عُزير في نبي الله عُزير وقيلَ في غيرهِ بالنتيجة هناك نبي من الأنبياء أماتهُ الله وأحياه هناك وليٌ من أوليائهِ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية واضحة ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ رجعةٌ في الحياة، هذا لشخصٍ واحد، وفي سورة البقرة

أيضاً عندنا في الآية الثالثة والأربعين بعد المئتين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ هذا في الحياة الدنيوية وفي كتب التفسير المعنى واضح إن قوماً من بني إسرائيل هربوا من مدينةٍ في الشام بسبب الطاعون والقصة لها تفصيل في وقتها إذا وصلنا إلى هذه الآية نتحدث عن القصة فأماتهم الله وبعد أن تحولوا إلى أكوام من العظام وفي الرواية أن عظامهم كانت على الطريق فجاء أُناسٌ وكنسوها وضعوها على جانب بعد ذلك الله أحياهم ورجعوا وعاشوا دهراً وتناكحوا وتزاوجوا وصار عندهم أولاد والرواية فيها تفصيل لكن موطن الشاهد هنا أنهم ماتوا ثم أحياهم الله وعاشوا في الدنيا وهذه قوم أُمَّة وهناك أمثلة أخرى في الكتاب الكريم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ .

والروايات واضحة عندنا وهذه الروايات موجودة في كتب الخاصة والعامة أنهُ يجري على هذه الأُمَّة ما جرى على الأُمَم السالفة حذوا القُذَّةِ بالقُذَّة وحذوا النعلِ بالنعل، حذوا النعل بالنعل باعتبار النعل فيهِ جانب أيمن وجانب أيسر وهما متطابقان متساويان حذوا القُذَة بالقُذَة القُذَّة هي الريشة الموجودة في آخر السهم لابد أن تكون هذه القُذَذ متساوية وإلا إذا لم تكن القُذَذ متساوية فإن السهم لا ينطلق بشكلٍ صحيح ولا يصيب الهدف السهم الذي يُرمى بهِ بواسطة القوس أليس تكون في نهاية السهم مجموعة من الريَّش ريشات تسمى بالقُذَّة لابد أن تكون هذه القُذَذ متساوية ومتناسقة إذا لم تتسق فإن السهم سوف لا ينطلق بشكلٍ حسن ولا يصيب الهدف فالنبي قال: **أنهُ ما جرى على الأمم السالفة يجري في هذه الأُمَّة حذوا القُذَّةِ بالقُذَّة وحذوا النعلِ بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع** – الذراع هو هذا وأما الباع فهو مقياس هذا المقياس ما بين اليدين يسمى باع ما بين اليدين يُقالُ له باع المسافة ما بين اليدين إذا فتح الإنسان يديه يُقال لهُ باع هذه المسافة والذراع واضح – **حذوا القُذَّةِ بالقُذَّة وحذوا النعلِ بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع ولو أنهم دخلواُ جحر ضبٍ لدخلتم فيه** – لو دخلوا جُحر ضب أن أُمَّة من الأمم السابقة دخلت لدخلتم فيه، على أي حالٍ أنا لا أريد الدخول في تفصيل هذا المعنى لكن كما جرت الرجعة في الأمم السالفة ستجري في هذه الأُمَّة مثل ما جرت على نبي الله عُزير.

والقرآن لا يأتي بكل الأمثلة التي جرت في الحياة نحن عندنا في الروايات مئة وأربعة وعشرين ألف نبي وفي رواية من الروايات مليون ومئة وأربعة وعشرين ألف نبي وكل الذين ذُكِروا من الأنبياء ما يَقرُب من ثلاثين نبي دون الثلاثين من الذين ذُكِروا في الكتاب الكريم مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، مليون ومئة وأربعة وعشرون ألف نبي على رواية أخرى هذا العدد من الأنبياء لم يذكر لنا القرآن تمام قصصهم وتمام مُجريات الأحداث

التي جرت في أممهم ومع ذلك القرآن ذكر لنا أمثلةً من الرجعة هؤلاء الذين يعيبون على الشيعة الرجعة هؤلاء لا يفهمون القرآءن، أنا أذكر مقولة زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه يوم عاشوراء بعد أن إستأذن سيد الشهداء وقف يعض القوم فقال في خطبتهِ عباد الله إن وُلد فاطمة أحقُ بالودّ والنصر من أبن سمية يعني ابن زياد وقال كلاماً في هذا، فماذا قال لهُ شمر بن ذي الجوشن لعنة الله عليه؟ قال له أسكُت أسكتَ الله نامتك لقد أبرمتنا بكثرة كلامك، ماذا أجابهُ زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه؟ قال يا ابن البوال على عقبيه، هو أعرابي نحن أبتُلينا بهؤلاء الأعراب الذين يملكون عقول متحجرة قال يا ابن البوال على عقبيه أعرابي قذر بدوي وسخ، قال يا ابن البوال على عقبيه ما إياك أُخاطب إنما أنت بهيمة والله ما أظنُّكَ ما أظنُ أنك تُحكِمُ آيتين من كتاب الله.

أهلُ البيت أبتُلوا بعقول متحجرة أبتلوا بأعراب أبتلوا بناس جَهَلة على طول التأريخ وإلى يومنا هذا نحن أبتُلينا بأعراب يومياً يخرج علينا ما بين أعور وأحول وأعمى أبتُلينا بهؤلاء الناس نحن عندنا في روايات أهل البيت إن أعداء أهل البيت يوم القيامة يحشرون بصور تَحسُن عندها القردة والخنازير بعض هؤلاء ظاهراً القضية سبقت إليهم في الدنيا قبل الآخرة القرآن واضح الآيات القرآنية واضحة وصريحة على سبيل المفهوم وعلى سبيل المصداق مثلاً نحن لنقرأ في سورة النمل المباركة الآية الثالثة والثمانون ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ حينما قالوا يا ابن رسول الله يسألون الإمام صلوات الله عليه إن فلاناً يُكذِّبُ بالرجعة قال فما يقول في هذه الآية ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ في يوم القيامة الحشر لكل الناس ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ في يوم القيامة سيكون الحشر لكل البشر.

مثلاً في سورة الكهف المباركة الآية السابعة والأربعون ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ هذا يوم القيامة علائم يوم القيامة ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الجميع يُحشرون يوم القيامة لا يُحشر فوج دون فوج ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الجميع يُحشرون لكن هذه الآية تقول ماذا تقول؟ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ الوارد في رواياتنا من الذين يرجعون؟ الذين يرجعون من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً وهؤلاء سيكونون مجموعة من كل أُمَّة ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ تلاحظون التطابق بين العترة وبين الكتاب ولذلك أهلُ البيت قالوا إن هذا القرآن لا يفهمهُ إلا من خوطب به لا يفهمهُ هؤلاء العميان والحولان هذا القرآن يفهمهُ

آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ هذا في أي وقتٍ؟ في يوم القيامة؟! في يوم القيامة لا نغادر منهم أحداً هذا إنما هو في الدنيا وفي الرجعة ولذلك أنا قلت أن الآية ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيها إشارة إلى هذا المعنى ﴿كُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ الموت الذي نموتهُ في هذه الدنيا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ فأحيانا هذه الحياة التي تكونُ بعد الموت ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الحياة بعد الموت هي الرجعة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وحتى لو لم تنطبق هذه الآية فبالنتيجة لوجود إشارةٍ فيها إلى الرجعة أشرتُ إلى موضوع الرجعة في الكتاب الكريم ولم أتطرق إلى الروايات وإلا الروايات عن أهل بيت العصمة كثيرةٌ جداً في هذا المضمون وإن شاء الله نتناول شطراً منها في برنامج الحجة بن الحسن العسكري إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

الآية الأخيرة في هذه الصفحة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآيات هنا تتحدث أولاً عن خلقة الإنسان ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أليس أن الله سبحانه وتعالى يرينا آياتهِ في أنفسنا، سنريهم آياتنا في أنفسهم وفي الآفاق، الله سبحانه وتعالى يرينا آياتهِ في أنفسنا هذه الآية تتحدث عن أنفسنا عن الناس ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الآية التي بعدها تتحدث عن آيات الله في الآفاق ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الآية تتحدث عن خلقة الأرض وما عليها ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ ما في الأرض جميعاً المراد هنا ما تحتويه الأرض في داخلها وما هو فوقها في باطن الأرض وعلى ظاهر الأرض ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ نحنُ لا نلمكُ صورةً حقيقةً عن معنى السماوات السبع.

العلم الحديث لا يملكُ صورةً لأن وسائل العلم الحديث محدودة ووسائل العلم الحديث الدائرة التي تتحرك فيها دائرة ضيقة جداً خصوصاً إذا قيست بسعة هذا الوجود وبسعة هذا الفضاء ونحن لا نملك صورة كاملة عن السماوات السبع لكن ما وردَ في الروايات وما ورد في آيات الكتاب الكريم الذي نفهمهُ أن هذه السماوات كما ورد وصفها طباقاً أنها سماء فوق سماء وأن كل سماء لها سكانها وقُطانها من الملائكة والروايات

مفصلة في هذا المعنى فالمراد من السماوات السبع هي عوالم عالم فوق عالم ولذلك في رواياتنا أن السماء الدنيا هذه السماء الدنيا التي تاه فيها وتحيَّر فيها العقل البشري أن السماء الدنيا هذه التي فيها مليارات الكواكب والنجوم السماء الدنيا إذا قيست بالسماء الثانية باعتبار السماء الدنيا هي السماء الأولى إذا قيست فهي كالقطرة إلى البحر كحلقةٍ في فلات، فلات صحراء متسعة وتلقي فيها حلقة صغيرة ما قيمة هذه الحلقة ما قيمة القطرة إلى البحر كحلقةٍ في فلات السماء الأولى بالنسبة للثانية والثانية بالنسبة للثالثة هكذا وهكذا السماء السادسة بالنسبة إلى السماء السابعة كحلقةٍ في فلات والسماء السابعة بالنسبة إلى العرش وهكذا الروايات فصلت لنا تفصيلاً كثيراً عن عظمة خلق الله سبحانه وتعالى لكن المقام لا يسعُ ذلك فقط أشير إلى هذه القضية التي جاء ذكرها في الآية:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ وكأن الآية تريد أن تقول بأن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض قبل السماء ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ﴾ إذا كانت: **ثُمَّ** تفيد الترتيب طبعاً، **ثُمَّ** قد تُفيد الترتيب وقد لا تفيد الترتيب، **ثُمَّ** في لغة العرب في بعض الأحيان تأتي بمثابة يعني حرف العطف بمثابة حرف الواو ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً (و) اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ لا تعطي معنى الترتيب في بعض الأحيان تعطي معنى الترتيب فإذا كانت تدل على الترتيب ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ فكأن الأرض بحسب ظاهر الآية خُلقت قبل السماوات. لنتفحص هذا المعنى في آيات الكتاب الكريم، مثلاً عندنا في سورة فصلت جاء الحديث عن خلق السماء والأرض الآية التاسعة والآية العاشرة والآية الحادية بعد العاشرة والآية الثانية بعد العاشرة:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ الآيات هنا فيها شيء من التفصيل أكثر مما جاء في الآية التي مرت علينا في سورة البقرة المباركة، في سورة البقرة الآية التي كانت بين أيدينا ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ إذا قلنا أنَّ ثُمَّ تُفيد الترتيب فإن

الله خلق الأرض وما فيها ثم بعد ذلك خلق السماوات، الآيات هنا تُبين التفصيل أكثر الآيات هنا تقول بأن مادة السماء خُلقت قبل الأرض يعني الله سبحانه وتعالى أولاً خلق المادة التي خلقت منها السماء ثم بعد ذلك خلق الأرض وأتم خلقها ثم أتم خلق السماء يعني السماء خُلقت قبل الأرض لِنُدقق النظر في الآيات ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ بالذي خلق الأرض في يومين وهنا لا نريد الحديث عن الأيام لأن هذه الأيام ليست أيام كأيام الأرض أيام الأرض جاءت بعد أن خُلقت الأرض وبعد أن كانت الشمس والقمر والليل والنهار هذه أيام أخرى.

﴿ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا ﴾ هذا إتمام للخلقة ﴿ وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ لا يعني أن السماء لم تكن موجودة ﴿ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ يعني المادة موجودة كانت مادة السماء ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ يعني مادة السماء موجودة فمادة السماء موجودة قبل أن تُخلق الأرض لكن الأرض خُلقت وتُمم خلقها ثم بعد ذلك تمم خلقُ السماء ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ الدخان هو مادة خلق السماء ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ ثم تقول الآية ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة.

وهذا الكلام يتطابق مع ما جاء في سورة النازعات في سورة النازعات الآية السابعة والعشرون وما بعدها ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾ سمكها سقفها أو كثافتها ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أظلم ليلها ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ ضوءها ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ فهناك مرحلة من مراحل خلق السماء مادة السماء ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة فإذا أردنا أن نجمع بين هذه الآيات، الآية التي جاءت في سورة البقرة والآيات التي جاءت في سورة فصلت والآيات التي جاءت في سورة النازعات الذي يظهر أن الله سبحانه وتعالى المرحلة الأولى من خلق السماء كانت قد تحققت ثم خلق الأرض وأتم خلق الأرض وبعد ذلك خلق السماء أتم خلق السماء فجعلهن سبع سماوات، في نهج البلاغة الشريف في الخطبة الأولى هناك مقطعٌ في غاية الجمال والإبداع يتحدثُ فيهِ سيد

الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه عن بداية خلقة الكون وخلقة السماء والأرض يقول سيد الأوصياء:
أنشأ الخلق إنشاءً، وأبتدأهُ ابتداءً، بلا رويةٍ أجالها، ولا تجربةٍ استفادها، ولا حركةٍ أحدثها، ولا همامة نفسٍ اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءمَ بين مختلفاتها، وغرَّزَ غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، مُحيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها واحنائها، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقَ الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخّارُهُ، حَمَلَهُ على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة، فأمرها بردّه وسلّطها على شدّه وقرنها إلى حدّه، الهواءُ من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً أعتقم مهبّها وأدام مُربّها وأعصف مجراها وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزخّار وإثارة موج البحار، فمخضتهُ مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أولهُ إلى آخره وساجيهُ إلى مائره، حتى عبَّ عُبابُهُ، ورمى بالزبد رُكامه فرفعهُ في هواءٍ منفتقٍ وجوٍّ منفهق، فسوى منهُ سبع سماوات جعل سُفلاهُنَّ موجاً مكفوفاً، وعُلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً بغير عَمَدٍ يدعمها ولا دسارٍ ينتظمها، ثم زيّنها بزينة الكواكب وضياء الثواقب وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلكٍ دائرٍ وسقفٍ سائرٍ ورقيمٍ مائرٍ.

يتحدث الإمام صلوات الله وسلامه عليه عن الكيفية الأولى التي نشأت فيها خلقة السماوات وخلقة الأرض كما بيّنت الآيات القرآنية الكريمة في الكتاب الكريم هناك إشاراتٌ واضحةٌ وصريحةٌ تتحدثُ عن سعة هذه السماء كما في الآية السابعة والأربعين من سورة الذاريات ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ* وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ والآية هنا تشيرُ إلى التوسع المستمر في السماء ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآيات في سورة البقرة تحتجُ علينا بالآيات في أنفسنا ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ هناك حركة مستمرة موت فحياة فموت فحياة ثم إليه تُرجعون وكذلك في الأرض ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ وما في الأرض هو في حالة حركةٍ وتغير وتبدُّل ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ والسماوات أيضاً في تبدُّلٍ وفي توسع ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ .

كان بودي أن أتحدث شيئاً ما عن النظريات العلمية التي تتحدثُ عن مدى سعة هذا الوجود وعن مدى سعة هذه السماء وكيف أن السماء تتسع بسرعةٍ يتوقعُ العلماءُ أن السماء تتسع بسرعةٍ تصل إلى

250.000 كيلومتر في الثانية تتصورون مدى الإتساع 250.000 كيلومتر في الثانية وطبعاً هذي نظرية واسعة كان بودي أن أتحدث عنها ربما أتناولها في وقتٍ آخر النظرية العلمية التي تسمى: بنظرية الانفجار الكبير وهي تتطابق في كثير من أوصافها أنا لا أريد أن أقول أن هذه النظرية هي الحقيقةُ الكاملة لكن هناك تطابق بين هذه النظرية وبين ما جاء في كلمات أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في نهج البلاغة الشريف وتتطابق أيضاً مع ما جاء في بعض الآيات القرآنية الكريمة ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فهذه النظرية جوهرها يتحدثُ عن اتساعِ السماء في كل ثانية أن السماء تتسع في كل ثانية بسرعة 250.000 كيلومتر هناك تفاصيل أخرى قد نأتي على ذكرها في معاني آياتٍ أخرى تتحدث عن عجائب خلقة السماوات والأرض.

بهذا القدر أكتفي أسألكم الدعاء وتصبحون على مودّة عليٍ وآل علي وفي أمان الله.

الحلقة الخامسة

تفسير سورة البقرة من الآية ٣٠ الى الآية ٣٧

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته مسَّاكم الله بالخيرِ والإيمان، وهذه الحلقة الخامسة من برنامج قُرآننا كما جرى في الحلقات السابقة أن نتناول صفحةً واحدةً من صفحات المصحف الشريف اليوم كذلك سنتناول صفحةً من صفحات كتابنا الكريم وصلَ الكلامُ إلى الآية الثلاثون، الآية السابقة وهي الآية التاسعة والعشرون كانت تتحدث عن خلق السماء والأرض وبيّنا جانباً من معانيها في الحلقة الماضية:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

فالآية تتحدث عن خلقة السماء والأرض.

الآية التي سنشرع فيها الكلامُ فيها عن قصة الخلافة في الأرض ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الآية هذه هي الآية الأولى من قصة الإنسان ومن قصة الخلافة على الأرض، الآية هذه والتي بعدها تتحدث عن قصة أبينا آدم وأمنا حواء سلام الله عليهما قبل أن أشرع في بيان مضامين الآيات الشريفة أود الإشارة إلى نقطتين تتعلقان بقصة أبينا آدم عليه السلام:

النقطة الأولى أو الملاحظة: الأولى أن قصة آدم عليه السلام ليست قصةً تأريخية يعني لو أردنا أن نكتب كتاباً في تأريخ الأنبياء فإن قصة آدم عليه السلام قبل نزولهِ إلى الأرض لا تُكتب في هذا الكتاب، كتب التأريخ تتناول الأحداث التي تجري على الأرض في أماكن معينة في أزمنة معينة تأريخٌ للإنسان منذُ ولادتهِ وإلى وفاتهِ وحياةٌ محكومةٌ ومقيدةٌ بزمانٍ معين وبمكانٍ معين على الأرض هذا هو التأريخ، أما قصة أبينا آدم قبل النزول إلى الأرض فليست هي من التأريخ لأن التأريخ محكومٌ بزمان الأرض وهذه القضية لابد من الإلتفات إليها لأنها ستُعيننا في فهم مجريات قصة أبينا آدم قبل النزول إلى الأرض، قصة آدم تشتمل على مرحلتين: مرحلة ما قبل النزول إلى الأرض وهي خارجُ التأريخ ليست من التأريخ، ومرحلة ما بعد النزول إلى الأرض وهذه هي التي يمكن أن تدخل في كتب التأريخ وهذه هي التي يمكن أن تدخل في كتاب قصص

الأنبياء حين نكتب كتاباً عن قصص الأنبياء حين نتحدثُ عن قصص الأنبياء فإن قصة أبينا آدم عليه السلام تبدأُ منذُ نزولهِ إلى الأرض أما قصتهُ قبل النزول إلى الأرض فهي قصةٌ خارجَ حدود تأريخ الأرض هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني الملاحظة الثانية: التي أود الإشارة إليها أن الأحاديث التي وردت عن الأئمة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله عليهم جميعاً في قصة أبينا آدم كثيرةٌ جداً وتشتمل على جهاتٍ مختلفة من المعاني ومن الحقائق لذلك لا أتمكنُ من تناول هذا الكم الكثير من الأحاديث الشريفة في برنامجٍ محدودٍ وفي تفسيرٍ مختصر لربما لو سنحت فرصة أخرى فإني سأتناول قصة أبينا آدم وفقاً لهذا الكم الكثير من الأحاديث والروايات التي جاءت عن نبينا وعن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا أن ما لا يُدرك كلهُ لا يُترك كله لذلك سأتناول بحسب ما يسنح به الوقت شيئاً من مضامين هذه الروايات وهذه الأحاديث الشريفة.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هناك عدة جهاتٍ في هذه الآية: الجهة الأولى قولُ ربك إن ربك قد قال لهم، لمن؟ للملائكة، للجهة الثانية الملائكة، الجهة الثالثة الخليفة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الله سبحانه وتعالى يخاطب الملائكة، الملائكة كما في عقيدتنا والتي نتعلمها من كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم هم أكثر خلقٍ خلقه الله سبحانه وتعالى مواطنهم في كل جنبات الوجود لكن الموطن الأصلي لهم السماوات لا يعني أن الأرض خليةٌ من الملائكة في رواياتنا الشريفة: **ما من قطرةُ مطرٍ تنزلُ إلى الأرض إلا وقد وكّل بها مَلك ينزلها إلى المكان الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن تصل إليه تلكم القطرة.** وفي الروايات الشريفة: **كادت السماوات أن تؤط أطيطاً من كثرة الملائكة.** الأطيط هو الصوت الذي يصدرُ من مكانٍ بسبب ثقل وكثرة ما وضع عليه على سبيل المثال مثلاً إذا كان عندنا مثلاً منضدة من الخشب وجئنا بحاجاتٍ كثيرة فوضعناها على هذه المنضدة لَمَّا يَكثُر وزن هذه الحاجات يصدر صوت من هذه المنضدة الخشبية يُقال لهُ أطيط فكأنها تريد أن تقع من كثرة ما وضع عليها من الحاجات، فكادت السماوات أن تؤط أطيطاً من كثرة ما فيها من الملائكة، فالملائكة هم أكثر خلق الله وهم أصناف وشعوب وأمم ومراتب ودرجات وليس الحديثُ هنا عن الملائكة لكننا في جو هذه القصة وفي جو هذا الموضوع، الله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ وهنا جاء استعمال هذا

الاسم ربُّكَ والربُّ هو المربي فهو الذي خلق الملائكة ورباهم وهو الذي خلق الخليفة الذي سيكون خليفة عنه على الأرض رباهُ وسيربيه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ معنى الخليفة هنا ما المراد من الخليفة في هذه الآيات الكريمة الخليفة هنا فيها إشارة إلى أكثر من وجه، الخليفة يُراد منهُ المعنى المباشر للخليفة بشكله الحسي والمادي وهو أبونا آدم لأنه هو المستخلف الأول من الجنس البشري من الجنس الإنساني الذي نزل على الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ المراد آدم أبونا، والمراد ربما المعنى الثاني ولكن بدرجةٍ أضعف مُرادي بدرجة أضعف لا من الجهة العلمية وإنما بدرجةٍ أضعف في الاستخلاف لربما المراد من الخليفة هنا النوع البشري الجنس البشري ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني إني أجعل بني الإنسان خلفاء في هذه الأرض وهناك معنىً أدق وأعمق من هذه المعاني أن المراد من الخليفة الذي يكون مماثلاً مشابهاً مرادي مماثلاً ومشابهاً أي أنهُ يعكسُ وتتجلى فيه صفات الذي قد استخلفه لذلك قال خليفة.

الله سبحانه وتعالى حينما يستخلف خليفةً فهذا الخليفة تتجلى فيه صفاتُ الباري سبحانه وتعالى، لذلك نحن الآن في هذه الحياة الدنيوية حينما يريد القائد العسكري أن يستخلف أحداً على جنودهِ أو على معسكرهِ قطعاً لن يأتي بطبيبٍ أو بنجارٍ أو بمُعلِّم وإنما سيضعُ خليفةً له على جندهِ وعلى عسكرهِ برجلٍ عسكريٍ يقاربهُ في المعرفة والخبرة والقيادة العسكرية وهكذا حينما يريد مدير المستشفى أو مدير مؤسسة طبية أن يستخلف أحداً مكانه فقطعاً لن يأتي بمهندسٍ ولن يأتي بمتخصص بعلوم الفضاء لابد أن يأتي بمتخصصٍ بالطب متخصصٌ في الطب هو الذي يستخلفهُ في هذا المكان ولابد أن تكون خبرتهُ ولابد أن يكون اطلاعهُ مقارباً للذي استخلفهُ وهكذا في كل شيءٍ حتى المرأة حينما تطبخُ شيئاً في مطبخها وتريد أن تخرج من البيت فقطعاً ستستخلف على قدرها الموجود على النار إما الكبيرة من بناتها وإما أفضل بناتها في قدرتها على الطبخ فتستخلفها على هذا القدر وهكذا في كل شيءٍ في كل صغيرةٍ وكبيرة حتى الأطفال حينما يستخلف بعضهم بعضاً في اللعب فإنما يأتي بمن يملك مهارة أكثر من غيره لنفرض أن فريقاً من الأطفال يلعبون وكبيرهم أراد أن يذهب كبير هذا الفريق من الأطفال فحينما يريد أن يستخلف رئيساً على هذا الفريق فإنهُ سيختارُ طفلاً من الأطفال ممن لهُ مقدرة على إدارة اللعبة بدرجة قريبة منه وهذه هي سنة الحياة وهذا هو منطق العقل ومنطق الحكمة.

الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يستخلف خليفةً على الأرض لابد أن يكون هذا الخليفة في صفاتهِ في قدراتهِ في علمهِ في حكمتهِ لابد أن يكون مقارباً لصفات الله سبحانه وتعالى لابد أن يحمل من صفات الله، كما

يقول نبينا صلى الله عليه وآله وليس هذا بغريب النبي صلى الله عليه وآله يطالبنا نحن، **يقول: تخلَّقوا بأخلاق الله.** أليس يطالبنا نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله فيقول لنا، لي ولكم الخطاب: **تخلَّقوا بأخلاق الله.** يعني أننا نستطيع نتمكن من أن نتصف بالأخلاق الإلهية وإلا لو لم نكن نملك هذه القدرة لَمَا خاطبنا النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك خلاف الحكمة، النبي حكيم ولا ينطقُ إلا عن حكمة فحينما يقول لنا: **تخلَّقوا بأخلاق الله.** هذا يعني أننا نملك القدرة على أن نتصف بأخلاق الله سبحانه وتعالى، هذا أنا وأنتم فما بالكم بمن يملك الكمال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون، فستكون الخلافة الحقيقية حينئذٍ لمن قد بلغ إلى الكمال وهل هناك أكملُ من نبينا؟! وهل هناك أكملُ من العترة الطاهرة؟!

قطعاً من بديهيات عقائدنا ومن بديهيات فكرنا ومن بديهي القول أن أفضل الخلائق النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون صلوات الله عليهم فحينئذٍ حينما يريد الباري أن يستخلف خليفةً لابد أن يستخلف الأفضل ولذلك الخلافة الحقيقية المشار إليها في هذه الآيات الخلافة الحقيقية هي التي تتجلى وتظهرُ في نبينا وفي الأئمة المعصومين والمعنى الكامل للخلافة يتجلى في إمامة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يتمكن أن ينفذ البرنامج الإلهي في بسط العدل في أن يُظهر الدين على الدين كله، أليس أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يُظهر دينهُ على الدين كله؟!

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ فهل ظهر الدينُ المحَمَّدي على الدين كله؟! لم يظهر لا في زمانهِ صلى الله عليه وآله ولا في زمان الأئمة من بعدهِ وإلى يومنا هذا إنما يُظهر الله دينهُ على الدين كله ويتحققُ معنى الخلافة الحقيقية في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه والخلافة الحقيقية هي هذه على الأرض حينما يُظهر الله دينهُ على الدين كله وحينما يُبسطُ العدل على كل الأرض وحينما يُنفى الظلمُ من كل الأرض وذلك لا يكون إلا حين يظهر إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه على أي حالٍ نحنُ والآيات. ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ الملائكةُ هنا في مقام اعتراضٍ ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ أو هنا يستفهمون استفهاماً استنكارياً ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ الإفساد هو معاكسٌ للإصلاح وسفكُ الدماء هو أعلى درجات الإفساد فهم تحدثوا عن الإفساد بشكلٍ عام ثم بينوا مصداقاً من أوضح مصاديق الإفساد ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ وسفكُ الدماء هو أعلى درجات الإفساد في الأرض هذا المعنى من أين عرفهُ الملائكة؟ هذا المعنى عرفهُ الملائكة من عدة جهات:

إما أنهم استصحبوا الحالة السابقة من الاستخلاف في الأرض لأن الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الإنسان على الأرض وقبل أن يُنزل الإنسان إلى الأرض كانت هناك أمم أخرى كان هناك نوع آخر من الخلق كما في الروايات قبل الإنسان كانوا الجان، كانت الجن هي التي استُخلِفت في الأرض وعلى الأرض ومراد استخلفت يعني عاشوا في الأرض وقد أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فيها، قتلوا بعضهم بعضاً، وقبل الجن كان هناك النسناس، النسناس هذه الكلمة كلمة النسناس قد تُطلق على بعض الحيوانات فيُقال على بعض الحيوانات أنها نسناس لكن المقصود هنا من كلمة النسناس خلقٌ آخر قبل الجان كانوا يعيشون في الأرض وافسدوا فيها، فمعرفة الملائكة من جهة الإفساد في الأرض ومن جهة سفك الدماء بحسب ما كانوا قد رأوه في الأمم التي عاشت قبل بني البشر كما في الروايات فكان هناك النسناس وقلت المراد من النسناس خلقٌ آخر ليس ما يستعمل مثلاً قد تُطلق كلمة النسناس على البعض من أنواع القرود وقد تطلق كلمة النسناس على بعض الحيوانات وهذا موجود في اللغة وفي كتب الحيوان وفي كتب التأريخ إطلاقُ كلمة النسناس على بعضٍ من أنواع القرود أو على بعضٍ من أنواع الحيوانات الأخرى الشبيهة بالقرود ولكن حينما استعملُ كلمة النسناس هنا فهي بحسب الاستعمال الروائي بحسب الاستعمال الحديثي وهي أمم كانت موجودة في الأرض وافسدت فنفاها الله سبحانه وتعالى وأخرجهم من الأرض نُفيت هذه الأمم أخرجت هذه الأمم وجاء بعد ذلك بعدهم الجان وأيضاً الجان نفوا من الأرض بسبب الإفساد ثم أن الله سبحانه وتعالى أنزل الإنسان على الأرض فعلم الملائكة آتٍ مما جرى في الأجيال السابقة من الخلق ومن المخلوقات الأخرى التي سبقت بني البشر لذلك ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ .

وقد يكون علم الملائكة بهذا الأمر متأتٍ من طبيعة معرفتهم بالعالم الأرضي وهو عالمٌ ضيق عالمٌ ترابي ومن يعيش في هذا العالم يحتاج إلى مجموعة من الشهوات من الرغبات من الخصائص فحينما يعيشُ المخلوق، المخلوقات أياً كانت في هذا العالم الأرضي بسبب ضيق هذا العالم وبسبب كونهِ أنهُ عالمٌ للتزاحم في المصالح وعالم للتضاد في الرغبات فذلك يؤدي إلى نشوء الخلافات وبالتالي قد يؤدي إلى الإفساد وإلى سفك الدماء، هذا كلامٌ يقولهُ جملة من المفسرين قد يكون مقبولاً من الجهة المنطقية والعقلية لكن لا دليل على ذلك يدل عليه من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وربما أن الملائكة كانوا يرون المستقبل كانوا يرون الأحداث التي ستحدث بشكلٍ إجمالي كانوا يرون الأحداث بنحو إجمالي فيرون ماذا سيجري في مستقبل الأرض ولذلك قالوا هذا الكلام ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ ثم قارنوا فيما بينهم وبين الخليفة المتوقع ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ والتسبيحُ هو التقديس، التسبيح إذا أردنا أن

نشخص معناه بدقة التسبيحُ هو التنزيه، التسبيحُ قد يقال التسبيح هو التنزيه والتقديس ويصح هذا الكلام لكن لأن الآية هنا ذكرت التسبيح وذكرت التقديس ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ ونحن ننُزِّهُك، نُنزِّهُك عن كل نقصٍ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ من الجهة اللفظية ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ كما نقول في ركوعنا وسجودنا سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، كما نقول سبحان الله والحمد لله، التسبيحُ مع التحميد ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديس هو الإجلال، التقديس هو الإجلال والإجلالُ المراد منهُ المرادُ من الإجلال هو نفيُ النقائص ونفيُ النقائص وهو الخضوع والخشوع وهو الهيبةُ وهو الخشيةُ أيضاً، الإجلال إنما يتجلى معناه بكل هذه الأوصاف وبكل هذه الصفات.

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ: يعني أنكم يا ملائكتي تتحدثون وتتكلمون وفقاً لمعرفتكم ولِمَا عندكم من معرفةٍ محدودة الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الملائكة بحسب علمهم أياً كان هذا العلم إن كان استناداً لما رأوه في المخلوقات السابقة، الأجيال السابقة، القرون الماضية قبل البشر على الأرض أو لاستنتاجهم من أن هذا العالم عالم ضيق وهو عالم تزاحم وتضادات أو أنهم كانوا يعلمون بشيءٍ عن المستقبل، كان عندهم علم، الملائكة تكلموا وفقاً لعلمهم أياً كان هذا النوع من أنواع العلوم عند الملائكة فهم قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ حكموا على هذه الخليفة ثم بينوا موقفهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ كان الكلام من الله سبحانه وتعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أنتم تتحدثون بعلمكم وأنا حين قررتُ أن أجعل خليفة فإنما ذلك بعلمي وبحكمتي فإذاً الأساس في معرفة الحقائق هو العلم والحكمة ولذلك سيأتينا أن الله سبحانه وتعالى فضَّلَ آدم على الملائكة بأي شيءٍ؟ فضَّل آدم على الملائكة بالعلم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ هذا الجو طبعاً الروايات تتحدث بأن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام من طينةٍ من الأرض وهناك تفصيل في كيفية خلقتهِ أنا قلت الروايات كثيرة ولا يسع المجال للخوض في كل تفاصيلها ثم بعد ذلك نفخ فيه من روحه والكلام هنا في هذه الآيات تتحدث عن الجو وعن الوقت وعن المرحلة التي بدأ الله سبحانه وتعالى تتكاملُ بأمرهِ خلقة آدم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ ولا أريد هنا أن أشير إلى الاختلافات في معنى الأسماء هناك اختلاف بين المفسرين وكلامٌ كثير لا أريد الإشارة إليه لكن من خلال نفس الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء

﴿كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ الآن أي إنسان يعرف اللغة العربية لَمَّا يقرأ هذه الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ إذا كانت هذه الأسماء مجرد ألفاظ فسيقول ثم عرضها لا يقول ثم عرضهم إذاً هناك مخلوقات، إذاً هناك كائنات وهذه الكائنات كائنات مذكرة عرضهم عرض هذه الكائنات المذكرة، هناك حقائق ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ فلو كانت الأسماء هذه مراد منها ألفاظ كما يقولون أنهُ اسمُ الجبل للجبل واسمُ الماءِ للماء واسم الحجر للحجر وهكذا لقالت الآية ثم عرضها وليس ثم عرضهم، ثم هل من المنطق أن يُعدَّ هذا علماً بسببهِ يُفضِّلُ الله سبحانه وتعالى آدم على الملائكة ويأمر الملائكة بالسجود لآدم بسبب هذا العلم؟!

العلم بالألفاظ اللغوية ليس علماً وليس ميزةً حتى الببغاء يمكننا أن نُلقنهُ ألفاظاً فيقولها ترديد الألفاظ وإن كان الببغاء لا يعلم معاني الألفاظ لكننا يمكن أن نلقنهُ الألفاظ، العلم بالألفاظ والعلم بالمعاني اللغوية فقط مجرد حروف وأصوات ليس فيهِ الشيء الكثير من الميزة أو التمايز بحيث أن الله سبحانه وتعالى يأمر الملائكة أن تسجد لآدم بسبب هذا العلم لابد أن تكون هناك حقيقة أخرى، أنا قلت في أول حديثي قصة آدم عليه السلام قبل النزول إلى الأرض هي قصةٌ خارج حدود التأريخ هي قصةٌ مليئة بالرموز ليس كما مثلاً تُذكر بهذا الشكل المبسَّط أنهُ خلقهُ من الطين وأدخلهُ في الجنة ثم بعد ذلك أكل فاكهةً من شجرة وبسبب أنهُ أكل أنزلهُ الله إلى الأرض والكثير من الناس يتصورون لأن آدم أكل من هذه الشجرة من التفاح أو من الحنطة أو من العنب على اختلاف الأقوال في هذه الشجرة أنزلهُ الله، الله سبحانه وتعالى كان قد رسم برنامجاً لآدم منذُ البداية وقبل أن يُدخلهُ إلى الجنة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني إن الله سبحانه وتعالى كان قد قرر قبل أن يدخل آدم إلى الجنة قد قرر أن يُنزلهُ إلى الأرض فمن هنا يكون أكلُ آدم وقُربُ آدم من هذه الشجرة وتناول آدم لثمار هذه الشجرة كان جزءاً من عملية إعدادهِ وإنزالهِ إلى الأرض ولم يكن كان المقرر لآدم أن يبقى في الجنة فلأنه أكل من الشجرة فنزل إلى الأرض.

الله سبحانه وتعالى قد قرر هذا الأمر قبل أن يدخل آدم إلى الجنة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فالقضية فيها أبعاد كثيرة لذلك قلت بأن قصة آدم قبل النزول إلى الأرض هي قصةٌ خارج حدود التأريخ لا يمكن أن تُفهم بهذا الفهم السطحي وكأنها حدثٌ تأريخي خُلِقَ من طينٍ فدخل الجنة فأكل فنزل إلى الأرض هذه قصةٌ رمزية ملئى بالرموز وهذه الرموز تتحدث عن مراحل الخلقة التكوينية لآدم، الله سبحانه وتعالى لَمَّا قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هذا الخليفة يختلف عن الأقوام السابقة،

عن القرون السابقة، النسناس حينما خلقهم الله في الأرض ما كانوا يمثلون الله في الأرض والجان حينما خلقهم الله سبحانه وتعالى وأنزلهم في الأرض فما كانوا يمثلون الله ما كانوا خلفاء لله كانوا يعيشون على الأرض لكنهم لم يكونوا خلفاء هذا الجيل من الخلق، بنو البشر تتحقق فيهم معاني الخلافة وليس تتحقق معاني الخلافة مثلاً في شخصي أنا أو في أشخاص الآخرين، معاني الخلافة تتحقق في الخليفة الذي يحمل السمات والصفات والأوصاف كما قلتُ قبل قليل تخلَّقوا بأخلاق الله المعنى الأتم والأكمل للذين تخلَّقوا بأخلاق الله واتصفوا بصفات الله النبي الأعظم والأئمة المعصومون، الخلافة الحقيقية تتحقق في هؤلاء وآدم سجدت لهُ الملائكة لأي شيءٍ؟

لأنهُ كان يحمل علماً في شأن هؤلاء ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ ما المراد من علم آدم بالأسماء؟ ما المراد من هذا العرض نحن لا نملكُ تصوراً كاملاً عن هذه القضية، نعم ورد في الروايات ورد عندنا في الروايات عن إمامنا الحسن العسكري وعن غيرهِ أن الله سبحانه وتعالى ثم عرضهم عرضَ أرواح الأنبياء أرواح النبي وأرواح الأئمة على الملائكة يعني عرضَ صورهم عليهم في عالم الروح في عالم المثال في عالم الملكوت ومثلُ هذه الروايات إنما تُقرِّبُ لنا المعاني نحن هنا لا نملكُ تصوراً دقيقاً عن المراد من علم آدم بالأسماء لكن قطعاً ليس هو كما يقولون علم آدم بالأسماء أن الله علمه قال هذا الشيء اسمهُ جبل وهذا الشيء اسمهُ شجرة وهذا الشيء اسمه ماء وهكذا وهو المعرفة بالألفاظ.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ الأسماء جمعٌ لاسم والاسم مأخوذٌ من السِمة والسِمَة هي العلامة والمراد من العلامة يعني العلامة الكاشفة عن الحقيقة العلامة الموصلة إلى الحقيقة، المراد من الأسماء هنا الحقائق يعني نحنُ الآن حينما نسمي شخصاً باسمٍ من الأسماء هذا الاسم هو صحيح مؤلف من حروف وهذه الحروف حينما يلتصق بعضها بالبعض الآخر فإنها تُشكل لفظاً عبارة عن صوت فحينما نسمي شخصاً بحسن أو حسين هذه التسمية تكاد تذوب وتفنى في وجوده فحينئذٍ حينما نقول حسن ماذا يتبادر إلى الذهن؟ لا يُتبادر إلى الذهن هذه اللفظة وإنما حينما نقول حسن رأساً تنقدح في الذهن صورة هذا الشخص بلحمهِ ودمهِ وعقلهِ وروحهِ وبدنهِ هذا الشخص الذي اسمهُ حسن مثل ما تفنى هناك يحدث حالة فناء بين المرآة والصورة حينما نقف أمام المرآة حينما يقف الشخص أمام المرآة وهو ينظر إلى صورتهِ في المرآة هو الآن ينظر إلى المرآة وإلى الصورة لكنه سينسى المرآة يبقى نظرهُ موجهاً إلى الصورة فقط حينما يريد الإنسان أن ينظر إلى صورتهِ في المرآة هو في الواقع ينظر إلى الصورة وإلى المرآة لكنهُ سيغفلُ عن المرآة ويبقى نظرهُ مشدوداً إلى الصورة وكأنهُ ليس أمامهُ مرآة وإنما أمامهُ صورة فقط لحصول نوع من أنواع الفناء والاندكاك بين معنى الصورة ومعنى المرآة، هذا نفس الشيء يحدث بين الأسماء والمسميات فحينما نسمي شخصاً باسم حسن ونتحدث عن حسن

ننسى أن هذه لفظة وهذه كلمة متألفة من الحاء والسين والنون وهذه حروف وأصوات وإنما حينما نقول حسن فنعني به هذا الكائن البشري بهذه الاوصاف المُشخِّصة والمُميزة له فقيل لهُ أسم لأنهُ سِمة وعلامة وهذه السِمة والعلامة تندكُ في المسمى بحيث يكاد يكون الاسم هو المسمى والمسمى هو الاسم فحينما ننظر إلى حسن الشخص نتذكر الاسم حسن وحينما نذكر أسم حسن نتذكر المسمى الذي هو الشخص فيكون هناك اندكاك فالأسماء هي حقائق ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء﴾ علَّمَهُ الحقائق، هذه الأسماء مندكة في المسميات ولذلك في الروايات أن آدم رفع نظرهُ إلى العرش فرآى الأسماء الخمسة مكتوبة على العرش رآى أسم محمَّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والروايات في هذا كثيرة، وسأل عن هذه الأسماء وأخبرهُ الله سبحانه وتعالى بذلك وحتى حينما دخل في المراتب العالية من الجنان فإنه رآى هناك مثال الزهراء صلوات الله وسلامه عليها وتفاصيل كثيرة في الروايات.

وأنا قلتُ في أول حديثي هناك روايات وأحاديث كثيرة عن هذا الموضوع لكن لا يسع المجال للخوض في كل جزئياتها، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء﴾ علم آدم كان بحقائق وليس بألفاظ وبهذا العلم تميَّزَ آدم على الملائكة، هناك علمٌ بحقائق وليس بألفاظ يعني إن الله سبحانه وتعالى استخلف آدم في الأرض ليس لأنهُ يعرف أن هذا الارتفاع الأرضي اسمهُ جبل وأن هذا المكان الذي يجري فيهِ الماء اسمه النهر وهكذا وإنما كانت هناك ميزة في آدم أن الله سبحانه وتعالى وهبهُ علماً ومعرفةً بحقائق لم تكن الملائكة محيطةً بها لم تكن الملائكة على علمٍ بها فلمَّا عرفت الملائكة قيمة هذا العلم وقيمة هذه المعرفة عند آدم سجدت لآدم وأقرت بالخضوع لآدم لأن الملائكة هنا لَمَّا عُرضت عليها الحقائق فعرفت إن آدم وعاء أفضل منهم لذلك كان وعاءً لمعرفة هذه الحقائق أما الملائكة فقط عُرضت عليهم الحقائق يعني حصل عندهم علمٌ إجمالي العلم التفصيلي كان عند آدم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ كلها إشارة إلى أن الحقائق كانت مفصلةً عند آدم ولكن بالنسبة للملائكة الملائكة كانت تجهلُ هذه الحقائق فَعُرِضَ عليها عرضٌ إجمالي ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء﴾ بحقائقهم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ نحنُ حين اعترضنا وقلنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ تحدثنا بما عندنا من العلم الذي هو منك أيضاً ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فهناك علمٌ وحكمة ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ إنك العالم وإنك الحكيم ومن هنا كانت فضيلةُ آدم لمعرفتهِ بهذه الحقائق ولذلك إبليس

حسدهُ، إبليس حسد آدم لأي شيءٍ؟ لهذا الفضل الذي نالهُ أبونا آدم عليه السلام لهذا الفضل الذي نالهُ بمعرفة تلكم الحقائق، أيُّ الحقائق؟! الحقائق التي تمثلُ معنى الخلافة.

الله سبحانه وتعالى أراد أن يستخلف في الأرض خليفة وهذا الخليفة وهذا البرنامج هذا النظام نظام الخلافة لا يتحقق بشكلهِ الكامل إلا عبر هذه الحقائق عبر هذه الأسماء ولكن هذه الحقائق كيف تتنزل إلى الأرض لابد أن تتنزل في سياقٍ يتناسب مع العالم الأرضي لذلك كان التنزُّل الأول آدم عليه السلام ومن ثم الأنبياء الذين جاءوا بعد آدم عليه السلام إلى أن وصلت الفترة المناسبة والزمان المناسب فكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا كان البرنامجُ وهكذا كان المشروع الإلهي إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فهذه الأسماء هي حقائق وليست ألفاظ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾ عرضهم أراهم هذه الحقائق كما قلتُ قبل قليل نحن لا نملك صورةً واضحةً كاملةً عن كيفية العرض وعن كيفية علم آدم بالأسماء لكنَّ الإشارات الواضحة في هذه الآيات والكلام الذي ورد في روايات أهل البيت يشير إلى هذه القضية إلى قضية أن آدم كان قد علم علمهُ الله الحقائق وليست أسماء وألفاظ.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يعني أن كنتم صادقين في دعواكم باعتبار أنهم ماذا ادّعوا؟ ﴿قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾ ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ تدّعون أنكم تعلمون عواقب الأمور وتعرفون أن الخليفة الذي قلت لكم بأنهُ سيكون خليفةً في الأرض أنهُ سيفسد ويسفك الدماء ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وهنا الكلام غيب السماوات والأرض، غيبُ السماوات والأرض يعني الحقائق الغائبة ما وراء ما يعلمهُ الإنسان ما وراء ما تُدركهُ الملائكة هناك غيب هناك عالم الشهادة في السماوات والأرض بالنسبة للملائكة هناك أيضاً عالمٌ للشهادة بالنسبة لهم الشهادة والشهود، الشهادة ما المراد منها؟ نحن حينما نقول أشهدُ المراد أشهدُ من جملة معانيها أحضرُ، يُقال شَهِد فلان يعني حضر فهناك عالمٌ نحن في محضرهِ.

الملائكة أيضاً هناك عالمُ الملائكة في محضرهِ محضرُ الملائكة عالم الملائكة لكن لهذا العالم غيب غيبٌ وراء هذا المحضر فهنا الآية ماذا تقول ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الله يقول للملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الإشارة واضحة أن الحقائق التي تحدَّثَ عنها آدم والحقائق التي علمها الله لآدم

هي من ذلك العالم من عالم غيب السماوات والأرض من غير العالم الذي كانت تعيشُ فيه الملائكة، من غير محضر الملائكة مثل ما نحن نعيش في عالم الشهادة وهناك غيب وعالم الشهادة بالنسبة لعالم الغيب لا يوجد وجه للمقايسة حتى إذا قلنا القطرة إلى البحر فهذا شيءٌ كثير يعني ما يتجلى في عالم الشهادة بالنسبة لنا إذا أردنا أن نقايسهُ مع ما هو خفيٌ عنا في عالم الغيب فحتى لو أردنا أن نجعل المقايسة بالقطرة إلى البحر فإن ذلك كثير فهناك عالم الشهادة والغيب أيضاً للملائكة، المحضر العالم الذي تحضرهُ الملائكة تقطنهُ الملائكة هو عالم الشهادة بالنسبة لها وهناك عالم الغيب ما ورائهُ فهذه الحقائق التي علَّمها الله لآدم هي حقائق من وراء الغيب من وراء عالم الشهادة الذي كانت تقطنهُ الملائكة.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يعني هذا العلم الذي جاء بهِ آدم هو من عالم الغيب بالنسبة للملائكة قد تكون هناك الكثير من الحقائق بالنسبة لنا غيب وبالنسبة للملائكة ليست بغيب لأن الملائكة هم أيضاً جزءٌ من الغيب بالنسبة لنا فما كان من علمٍ عند آدم كان غيباً مُطلقاً بالنسبة للملائكة لذلك الباري سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ثم قال ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الباري هنا سبحانه وتعالى يشير إلى علمهِ بما في نفس إبليس لأن إبليس الروايات تقول الله سبحانه وتعالى لَمَّا خلق آدم من فخار من طين وتركهُ ممدوداً لمدة أربعين سنة الروايات تقول إن إبليس كان يمر عليه ويقول لأمرٍ ما خُلقت يمر على الجسد الطيني لآدم قبل أن تُنفخ فيهِ الروح ويقول له لأمرٍ ما خُلقت وكان ينقدحُ في نفسهِ هكذا يقول لو أُمِرتُ أن أسجد لهذا المخلوق لَمَا سجدتُ له إبليس كان غاية في الذكاء وبقي هو غاية في الذكاء لكن في الذكاء الذي يقودهُ إلى الباطل وإلى الضلال فحينما كان يمر على الجسد الطيني لآدم عليه السلام يقول لهُ لأمرٍ ما خُلقت وكان قلبهُ يتوجس فكان هكذا يفكر لو أُمرتُ بالسجود له لو أن الله أمرني بالسجود له لَمَا سجدتُ له الآية تشير إلى هذه القضية ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يعني ما تظهرونه ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الملائكة لم يكونوا يكتمون شيئاً وإنما إبليس كان يكتم هذا الأمر في نفسهِ لذلك الله سبحانه وتعالى أصدر الأمر للملائكة ولم يصدر أمراً خاصاً لإبليس لأنه كان عالماً بأن إبليس لن يسجد ولكن هو إبليس كان يعيش في جملة الملائكة فالأمر يشملهُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ هذا الإباء والاستكبار استكبر إبليس على آدم ورأى نفسهُ أنهُ أفضل من آدم لكن ما هي أفضليةُ آدم؟ أفضليةُ آدم هو علمهُ بالحقائق المقدسة الأولى هو علمهُ بِمُحَمَّدٍ وآل محمَّد فكان تكبر إبليس على آدم هو تكبر على أهل البيت

لذلك التكبر على أهل البيت جريمة لا يمكن أن تغتفر وجريمة لا يمكن أن تنتهي ولذلك إبليس لن يصل إلى فلاحٍ أو إلى نجاح إبليس نهايتهُ واضحة لأن التكبر على أهل البيت ولأن العناد مع أهل البيت هذه جريمة لن تغتفر وجريمة تؤدي بالإنسان إلى الخلود في جهنم ولذلك خلود إبليس في جهنم هو هذا التكبر لأن أفضلية آدم كانت بعلمهِ بالأسماء بعلمهِ بهذه الحقائق المقدسة وإبليس تكبر على آدم رغم أنهُ يحمل هذه الميزة فكان التكبر على هذه الميزة فمن هنا التكبر والعناد، عناد أهل البيت والتكبر على أهل البيت يقود إلى هذه العاقبة السيئة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ﴾ الملائكة عرفوا الحقيقة أن آدم مُفضَّلٌ عليهم أن آدم مُمَيَّزٌ عليهم، للعلم في روايات أهل البيت إن آدم عليه السلام فُضِّلَ على الملائكة لأنهُ اشتمل على نور شيعة أهل البيت وليس على أنوار أهل البيت هذا المعنى موجودٌ في رواياتنا أنا قلت الروايات كثيرة الواردة في قصة آدم وفيها رموز ومعاني كثيرة ولا أريد الخوضَ في كل تفاصيلها لكن موجود عندنا في روايات أهل البيت إن الميزة التي مُيِّزَ بها آدم على الملائكة هو اشتمالهُ على أنوار شيعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة سجوداً لهذه الميزة ولهذه الخصيصة وهذا مطلب يحتاج إلى توضيح ولست الآن بصدد الدخول فيه لكن بالجملة إن الميزة التي ميّزت آدم على الملائكة هو معرفته بهذه الحقائق هذه الحقائق التي تَمُتُّ إلى أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ كان من الكافرين: البعض من المفسرين يقول بأنهُ كان المراد منها يعني كان في الماضي يعني حتى قبل أن يصدر أمر السجود، قبل صدور أمر السجود لنيتهِ أنهُ التي حدثت في قلبه بأنهُ لو أُمِرَ بالسجود لهذا المخلوق لَمَا سجد لهُ أن الكفر بدأ من تلكم اللحظة وعلى أي حالٍ أنا لا أريد الدخول في كل هذه الجزئيات ﴿فَسَجَدُواْ﴾ الملائكة ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ كان من الكافرين بهذا الإباء وبهذا الاستكبار ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ هذه الجنة هل هي جنةٌ على الأرض؟! هل هي جنةُ الخُلد؟! هل هي جنةٌ في موطنٍ آخر؟! في السماء ما بين السماء والأرض؟! قطعاً هي ليست جنة على الأرض لأنهُ الآيات تتحدث بعد ذلك عن الإنزال الآية الثامنة والثلاثون ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾ هناك هبوط، هبوط إلى الأرض فقطعاً الجنة ليست على الأرض لأن البعض من المفسرين ذهب إلى أن الجنة على الأرض الآية تقول ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾ هناك هبوط فإذاً هي في موضعٍ غير موضع الأرض وفي موضعٍ

أعلى من الأرض، هل هي جنةُ الخلد؟! قطعاً لا، لأن جنة الخلد فيها مواصفات وفيها خصائص الذي يدخل فيها لا يمكن أن يخرج منها، حينما أقول الذي يدخل فيها لا يمكن أن يخرج منها لا أن يُفهم الكلام هكذا وكأنها بمثابة حديقة وفيها قانون وهذا القانون مكتوب على باب الحديقة أن من يدخل لا يجوز لهُ أن يخرج يعني تُسلب منهُ حرية الخروج هذه المعاني معاني ساذجة المراد من أن جنة الخلد الذي يدخل فيها لا يمكن أن يخرج منها لأن جنان الخلد ليست قضية بساتين وأشجار، هذه مرتبة من مراتب الخلق، وهذه المرتبة لها خصائص وأوصاف ومميزات من يدخل في هذا العالم، يعني على سبيل المثال من يخرج من بطن أمهِ لا يمكن أن يعود إلى بطن أمهِ حينما كان في بطن أمهِ كان في مواصفات هناك عالم هو عالم الرحم له خصوصياته ومميزاته فحينما خرج من هذا الرحم ودخل إلى عالم الحياة على الأرض هذا عالم آخر لها خصائصهُ ومميزاته لا يمكن أن يرجع إلى رحم أمه وهكذا حينما يموت الإنسان وينتقل إلى عالم البرزخ فعالم البرزخ أيضاً لهُ خصائصهُ ومميزاتهُ.

عالمُ الجنان أيضاً، جنةُ الخلد هذه الجنة جنة الخلد هذا العالم عالمٌ له خصائصه ومميزاته من يدخل في هذا العالم لا يمكن أن يخرج منه لا يعني أن هناك قانون مكتوب على باب الجنة أنهُ من يدخل فيها فكأنها مثل السجن لا يجوز لهُ أن يخرج منها، ليس هذا المعنى، هذا معنى سطحي وساذج وإنما عالم الجنان هو عالم له خصائصه ومميزاته والآن ليس الحديث عن مثل هذه المعاني لأننا إذا أردنا أن نُسهِبَ في بيان هذه الحقائق فنحتاج إلى وقتٍ طويل جداً، فهي ليست جنة الخلد ولا جنة على الأرض وإنما هي جنةٌ في السماء جنةٌ ما بين الأرض والسماء جنةٌ في مكانٍ عالٍ ما بين الأرض والسماء في السماء، ورد عندنا في الروايات أنها من جنان الدنيا مقصود من جنان الدنيا يعني من جنان سماء الدنيا يعني من الجنان التي هي في الجانب الأدنى، هو لماذا سميت دنيا لماذا سميت سماء الدنيا؟ السماء الدنيا يعني السماء التي هي أدون ما تكون أدنى ما تكون إلى الأرض الدنيا مأخوذ فيها هو هذا المعنى مأخوذ فيها معنى القرب ومعنى الدونية أيضاً أدنى أدون هناك معنى القرب، القرب من العالم الأرضي وفيها معنى الدونية هي الأدنى الأقل الأسفل. فعندنا في الروايات أن هذه الجنة من جنان الدنيا ليس من جنان الأرض وإنما من جنان العالم الدنيوي العالم الدنيوي ليس محصوراً في الأرض فقط العالم الأدنى العالم الأسفل، أليس تسمى السماء الدنيا لأنها أدون السماوات على أي حالٍ، فالجنة هذه لا هي من جنان الأرض ولا هي جنة الخُلد ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدا﴾ رغداً هنيئاً، العيشُ الرغيد العيشُ الهنيء ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ لكما الحرية المطلقة في هذه الجنان ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ ولكن ﴿وَلا تَقْرَبَا

﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لا تقربا والتعبير القرآني الموجود في القرآن الكريم عن هذه الشجرة لا تقربا لم نجد لا تأكلا ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ مثلاً قصة آدم أيضاً ذُكِرت في سورة الأعراف المباركة ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أيضاً هنا نهيٌ بعدم التقرُّب أيضاً ذُكِرت في سورة طه لكن لم يرد ذكر لعدم القرب وإنما ذُكِرت أوصاف الجنة ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ إلى آخر ما ورد في الآيات من سورة طه في قصة أبينا آدم عليه السلام.

﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أيَّةُ شجرة هذه؟ قالوا شجرة التفاح، وقالوا شجرة التين، وقالوا شجرة العنب، وقالوا شجرة الحنطة وقالوا وقالوا. وقالوا شجرة العلم، وقالوا شجرة الخُلد، وقالوا وقالوا. حينما سألوا الأئمة عدة روايات مثلاً عبد السلام بن صالح الهروي يسأل الإمام الرضا عليه السلام وحتى غير الإمام الرضا من أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لَمَّا سألوهم عن الشجرة هل هي شجرة الحنطة كما هو المشهور؟! المشهور في رواياتنا أن هذه الشجرة هي شجرة الحنطة، طبعاً الحنطة فيها رمزية، الحنطة هي شجرة الخبز، الخبز من أين يأتي؟ الحنطة هي معدن الخبز أساس الخبز ولولا الخبز لا صمنا ولا صلينا، الخبزُ رمزيتهُ رسول الله صلى الله عليه وآله، الخبز هو ولاية النبي وولاية أهل بيتهِ هذه الأشياء لها رمزية ربما نتحدث في يومٍ من الأيام عن الرمزية في المصطلحات القرآنية وعن الرمزية في كلمات أهل البيت وعن الرمزية في الوجود الرمزية ليست فقط في الألفاظ هناك رمزيةٌ في الموجودات مثلُ الماء، الماء هو رمزٌ لولاية أهل البيت الماء ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ الماء الطهور هو الذي يكون طاهراً في نفسهِ ومُطهراً لغيرهِ وتلك هي الولاية، الولاية هي الحقيقةُ الطاهرة بنفسها والمطهرة لغيرها الولاية الماءُ هل يطهرهُ شيءٌ آخر؟ الماء هو يُطهّرُ، الماء يُطهّرُ نفسهُ بنفسه، الماء يُطهرُ نفسهُ بنفسه ولاية أهل البيت أيضاً تحمل هذا المعنى ولاية أهل البيت تُطهرُ نفسها بنفسها ولاية أهل البيت تُمثلُ معنى أنها طاهرة ومعنى أنها طهور ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ فالخبزُ قلتُ الحنطة هي معدن الخبز والحنطةُ هي أصلُ الخبز والخبزُ هو رمزٌ لولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولولا الخبز لا صمنا ولا صلينا.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فالإمام ماذا قال؟ قال هذه شجرةٌ ليست كأشجار الأرض هذه شجرةٌ فيها الحنطةُ وفيها العنبُ وفيها التينُ وفيها التفاحُ وفيها كل الثمار كل أنواع الثمار وفيها العلمُ فيها كل المعاني

هذه الشجرة هي شجرةُ أهل البيت ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ لا تقربا شجرة أهل البيت الروايات تتحدث ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي أن لا تتمنوا المنزلة والمرتبة التي لأهل البيت لا تتمناها يا آدم لا تقترب من هذا المعنى فإن الحسد سيصيبك وأهل البيت قالوا نحن المحسودون ومن جملة معاني نحن المحسودون إشارة إلى الحسد الأول الذي كان في جنة آدم حينما حسد تلكم الشجرة لأن إبليس كيف غوى آدم؟ حينما نقرأ في سورة الأعراف ماذا قال لهما إبليس ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فمن هم الخالدون؟ الخالدون هناك أشخاص يعرفهم إبليس ويعرفهم آدم، هناك مجموعة خالدة وإلا لا يمكن أن يأتيهم بشيءٍ لم يكونوا قد عرفوه هو يريد أن يوسوس لهم هل يوسوس لهم بشيءٍ لم يكونوا قد عرفوه؟!

الآية في سورة الأعراف ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فالخالدون نفسُ الكلام ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ هؤلاء هم الخالدون الآية تتحدث ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وهذا العرض كان قد شاهدهُ إبليس، إبليس كان من جملة الملائكة لَمَّا بدأ العرض إبليس كان موجوداً مع الملائكة فماذا رأى؟ رأى هذا العرض الذي عبَّر عنهُ إبليس بالخالدين لذلك إبليس هكذا وسوس لآدم أنك إذا أكلت من هذه الشجرة فستكون من الخالدين الخالدون هذه الحقائق التي عُرضت على الملائكة ومن هنا بدأ الحسد مع أهل البيت لذلك قالوا نحن المحسودون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذه قصةٌ لكيفية خلق الإنسان بجميع هواجسهِ وبجميع حالاتهِ قصة تكاملية الآن الحديث عن قصة خلق الإنسان، لذلك مثلاً حينما نذهب إلى سورة الأعراف ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ يعني أن الأجهزة الجنسية، الأعضاء الجنسية والتناسلية لم تكن موجودة عند آدم وعند حواء كان هناك نقص في الخلقة وهذه عملية لإتمام الخلقة، لذلك نجد في سورة طه ﴿فَأَكَلَا﴾ لَمَّا أكلا من الشجرة ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ بدأت لهما سوآتهما بعد الأكل، إذاً عملية الأكل هي أيضاً عملية رمزية هي في جزء من تكوين إتمام خلقة آدم لأنهُ لابد أن ينزل إلى الأرض ولابد أن يتكاثر الإنسان على الأرض وحينما يتكاثر الإنسان على الأرض فإن آدم وإن حواء بحاجة إلى أعضاء تناسلية.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ كما قلت إن قصة أبينا آدم قبل

النزول إلى الأرض ليست كقصص التأريخ وليست كأحداث التأريخ هذه قصةٌ فيها رموز تتحدث عن كيفية خلقة آدم، آدم الذي ينزل على الأرض لابد أن تكون فيه جنبة ملائكية لذلك كان مع الملائكة لابد أن تكون فيه جنبة إلهية لذلك علَّمهُ الله العلم الخاص لابد أن تكون فيه جنبة شيطانية ولذلك تفاعل مع إبليس وكانت لهُ علاقة مع إبليس لابد أن تكون له جنبة أرضية فيها الجانب الشهوي لذلك بدت لهما سوآتهما فلابد ولابد هناك أجزاء تتكامل في بُنية التركيبة الإنسانية.

أليس الإنسان كما يقول علماء الأخلاق وعلماء الروحانيات أن الإنسان يشتمل على مجموعة من القوى هناك القوة العقلية التي تمثل الجانب الملائكي وهناك كذلك القوة الشيطانية التي تمثل الجانب الإبليسي وهناك القوة السبعية أو الغضبية التي تمثل الجانب الحيواني وهناك القوة الشهوية أو هناك القوة النامية التي تمثل الجانب النباتي فهذه النفس البشرية مشتملة على مجموعة وهناك طبعاً قوى أخرى قوى ما وراء هذه القوى وهي القوى الإلهية فهذه القصة هي قصة تكوين الإنسان، التكوين البشري لذلك ملئى بالرموز وأنا هنا لا أريد أن أدخل أيضاً في موضوع معصية آدم عليه السلام وقضية ترك الأولى وهذه مباحث قد تكون سطحية في جانب منها ولا أريد الخوض فيها لأن الكلام سيتشعب.

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أزلهما الشيطان عنها: نحن إذا أردنا أن نلتفت إلى لهذا التعبير القرآني ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عنها عن تعطي معنى التجاوز أليس يقولون أن عن تعطي معنى التجاوز ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عن أي شيءٍ؟ عن الجنة؟ قد يكون هذا المعنى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ لكن إذا نُدقق النظر أزلهما الشيطانُ عن ماذا؟ عن الشجرة ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ عن الشجرة فإذاً هي ليست قضية أكل لو كانت أكل لَمَا كان الشيطان يبعدهما عن الشجرة لكان الشيطان يقربهما للشجرة حتى يأكلان منها كيف يأكلا منها وهما يبتعدان عنها جسدياً تلاحظون العبارة دقيقة جداً ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ ربما قد يقول قائل فأزلهما الشيطان عن الجنة ومع ذلك يبقى التعبير فيه شيء من الضعف ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ أزلهما عن الشجرة يعني أبعدهما عن شجرة أهل البيت ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ بسبب هذا ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ هذي الفاء ترتيبية فترتب على ذلك ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ مما كانا فيه في الجنة ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يعني عداوة فيما بين إبليس وبين آدم وأمنا حواء ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين: هناك استقرار ومتاع ولكن إلى حين، الاستقرار يعني الفترة الطويلة والمتاع الفترة القصيرة فهناك من الناس من يستقرُّ من يطول عمرهُ وهناك من الناس يموت وهو في بطن أمهِ أو وهو في المهد فهناك استقرار ومتاع.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ فتاب عليه فرجع إليه تاب رجع فبعد أن نزل إلى الأرض والروايات تقول أن جبرئيل نزل إليه يواسيه فآدم وهو يتحدث مع جبرئيل عليه السلام طلب من جبرئيل أن يُذكرهُ بالأسماء التي رآها على العرش لأنهُ حين سأل الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى أجابهُ بأن هذه الأسماء هي أحبُّ الأسماء إليه فآدم طلب من جبرئيل أن يُذكِرهُ لأن إبليس أبعدهُ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أبعدهُ الشيطان عن الشجرة فنسيَ آدم، لذلك نحنُ حين نقرأ في سورة طه ماذا نقرأ؟ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وهذا العهد هو عهد الولاية وطبعاً هذا الكلام قبل أن ينزل إلى الأرض نحن لا نريد أن نحاسب أبانا آدم قبل أن ينزل إلى الأرض هذه عملية خلقة وإنما يُحاسب آدم بعد نزولهِ إلى الأرض كما قلت بأن قصة أبينا آدم قبل النزول إلى الأرض هذه قصةٌ أخرى فيها رموز وفيها إشارات وفيها حقائق وعملية تكوين وعملية خلق، لذلك عندنا في الروايات أيضاً أن آدم كان عنده أنيس، صديق من الملائكة، حينما كان آدم في الجنة كان هناك مَلَك من الملائكة كان صديقاً لآدم وأنيساً لآدم فلمَّا نزل آدم إلى الأرض وأصابهُ الندم وأصابهُ الأذى بما جرى في الجنة، الله سبحانه وتعالى أنزل إليه ذلك المَلَك كي يواسيه لأنهُ كان صديقاً له حينما كان في الجنة فمن جملة ما حَادثهُ المَلَك، حَادَثَ آدم قال يا آدم أنت عصيت وأنت يعني أصابك الأذى وأنّبت نفسك ولكن لتعلم يا آدم إن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا قبل أن تدخل إلى الجنة بأنك ستنزل إلى الأرض فقال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني إن هذا الأمر النزول إلى الأرض كان مُقدَّراً لك وعليك قبل أن تجري الأحداث التي جرت في الجنة.

فأعود إلى الرواية أن آدم طلب من جبرئيل أن يُذكرهُ بتلكم الأسماء بالأسماء الخمسة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ هذه الكلمات جاءت من طريق جبرئيل فأقسم على الله بالأسماء الخمسة بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فتاب الله عليه والروايات في هذا الموضوع كثيرة جداً وأنا قلت هذا المطلب بحاجة إلى تفصيل كثير لكن وقت البرنامج لا يسمح بذلك لأنني قلتُ في أول الحديث هذه القصة ليست قصةً تأريخية حتى أسرد لكم قصةً تأريخية في زمانٍ معين وفي مكانٍ معين هذه قصة قبل الزمان وقبل المكان

الأرضي قبل الزمان الأرضي وقبل المكان الأرضي في زمانٍ آخر غير هذا الزمان الذي نحنُ نعرفهُ وفي مكانٍ آخر غير هذا المكان الذي نحن نعرفهُ وفي عالمٍ فيه ملائكة وأجواء ملائكية وجنان، هذا في مقامٍ من مقامات الخلق غير هذا المقام الذي نحن نعيش فيه والروايات عن أهل البيت كثيرةٌ جداً لكن الآيةُ الأخيرة ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ في بعض روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن الكلمات التي دعا بها آدم:

يا محمودُ بحقِّ مُحَمَّد ويا عالي بحقِّ علي ويا فاطر بحقِّ فاطِمَة ويا مُحسِنُ بحقِّ الحسن ويا قديم الإحسان بحق الحُسين عَجِّل في فرج إمام زماننا صلواتك وسلامك عليه وعلى آبائه وأجدادهِ الأطيبين الأطهرين.

أسألكم الدعاء جميعاً وتصبحون على ولاية ومودّة أصحاب الكساء وفي أمان الله.

الحلقة السادسة

تفسير سورة البقرة من الآية ٣٨ الى الآية ٤٨

سلامٌ من الله عليكم جميعاً ورحمةٌ الله وبركاتهُ مسَّاكم الله بالخير والإيمان، وهذه الحلقة السادسة من برنامج قُرآنُنا. كان آخرُ الحديثِ في قصة أبينا آدم عليه السلام ووصلنا إلى الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة المباركة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الكلمات التي تلقاها أبونا آدم عليه السلام هي الأسماءُ الخمسة محمَّدٌ عَليٌّ فَاطِمَة حَسَنٌ حُسْين، وقد مرت الإشارةُ إلى ذلك. في كل حلقةٍ نتناولُ صفحةٍ من صفحات الكتاب الكريم الصفحة التي بين يدي تبتدئُ بالآيةِ الثامنةِ والثلاثين وهي آخرُ آيةٍ تتعلقُ بقصة الإستخلاف:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مرَّ علينا في الآية السادسة والثلاثين أمرٌ بالهبوط ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أزلّهما كما مرَّ في الحلقة الماضية أزلهما عن الشجرة أبعدهما عن الشجرة ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ هذا الأمر الأول بالهبوط وهناك الأمر الثاني الذي جاء في الآية الثامنة والثلاثين ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ الأمر الأول ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ هذا الأمر الأول هو أمرٌ بالهبوط التكويني نحن قلنا أن قصة أبينا آدم تتحدث عن خلقة الإنسان وعن تكوين الإنسان ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ عن الشجرة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ هذه أيضاً مرحلة من مراحل إتمام وتكوين خلقة أبينا آدم وأمنا حواء فهذا أمرٌ تكويني ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ لأن عملية الهبوط هذه ليست من سُلّمٍ موجود على الأرض عملية الهبوط هذه عملية الهبوط من الجنة التي كان فيها أبونا آدم فكيف يهبط ؟ أيملكُ جناحين؟ أم أنه يملك آلةً تجعلهُ يهبط من تلكم الجنة والتي هي ليست على الأرض فعملية

الإهباط وعملية الهبوط هذه هي عمليةٌ تكوينية.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ عملية الهبوط هذه تحتاج إلى عملٍ تكويني كي ينتقل آدم وأمنا حواء من الجنة التي كانا فيها إلى عالم الأرض فهذا الإهباط وهذا الهبوط هو عمليةٍ تكوينية في تتمةِ تكوينِ خلقة الإنسان، بعد الهبوط ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ هناك من المفسرين من يقول بأن الهبوط الأول هو هبوطٌ من الجنة ولكن ليس إلى الأرض إلى مكانٍ آخر إلى مكانٍ هو أدونُ من الجنة وفي ذلك المكان تاب آدم ثم جاء الأمر بالهبوط الثاني ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ فيكون قد هبط إلى الأرض وهو في حال توبة قد تاب وقد آبَ ورجع إلى الله سبحانه وتعالى ويمكن أن يُقبلَ هذا الكلام من جهةٍ من الجهات ولكن على أي حالٍ الذي يبدو من خلال العبارات اللغوية ومن خلال البناء اللغوي ومن خلال الروايات المروية عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الهبوط الأول هو هبوط إلى الأرض وهو هبوطٌ تكويني ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ هذا هبوطٌ تكويني وألا لا يتمكن الإنسان بقدرتهِ العادية أن ينزل من كوكبٍ آخر من عالم الملأ الأعلى من أي مكانٍ كانت فيه الجنة التي كان فيها أبونا آدم كيف ينزلُ إلى الأرض إلا بمعونةٍ تكوينية من الله سبحانه وتعالى؟!

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ هذا الأمر الأمر الثاني الهبوط الثاني هو بيانٌ وتوكيدٌ لمعنى الهبوط التكويني الأول ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ربما أن يُراد من الهبوط الأول هو الهبوط المعنوي ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾ هو الهبوط المعنوي الخروج عن الدرجة التي كانا فيها في الجنة والهبوط الثاني هو الهبوط التكويني الهبوط إلى الأرض وعلى أي حالٍ فإن الأمر بالهبوط هو أمرٌ تكويني لأنهُ لا يتمكن الإنسانُ بقدرتهِ العادية أن ينزل من ذلك المكان من ذلك الكوكب، من تلكم السماء، من تلكم الجنة، من أي مكانٍ كانت فيه الجنة إلى الأرض إلا بمعونةٍ من الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في كتب المفسرين ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ الهدى: هو الدين ونحن هنا لا نريد أن نقف عند كلمات المفسرين كثيراً، المفسرون كُثُر وأراء المفسرين كثيرة ونحن هنا في هذا البرنامج نحاول أن نُبيّن المعنى بشكلٍ مُيسر وبحسب ما جاء في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين وتقدَّمَ الكلامُ أنَّ الأُفق الذي كان يفهم الناسُ فيهِ القرآن في زمان رسول الله هو غير الأفق الذي نفهم فيهِ نحنُ القرآن الآن وفي كل عصرٍ لأن القرآن يجري مجرى الليل والنهار لأن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر هناك المرحلة الأولى مرحلةُ ما قبل بيعة الغدير كان هناك فهمٌ للقرآن يفهمه الناس وفقاً لضوابط معينة ومرحلةُ ما بعد بيعة الغدير كان هناك فهمٌ آخر وفقاً لضوابط بينها لنا الأئمة المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بينتها بيعة الغدير فبيعة الغدير بينت لنا من هو الذي سيفسر القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك في روايات أهل البيت ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ قال الهدى: عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه.

وهو نفس الكلام الذي مرَّ في الآيات الأولى من سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال ذلك الكتاب هو عليٌّ وعليٌّ هو الهدى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ وهذا الخطاب لآدم وللإنسانٍ عموماً ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ إلى أين يتجهون؟ إلى الأرض، الخطاب هنا إلى الأرضيين إلى الذين يعيشون على الأرض ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا غرابة في ذلك فإن الأصول الثابتة في روايات أهل البيت أنهُ ما من نبيٍ من الأنبياء نُبئَ وبُعِث إلا بنبوة نبينا وبولاية عليٍّ والأئمة قد يستغربُ البعضُ هذا الكلام هذا أمرٌ لا شأن لنا بهِ لكنَّ الذي لهُ أدنى مُسكة بروايات أهل البيت وبحديث أهل البيت وبتفسير أهل البيت للقرآن فإنهُ يجد أن هذه القاعدة من القواعد الأساسية والمهمة في فهم القرآن أنهُ ما من نبيٍ نُبئَ وما من نبيٍ بُعِث إلا بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وبولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله عليهم.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فلا خوفٌ عليهم: فلا خوفٌ عليهم من الضلال والذي لا يخافُ عليه من الضلال لا يُخافُ عليه من الجحيم، لماذا لا يخافُ عليهم من الضلال فَحُبُّ عليٍّ حسنةٌ لا تضر معها سيئة وبغضُ عليٍّ سيئة لا تنفع معها حسنة ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فمن تَبِعَ عليّاً ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا الحزنُ أينَ يكون؟ هناك حزنٌ في الدنيا ولكنَّ الحزن الحقيقي يبدأُ بعد أن تنقطع الأنفاس، الحزن الحقيقي يعيشهُ الإنسان يبدأ من ساعات الاحتضار الروايات الشريفة تحدِّثُنا أن الإنسان حين موتهِ يَحضَرهُ النبي والأئمة ويحضرهُ سيد الأوصياء بنحوٍ خاص هكذا تحدِّثُنا الروايات الشريفة والكتب الاعتقادية القديمة لعلمائنا مثل

الشيخ المفيد مثل الشيخ الصدوق واضراب هؤلاء العظماء في كتبهم الاعتقادية يُثبّتون من المسائل الاعتقادية الأصلية في كتب الاعتقاد عندنا أننا نعتقدُ بأن الميت حين يموت يحضرُ عندهُ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فإما أن يُبشرهُ بالجنة وإما أن يُبشرهُ بالنار ويُبشرهُ بالنار بالمعنى المجازي فإن الإخبار بالنار ليس بشارة ولكن على نحو المجاز لأن البشارة إنما هي بالخير فإما أن يخبره بمصيرهِ إلى النار وإما أن يُبشرهُ بمصيره إلى الجنة وستأتينا أيضاً في سورة الواقعة وفي غيرها من السور القرآنية الكريمة ما يشيرُ إلى هذا المعنى في كلمات أهل بيت العصمة فالحزنُ يبدأ منذُ ساعات الاحتضار منذُ اللحظة التي ينعقد فيها لسان الإنسان عن الكلام هنا حين يُبصرُ الإنسان وجه نبيهِ ووجه إمامهِ وهو مبتشرٌ وهو مسرور يُبشرهُ بالجنة فلا حُزن حينئذٍ ولكنَّ الحزن يبدأ من هنا حين يرى وجوه النبي والأئمة وهي مغضبةٌ عليه هنا يبدأ الحزن، الحزنُ الحقيقي يبدأُ من هذه اللحظة.

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فمن تَبِعَ عليَّاً ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ أيُّ آيات الله أعظم كلُّ شيءٍ في الوجود هو آيةٌ من آيات الله، أيُّ آيات الله أعظم ؟ عليٌّ والأئمة أم المراد من الآيات هي آيات الكتاب الكريم التي هي عبارة عن حروفٍ وكلماتٍ وأصوات أيُّ آيات الله أعظم؟ يعني نحن لنقل كما قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: **ما من آيةٍ لله أكبر منّي وما من نبأٍ لله أعظمُ منّي**. النبأ الأعظم والآية الكبرى والآية العظمى عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه أكبرُ الآيات، أعظمُ الأنباء، أعظمُ الآيات عليٌّ وآل علي ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ لو كانت الآيات هنا بالنحو العام لكل آيات الله فإن من أوضح مصاديق هذه الآيات هم عليٌّ وآلُ علي وإن كانت الروايات تُحدِّثُنا أن الآيات المذكورة هنا هم عليٌّ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد يستغربُ من يسمعني أن أفسر الآيات بهذا النحو الاستغراب يجب أن يكون من الذي يستغرب، الاستغراب يكون من جهلهِ بكلمات أهل البيت هذه كلمات أهل البيت من أراد أن يُراجع كلمات أهل البيت في تفسير القرآن الكريم فإنهُ سيجدُ هذه الكلمات التي أتلفظُ بها هي الكلمات الواضحة في بيانهم لمعاني القرآن وأما ما جاء به المفسرون بخلاف ما قالهُ أهل البيت فهذا من جيوبهم فأيُّ القولين أرجح وأيُّ القولين أهدى؟ قولُ أهل البيت أم قول غيرهم؟! وحتى لو قال قائلٌ وأراد أن يلعب معنا هذه اللعبة لعبة الأسانيد فنحنُ بين أمرين بين كلامٍ يقولهُ مُفَسِّرٌ من جيبه بحسب اجتهادهِ بحسب ذوقهِ بحسب ما يرى وبين روايةٍ لو قلنا بأنها ضعيفة السند فإن ضعيف السند لا يُقطع بأنهُ لم يكن صادراً من أهل البيت يمكن أن يكون صادراً من أهل البيت ويمكن أن لا يكون صادراً من أهل البيت، الرواية يُحتمل فيها وجهان إما تكون صادرة من أهل البيت وإما أن لا تكون صادرة، أما قول المُفَسِّر فهو راجعٌ إليه فإما أن يكون صحيحاً وإما أن يكون خطأً، المنطق ماذا يقول؟ أيُّ المكانين

أحرى بالإتباع؟ قولٌ لِمُفَسِّر يحتَمِلُ فيها الصواب والخطأ أم قولٌ يحتمل فيه أن يكون قد قالهُ المعصوم حتى وإن كان هناك احتمال لم يقلهُ ماذا يقولُ المنطق؟ ألا يقول المنطق أن نتبع القول الذي يحتمل فيه أن يكون قولاً للمعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فالغرابةُ إذاً والاستغرابُ يكونُ من الذي يستغربُ هذا القول، أما المخالفون لأهل البيت فلا شأن لنا بهم، المخالفون نحن نتركهم وشأنهم هنيئاً لهم بأئمتهم وهنيئاً لهم بتفاسيرهم وهنيئاً لهم بكل ما يعتقدون ولكن ستتبين الحقائق ستتضحُ الأمور هذه الدنيا ما هي إلا ساعة الدنيا ما هي إلا ساعة، أئمتنا يقولون إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه الإمام يقول: **إياكَ والحرام أصبر عن الحرام فما الدنيا إلا ساعة**. ساعة ما هو إلا صبر لمقطعٍ زمنيٍ محدود وينتهي بعد ذلك كل شيء حينما تنتهي الدنيا حينئذٍ ستتضح الحقائق حين يُكشفُ عن بصر الإنسان وعن بصيرة الإنسان حين يكون بصرُ الإنسان حديداً كما جاء في القرآن الكريم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ حين يكون البصرُ حديد حينئذٍ تتضح الحقائق.

﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾ أيها الناس يا أبناء آدم أيها الأرضيون ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ إنما خلدوا بسبب نياتهم لأن نيتهم كانت لو خلدوا في هذه الدنيا لكانوا على خلافٍ مع عليٍّ وآل علي لكانوا على بُغضٍ لعليٍّ وآل علي وإن كانوا يدّعون الحب والمودة فهو ادعاءٌ كاذب لأنك كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **لا تجد احداً في الناس يقول أنني أبغض مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد**. ولكن الجانب العملي، ما هو الحب؟ الحب هل هو ادعاء أم هو إتباع؟ ما هو الحب؟ هل هو كلام يُقال فقط ويُسطّر أم هو عقيدة حينما نتحدث عن حُبِّ محمَّدٍ وآل مُحَمَّد هل هو حُب لزوجة أو حب لعشيقة أو حب لصديق وحتى الحب للزوجة يترتب عليه جانب عملي وحتى الحب للعشيقة يترتب عليه جانب عملي في حياة الإنسان والحب للصديق والحب لأي شيءٍ حينما تُحب سيارتك أو تحب بيتك أو تحب دكانك أليس هذا الحب يدفعك للأعتناء بهِ وللأهتمام به لماذا الحب لآل مُحَمَّد يكون فقط بالكلام؟! لماذا لا يترتب عليه الأثر العملي مع أن الحب لآل محَمَّد حُبٌّ عقائدي وليس حُبَّاً دنيوياً كحب الزوجة أو حب العشيقة أو حب الصديق أو حب الولد أو حب الدكان أو السيارة أو البيت، الإنسان يُحِبُّ الحُبَ الدنيوي لزوجتهِ ولولدهِ ولأهلهِ ولآبائهِ ولعشيرته ولماله ويُرتبُ على هذا الحب الأثر العملي بل أن حياتهُ مشغولةٌ بالآثار العملية المترتبة على أنواع الحب هذا في حياته لكن حين يكون الكلام عن حُبِّ آل مُحَمَّدٍ هؤلاء المخالفون الذين يدّعون أنهم يحبون أهل البيت ماذا نرى من تطبيقٍ عملي في حياتهم يترتب على هذا الحب هم حين

يحبون ملوكهم وأمرائهم يترتب على هذا الحب، يترتب على هذا الحب أن يسيروا في ركابهم حين يحبوا أعداء أهل البيت يترتب على هذا الحب أن ينقلوا دينهم وأن يحدِّثوا بأحاديثهم وأن يذكروا مناقبهم دائماً ليل نهار لكن حين يكون الكلام عن حب أهل البيت فهو كلامٌ فارغ فلا ينقلون حديث أهل البيت ولا يتحدثون عن مناقب أهل البيت ولا يرسمون في قلوبهم صورةً لأهل البيت تعيش معهم إنما يرسمون صورةً لأعدائهم تعيش معهم، فأين هو حبُّ أهل البيت؟ فلذلك هذه الادعاءات التي يدّعيها المخالفون إنها كذبٌ في كذب، الحقيقةُ في مكانٍ آخر ونحن الذين ندّعي أننا من شيعتهم لماذا نستغرب قول أهل البيت في تفسير القرآني ولا نستغرب قول المخالفين فحين يصعد الخطيبُ منّا على المنبر وينقلُ من كلام المخالفين من كل تفاسيرهم فلا نجدُ استغراباً ولكن حين ننقلُ حديث أهل البيت نجدُ الاستغراب فأين هو الاستغراب الحقيقي؟ الاستغرابُ مما ننقل من رواياتهم أم الاستغراب من هذه المنابر الشيعية التي تنقل حديث المخالفين؟! أينَ الإنصافُ يا شيعة أهل البيت.

﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فمن تَبِعَ علياً ﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ﴾ بعليٍّ وآل عليٍ ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ستأتينا مجموعة كبيرة من الآيات تتحدثُ عن بني إسرائيل والقرآن خطابهُ على أنحاء، من جملة أنحاء الخطاب القرآني أنهُ نزل بإياكِ أعني وأسمعي يا جارة كما قال باقر العترة صلوات الله وسلامه عليه باقر العترة وصادق العترة وغيرهما من المعصومين بَيَّنوا لنا هذه الحقائق أن القرآن نزل بإياكِ أعني وأسمعي يا جارة، القرآن يفهمُ في عدة أفاق في أحد هذه الأفاق لفهم القرآن أننا نفهم القرآن بإياكِ أعني وأسمعي يا جارة لذلك ليس مستغرباً أن تجد في روايات أهل البيت أن هذا المصطلح بني إسرائيل في أحيان عديدة في الكتاب الكريم يُرادُ من ذلك الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في بعض المواطن، وإسرائيل كلمةٌ ليس عربية كلمة أعجمية إسرائيل كلمةٌ عبرية أو آرامية على اختلاف الأقوال في ذلك، ئيل هو الله وإسرا هو عبد وإسرائيل عبدُ الله، نعم هناك من قال إسرائيل قوة الله إسرائيل صفي الله على أي حالٍ في رواياتنا روايات عديدة إسرائيل عبد الله وعندنا رواية عن النبي صلى الله عليه وآله يقول أنا عبد الله واسمي أحمد يقول وأنا عبد الله واسمي إسرائيل وهي من أسماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عبد الله وهو صفي الله لا يعني أننا ننفي المعنى في أن إسرائيل هو اسم يعقوب لكن القرآن يُفهم بعدة أفاق ونحن هنا لسنا بصدد ذكر كل الوجوه التي جاء بها القرآن فإن للآية ظهراً وبطناً إلى سبعين بطن.

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ نحن الآن مع سياق الآيات التي تتحدث عن اليهود، عن بني إسرائيل أكثر من مئة آية

من هذه الآية من الآية الأربعين إلى أكثر من مئة آية الكلام عن قصص بني إسرائيل خطاباً مع هذه الأُمَّة لأي شيءٍ؟ لأجل الاعتبار فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنهُ سيجري في هذه الأُمَّة ما جرى في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة ذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى أنهم لو دخلوا جُحر ضبٍ لدخلتم فيه وحين سألوه هل أن هؤلاء هم اليهود والنصارى قال وهل الناس إلا ذلك.

فالحديث عن قصص بني إسرائيل في الكتاب الكريم وهناك مواطن عديدة وكثيرة نقلَ القرآن فيها قصص بني إسرائيل لأجل الاعتبار ولأجل ما سيجري في هذه الأُمَّةِ كما جرى في بني إسرائيل ولعلَّ من أبرز الوقائع المهمة والتي ستأتينا قصة هارون عليه السلام التي جرت بنفسها على سيد الأوصياء لذلك قال له النبي العظم أنت مني بمنزلة هارون من موسى لأن الذي جرى على هارون جرى على عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ويأتينا الكلام في حينها. ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أنا أشرت إلى هذه القضية لكي يُلتفت إلى أن ذكر قصص بني إسرائيل لوجود مطابقة كبيرة فيما جرى في بني إسرائيل وما جرى في هذه الأُمَّة على أهل البيت ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أيُّ عهدٍ هذا أخذهُ الله واتخذهُ الله على بني إسرائيل أيُّ عهدٍ هذا؟ العهد الذي بينتهُ لنا الروايات هو عهد الإيمان بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فكتب اليهود كانت تَعجُّ بهذه الحقيقة ولا زالت كتب اليهود إلى اليوم تَعجُّ بهذه الحقيقة وإن حُرِّفت هذه الكتب وأن عُمِّيت هذه الحقائق ولكن من أراد أن يبحثَ في بطون كتب اليهود سيجد الكثيرَ من الدلائل التي تشيرُ إلى هذا العهد.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أيُّ نعمةٍ هي نعمة الديانة ونعمة الهداية نِعَمُ الله لا تُعدُّ ولا تحصى لكنَّ الآية هنا تتحدث عن نعمة معينة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بما أنعمت عليكم من الأنبياء بما أنعمت عليكم من الكتب بما أنعمت عليكم من الحقائق التي بينها لكم نبيكم موسى من أهم هذه الحقائق هو أمرُ بني إسرائيل باتباع مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم باتباع النبي الخاتم يأتي هنا سؤال إنَّ بني إسرائيل كانوا في بلاد الشام في فلسطين وحتى حينما سبوهم البابليون حينما سباهم نبوخذ نُصَر فأخذهم إلى العراق وبعد ذلك رجعوا من العراق إلى فلسطين ما الذي جاء بهم إلى أرض الحجاز القاحلة إلى هذه الصحراء الحارة ما الذي جاء بهم إلى هنا وهم ليس بدواً، بنو إسرائيل لم يكونوا بدواً كانوا يعيشون في المدن بنو إسرائيل من الشعوب المتحضرة عاشت في المدن هذه الشعوب والقبائل ما الذي جاء بهم إلى هذه الأرض الحارة إلى هذه الصحراء القاحلة إلى أرض الحجاز لأنهم كانوا يعتقدون كما في كتبهم أنَّ النبي الخاتم يُبعثُ في هذه الأرض لذلك جاءوا بحثاً عنه وكانوا يتوقعون أن هذا

النبي يُبعث من بينهم فجاءوا يبحثون في هذه الأرض يبحثون عن الأرض التي سيهاجر إليها من موطنهِ الأصلي كانوا يبحثون عن المدينة المنورة هكذا تُحدِّثنا كتب التأريخ وليس اليهود فقط حتى الأنصار، قبائل الأوس والخزرج هذه قبائل يمانية كانت تقطن اليمن من الذي جاء بها وسكنت في المدينة؟ هؤلاء جاء بهم أحدُ ملوكهم لأن الكتب التي كانت عندهم كانت تنبئهم بأن النبي الخاتم سيكون مهاجرهُ إلى هذه الأرض ستكون هجرتهُ إلى هذه الأرض إلى أرض المدينة المنورة إلى أرض يثرب واليهود جاءوا يبحثون لكنهم لم يكونوا قد اهتدوا إلى هذه المنطقة لأن أرض المدينة في ذلك الزمان لم تكن مسكونة فلذلك سكنوا في مناطق قريبة منها والبعض منهم استمروا على البحث إلى أن عرفوا منطقة يثرب فسكنوا فيها فالشيء أو السبب الذي جاء باليهود إلى هذه المنطقة هو بحثهم عن الأرض التي سيُبعثُ فيها النبي الخاتم وكانوا يتوقعون أن هذا النبي من بين ظهرانيهم ولكن لَمَّا عَرِفوا بأن هذا النبي قد ولد وأخبار عندنا كثيرة أن اليهود عَرِفوا بان هذا النبي سيُبعث من بني هاشم ولذلك كانت هناك عدة محاولات لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله حينما كان صبياً عدة محاولات من اليهود لاغتيال رسول الله وهو في صباه والمقام ليس مقاماً لبسط القول في هذا الموضوع هذا موضوع آخر، لكنني أردتُ أن أبينَ ما هو هذا العهد الذي أُخِذَ على بني إسرائيل؟ هذا العهد هو عهد النبوة والإمامة.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ الرهبةُ: هو الخوف هناك عندنا الرهبةُ والمُعاكسُ لها المضاد لها الرغبة مثل ما عندنا الخوف والمضاد للخوف هو الأمن عندنا رهبة وعندنا رغبة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ الرهبة هو الخوف والرهبة هي عكس الرغبة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ نعمة الهدى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ أوفوا بعهد الإيمان بنبوة النبي الخاتم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أوفِ بعهدكم بأي شيءٍ؟ بأن أَمُّنَ عليكم بنعيم الدنيا وبنعيم الآخرة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً﴾ هذا تفصيل للعهد ما هو هذا العهد؟ ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾ فإنكم تجدون في كتبكم أن النبي الخاتم هو هذا الذي يصدع بالقرآن وإنَّ الذي أنزلتهُ على مُحَمَّدٍ هو نفس الذي قد أُنزِلَ على موسى ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾ لِمَا معكم من أوصافهِ في كتبكم ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أول كافرٍ به من أهل الكتاب ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ وربما لا تكونوا أول كافرٍ به من كل الناس لأن اليهود قد كفروا برسول الله حتى قبل البعثة، ذكرتُ قبل

قليل بأنهم حاولوا عدة مرات أن يقتلوا رسول الله وهذا هو كفرٌ برسول الله ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الذين قالوا من المفسرين أول كافرٍ به من الكتابيين باعتبار أن قريش هي التي كفرت أولاً ولكن ربما يكون الذين كفروا أولاً قبل قريش هم اليهود والآية صريحةٌ في ذلك.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا تشتروا بآياتي بأي آيات؟ لا تشتروا بآياتي التي أنزلتها عليكم في كتبكم والتي بينت لكم من هو النبي الخاتم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ أو ربما المراد ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ بآياتي التي أُنزِلت على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم والمعاني تكاد تكون في النتيجة واحدة ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ هناك أمر في الآية الأربعين ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ: فخافوا سطوتي وخافوا عذابي وخافوا غضبي ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ أيضاً أمرٌ بالتقوى أمرٌ بالرهبة وأمرٌ بالتقوى ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لا تلبسوا الحق بالباطل لا تحرِّفوا الكلام ولا تخفوا الكتب والآيات التي عندكم والتي نزلت في بيان أوصاف النبي الخاتم فإن القوم حينما عرفوا بأن هذا النبي قد بُعِثَ من بني هاشم من قريش بدأوا يُحرِّفون معاني كتبهم وبدأوا يخفون ما عندهم من الآيات ومن الكتب ومن الأسفار ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ تلبسوا الحق بالباطل: أي تخلطوا الحق بالباطل.

إنما يُلبَّسُ الحق بالباطل حينما يُخلط فحينما يخلط الحقُّ بالباطل يقع الناس في الشبهة والشبهة هي من أشد الفِتن، الشبهات من أشد الفِتن إنما قيل ليها شُبهة لأنها تشبه الحق كيف تشبه الحق؟ يُخلط الحق مع الباطل يؤخذُ من هذا شيء ويؤخذُ من هذا شيء كما في الروايات يُؤخذُ من هذا ضغث ويؤخذُ من هذا ضغث، ضغث يعني باقة يأخذون باقةً من الحق وباقةً من الباطل فيُكونون منها باقةً واحدة فيمكن أن تشمُ رائحة الحق فيها ويمكن أن تنظرَ إلى صورة الحق فيها فيختلط يعني يختلط عليك الأمر لو أخذنا باقة قبضة من سنابل الحنطة وأخذنا قبضة من سنابل أخرى من نباتات طفيلية تنبتُ مع الحنطة فأخذنا من هذا قبضة ومن هذا قبضة وجمعنا بينهما فيُترائ إليكَ أن هذا الشيء هذه الباقة كلها حنطة ولكن ليست كلها حنطة هي خليط بين حنطة وبين نبات طفيلي لا فائدة فيه لا نفع فيه، الشبهةُ هكذا الشبهةُ قيل ليها شبهة لأنها تشبه الحق.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ عملية إلباس الحق بالباطل من الذي يقوم بها؟ الذي يقوم بها هم أحبارهم

علماء الدين، عامة الناس لا يتمكنون من إلباس الحق بالباطل الجهات التي تتمكن من إلباس الحق بالباطل هي الحكومات، الحكام، الأمراء بما عندهم من إمكانيات بما عندهم من وسائل من وسائل بشرية، وسائل مادية، وقدرات فكرية وكذلك علماء الدين والنُخَب المثقفة هؤلاء الذين يتمكنون من إلباس الحق بالباطل فيأخذون شيئاً من الحق وشيئاً من الباطل فيخلطوه ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا كان في بني إسرائيل، في بني إسرائيل يقولون إنَّا نؤمن بالله ونؤمن بالنبي موسى ونؤمن بالنبي الذي أخبرنا بهِ موسى وهو النبي الخاتم لكن ليس هو هذا النبي العربي هذا لبسُ الحق بالباطل يعني هم لا ينكرون دينهم ولا ينكرون تعاليم موسى ولكن يحرِّفون تعاليم موسى وهذا نفسهُ الذي جرى في هذه الأُمَّة قالوا نحبُّ أهل البيت ولكنهم ما اتبعوهم ولا رجعوا إليهم في أمور دينهم قالوا نُحبُّ أهل البيت ويأخذون دينهم من مكانٍ آخر، قالوا نُحبُّ أهل البيت وهم يحبون أعداء أهل البيت وقالوا بأن أعداء أهل البيت ما كانوا أعداءً لهم كانوا على وفاقٍ ومحبة مع أهل البيت وهذا تلبيسٌ للحق بالباطل وهذه الأُمَّة جارية على نفس هذا المجرى، ما الفارق بين أولئك اليهود الذين لبَّسوا الحق بالباطل وبين هؤلاء المخالفين الذي لبَّسوا الحق بالباطل؟!

لذلك الآيات القرآنية جاءت بهذا اللسان بلسان إياكِ أعني وأسمعي يا جارة وكل ما جاء في بني إسرائيل هو في هذه الأُمَّة لكن هذه الأمور في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن قد حدثت فالقرآن نزل في زمان النبي فنزل وهو يتحدث عن بني إسرائيل أما بعد بيعة الغدير فإن الأمور اختلفت وإنَّ الأُمَّة دخلت في مرحلة جديدة وهذه المرحلة اتضحت خطوطها في يوم شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله حين أصدروا بيانهم: حسبنا كتاب الله، وحين أصدروا بيانهم: إنَّ الرجل ليهجر، إنَّ مُحَمَّداً ليهجر، من هنا بدأت الفتنة ومن هنا بدأت الطامة، رزية يوم الخميس كما يسميها ابن عباس أشدُّ رَزِيةٍ مرت على الأُمَّةِ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هذه الرزية تشتملُ على بيانين:

البيانُ الأول: حسبنا كتاب الله وهذا نفيٌ لأهل البيت.

والبيان الثاني: إنَّ الرجل ليهجر، إنَّ مُحَمَّداً ليهجر وهذا إنكار لنبوة النبي صلى الله عليه وآله ونفيٌ للكتاب أيضاً.

حسبنا كتاب الله هو نفيٌ للعترة وإنَّ الرجل ليهجر هو نفيٌ للكتاب فإن مُحَمَّداً إذا هجر في هذه الحالة فما الدليل على أنهُ لم يكن قد هجرَ فيما مرَّ من الأيام ولكن يُلبَّسُ الحق بالباطل وتضيع الأُمَّة وتذهب الأُمَّة وهكذا في رواياتنا في رواياتنا الشريفة: **إنَّ الأُمَّة التي تأتَمُّ بإمامة إمامٍ وفيهم من هو أعلم منه فإن أمرها يذهب سُفالاً حتى يعودوا إلى ملة عَبَدة العجل.** هكذا قال الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

إنَّ الأُمَّة التي تأتَمُّ بإمامة إمامٍ وفيها – في هذه الأُمَّة – **من هو أعلم منه فإن أمرها يذهب سُفالاً حتى يعودوا إلى ملة عَبَدة العجل.** وهذه هي الحقيقة التي جرت على هذه الأُمَّة من هنا تأتي روايات أهل البيت فتفسرُ الآيات القرآنية في بني إسرائيل بهذا النحو على أي حالٍ نحن والآيات وشيئاً فشيئاً وأنا هنا لا أتمكنُ من ذكر كل ما جاء في روايات أهل بيت العصمة فإن المقام لا يسنح بذلك ولا يسمح بذلك لأن المقام مقام إيجاز وليس مقاماً للإطناب والإسهاب.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا ديدن بني إسرائيل وديدن المخالفين لأهل البيت هكذا عَمِلوا مع أهل البيت لَبَّسوا الحق بالباطل وكتموا الحق وهم يعلمون ولازالت القضيةُ هيَ هي إلى يوم الناس هذا ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ إنما تُقام الصلاة وتؤتى الزكاة ويُركع مع الراكعين متى؟ متى إذا تركوا تلكم الصفات لابد أن يذكروا نعمة الله وهي نعمة الهداية ولابد أن يوفوا بعهد الله وعهد الله على هذه الأُمَّة هو عهدُ الإمامة العهد التي اتخذهُ رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير ثم أن لا يُلبسوا الحق بالباطل وأن لا يكتموا الحق حينها سيكون معنى إقامة الصلاة معنىً حقيقياً أما أن تُقام الصلاة وأن تؤتى الزكاة وأن يُركع مع الراكعين وقد نُفي عهدُ الإمامة وقد نُفي عهدُ الإسلام وقد نُفيَ الكتاب ونُفيت العترة وهؤلاء يكذبون حين يقولون الكتاب والسنة ما هو الكتاب وما هي السُنة؟ السنة من الذي يبيّنها لنا؟ حتى لو أردنا أن نأخذ بهذا الحديث لو أردنا أن نأخذ بحديث الكتاب والسنة تركت فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي ما هي هذه السُنة؟ من الذي يُبين لنا هذه السُنة أليس المراد من هذه السُنة لابد أن تكون سُنةً أكيدةً معصومة فهل يتمكن الصحابي من نقل السُنة بنحوٍ معصوم؟! لأنهُ ليس معصوماً هو مُعرَّضٌ ومُعرَّض للسهو، مُعرَّضٌ للنسيان، مُعرَّضٌ للخطأ، مُعرَّضٌ للخلط، مُعرَّضٌ للكذب يعني مثل معاوية ألا يكذب؟! أليس معاوية صحابياً ألا يكذب لأجل السلطان؟ عمروا بن العاص أليس صحابياً؟! ألا يكذب عمر بن العاص لأجل أن ينال شيئاً من دراهم أو شيئاً من سلطان وغيرهم كثير فالصحابيُ الذي يقتل صحابياً مثلة ألا يكذب؟!

ألم يقتل الصحابة بعضهم بعضاً، كتاب الله وسنتي لابد أن تكون هذه السُنة سُنة صحيحة حتى نرجع إليها في فهم الكتاب دعنا من حديث كتاب الله وعترتي الذي تتمسكُ به الشيعة وإن كان موجوداً في كتبهم بأسانيد صحيحة دعنا من هذا الحديث ولنتمسك بهذا الحديث كتاب الله وسنتي فإن مرجع الكتاب إلى السُنة إذا كانت هذه السُنة ليست معصومة كيف تكون مرجعاً لفهم الكتاب؟! وكيف تكون السُنة معصومة إذا كان الذي ينقلها ليس معصوماً؟ أليسَ الصحابيُ مُعرَّضاً للخطأ؟! للسهو للنسيان للاشتباه،

أليس مُعرَّضاً لأن يكذب في سبيل مصالحه الشخصية وقد قالها صلى الله عليه وآله: **ستكثر القالة من بعدي أو ستكثر الكذابةُ من بعدي.** سيأتي كثيرٌ يتقولون عَلَيّ وسيأتي كثيرٌ يكذبون عَلَيَّ وهذه الأحاديث ستكثرُ القالة من بعدي وستكثر الكذابةُ من بعدي موجودةٌ في كتب الفريقين في كتب الشيعة والسُنة فكيف نعودُ إلى سُنةٍ ليست معصومة؟! سُنة النبي معصومة فمن الذي يحافظ عليها؟ هل يحافظ عليها شخصٌ معصوم أو غير معصوم؟ النبي معصوم وسنتهُ معصومة كيف نحافظ على مستوى العصمة في هذه السنة؟ هل يحافظ عليها أبو هريرة وأمثال أبي هريرة هل يمكن لنا ذلك وأبو هريرة إلى الآن لا نعرف اسمه ولا يعرف المؤرخون اسمه أبو هريرة إلى هذا اليوم إلى يومك هذا فإننا لا نعرف اسمه فإن اسمهُ ليس معروفاً هناك أسماء عديدة وكثيرة ولم يُشخَّص اسمهُ بالضبط من هو. فحينما نقول كتاب الله وسنتي سنة النبي معصومة لأنها صادرة عن معصوم فكيف تصل إلينا إذا لم يكن الذي ينقلها إلينا وفي بعض الأحيان سُنة النبي تحتاجُ إلى شرح فهل يشرحها غيرُ المعصوم؟! هل يمكن لسنة المعصوم أن يشرحها غير المعصوم؟!

إذا شرحها غير المعصوم احتُمِلَ فيها احتمالات الإصابة والخطأ فعهدُ الأُمَّة وعهد الإمامة وعهد الديانة وعهدُ الإسلام هو عهدُ الكتاب والعترة هو عهد عليٍّ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ والهدى عليٌّ صلوات الله عليه فإقامة الصلاة وايتاء الزكاة والركوع مع الراكعين لا يكون له معنى إن لم يكن مرتبطاً بهذه القاعدة وبهذا الأصل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ وحتى هذه الصلاة وهذه الزكاة وهذا الركوع في أحكام هذه العبادات وفي كل الأحكام الأخرى ما لم تكن هذه الأحكام صادرة عن معصومٍ صلوات الله وسلامه عليه كيف يمكن الاعتماد عليها نحن نقرأ في الروايات مثلاً أن الخليفة الثاني كان يجهلُ حُكم التيمم ومثل هذا كثير وسنأتي في مواطن الحديث عن هذا الموضوع وسأبسط القول في هذه المسألة وفي غيرها وروايات موجودة في صحيح مسلم وفي غيرهِ، الخليفة الثاني حينما سألوه أن الذي يجنب ماذا يفعل؟ فهو بيّنَ قال: بأنهُ إذا أجنب ولم يجد ماءً فإنهُ لا يصلي وقد ترك صلاتهُ أياماً طويلة بسبب ذلك وهذا موجودٌ في أحاديث القوم وبأسانيد صحيحة فإن رجلاً يجهل أحكام صلاتهِ كيف يكون مصدراً للإمامة وكيف يكون مصدراً للدين ومثل هذا كثيرٌ في كتب القوم وأنا هنا لا أريدُ أن أدخل في مثل هذه التفاصيل فأيُّ صلاةٍ وأيُّ زكاةٍ وأيُّ ركوعٍ يكون صحيحاً إذا لم يكن مستنداً إلى معصومٍ إلى بيانٍ من معصوم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ لذلك الروايات عن الأئمة أنهُ من لم يكن موالياً لعليٍّ من لم يكن على هذا الأمر إن شاء زنا إن شاء سرق إن شاء صلى الأمرُ سواء الأمرُ راجعٌ إليهِ هو يختار مجموعة من الخيارات أمامهُ الروايات تقول إن شاء زنا إن شاء سرق، الناصبُ لأهل البيت لو جاء إلى نهر

الفرات وهو يزخُّ زخيخاً يكون لهُ بمثابة الدم العبيط، لو جاء إلى نهر الفرات إلى الفرات وهو يزخُّ زخيخاً على جانبيه وقال بسم الله وشرب الماء بعد أن سمى ثم حَمد الله وهذا في روايات أهل البيت هذا ليس كلامي، فإنهُ قد شَرِب دماً عبيطاً هذه شرب نجاسة وهذا أمرٌ مباح فكيف بالتشريعات بإقامة الصلاة وبإيتاء الزكاة التي تحتاج إلى شرط القبول وشرط القبول ولاية علي والروايات في هذا كثيرة والذي يستغربُ من كلامي فهو إما لنقصٍ في إيمانهِ كما تقول الروايات ولست أنا الذي أقول وإما لجهلٍ عنده لجهله بحديث أهل البيت وإلا من أراد أن يُراجع كتب حديث أهل البيت لوجد هذه المعاني صريحةً واضحةً جليةً وفي أي كتابٍ من كتب الحديث في أي موسوعةٍ من موسوعات حديث أهل البيت لو أراد أن يراجعها فإنهُ سيجد هذه الموسوعات طافحةً بهذه المعاني صريحةً واضحةً جليةً بيِّنةً.

﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ: والبر هو الخير ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ والبر هو الخير بكل معانيه ولكن أعلى معاني البر هو الهدى، الهداية والتمسك بالدين والتمسك بأهل الحق ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ تنسون أنفسكم يعني تتركون انفسكم هذا الكلام كان شأنُ اليهود، اليهود كانوا يُحدِّثون العرب عن نبيٍ يكون في آخر الزمان ويُحدِّثون قريش وغير قريش فيقولون بأن هذا النبي الذي يكون في آخر الزمان هو أفضل الأنبياء وعلى يديه يكون الهدى ودينهُ هو خاتمة الأديان لكنهُ لَمَّا جاء هذا النبي من قريش ومن العرب ومن بني هاشم فإنهم أعرضوا عن ذلك وبدأوا يُقَلِّبونَ الحقائق ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ تتلون الكتاب إن كان الكتاب كتاب بني إسرائيل أو إن كان الكتاب هو كتابُ مُحَمَّد فكتاب بني إسرائيل توراتهم، صحفهم، أسفارهم، زُبرهم كلها تشير إلى أن هذا هو النبي الخاتم وهذه القضية موجودةٌ في نفس هذه الأُمَّة لو راجعنا كتب المخالفين لوجدناها تعَجُّ بالنصوص وبالأحاديث الكثيرة التي تحثُ على إتباع أهل البيت والتي تجعل من أهل البيت مناراً لكنَّ القوم كيف يتعاملون معها؟

طائفة منهم يدخلون في هذه اللعبة في لعبة الأسانيد، الحديث الذي يعجبهم يقولون عنه صحيح السند والحديث الذي لا يعجبهم يقولون عنه ضعيف السند فهذه ضعاف وتلكم الأحاديث مناكير وهذه آحاد لا يؤخذ بها وهكذا فيقسمون الأحاديث التي جاءت في فضل أهل البيت ما بين ضعاف ومناكير وآحاد وغير ذلك ومجاهيل وطائفةٌ أخرى تقبلها ولكن تقلبها بالجملة هكذا يقولون هذي أحاديث في فضل أهل البيت ولكن هل يُرَتبون عليها أثراً عقائدياً هل يُرتبون عليها أثراً عملياً أبداً، وطائفة أخرى تحاول أن تُخفي هذه

الأحاديث تُبعدها عن أنظار عامة اتباعهم وهذه القضية ليس فقط في تأريخنا اليوم في حاضرنا، في تأريخنا الماضي على طول التأريخ منذُ يوم شهادة رسول الله بعد أن سَمّوا رسول الله وقتلوه صلى الله عليه وآله منذُ ذلك اليوم وإلى يومنا هذا هذه القضية نفسها تتكرر ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تقفون شيئاً تُفكرون بعواقب أموركم ماذا تنتفعون من كل هذا؟!

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ: في عديدٍ من الروايات جاء بيان معنى الصبر بالصوم واستعينوا بالصوم والصلاة عديد من الروايات أن الإنسان إذا وقع في طامةٍ في داهيةٍ في مصيبةٍ فليلجأ إلى الصوم وليلجأ إلى الصلاة ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ الصلاة لكبيرةٌ ﴿إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ في بعض الروايات أنَّ الخاشعين هم محمَّدٌ وعليٌّ والأئمة هم الخاشعون الحقيقيون، وفي رواياتٍ أخرى الخاشعون هم شيعةُ عليٍّ المستبصرون ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ وفي رواياتٍ أنَّ الصبر محمَّدٌ صلى الله عليه وآله وأن الصلاة عليٌّ وفي رواياتٍ أن الصبر نبوة نبينا والصلاة ولاية عليٍّ ولذلك قالت الآية ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ لا تُقبل بسهولة ولاية عليٍّ لا تُقبل بسهولة تحتاجُ إلى توفيق ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ روايات عن سيد الأوصياء قال: الصبرُ نبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله والصلاة قال ولايتي ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولايتي ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ قال الخاشعون هم شيعة عليٍّ المستبصرون هم شيعتي المستبصرون ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ والاستعانة بالصوم والصلاة والاستعانة بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ والاستعانة بنبوة مُحَمَّد وبولاية عليٍّ كلها تؤدي إلى معنىً واحد تؤدي إلى جوهرٍ واحد تؤدي إلى الوفاء بالعهد ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ اللجوء إلى الصيام والصلاة، اللجوء والتوسل بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ كُلُّ ذلك هو وفاءٌ بالعهد وما الصلاة وما الصيام إلا صورٌ للإيمان بالنبوة والولاية وما الصلاة إلا صورة الولاية العلوية ولكنها في شكلها الطقوسي في شكلها الرمزي العبادي وهذه معاني عميقة لا أريد الخوض فيها ربما يأتينا بيانٌ عنها في موطنٍ آخر إن شاء الله تعالى.

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ وهذه من جملة الآيات التي يمكن أن نستدل بها على معنى التوسل لأن الصبر من اسماء مُحَمَّد هناك كتاب للسيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه اسمهُ: اللوامع النورانية في

أسماء عليٍّ وأهل بيتهِ القرآنية ذكر في هذا الكتاب مجموعة روايات ذكر فيها أسماء عليٍّ وأهل بيته القرآنية أسماء النبي وأهل البيت في القرآن أكثر من 1500 اسم من جملة هذه الأسماء الصبر هو من أسماء النبي والصلاة من أسماء عليٍّ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ استعينوا بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ ﴿وَإِنَّهَا﴾ وإنها هذه الصلاة ولاية عليٍّ ﴿لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ما هو وصف هؤلاء الخاشعين؟

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هذا الظن هنا ليس الظن الذي هو بالمعنى العلمي، الظنُ على نوعين حتى في الروايات في رواياتنا إنَّ الظن على نحوين هناك ظنُ يقين وهناك ظنُ شك هذا المعنى موجودٌ في روايات أهل البيت الظنُ على نحوين في القرآن في القرآن الكريم وحتى في واقع الإنسان أنا تحدثتُ في دروس الكافي في برنامج في فناء الكافي الشريف تحدثتُ عن الدليل الإنساني والدليل الإنساني هو الدليل الذي يمثل كيان الإنسان عقلهُ وجدانهُ فطرتهُ حواسه كيانُ الإنسان بكاملهِ هناك الظنُ الإنساني هذا الظنُ الإنساني هو ما قيل عنهُ في الروايات ظنُ يقين هناك ظنُ يقين وهناك ظنُ شك الفارق ما هو ؟ نحن عندنا العلم الذي هو صورةٌ في الذهن إذا أردنا أن نعطيه نسبة رقمية حينما نُصدِّق حينما نُصدِّق بصورةٍ ذهنية بصورةٍ علمية في الذهن بخصوص قضية من القضايا نعطيها نسبة مئة في المئة لكن حينما لا نُصدق أقل من التصديق وهو الظن أقل من العلم نعطيها نسبة أقل من المئة في المئة وإنما تتراوح بين الواحد وخمسين في المئة إلى تسعة وتسعين في المئة أي درجة من هذه الدرجات يمكن أن يُقال عنها ظن، ما بين واحد وخمسين في المئة إلى تسعة وتسعين في المئة هذه درجات الظن، العلم مئة في المئة هذا في العلم العقلي في العلم الذهني أما هناك العلم الإنساني العلم الوجداني العلم الذي يشتركُ فيه العقل والوجدان والفطرة، العلمُ الوجداني العلم الإنساني الظنُ فيه يكاد أن يكون يقين والحديث هنا عن علمٍ إنساني عن علمٍ وجداني ليس الحديث هنا عن علمٍ ذهني وعن علمٍ عقلي محسوب بحساب الرياضيات ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ يظنون لماذا قال يظنون؟

لأنهم لم يكونوا قد لاقوا ربهم، قطعاً حينما يُلاقوا ربهم سترتفع درجة العلم عندهم لكنهم وهم يعيشون في الدنيا قبل أن يلاقوا ربهم هم على يقينٍ من ذلك لكن هذا اليقين لو قيس بيقينهم حين ساعة اللقاء سيكون هذا اليقين هو ظن ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ الآن المؤمنون بالله والمؤمنون بيوم القيامة أليس هم يقطعون بيوم القيامة؟ كل المؤمنين الآن أتباع أهل البيت الذين يدينون بدين أهل البيت ألا يؤمنون بإمام زمانهم هل رأوا إمام زمانهم؟ ألا يؤمنون بيوم القيامة هل رأوا يوم القيامة؟ هل حدث يوم القيامة، هذا الإيمان الذي عندهم هو يقين بدرجةٍ من الدرجات يُعَبّر عنه في كثير من آيات الكتاب بالظن كما قالت الروايات

الشريفة هناك ظنُ يقين وهناك ظنُ شك ظنُ الشك هو ذلك الذي يتعلق بالمبحث العلمي العقلي الذهني وأما ظنُ اليقين هو هذا الذي يتعلق بالظن الوجداني بالظن الذي يعود إلى الأصل الإنساني إلى الكيان الإنساني الصادر من كيان الإنسان ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هؤلاء هم الخاشعون الذين يخشعون والخشوع هو خضوع، ما هو معنى الخشوع؟ الخشوع: خضوع لكنهُ خضوع للجوانح وليس للجوارح عندنا خشوع وخضوع والخشوعُ خضوع والخضوع خشوع، الخشوع هو للجوانح والخضوع للجوارح الجوانح يعني الجانب المعنوي القلب الروح أما الجوارح فهي أعضاءُ البدن فهناك خضوعٌ هو عبارة عن خشوع الجوارح وهناك خشوعٌ هو عبارة عن خضوع الجوانح.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ هذه الآية من جملة الآيات التي أُشيرَ إليها في الروايات بأن المراد من بني إسرائيل هم آل مُحَمَّد ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ التفضيل الحقيقي على العالمين هو لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هذا في الروايات ودعني من قول من يقول، أنا لا أعبهُ بقول أي قائلٍ وقد يقول قائل في مسألة وحدة السياق وهذي مطالب عديدة القرآن هناك عدة أفاق للتفسير كما قلت ولست الآن بصدد الدخول في كل هذه التفاصيل وحين أقول هذا الكلام فإني لستُ جاهلاً بما قالهُ المفسرون وإني لستُ جاهلاً بما جاء في قواعد العربية والبلاغة لكنَّ هذا الكلام أنا أردّهُ إلى منبع العلم والطهارة إلى العين الصافية إلى مُحَمَّدٍ وآل محمَّد ولا يعني أن الآراء الأخرى هي آراء ليست صحيحة القرآن كما قلت لهُ أفاق ولهُ وجوه وأنا أتحدث هنا عن وجهٍ من الوجوه بحسب ما يسنح بهِ المقام وقد وردَ عن أهل البيت وجوهٌ أخرى أيضاً حينما أقول وردَ في الروايات لا يعني أن الذي وردَ في الروايات هو هذا الوجه فقط فهناك وجوه أخرى أيضاً ولكن المقام لا يسع لكل هذه التفاصيل فنحنُ كما اتخذنا عهداً من بداية حلقات البرنامج أننا نحاول أن نُسلط الضوء اعتماداً على لغة العرب في جانب من الجوانب واعتماداً على ما جاء في روايات أهل البيت في جانبٍ من الجوانب أيضاً وإلا لا على نحو الإحاطة بكل ما جاء في رواياتهم فذلك يحتاج إلى وقتٍ طويل جداً.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ومع ذلك فنحن نذهب مع السياق التفضيل على العالمين تفضيل بني إسرائيل على العالمين هو تفضيلهم حين نزلت عليهم الرسالة لا يعني التفضيل المطلق وإلا لو كانوا هم الأفضل لَمَا جاءت هذه الآيات تؤنبهم وتعاتبهم وتلومهم لَمَا قالت لهم ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لَمَا قالت لهم الآيات ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فهؤلاء ليس هم الأفضل إنما كانت لهم الأفضلية، الله سبحانه وتعالى اختارهم وفضَّلهم على بقية الأُمم على بقية الشعوب فأنزل عليهم دينه بواسطة النبي موسى عليه السلام الآية الأخيرة في هذه الصفحة الشريفة من الكتاب الكريم:

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ اتقوا التقوى والتقوى أن الإنسان يحاول أن يحصل على شيءٍ يتقي به يحتمي به ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ هذا اليوم ما هي مواصفاته ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ يعني لا تستطيعُ في ذلك اليوم نفسٌ ثانية تؤدي ما على النفس الأولى ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ يعني في ذلك اليوم سنتحدث عن هذا اليوم الآية تأمر باتقاء ذلك اليوم ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ أي ابحثوا عن وسيلة أي ابحثوا عن شيءٍ تتقون به ذلك اليوم وما يجري في ذلك اليوم، ما هي مواصفات ذلك اليوم؟ ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ يعني في ذلك اليوم لا تأتي نفسٌ ثانية فتقوم أو تتلقى ما يجب على النفس الأولى أن تقوم به أو أن تتلقاه فكلُّ نفسٍ مسئولةٌ عن نفسها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ هذه القاعدة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ .

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ وأيضاً لا يُقبلُ من هذه النفس شفاعة الآية لم تقل أنهُ ولا يُقبل فيها شفاعة الآية قالت ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ يعني لو أرادت هذه النفس أن تطلب شفيعاً لَمَا قُبِل منها ولكن هناك شفعاء لو أرادوا أن يتشفعوا فيها فإن الله يُشفِّعهم الآية ما قالت ولا تُقبل فيها شفاعة قالت ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ من نفس هذه النفس فهذه النفس لا توجد نفسٌ ثانية تُجازى محلها ولا يُقبلُ منها شفاعة لو طلبت الشفاعة أن يتشفع فيها أحد أما هناك شفعاء لو أرادوا أن يشفعوا يَشفعوا تُقبل شفاعتهم ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ العدل: يعني لا يؤخذ منها مال أولا يؤخذُ منها أي شيء ليكون مُعادلاً للأمر الذي يجري عليها في ذلك اليوم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ولا يوجد هناك ناصر هذه الآية المفسرون فسروها في يوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أما أئمتنا ففسروها في يوم الموت فإن الإنسان في يوم الموت لا يمكن أن تموت نفسٌ

عن نفس لكن في يوم القيامة يمكن أن تجازى نفسٌ عن نفس لاحظوا الدقة في التفسير وإنَّ القرآن لا يفهمهُ إلا من خوطب به لا يفهمهُ إلا مُحَمَّد وآل مُحَمَّد في يوم القيامة يمكن أن تجزى نفسٌ عن نفس ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ أليس عندنا في الروايات في الشفاعة أن تُجازى نفسٌ عن نفس هذا موجود في الروايات ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إنما هذا في يوم الموت ففي يوم الموت لا تجزى نفسٌ عن نفس وكذلك لا تُقبلُ منها شفاعة لا توجد شفاعة في يوم الموت أن يُعفى الإنسان من موتهِ وإن ورد في الروايات أنهُ حالات الأنبياء تدخلوا في إطالة عمر بعض أصحابهم ودُفِعَ الموت عنهم لكن لم يُدفع الموت عنهم إلى الأبد ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في زمان نبينا صلى الله عليه وآله في زمان الأئمة حدثت مثل هذه الحوادث على أي حالٍ أنا لا أريد أن أدخل في هذه التفاصيل ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ هذا هو في يوم الموت وحتى لو أردنا أن نُفسرهُ في يوم القيامة فلا ضير في ذلك فالمعاني متشابهة ويوم الموت هو مفتاحٌ إلى أين؟ هو مفتاحٌ وباب يودي إلى يوم القيامة.

الموت بابٌ وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدارُ
الدارُ جنةُ عدنٍ أن عملت بما يُرضي الإله وإن عصيتهُ إلى أين فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت مختارُ

اللَّهُمَّ يا ربَّ الحُسْيِنِ بِحَقِّ الحسْين أشفي صدرَ الحُسْين بظهور الحجة عليه السلام آمينَ آمين ربَّ العالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأطيبين الأطهرين وفي أمان الله.

الحلقة السابعة

تفسير سورة البقرة من الآية ٤٩ الى الآية ٥٧

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته مسَّاكم الله بالخير والإيمان، وهذه الحلقة السابعة من برنامج قرآنُنا. وصلنا في آيات سورة البقرة المباركة إلى الآية التاسعة والأربعين والآيات هذه التي نتناولها في هذه الحلقة وكذلك الآيات التي سبقتها والآيات التي تليها كُلُّها في قصص بني إسرائيل الآية التاسعة والأربعون: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيم﴾ لا زالت الآيات في نفس السياق تخاطب بني إسرائيل مرَّ علينا في الآية الأربعين ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخر الآيات.

وتمَّ الكلامُ في الآية الثامنة والأربعين في الحلقة الماضية لذلك الآيات على نفس السياق مخاطبةً بني إسرائيل ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ يا بني إسرائيل ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أشرتُ في الحلقة السابقة إلى أن ذكر بني إسرائيل ورد كثيراً في كتابنا الكريم والسبب في ذلك هو التشابه الكبير بين مجريات الأحداث التي جرت على بني إسرائيل وبين مجريات الأحداث التي جرت في أُمَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المطالب بحاجة إلى تفصيلٍ كثير ولكنني سأوجزها بقدر ما أتمكن ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ والآية التي بعدها ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ هناك الكثير من المفسرين حينما يأتون إلى هذه الآية ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يتحدثون عن عملية نجاة بني إسرائيل بسبب عبورهم البحر ولكن الآية في غاية البُعدِ عن هذا المعنى الآية التي بعدها هي التي تتحدثُ عن نجاتهم بسبب عبورهم البحر ولذلك حتى اللفظة مختلفة في هذه الآية في الآية التاسعة والأربعين ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ في الآية التي بعدها ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ فهنا نجيناكم في الآية الأولى وفي الآية الثانية أنجيناكم وفارق بين المعنيين، لا تتضحُ الصورةُ كاملةً ما لم نرجع إلى

ما جاء مروياً عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإلا إذا أردنا أن نرجع إلى كتب المفسرين التي لم تعتمد على كلمات أهل البيت سواء كانت هذه الكتب موجودة في الوسط الشيعي أو خارج الوسط الشيعي الكتب التي فسرت هذه الآيات بعيدةً عما جاء في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تعطينا صورة غائمة، الصورة الواضحة لا تتجلى إلا عِبرَ كلمات المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام ولكن حينما نرجع إلى روايات المعصومين فإننا سنجدُ من المعاني التي تكاد تكون مستغربةً عند الناس تكاد تكون مستغربةً حتى في أوساطنا الشيعية وذلك بسبب البُعد عن كلمات أهل البيت وبسبب البُعد عن طريقة أهل بيت العصمة في تفسير كتاب الله وهذه القضية قضية عميقة جداً وقضية واسعة جداً ومسألة البُعد عن كتاب الله ومسألة تحريف كتاب الله مسألة مرتبطة ليست فقط في هذه الأُمَّة وإنما حتى في الأمم الماضية حينما أتحدث عن تحريف كتاب الله لا أقصد التحريفَ في الألفاظ الموجودة في الكتاب نحن نعتقد بأن ما بين الدفتين لم يتطرق إليه التحريف هذه عقيدتنا وهذا واضحٌ في روايات أهل البيت وواضحٌ في كلمات علمائنا فما بين الدفتين هذا المصحف المعروف بين أهل القبلة نحنُ نعتقدُ بعدم تحريفهِ اللفظي إلا أن التحريفَ الذي وقع في القرآن وقع من جهتين:

التحريفُ في القراءات والتحريفُ في تفسير القرآن، المخالفون لأهل البيت ابتدعوا قراءات كثيرة للقرآن قراءات عديدة والبعضُ منها يكون عبثياً يعني هناك عبث في قراءة القرآن ربما نخصص وقتاً للحديث عن هذه المسألة لكنَّ من أراد أن يراجع كتب القراءات عند مخالفي أهل البيت يجد هناك عبثاً واضحاً لا أريد أن أطيل الكلام كثيراً على سبيل المثال الأسماء اسماء الأنبياء أسماء الأعلام التي وردت في الكتاب الكريم إذا أردنا أن نقبل القراءات المتعددة في بعض الكلمات في الأفعال في الأسماء من غير الأعلام ربما يكون هناك مجالٌ لقبولها لكن حينما تتعدد القراءات في اسماء الأعلام أليس هذا عَبَث؟! على سبيل المثال موسى، موسى هل هناك عدة قراءات هل هناك عدة أسماء لهذا النبي؟!

يعني مثلاً أُمُّهُ حينما كانت تناديه حينما تريدُ منه شأناً تُريدُ أن تحادثه لنفرض أن موسى كان واقفاً في الشارعِ خارج البيت فتقف أمّهُ عند الباب فتناديه فهل تناديه بالقراءات السبعة؟! يعني هل كانت أمُّ موسى حين تنادي موسى تناديه بقراءة موسى، موسي، موسا، موسا، بأي قراءةٍ كانت تناديه هل كانت تقف فتقرأ القراءات السبعة؟! كانت تقف على الباب فتقرأ القراءات السبعة وهكذا في اسم إبراهيم وفي بقية الاسماء الأعلام، نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً حينما كان يتحدثُ عن موسى فهل كان حينما يريد الحديث عن موسى حينما يقول كان أخي موسى هل كان يقول كان أخي موسة، موسى، موسي، موسا، أم كان يقول كان أخي موسى، الله سبحانه وتعالى لَمَّا كان يأمر جبرئيل بإنزال الوحي فهل كان جبرئيلُ حينما ينزلُ بالوحي فلا يعرفُ أسم موسى فيُردد القراءات السبع هل تعلم جبرئيل القراءات السبع عند

القُراء السبعة فهل كان جبرئيل حينما يريد أن يذكر اسم موسى يقول موسة، وموسي، وموسى، إليس هذا عبث بالكتاب الكريم وهناك مصاديق أخرى كثيرة حينما نتحدثُ عن القراءات سأذكر الأمثلة الكثيرة في هذا الباب ولكن أنا أوردتُ هذا المثال لأنني قلت بأن التحريف في الكتاب الكريم جاء من جهة القراءات والقراءات تزداد، في البداية كانت القراءات سبعة ثم صارت عشرة ثم وصلت إلى 12 قراءة ثم وصلت إلى عشرين، أربعة وعشرين الآن وصلت إلى خمسين، فهذا تحريفٌ لكتاب الله سبحانه وتعالى.

من جملة التحريف في القراءات تدخل مسألة الوقف حينما يقفون تدخل مسألة الوقف ومسألة السكتة والتي لها تأثير في معنى الآيات كما في الآية في سورة آل عمران ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ﴾ وهنا يقفون يجعلون التأويل خاصاً بالله أمَّا الراسخون في العلم!! هذا تحريف تحريف واضح التحريف في القرآن جاء من جهة القراءات بحيث يصل إلى درجة العَبَث بالقراءة كما ذكرتُ أمثلةً في أسماء الأعلام فهل أن الله سبحانه وتعالى لا يعرفُ أسم نبيه هل أن الله حينما يقول موسى لا يعرفُ أسم نبيهِ فيقول موسة، وموسي، وموسا، وموساء أم أن هذه أسماء دلع للأنبياء هذا عَبَثٌ بكتاب الله سبحانه وتعالى ويدخل في هذا علامات الوقف وأمثال ذلك مما جاء في قوانين علم التجويد فهناك من قوانين علم التجويد ما فيه عَبَثٌ بمعاني الكتاب وكذلك في القراءات ما فيه عَبَثٌ وتحريفٌ في كتاب الله.

ولكنَّ التحريف الأخطر هو في التفسير فإن مخالفي أهل البيت فَسَرُّوا القرآن بطريقةٍ منحرفة فَحَرَّفوا كلَّ معاني القرآن ومن هنا كان التحريفُ في القرآن والتحريف في المعنى أخطر من التحريف في اللفظ لأن التحريف في اللفظ قد يُكتشف أما التحريفُ في المعنى لا يكتشفهُ الناس ولذلك أكثر الناس الذين يدّعون أنهم من أتباع مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم قد ذهبوا في ذلك الطريق المظلم، في ذلك الطريق الذي حُرِّفَ فيهِ القرآن حُرِّفت معاني القرآن، منهجُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: من فَسَّرَ القرآن برأيهِ فإن أصابَ لم يؤجر وإن أخطأ فليتبوأ مقعدهُ من النار. طبعاً هذا المسلك مَسلك مغاير مئة في المئة للمسلك المنحرف حينما يتحدثون عن المجتهدين فيقولون إن المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فلهُ أجر وذلك لتبرير أفعال النواصب من أعداء أهل البيت ولتبرير الذين انحرفوا عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأحابيل وبهذه الوسائل الشيطانية الملتوية ومن هنا وقعت الطامة لذلك حينما نرجعُ إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإننا نجدُ فيها من المعاني ما هو مستغربٌ حتى في الوسط الشيعي لو ذُكِرت هذه المعاني وأنا لا أريدُ الخوضَ في كل هذه التفاصيل، مثلاً من هذه المعاني حينما نبحثُ في روايات أهل البيت لماذا هذا التركيز على قصص بني إسرائيل التركيز على قصص بني إسرائيل صحيح أنا قلت في الجملة هناك تشابه بين مجريات الأحداث في حياة بني إسرائيل في تأريخ بني

إسرائيل وبين مجريات الأحداث في أُمَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن إذا أردنا أن ندخل إلى باطن الأمر أن ندخل إلى حقيقة الأمر الروايات المنقولةُ عن الأئمة المعصومين تُبيّنُ لنا إن بني إسرائيل كان من أصول دينهم الإيمان بنبوة النبي وبولاية علي والأئمة وكان أكثرُ نزاعهم مع النبي موسى في هذه القضية كانوا يُشككون في هذا الأمر وكُلُّ هذا القصص الذي جاء مذكوراً في القرآن يدور حول هذه القضية وقد فصلت روايات أهل البيت هذا المعنى لذلك هذا التركيز على قصص بني إسرائيل نحن عندنا في أصول عقائدنا أنهُ ما من نبيٍ من لدن آدم إلى نبينا صلى الله عليه وآله كل الأنبياء الذين سبقوا نبينا بُعِثوا ونُبِئوا بنبوة النبي وبولاية عليٍّ والأئمة ولكن الأمم على درجات.

في روايات أهل البيت الذي يتضحُ لنا أن بني إسرائيل هم أكثر الأمم التي كُلِّفت بتفاصيل الاعتقاد بنبوة نبينا وبولاية عليٍّ والأئمة والتحريف الهائل الذي حدث في كتبهم في هذه القضية لذلك نجد أن القرآن يُركِّزُ كثيراً على تحريف بني إسرائيل لكتبهم وعلى إخفاء الحقائق لأجل هذه القضية وهذه القضية أبتليت بها هذه الأُمَّة بعد، بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله ماذا فعل الخلفاء؟ أليس منعوا كتابة الحديث، أليس منعوا رواية الحديث أليس حرقوا كتب الحديث أليس حرقوا المصاحف التي كانت قد كُتبت عليها كلمات النبي لتفسيرها وبيان حقائقها في فضل عليٍّ وآل علي هذا كله جرى وهذه الأحداث مذكورةٌ حتى في كتب القوم من منع كتابة الحديث من إحراق، أحرق أبو بكر مجاميع كثيرة من الصحف التي كانت فيها أحاديث النبي وهذه القضية ترويها عائشة ولو كان المقام منعقداً لهذه القضية نأتي بالمصادر ونأتي بالوقائع وبالتفاصيل ونتناولها إن شاء الله في فرصة أخرى، فكان هناك منع لكتابة الحديث وكان هناك منع من رواية الحديث أيضاً، وهناك أكثر من واقعة وأكثر من شاهد في كتب القوم أن عُمر منع رواية حديث النبي صلى الله عليه وآله وأن أبا بكر أحرق صحفاً فيها أحاديث النبي وأن القومَ رفضوا أن يأخذوا المصحف من عليٍّ، المصحف الذي كتب فيهِ عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه أسباب نزول الآيات ومعاني الآيات ومضامينها وشَخَّصَ فيها الناسخ من المنسوخ وشَخَّصَ فيها المُحْكَمَ من المتشابه رفضوا أن يأخذوا ذلك المصحف من عليٍّ وأحرقوا المصاحف الأخرى وعلى أي حالٍ هذا الموضوع فيه تفصيلٌ كثير.

فكما أن اليهود حَرَّفوا هذه الحقائق التي لها عُلقة مباشرة بالاعتقاد بنبوة نبينا وبولاية الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين وحرَّفوا الحقائق وذهبوا بتلكم الحقائق وطمسوها كذلك الأُمَّة بعد النبي فعلت نفس هذه الأفاعيل ومن هنا جاء التأكيد في الكتاب الكريم على قصص بني إسرائيل وهذه الحقائق إنما تتجلى فقط من طريق روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولذلك هذه الآية ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ما الفارق بين هذه الآية ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ وبين الآية التي بعدها ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ

﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ المفسرون الذين لا يرجعون لكلام أهل البيت يجعلون النجاة المذكورة في الآية الأولى والنجاة المذكورة في الآية الثانية واحدة بينما الآية الأولى تتحدث عن شيء غير الشيء الذي تتحدث عنه الآية التي بعدها نحن مع الآية ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يسومونكم: تأتي بمعنى يُعذِّبونكم يُذِلونكم يُجرون عليكم سوء العذاب ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يُعذبونكم سوء العذاب يُذلونكم خسفاً يسومونكم يذلونكم خسفاً ويعذبونكم بسوء العذاب ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يُعذِّبونكم سوء العذاب ما هو هذا سوء العذاب؟ سوء العذاب كان يجري عليهم على رجالهم ويجري على أطفالهم ويجري على نسائهم عبارة يسومونكم يُذِلونكم، كيف كان آل فرعون يسومون بني إسرائيل العذاب، سوء العذاب؟

فرعون كان مشغولاً كان عنده شغف بالبناء وبالبنايات العالية فكان يجبرُ بني إسرائيل على أن يعملوا في البناء ولأجل أن لا يفروا من العمل كانت أيديهم وأرجلهم تُقيد بالسلاسل فتصور إنسان يعمل في الطين ويرفع الأحجار والصخور والطابوق وهو مقيد بالسلاسل مُقيد من رجليه، من يديه، من عنقه، ويصعد على السلالم العالية هكذا وصفت روايات أهل البيت كيف كان آل فرعون يعملون مع بني إسرائيل مع رجال بني إسرائيل فكانوا يُكلفونهم العمل طوال اليوم، العمل في البناء، العمل في الطين العمل، في الصخور وهذا هو من أشق الأعمال ولئلا يفروا يُقيَّدون بالسلاسل تُربط أيديهم وأرجلهم بالسلاسل بشكلٍ يتمكنون من العمل وكذلك لا يستطيعون الفرار وكانوا يحملون الطين والصخور ويصعدون على السلالم وبسبب هذه السلاسل كانوا يتساقطون من السلالم فمنهم من يموت ومنهم من يُعوّق، الروايات تقول كانت تصيبهم الزمانة، الزمانة في زماننا هذا هو العوق التعويق، يصعدون على السلالم وهم مقيدون السلاسل من أيديهم وأرجلهم فيتساقطون فحينما يتساقطون إما يموتون وإما تصيبهم الزمانة وكَثُرَ هذا الحال فيهم كَثُرَ هذا الأمر فيهم، وأما أولادهم فكانوا يُذَبَّحون.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ حين أُخْبِرَ فرعون بأن طفلاً إسرائيلياً سيولد وعلى يديه تكون نهاية حكم فرعون فوضع الشَرِطة وضع المراقبين على أبواب بيوت الإسرائيليين حينما تأتي الأخبار أخبارُ من يتجسسون له بأن هذه المرأة الإسرائيلية حامل وكانت القوابل تعمل عند السُلطة وكانت القوابل مُكلَّفة بأن تقتل الأطفال الذكور إذا كان بنات تُترك وإذا كان ذكر فالواجب على القابلة، المرأة القابلة أن تقتل هذا الطفل الذكر ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وورد في الروايات أنهُ ذبح من أبنائهم

أكثر من عشرين ألف ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستحيون نسائكم يعني يتركون نسائكم على قيد الحياة باعتبار أن الرجال إما يموتون في العمل وإما تصيبهم الزمانة والأطفال يُذبحون، وإذا كان الوليد بنت تُترك ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يعني يتركونهن على قيد الحياة لماذا؟ إما للخدمة وإما للمتعة إما يستمتعون بنساء بني إسرائيل وإما للخدمة في البيوت فهذا هو حالُ بني إسرائيل وهذا هو سوء العذاب الذي جرى عليهم ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ تذبيحٌ للأطفال واستحياءٌ للنساء إما لأجل الخدمةِ وإما لأجل البِغاء وأما الرجال فيعملون في البناء وفي الطين وهم ما بين ميتٍ يسقطُ من السلالم العالية وما بين زَمِنٍ تصيبه الزمانة فأين هي النجاةُ إذاً؟ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فإذا كان كل هذا البلاء يجري على بني إسرائيل فكيف بقيت تلكم الأعداد الكثيرة منهم من الرجال؟ إذا كان الأولاد يُذبحون وهذه قضية هذه القضية استمرت قضية الذبح استمرت من قبل ولادة موسى عليه السلام وبقيت هذه القضية مستمرة إلى أن بعث موسى وعلى أقل الروايات أنَّ موسى بُعِث في سن الأربعين وإن كانت روايات أخرى تقول أنهُ بُعِثَ في سنٍ أكثر من هذا السن يعني على أقل الاحتمالات أن هذا العذاب استمر على بني إسرائيل لمدة أربعين سنة فإذا كان لمدة أربعين سنة الأولاد يُذبحون والرجال يتساقطون من على السلالم ما بين ميتٍ وما بين زَمِن فكيف كانت هذه القبائل أليس كان عدد القبائل اليهودية التي عبرت البحر كانت اثنتي عشر قبيلة فمن أين جاءت هذه الأعداد الكثيرة؟

الروايات المنقولة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الروايات تقول أن ما عندهم من علمائهم كانوا قد علَّموهم كان عندهم علماء من علمائهم الذين كانوا يحدِّثونهم عن النبي الذي سيخلصهم هم علموهم ماذا علموهم؟ الروايات هكذا تقول أنا قلت ربما البعض يستغرب من هذه المعاني وذلك لعدم ذكرها كثيراً وإلا هذه المعاني موجودة في روايات، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن علمائهم كانوا يعلمونهم ماذا يعلمونهم؟ يُعلِّمون الرجال أنكم حينما تبدأون بالعمل فصلوا على محمَّدٍ وآل مُحَمَّد قولوا: اللَّهُمَّ صلي على محمَّدٍ وآلِ محَمَّد. فإن الله سبحانه وتعالى سيسهل عليكم العمل كيف يُسهِّل عليكم العمل هم لماذا يتساقطون عن السلالم لأنه يصيبهم التعب فعلمائهم علموهم أن قولوا اللَّهُمَّ صلي على محَمَّدٍ وآلِ محَمَّد سيسهل عليكم العمل كرروا هذه اللفظة كرروا هذا الذكر، والروايات تقول إن من نسيَ منهم أن يقول في بداية العمل اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآلِ محَمَّد كان يسقط إما أن يموت وإما أن تصيبه الزمانة، أيضاً علموهم هؤلاء الذين أصابتهم الزمانة قولوا: اللَّهُمَّ صلي على محَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد. فتزول

عنهم الزمانة وأيضاً نسائهم هناك الكثير من نسائهم الحوامل كُنَّ يعطين الرشوة للقوابل فتسكت المرأة القابلة فَتُخبر الشرطة بأن هذه المرأة قد انجبت بنتاً أو تخبر الشرطة بأنها قد قتلت وليدها الروايات تقول عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: **كُنَّ نساء بني إسرائيل يأخذن أولادهن إلى مغاراتٍ في الجبال ويقرأن عليهم عشر مرات اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد فإن الله كان يبعثُ ملائكة لرعاية هؤلاء الأطفال.** هكذا تقول روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا كلامٌ منطقي وإلا كيف بقيَ الإسرائيليون رغم هذا العذاب هذي الأعداد الكثيرة، والرواية عن الإمام العسكري عليه السلام إن من بقي منهم أكثر ممن قتل منهم كيف تمت العملية؟ تمت العملية بهذه الطريقة وحتى نسائهم بعد أن ضج الإسرائيليون جاءهم التعليم لنسائهم أن المرأة إذا أحست أنها ستغتصب أنها ستجبر على الفاحشة فلتقل: اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد. فإن الله سبحانه وتعالى يدفع عنها ذلك، هكذا قالت لنا الروايات والآية كما قال الإمام العسكري عليه السلام نجيناكم بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وهذا نجيناكم في هذه الآية غير أنجيناكم في الآية الثانية ما هو الفارق؟ سأبين الفارق لنقرأ الآية الأولى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني كنتم في وسط آل فرعون ونجيناكم منهم أما الآية الثانية ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ الآية الثانية كانوا بعيدين عن بني فرعون عن آل فرعون فأنجاهم نجيناكم من آل فرعون الآية أنجيناكم، أنجيناكم من الجيوش التي كانت تطاردكم، الفارق هنا ولذلك الآية الأولى لا يمكن أن يُتصور لها معنى دقيق غير هذا التصور الذي أشرتُ إليه من خلال روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهو أن النجاة كانت لبني إسرائيل من داخل الوسط الفرعوني الآية هنا تتحدث عن وجود بني إسرائيل في داخل الوسط الفرعوني ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ في أي حال؟ وهم في حال ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ يعني أن النجاة كانت في حال ما كان آل فرعون يقومون بهذا العمل أما الآية التي بعدها تتحدث عن أن بني إسرائيل لَمَّا خرجوا من مصر وأتبعهم فرعون وجنوده فكانت النجاة نجاة ثانية والذي يدقق في سياق الآيتين يجد هذا المعنى واضحاً ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ هناك عملية تنجية في نفس الوقت الذي كانوا يسامون بالعذاب في نفس الوقت الذي كان الأطفال يذبحون في نفس الوقت الذي كانت النساء تستخدم ويعتدى عليها فتلكم النجاة لا يمكن أن تتصور إلا بهذا التصوير الذي صورهُ لنا الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البلاء يمكن أن يكون نعمةً ويمكن أن يكون نقمةً ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاء﴾ إذا كان الحديث هنا في ذلكم يعني في ذلك العذاب بلاء يعني في ذلك نقمة وبحسب الروايات ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاء﴾ يعني وفي ذلكم نعمةٌ عظيمة، الله سبحانه وتعالى مَنَّ عليكم بنعمةٍ عظيمة وهي نعمة التنجية والنجاة من آل فرعون في نفس الوقت الذي كانوا يسومونكم سوء العذاب ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ فرقنا الفرق هو معاكسٌ مضادٌ للجمع ولذلك يُقال للذي يفصل شعره ألا يُقال هذا المفرق حينما يفصل الإنسان شعره يقال لهذا الحد الفاصل بين جهة اليمين وجهة الشمال يقال لها المفرق أو يقال الفرق ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ فرقنا بكم البحر أي فصلنا البحر إلى أجزاء.

الآية تتحدث عن العبور ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ بحسب الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة أن موسى لَمَّا خرج ببني إسرائيل وخرج فرعون بكل قوتهِ بكل جبروتهِ بكل جنودهِ وعساكرهِ خرج خلفهم فلمَّا وصلوا إلى البحر موسى قال لقومهِ أعبروا، بنو إسرائيل إذا أردنا أن نقرأ تأريخهم وإذا أردنا أن نقرأ قصصهم فهم أكثر الأقوام جدلاً وأكثر الأقوام مماحكةً ومِراءاً مع أنبيائهم، موسى قال لهم أعبروا هذا البحر، وعندنا في الروايات في روايات أهل البيت أنا لا أريد أن أدخل في كل التفاصيل سأنقل الأحداث بشكل مجمل في رواياتنا أن موسى قال لهم: **أقسموا على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ واعبروا البحر**. أنا قلت سيستغربُ كثيرٌ حتى من الشيعة هذه المعاني وذلك لبُعد الشيعةِ عن روايات أهل البيت هذا موجودٌ في رواياتنا وفي رواياتٍ عديدة وفي مصادر كثيرة هذه المعاني موجودة، على أي حالٍ موسى عليه السلام قال لهم اعبروا البحر قالوا أنت تريد منا أن نقول هذه الكلمات ونعبر على هذا الماء نحنُ فررنا من فرعون فراراً من الموت نحن لماذا فررنا من فرعون لأننا نخاف الموت على يد فرعون وأنت الآن تريد منا أن نعبر هذا البحر الواسع نعبر على الماء بكلماتٍ نحن لا ندري مدى مصداقية هذه الكلمات أنت حَوِّل لنا البحر إلى أرض، فضرب موسى البحر بعصاه والروايات تقول أقسم على الله بِمُحَمَّدٍ وعلي وضرب البحر فتحول إلى يابسة بنو إسرائيل يرون أن الماء قد انحسر يعني خرج باطن البحر قال اعبروا قالوا بأن هذه أرضٌ طينية هذا طين ونخاف إذا عبرنا أن نرسب في البحر أن نغطس في هذا الطين فأمر موسى الريح فهبت الريح وأيبست الأرض فقالوا هذا المكان ضيق ونحن كثير كما قلت هم اثنتا عشر قبيلة، ونخاف إذا دخلنا أن نتزاحم وأن نختلف يا موسى أفتح لنا لكل قبيلة طريق ففتح لهم اثني عشر طريق الروايات تقول ضرب

البحر اثني عشر مرة فجعل لكل قبيلة لكل سبطٍ من الأسباط طريقاً قال أعبروا الروايات تقول بأنهُ لَمَّا كانت هذه الطرق اثنا عشر طريق فكان ما بين كل طريق وطريق الماء قد ارتفع حتى كأنهُ الجبل ولذلك هذا الوصف يمكن أن نجدهُ في سورة الشعراء، الآية الثالثة والستون ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الطود العظيم هو الجبل، الجبلُ العظيم يعني الآن عندنا اثنا عشر طريق وما بين طريق وطريق الماء ارتفع كأنهُ الجبل، قال لهم اعبروا قالوا إذا عبرنا لا ندري أن قومنا سيعبرون أو لا فافتح فيما بيننا، الرواية تقول فموسى أشار إلى هذي القمم العالية من المياه ففتحها فكانت كالطيقان كالأطواق يعني هناك طرق وما بين الطرق كانت أطواق وكل قبيلة ترى القبيلة الأخرى وهم يتحادثون حين يعبرون عبروا بهذه الطريقة وهذا دلال يعني أن بني إسرائيل يتدللون على نبيهم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ فعبروا فلمَّا وصل فرعون وقومهُ فوجدوا هذه الطرق فدخلوا بعرباتهم وبقواتهم فلمَّا اجتمعوا جميعاً بحيث لم يخرج أحد منهم من الجانب الثاني وكل القوات القادمة دخلت في وسط البحر الله سبحانه وتعالى أطبق عليهم البحر وأغرقهم جميعاً ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ تنظرون في الجانب الثاني لَمَّا عبروا ورأوا أن فرعونَ بكل كبريائهِ بكل جبروتهِ بكل قواتهِ وبعربتهِ التي كانت مصنوعة من الذهب الخالص وبكل هذه القوة وفرعون كان غاطساً في الحديد من أم رأسهِ إلى أخمص قدميه لذلك كانت آية من الآيات أن الله جعل جسد فرعون بحديدهِ هذا طافياً على الماء لأن بني إسرائيل قالوا من قال بأن فرعون قد مات فالله سبحانه وتعالى أخرج لهم هذه الآية لأن الشيء الطبيعي أن الحديد يغطس في باطن الماء ولكنَّ فرعون الله سبحانه وتعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ كيف كانت التنجية كان فرعون بكل حديدهِ بكل تلك اللامة العسكرية الثقيلة يطفو على الماء فرآهُ الإسرائيليون ورآهُ المصريون وهو يطفو على الماء.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ هذه أحداث وقَصص وتلاحظون الخطاب لمن؟ الخطاب لليهود الذين كانوا يعيشون في زمان رسول الله الخطاب كلهُ، فهل أنَّ الذين كانوا يعيشون في زمان رسول الله يعبدون العجل؟! أبداً الذين كانوا يعيشون في زمان رسول الله لا يعبدون العجل ولكنَّ الذين يعيشون في زمان رسول الله كانوا يحبون أقوامهم وأسلافهم ولذلك نحنُ حينما نقرأ في زيارات الأئمة وفي زيارات سيد الشهداء: **وَلَعَنَ الله أُمَّةً**

سَمِعت بِذَلِكَ فَرَضيت به. نحن نلعن الأُمَّة التي أسرجت وألجمت وتهيأت وتعبأت واستعدت لقتالك يا أبا عبد الله ونلعن الأُمَّة التي سمعت بذلك فرضيت به وتلاحظون هذه الآيات كلها تخاطب بني إسرائيل الذين كانوا في زمان النبي ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ لماذا؟ لأن من أحبَّ عمل قومٍ أُشرِكَ في عملهم هذا قانون وسُنّة إلهية لذلك تلاحظون جميع هذه الأحداث ما كانت في زمان النبي لكن الخطاب خطاب لليهود الذين كانوا في زمان النبي فهل أن اليهود الذين كانوا في زمان النبي قد ذبح فرعون أبنائهم ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾ يا بني إسرائيل يا أيها اليهود يا بني قُريضة ويا سكان خيبر هؤلاء وبنو النظير الذين كانوا يسكنون في المدينة وفي أطراف المدينة في الأماكن القريبة من المدينة هذا الخطاب لهؤلاء اليهود ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ هل هؤلاء قد نظروا إلى فرعون وهو يغرق؟ ولكن لأن القوم يحبون أسلافهم ومن هنا هذه الروايات التي تقول بأن الإمام الحجة عليه السلام حين يخرج يقتل ذراري قَتَلة الحسين لماذا؟

بنفس هذا القانون، هذا قانونٌ إلهي الله سبحانه وتعالى يخاطبُ اليهود في زمان النبي بكل الأحداث التي جرت على أسلافهم لأنهم يحبون أسلافهم لأنهم على طريقتهم ومن هنا يتجلى هذا المعنى هؤلاء المخالفون لأهل البيت الذين يعترضون على مثل هذه الروايات هؤلاء لا يفهمون القرآن هذا من بديهيات السنن القرآنية ولذلك الله سبحانه وتعالى يخاطب اليهود الذين كانوا يعيشون في المدينة يقول لهم ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يقول لهم أنتم ظالمون وأنتم عبدتم العجل لماذا؟ لأن فيهم من كان يُحبُّ اولئك القوم ومن هنا الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حين تحدثنا عن المخالفين لأهل البيت فتصفهم بأنهم هؤلاء قَتَلة وأعداء وظَلَمة لأهل البيت لأنهم رضوا بالذي جرى على أهل البيت ولأنهم يحبون الذين فعلوا هذه الأفاعيل مع أهل البيت.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الميقات الذي ذهب فيه موسى إلى ربه وكان في البداية ثلاثين ليلة وهذا المعنى واضحٌ يعني هذا التفصيل جاء في سورة الأعراف في الآية الثانية والأربعين بعد المئة ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى

﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الروايات الشريفة التي وردت عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أشارت إلى أمرين:

الأمر الأول أشارت إلى أن هذه القضية مصداق من مصاديق عقيدة البداء الله سبحانه وتعالى واعد موسى ثلاثين ليلة وهكذا أخبر الإسرائيليين أخبر بني إسرائيل بأنه ذاهبٌ في ميقات ربهِ مدة ثلاثين ليلة ولكن بعد ذلك صار الميقات أربعين وهذا مصداق من مصاديق البداء عقيدة البداء عند شيعة أهل البيت وإن شاء الله يوم غد في برنامج ندوة المودة حديثنا عن البداء في فكر أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما عُبِدَ الله بعبادةٍ قط أفضل من البداء هكذا قال أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويأتينا توضيحُ هذا إن شاء الله غداً.

والمعنى الثاني ورد في الروايات أنَّ موسى في ميقات ربه كان صائماً وفي اليوم الثلاثين قبل أن يُفطر استاك استعمل المسواك، الله سبحانه وتعالى قال لهُ يا موسى ألا تعلم أن خلوف فم الصائم أحَبُّ إليَّ من المسك من رائحة المسك الروايات تقول بسبب ذاك الله سبحانه وتعالى أمرهُ أن يُتمَّ الميقات إلى اربعين وطبعاً في هذه القضية إشارات في هذه القضية دلالات نأتي على بيانها حينما نصل إلى سورة الأعراف إن وصلنا إلى ذلك. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ بعد أن تمت الثلاثون بدأ عمل السامري هنا أن جاءهم بعجلٍ وعبدوا العجل والقصة فيها تفصيل ولا أريد أن أقف هنا لتفصيل القصة بكل جزئياتها لكنه قال لهم إن موسى واعدكم ثلاثين وموسى لا يكذب فهو نبي فإنهُ قد مات وإنَّ إلهكم قد ظهر في هذا العجل طبعاً بنو إسرائيل قالوا كيف يكون العجل إلهاً قال ليس العجل هو الإله وإنما الله يُكلمكم من خلال العجل كما أن الله كَلَّمَ موسى من خلال الشجرة، أسلوب شيطاني خبيث الروايات تقول بأن السامري صنع هذا التمثال ووضع لهُ ثقباً في دبرهِ وألصقهُ إلى جدار وثقب الجدار وتحت الجدار حفر حفيرة ووضع بعض الأشخاص من أتباعهِ فكانوا يتكلمون ويُظهرون صوتاً من خلال الحفرة ومن خلال الثقب الموجود في جسم العجل فتخرج الأصوات، هناك تفاصيل أخرى وبذلك ضلَّ الإسرائيليون.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ رواية عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه رواية جميلة جداً الإمام يقول: ألا تنظر إلى البقرة عينها مكسورة، وهذي ملاحظة دقيقة هذي ملاحظة لا يلاحظها إلا أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنظر إلى أي بقرة ألا ترى أن عينها مكسورة الإمام يقول البقرة كُسِرت عينها خجلاً من الله منذُ اليوم الذي عبد الإسرائيليون العجل فانكسرت عينها خجلاً من الله بقيت عينها مكسورة وهذي ملاحظة دقيقة جداً من أراد أن ينظر إلى عيون الأبقار

يجد هذه الملاحظة واضحة، البقرة تستحي لكن الإنسان لا يستحي ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذا العفو جاء بعد التوبة هناك توبة ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ هذا العفو جاء بعد التوبة وستأتي الآيات تبين معنى التوبة وكيف تمت التوبة ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يعني هذا العفو كان مِنَّةً منا وباباً فتحناهُ لكم لعلكم تشكرون، لعلكم تشكرون النعم التي أنعم الله بها عليكم ولعلكم تشكرون بسيركم في الطريق الصحيح وفي الصراط المستقيم الذي أوصاكم بهِ موسى عليه السلام.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ هناك كتاب وهو التوراة هذا معروف أما الفرقان ما هو ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الفرقان الروايات بيَّنت أن الفرقان المراد من الفرقان العقيدةُ بأهل البيت التي تُفرِّقُ بين الحق والباطل، كانت هناك تعاليم كانت هناك قوانين كانت هناك قواعد كانت هناك طقوس ومناسك عَلَّمَها موسى لبني إسرائيل على أساسها يُفرَّق بين المؤمن وغير المؤمن بين المُحق وبين المبطل وأساس هذه التعاليم أساس هذا المعنى أساس هذا الفرقان الاعتقاد بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية علي هكذا أخبرتنا الروايات والموضوع فيه تفصيل لا أريد الخوضَ في كل التفاصيل فإن الوقت لا يكفي لذلك ونحن كما اتفقنا في الحلقات السابقة أن نتناول صفحةً كاملة من صفحات المصحف الشريف وإلا هنا سؤالٌ كبير ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ واضح الكتاب التوراة، الفرقان ما هو؟ هل يوجد الآن عند اليهود شيء أسمهُ الفرقان؟ هل يوجد عند اليهود شيء جاء من طريق موسى غير التوراة ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ الفرقان شيء آخر أنا قلت قبل قليل في بداية البرنامج أن بني إسرائيل كان تكليفهم بنبوة النبي وبولاية علي والأئمة أكثر من كل الأُمم ولذلك كان التركيز عليهم في القرآن وهذا كتابُ تكليفهم بنبوة النبي وبولاية عليٍّ والأئمة.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ توبوا إلى بارئكم: عودوا إلى بارئكم لقد ظلمتم أنفسكم ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ كيف تكون هذه التوبة ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنَّ موسى لَمَّا طالبهم بالتوبة وبالعودة

إلى بارئهم وقال: على كُلِّ من عَبَدَ العجل عليه أن يتوب فأكثرهم تبرأ من ذلك قالوا نحن ما عبدنا العجل فنزل الوحيُ على موسى أنهُ خُذ برادة العجل هذا العجل ابردهُ لأنهُ كان مصنوعاً من الذهب أبرُد هذا العجل فَبَرَد العجل وألقاهُ في البحر وقال أشربوا ألقاهُ في الماء في اليم وقال أشربوا فشربوا، الذين عبدوا العجل كما تقول الروايات أسودت شفاههم وآنافهم والذين ما عبدوا العجل وهم قليلون لم يتغير لون شفاههم وآنافهم، فشربوا فاتضح الأمر من الذين عبدوا العجل ألاف مؤلفة أعداد كثيرة جداً النسبة الغالبة منهم كانوا قد عبدوا العجل ولذلك هذه الأُمَّة نفس الشيء النسبة الغالبة قد عبدت العجل هناك حديث واضح عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: **أيُّ أُمَّةٍ ولَّت أمرها رجلاً، نَصَبَّت إماماً عليها وفيهم من هو أعلمُ منه فإن أمرها يذهبُ سُفالاً حتى يعودوا إلى ملة عَبَدَة العجل**. وهذا جرى في هذه الأُمَّة ولا زال يجري إلى يومنا هذا وسيبقى حتى يوم ظهور إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

فشرب بنو إسرائيل من الماء فاسودت شفاههم وآنافهم فقال لهم موسى إنَّ توبتكم هكذا أن تأتوا عند الغروب مُلثمين تحملون سيوفكم وأن يقتل منكم الذين لم يعبدوا العجل الذين عبدوا العجل وتمت عملية القتل ثم أن موسى نزل عليه الوحي أن يكفي، قُتِل قسمٌ منهم والآية تشير إلى هذا المعنى ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**﴾ البارئ هو الخالق ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ**﴾ ما المراد ذلكم خيرٌ لكم؟ أنكم إذا قبلتم بهذا الأمر فإنكم قد أبديتم النية الصادقة والعمل الصادق والتوبة الصادقة ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ**﴾ تاب عليكم أثناء عملية القتل ﴿**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾ والروايات الشريفة تُحدِّثُنا أن موسى لَمَّا ذهب إلى ميقات ربه لَمَّا ذهب كي يأتي بالألواح وكي يأتي بالصحف اختار من قومهِ سبعين رجلاً في بعض الروايات هناك تفصيل أن عدد بني إسرائيل كان سبعمئة ألف فاختار منهم سبعين ألف وأختار من السبعين ألف سبعة ألاف واختار من السبعة ألاف سبعين رجل.

ولذلك أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حينما يتحدثون عن الإمام عن الإمامة والخلافة يشيرون إلى هذه القضية إلى أيةِ قضية؟! إلى قضية أن الأُمَّة لا تستطيع أن تختار إمامها فهذا نبيٌ من أولي العزم أختار من قومهِ سبعين رجلاً ما أن وصلوا إلى ميقات ربهم حتى قالوا أرِنا الله جهرة وهذا نبيٌ من أولي العزم وكما مرَّ قبل قليل في الرواية أنه اختار من سبعمئة ألف سبعين ألف ومن سبعين ألف سبعة ألاف ومن

سبعة ألاف اختار سبعين، اختار من سبعة ألاف سبعمئة ومن السبعمئة اختار سبعين، ومع ذلك لَمَّا وصلوا إلى الميقات قالوا أرِنا الله جهرةً فإذا كان نبيٌ من أولي العزم لم يوفق في اختيار هؤلاء القوم هو لم يوفق لأن طبيعة المجتمع هي هذه فهو اختار أفضلهم لا يعني أن النبي المعصوم ليس موفقاً ولكنَّ المجتمع هو هذا، الأُمَّة هي هذه وهؤلاء هم أفضل ما في الأُمَّة فمن هنا الأُمَّة لا تستطيع أن تختار إمامها مُرادي من الإمام إمامُ الأصل إمامُ الدينِ والدنيا الإمام الذي يكون ترجمان القرآن الإمام الذي يكون وجه الله الواسطة فيما بين الناس فيما بين الخلق وبين الله ليس الإمام الذي يحكمُ في الدنانير والدراهم مُرادي من الإمام إمامُ الدين والدنيا، على أي حالٍ فلمَّا اختار من قومهِ سبعين رجلاً الروايات تقول هكذا قالوا أولاً نريد أن نسمع كلام الله لأن موسى أخبرهم بأن الله كلَّمَهُ واختارُه كليماً له فهو كليم الله قالوا نحن لا نُصَدِّقُ بذلك حتى نسمع كلام الله فاختار سبعين رجلاً من أصحابهِ وذهب بهم إلى الميقات وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يسمعوا الصوت فسمعوا الصوت من كل مكان من فوقهم ومن أسفلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم من كل الجهات الله خلق الصوت في كل جهة قالوا إنا لا نؤمن حتى نرى الله جهرة لَمَّا قالوا هذا القول نزلت عليهم الصاعقة.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ أخذتهم الصاعقة ليس كلهم الذين تكلموا هناك مجموعة هم موافقون لهم لكن لم ينطقوا نزلت الصاعقة على بعضهم فموسى قال للمتبقين أتصدقون؟ قالوا لا لأن الصاعقة هذه نكبةٌ من نكبات الدهر تصيب البر والفاجر من قال بأن هذه الصاعقة نزلت بسبب هذا الكلام لكن نحن نطلب منك أن تعيدهم إلى الحياة فيخبروننا فلذلك الله أحياهم وهذا مصداق من مصاديق عقيدة الرجعة لأنهُ مرَّ علينا في الآيات السابقة مرَّ علينا في الآية الثامنة والعشرين ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وتحدثتُ عن الرجعة وجئتُ بمصاديق كالقوم الذين فروا من الطاعون وأماتهم الله وأحياهم كقصة عُزير وهذه قصة أخرى أيضاً على الرجعة وهو أنهم نزلت عليهم الصاعقة فماتوا فأحياهم الله، وأحياهم ورجعوا إلى دورهم ليس فقط أحياهم للحظات لأن الآيات التي بعدها هذا ابن الكوا يسألُ أمير المؤمنين عن هذه الآية قال فبعد أن أحياهم هل أماتهم؟ قال أما تقرأ ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ بعد هذه الآية ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ يعني ذهبوا إلى بيوتهم وكانوا يأكلون المنَّ والسلوى بعد هذا الموت.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ

مَوْتِكُمْ﴾ هؤلاء الذين أماتتهم الصاعقة أحياهم الله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ الروايات تقول إن بني إسرائيل طبعاً هذه الأحداث ليست على سبيل السرد التأريخي هذه وقائع مقاطع وصور ولقطات مأخوذة من حياة بني إسرائيل.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ الغمام المراد من الغمام الغيوم البيضاء الجميلة الخفيفة ليس الغيوم التي تكون الأجواء فيها مظلمة ومكفهرة وإنما هي الغيوم البيضاء الخفيفة التي تحول فيما بينهم وبين الشمس فإنهم بعد أن خرجوا من مصر سكنوا مدةً زمنية في الصحراء فكانوا يتأذون من حرارة الشمس الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم الغمام حتى يتمتعوا بأجواء جميلة بأجواء هادئة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ والمَنّ هذه أول ما نزلت على بني إسرائيل لا زال في بعض المناطق الجبلية الباردة تنزل على رؤوس الجبال وعلى الأشجار وهي حلوى، حلوى السماء يُقال لها: مَنُّ السماء ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ حلوى بيضاء تنزل على رؤوس الجبال على الصخور على الأشجار كانت تنزل عليهم فيجمعونها ويأكلونها ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ والسلوى من أطيب الطيور لحماً وهو طير السُمان أو السُمانا فكانت تنزل عليهم ويصطادونها بسهولة كانت تنزل على موائدهم يصطادونها بسهولة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأئمة يقولون إن الله سبحانه وتعالى أجل من أن يُظلم وأجل من أن ينسب إليه الظُلم أن يظلمهُ أحد الأئمة يقولون ولكن الله سبحانه وتعالى نسبنا إليه فنسب الظلم الذي وقع علينا والظلم الذي وُجه إلينا فنسبنا إليه ونسب الظلم إليه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

بهذا تتم صفحة أخرى من صفحات المصحف الشريف وإن شاء الله في الحلقة القادمة نتناول صفحة جديدة من صفحات الكتاب الكريم أسألكم الدعاء وتصبحون على مودة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في أمان الله.

الحلقة الثامنة

تفسير سورة البقرة من الآية ٥٨ الى الآية ٦١

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وهذه الحلقة الثامنة من برنامج قرآننا، وكما هو الديدنُ في كل حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج أن أتناول صفحةً واحدةً من صفحات المصحف الشريف بالشرح والبيان والتفسير، وصلنا إلى الآية الثامنة والخمسين من سورة البقرة المباركة ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

لا زالَ الكلامُ عن بني إسرائيل والآياتُ التي تناولت أحداث ووقائع ومجريات جرت على بني إسرائيل أكثر من مئة آية في سورة البقرة وقد اشرت بشكلٍ مُجمل إلى أن التركيزَ على ذكر بني إسرائيل في الكتاب الكريم قد يُقال على نحو الجملة للشبه فيما جرى على بني إسرائيل وما جرى على أُمَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قد يُقال هذا الكلام ولكن هذا كلامٌ إجمالي وقد بينت أن السرَّ في ذلك هو أن بني إسرائيل كانت لهم عُلقة خاصة في دينهم في دينهم الأول في دينهم الذي نزلَ بهِ موسى في دينهم وفي كتابهم الذي أُنزِلَ على موسى عليه السلام هناك عُلقة خاصة في دينهم بنبينا صلى الله عليه وآله وبالأئمة المعصومين عليهم أفضلُ الصلاة والسلام، وهذا المعنى واضحٌ من كتاب الله، أنا أشير بشكلٍ إجمالي لبعض النقاط وبعض المسائل التي قد توضح هذه القضية:

النقطة الأولى: لماذا هذا التركيز؟ نفسُ التكرار ونفس التعدد وأن تُذكر قصص بني إسرائيل دائماً وعلى طول الكتاب الكريم هو هذا نفسهُ قرينة أن هناك رابطة فيما بين بني إسرائيل وفيما بين هذا القرآن هناك رابطة فيما بين بني إسرائيل وفيما يدعو إليهِ هذا القرآن والقرآنُ يدعو في كل مضمونهِ وفي كل فحوى إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد نفسُ التكرار هو يُشعِرُ بذلك حينما تتكررُ قصص بني إسرائيل وحينما يتكرر ذكر بني إسرائيل وحينما تتكررُ أحداث الامتحانات وأحداث الانتكاسات وأحداثُ التوفيقات التي مرَّ بها الإسرائيليون وحينما يتكرر ذكر أنبيائهم وما كان فيما بينهم وبين قومهم من بني إسرائيل كُلُّ هذا يُشعرنا أن هناك ارتباطاً فيما بين بني إسرائيل وفيما بين القرآن وآل القرآن وحقيقة القرآن في مُحَمَّدٍ وآل محمَّد فهذا التكرار يُشعِرُ بذلك ولكن حينما ندخلُ في طوايا وفي أعماق كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين التي بيّنت لنا مضامين القرآن ومعاني القرآن يتجلى هذا الأمرُ واضحاً جداً هناك ترابطٌ واضح بين أنبياء بني إسرائيل وبين نبينا وآلهِ هناك ترابطٌ واضح بين دعوة موسى وتوراته وبين قرآن نبينا صلى الله عليه وآله، لذلك حينما نقرأ في الكتاب الكريم في الآية السابعة والأربعين من سورة البقرة ومرّت علينا:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بأي شيءٍ فُضِّلَ بني إسرائيل على العالمين؟ دعني من أقوال المفسرين التي يأتون من جيوبهم، بأي شيءٍ فُضِّلَ بنو إسرائيل على العالمين؟ ما هو ميزانُ التفضيل في فكر أهل البيت على العالمين؟

ميزانُ التفضيل هو المعرفة حينما نُراجعُ كلمات أهل البيت نجد أن ميزان التفضيل والتفاضل هو المعرفة والمعرفة ليس المراد منها المعرفة الدنيوية وليس المراد منها المعرفة بشؤون إدارة الحياة وليس المراد منها المعرفة بالأحكام الفقهية وإنما المراد من هذه المعرفة المعرفةُ الإلهية، المعارف الإلهية، والمعارف الإلهية في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أساسها معرفة أهل البيت أساسها معرفة النبي وآل النبي، أساس المعارف الإلهية لكل شيءٍ أساس ومودَّةُ أهل البيت وولاية أهل البيت ومحبة أهل البيت كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله أساسُ الإسلام أساس الاسلام النامي كما وقع في عبارات المعصومين معرفة الإمام معرفة أهل البيت معرفة النبي وآل النبي هي اساس الإسلام النامي ووصفت بالنامي لأنها ليست ثابتة عند حدٍ مُعيّن وإنما هي في حركةٍ في سموٍ وارتقاء، الإمام هو أسُ الإسلام النامي ومعرفة الإمام هي أسُ إسلامنا النامي لكل شيءٍ أساس وأساسُ الإسلامِ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فميزانُ التفضيل هو في هذه الجهة هو في هذه الناحية وإنما فُضِّلُ بنو إسرائيل على الأُمم لأن الأُمم السابقة والديانات السابقة لم تكن مُكلَّفة بالاعتقاد بالنبي مُحَمَّدٍ وآل محمَّد كما كُلِّفَ بنو إسرائيل نعم نحن نعتقد أنهُ ما من نبيٍ بُعِث من لدن آدم إلى زمان نبينا إلا وبُعِث ونُبئ بنبوة النبي وولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولكن الأنبياء كانوا يُبينون لأممهم شيئاً مُجملاً لا كما بيّن موسى عليه السلام لبني إسرائيل، موسى وهارون نبيان في آنٍ واحد اضطلعا بهذه القضية ولذلك كان النبي موسى أكثر الأنبياء معاجزاً لم يكن هو أفضل الأنبياء ولكنهُ كان أكثر الأنبياء معاجزاً لماذا هذه الكثرة من المعجزات؟

إلى الآن اليهود هكذا يحتجون يقولون إننا لا نعتقد بنبوة أي نبيٍ حتى يأتينا بمعجزاتٍ كمعجزاتِ موسى أو أكثر من معجزات موسى إلى الآن هذا هو كلامُ اليهود إلى يومنا هذا، هذا كلام اليهود كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وكلامُ اليهود إلى اليوم هكذا بأننا لا ندين لنبي من الأنبياء حتى يأتينا بمعاجز كمعاجز موسى أو أفضل من معاجز موسى وهذا واضحٌ أن المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام كانت معجزات هائلة من جهة الجانب الحسي وكان الناس يرون هذه المعجزات ليس نفر أو نفرين أو

ثلاث أنفار أمم كاملة كانت ترى هذه المعجزات وهذه المعجزات كان يراها أولياء موسى وأعداء موسى والقرآن الكريم مشحونٌ بذكر هذه المعجزات لأي شيءٍ؟ هذا التكرار في المعجزات لأي شيءٍ؟ لأجل توكيد الحجة على بني إسرائيل وإلا مثلاً نحنُ الآن حينما نقرأُ في الآيات التي مرَّ ذكرها والحديث عنها في الحلقة الماضية مثلاً ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ وقد تحدثت عن الكيفية التي حدث بها فرقُ البحر هذه معجزة هائلة ولقد رآها الإسرائيليون ورآها الفراعنة أيضاً ومعاجز أخرى كثيرة.

المعجزة الأخرى ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ معاجز كثيرة جداً في تأريخ بني إسرائيل هذه معجزات وتستمر، الله سبحانه وتعالى كان يُظلل عليهم الغمام كل يوم ويُنزل عليهم المنَّ والسلوى في كل صباحٍ وفي كل مساء، عند الصباح ينزلُ عليهم المنَّ وعند المساء يُنَزِّلُ عليهم السلوى هذا في كل يوم معجزات مستمرة زمانياً مكانياً ويراها الكثير من البشر الأعداد الهائلة من البشر ولو أردنا الحديث عن معجزات موسى عليه السلام التي ذُكِرت في القرآن لاحتجنا إلى وقتٍ طويل ولكننا نتحدث عن كل واحدٍ منها بحسب ورودها في سياق الآيات الكريمة، هذا الكمُّ الهائل من المعجزات هو لأجل إقامة الحجَّة ولتأكيد معنىً هذا المعنى بالنسبة لبني إسرائيل قد يصعب عليهم التسليم به لأول مرة لأنهم بالكاد سلَّموا لموسى فكيف يُسلِّموا لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، لأُناسٍ سيأتون في قرون قادمة كيف يُسلّمون لهم كيف يعتقدون بهم؟ هم بالكاد سلَّموا لموسى وهارون نبيان في آنٍ واحد وهذه حالة نادرة في تأريخ الأمم نبيان في آنٍ واحد ومعاجز عظيمة جداً معاجز محسوسة ومرئية للألاف المؤلفة لعشرات الألاف من البشر ومستمرة، ومن هنا قال الإسرائيليون نحن لا نؤمن لنبيٍ حتى يأتينا بمعجزاتٍ كمعجزات موسى، هذا التراكم الهائل من المعجزات وهذا التراكم الهائل من الضخ المعنوي النبي موسى والنبي هارون إضافة إلى أعداد كثيرة من الأنبياء، أكثرُ الأمم أنبياء هم بنو إسرائيل كلُّ ذلك لأجل هذه القضية وكان التفضيلُ بسبب هذا الأمر، فُضِّلوا على سائر الأمم لأنهم كُلِّفوا بشكلٍ واضح وبشكلٍ علني لذلك عملية التحريف في القرآن الكريم أكثر التركيز فيها على بني إسرائيل.

الأمم التي سبقت بني إسرائيل لم يتحدث القرآن أنهم قد حَرَّفوا، التحريف حدث بشكل واضح وقوي ربما وقع التحريف في الأمم السالفة لكن لا بالنحو الذي وقع في أُمَّة بني إسرائيل، التحريف الذي وقع في بني إسرائيل كان تحريفاً واسعاً وعميقاً وعظيماً وإلى الآن، الآن كتاب العهد القديم توراة موسى غير موجود منها إلا خمسة أسفار موجودة في كتاب العهد القديم وهناك من المطلعين على الأسرار اليهودية يقولون هناك العديد من الأسفار من أسفار توراة موسى موجودة عند اليهود إلا أنها غير مُعلنة، عملية التحريف كانت بسبب هذا الموضوع وعلى نفس هذا النَسَق مجيءُ اليهود من بلاد الشام إلى أرض الجزيرة العربية إلى أرض

الحجاز من دون أن يكون هناك أي مُسَوِّغ أي مُشجع للمجيء إلى هذه الصحراء القاحلة التي لا زرع فيها ولا ضرع فيها ولا ماء فيها ولا فيها أي شيء!! السبب في ذلك هو أنهم كانوا يبحثون عن الأرض التي سيُبعثُ فيها مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وإلا لِمَا جاؤوا إلى هنا؟ هل أجبرهم أحد؟ التأريخُ لا يذكرُ ذلك، هل سباهم أحد وجاء بهم إلى هذه الأرض؟ أبداً، هل هناك من تجارةٍ من زراعةٍ من ذهبٍ من فضةٍ في هذه الأرض؟ لا يوجد، أرضٌ قاحلة والتأريخُ يحدِّثُنا إنهم جاؤوا بحثاً عن النبي الخاتم، ولذلك القرآن يخاطبُ اليهود الذين كانوا في زمان النبي وكأنهم هم اليهود الذين كانوا في زمان موسى، الآن الآيات إذا أردنا أن نرجع إلى سياق الآيات الأولى مثلاً في الآيات التي مرت علينا في آيات بني إسرائيل:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا خطاب لبني إسرائيل الذين هم في زمان النبي محمَّد صلى الله عليه وآله، القرآن يخاطبهم لا تلبسوا الحق بالباطل لا تُضيعوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أن النبي المذكور في كتبكم هو هذا وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ويستمر الخطاب ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ هل هؤلاء هم الذين نجاهم الله من آل فرعون الذين كانوا في زمان النبي ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾ هل هؤلاء هم اليهود الذين ذَبَّحَ فرعون أولادهم واستحيا نسائهم؟ ويستمر الكلام ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ الخطاب على نفس اليهود الذين هم في زمان رسول الله، إلى أن وصلنا إلى الآية الأولى من الصفحة التي نريد أن نتناولها في هذه الحلقة ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هل أن القول كان موجهاً لهؤلاء اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله أنا أُرَكِّز على هذه القضية لأن هذه مسألة مُهمة هذه قاعدة مهمة ستعيننا في فهم القرآن وستعيننا في كشف الكثير من الحقائق التي غُطيت وهذه الحقائق موجودة في كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلا أن هذه الحقائق حُجِبت، هذه الحقائق حُجبت بسببين:

السبب الأول: حجبها أعداء أهل البيت.

والسبب الثاني: أن أولياء أهل البيت لم يهتموا فيها، تركوا روايات أهل البيت وذهبوا إلى منابع أخرى إلى عيونٍ أخرى يستقون منها.

هذه المعاني واضحة في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نبينا صلى الله عليه وآله حينما أراد أن يشيرَ إلى خلافة سيد الأوصياء بمن شبههُ؟ شبههُ بهارون وهذا الحديث من أقوى الأحاديث التي نحتجُّ بها على المخالفين لأن هذا الحديث موجودٌ في كتبهم وصحيحٌ بحسبِ تقييمهم

للأحاديث – **أنتَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى** – هناك ترابط واضح، الرابطة بين الإمام الحجَّةِ عليه السلام وبين عيسى وعيسى من أنبياء بني إسرائيل، الرابطة بين سيد الشهداء وبين يحيى ﴿**كهيعص** * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ والروايات تقول: **ك: كربلاء، هـ: هلاكُ العترة، ي: يزيد قاتل الحسين ظالم الحسين، ع: عطشُ الحسين، ص: صبر الحسين.** وهذا تفسيرُ صاحب الأمر هذه الرواية منقولةٌ عن إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه ﴿**كهيعص** * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ كان ذكرُ الحسين ذكراً لزكريا وإلا هل كان زكريا يردد حروفاً هكذا يقول كهيعص ﴿**كهيعص**﴾ في أول سورة مريم الآية التي بعدها ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ هو هذا الذكر الذي كان يذكرهُ والروايات مُفَصَّلةٌ في ذلك لا أريدُ الخوضَ في هذا المعنى وإنما أردتُ أن أقول هناك ترابط، هناك ترابطٌ بين عليٍّ وبين هارون بين الحسين وبين يحيى بين إمام زماننا وبين عيسى وهؤلاء كلهم أنبياء بني إسرائيل بين مريم وبين الزهراء ومن أسماء الزهراء مريم الكبرى، مريم أم عيسى هي مريم الصغرى، مريم الكبرى هي فاطمة لأن مريم سيدة نساء عالمها فاطمة هي التي سيدةُ نساء العالمين مُطلقاً في كل العوالم في كل الأزمان وفي كل الأمكنة.

هناك ترابط واضح ولو أردنا أن نتتبعَ هذه الجزئيات وهذه التفصيلات لطال الكلامُ بنا لذلك هذا التركيز على قضية بني إسرائيل في الكتاب الكريم لأجل هذه القضية ليست مجرد قصة عابرة حتى قصة يوسف عليه السلام ويوسف من أنبياء بني إسرائيل وكلُّ الأحداث وكل التفاصيل لها عُلقة هناك رابطة بين غيبة إمام زماننا وبين غيبة يوسف وربما نتناول هذه المعاني حينما نصلُ إلى تفاصيل بيان هذه الوقائع وهذه الأحداث لكن كلُّ هذه إيماضات كلُّ هذه إشارات أردتُ الإشارة إليها لأجل أن تتضح الفكرة من أن هذا التكرار وهذا الاهتمام بذكر بني إسرائيل هو لأن بني إسرائيل كانوا قد كُلِّفوا بالاعتقاد بنبوة نبينا وبولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قد لا يقبلُ البعضُ هذا القول لا شأن لنا بهم، كما قال الفُضيل بن يسار ومحمَّد بن مسلم للإمام الصادق عليه السلام: **ما لنا وللناس نحن ما لنا وللناس بكم والله نأتمّ وعنكم نأخذ ولكم والله نُسلِّم ومن وليتم والله تولينا ومن برئتم منه برئنا منه ومن كففتم عنه كففنا عنه ما لنا وللناس،** لَمَّا سَمِعَ الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه ذلك الكلام رفع يده إلى السماء وقال: **والله هو الحق المبين،** ما لنا وللناس فليقولوا ما يقولوا وليقبلوا ما يقبلوا وليرفضوا ما يرفضوا هذا كلامُ أهل البيت هذه رواياتهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهناك قرائن كثيرة يمكن أن نبحث عنها في طوايا الكتاب الكريم وفي فحوى كلمات أهل بيت العصمة تؤكد هذه القضية وتُبين هذه الحقيقة أن تفضيل

اليهود أن تفضيل بني إسرائيل لتكليفهم بالاعتقاد بنبوة النبي وبولاية عليٍّ والأئمة وهذا هو السبب لتكرار أحاديثهم ولتكرار مجريات أمورهم في القرآن الكريم وقد بينت روايات أهل البيت هذه المعاني.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ لنأخذ الألفاظ بما هي ألفاظ وإن كان القرآن إذا أردنا أن نفهمهُ وفقاً لمذاق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهناك أسس وقواعد في فهم هذا الكتاب الكريم هناك أسس وقواعد لكن لننظر إلى الآية فقط من جهة البناء اللفظي ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ جاؤوا إلى قرية ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ يعني اليهود وصلوا إلى قرية، الله أمرهم أن يدخلوا إلى هذه القرية يأكلوا منها ما يشاءون ولكن إذا دخلوا من باب القرية يسجدون ويقولون حِطَّة ربما قال المفسرون المُراد من حِطَّة اللَّهُمَّ حِطَّ عنَّا ذنوبنا يعني أغفر لنا ذنوبنا هذا المعنى موجود في كتب المفسرين وفي كتب الفريقين موجود هذا المعنى أنهُ ادخلوا الباب واسجدوا وقولوا حِطة الآية التي بعدها ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ فحينما دخلوا ما قالوا حطة موجود في كتب التفاسير يقولون قالوا حنطة، إن الله أمرهم أن يقولوا حطّة والمراد من حطة يعني حُطَّ عنا ذنوبنا طلب المغفرة فقالوا حنطة استهزاءً، القصة يعني بهذا النحو قصة ساذجة جداً وهناك أكثر من تساؤل يُثار على هذه القصة هكذا في كتب المفسرين.

في كتب أهل البيت في روايات أهل البيت عن إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ هذه الحادثة حدثت كما في روايات أهل البيت بعد التيه الحوادث المذكورة هنا ليست مرتبة بحسب الترتيب التأريخي ليس فقط في هذه القضية وإنما في الكتاب الكريم حينما يتحدث عن الأمم السالفة وعن الأنبياء السالفين فحينما يشير إلى بعض الأحداث ليس بالضرورة أن تأتي مرتبةً بحسب تسلسلها التأريخي، تسلسل وقوعها وإنما في بعض الأحيان يكون النظر إلى أهمية الحدث، التسلسل في بعض الأحيان يكون بحسب أهمية الحدث وعلى أي حال أنا لا أريد الخوض كثيراً في المسائل التأريخية ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ في روايتنا وصلوا إلى هذه القرية بعد التيه يعني بعد أن أنتهى التيه أليس دخلوا في تيه لمدة أربعين سنة وفي هذا التيه توفي موسى وهارون وفاة موسى وهارون كانت أثناء التيه كما هو المعروف وصلوا إلى قرية بعد التيه وطبعاً كان عندهم أنبياء وأوصياء بنو إسرائيل كان عندهم يعيش في زمان واحد أكثر من نبي وأكثر من وصي ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾ القرية هي مدينة أريحا، طبعاً في الكتاب الكريم كلمة

القرية تُطلق على المدينة على طول الكتاب ولذلك سميت مكة بأم القرى يعني بأم المدن سُميت بأم القرى يعني بأم المُدن استعمال القرية في الكتاب الكريم على طول الكتاب هو استعمال في المدينة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هذه المدينة وكما في الروايات هي مدينة أريحا في فلسطين ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ هنيئاً ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾ تناولوا ما تجدون فيها في ثمارها في بساتينها في أشجارها كلوا ذلك رغداً بليونةٍ بسهولة ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ في البداية قبل أن تدخلوا إلى هذه القرية ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ باعتبار أنهم قد لقوا ما لقوا من العنت في فترة التيه وكأنها هذه فترة إجازة فترةُ استراحة حينما وصلوا إلى أريحا أنتم ادخلوا إلى هذه المدينة وارتاحوا وكلوا واشربوا وتنعموا رغداً ولكن بشرط إذا دخلتم من باب القرية من باب المدينة فاسجدوا، الرواية عن الإمام الحسن العسكري تقول:

إن الله مَثَّلَ لهم على باب أريحا صورةً مثالاً للنبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين. لذلك نحن لا نستغربُ حينما نقرأ في سيرة النبي في تأريخ النبي أن اليهود إن كانوا في بلاد الحجاز في المدينة وغيرها أو كانوا في الشام حينما سافرَ النبي صلى الله عليه وآله في سفر التجارة إلى الشام مع عمّهِ أبي طالب وحينما سافر بأموال خديجة والتأريخ مُفصَّل وكيف أن اليهود أحبار اليهود جاؤوا فنظروا إلى وجههِ وعرفوا وجهه من أين عرفوا وجهه؟ أليس لابد أن تكون عندهم صور، وفي بعض الروايات كان عند بعض الأحبار أو عند بعض القساوسة كانت عندهم صورة فجاؤوا بهذه الصورة وطابقوا فيما بينها وبين النبي حتى أن قريش تعجبوا من أين جاؤوا بهذه الصورة وهذا موجود في كتب الأخبار من أين جاءت هذه الصورة؟ ومن أين عرف اليهود صورة النبي بهذا التفصيل وبهذه الدقة ولقد حاولوا اغتيال النبي حتى في صغرهِ بل هناك ما هو أكثر من ذلك أن حاولوا اغتيال عبد الله والد النبي لأنهم عرفوا أن هذا الرجل هو الذي يحملُ نورَ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فكان في جبهة عبد الله نور يُشرق هناك غُرة غرة واضحة ولذلك كانت نساء قريش تتسابق فيما بينها فتعرض نفسها للزواج على عبد الله لأنه كان ميموناً في نظر العرب وفي نظر قريش ولا أريد الحديث في هذه التفاصيل فإنني سأشطُّ بعيداً عن الموضوع الذي بين يدي.

هناك قرائن كثيرة تُشير إلى أن اليهود كانوا يملكون صورةً للنبي وأحداث وتفاصيل موجودة هذه تتعانق مع هذا المعنى الذي أشار إليه إمامنا الزاكي العسكري أن الله مَثَّلَ لليهود على باب أريحا صورةً لِمُحَمَّدٍ ولعَليٍّ وأمرهم بالسجود كما يقول إمامنا العسكري بالسجود لله تعظيماً لهذين لِمُحَمَّدٍ ولعَلي، الرواية هكذا تقول الإمام قال: يسجدون لله لا أقول هنا بأنهم سجدوا لِمُحَمَّدٍ ولعلي الرواية هكذا قالت عن إمامنا الزاكي العسكري حتى لا يؤول كلامي ولا يحرَّف كلامي فإني قد ابتليت بهذا الأمر طيلة السنين الماضية، الرواية عن

الإمام الحسن العسكري وموجودة في كتب حديثنا ومصادرها كثيرة ولا أريد الحديث هنا عن المصادر، حينما أقول مصادرها كثيرة مصدرها الأصلي هو تفسير الإمام العسكري ولكن هناك مصادر كثيرة جداً نقلت هذه الروايات عن إمامنا الزاكي العسكري عن تفسيرهِ الشريف من كتب علمائنا الأجلاء، فقد مَثَّلَ الله لليهود مثال مُحَمَّدٍ وعلي وأمرهم بالسجود تحت هذين المثالين تعظيماً لهم ولكن السجود لله سجودٌ لله تعظيماً وإجلالاً كما سجد الملائكة لآدم وسجدَ الملائكةُ كلهم كلُّ الملائكة لماذا؟ الروايات ألم تقل بأن السجود كان لأي شيءٍ لآدم؟ للنور الذي كان يحملهُ آدم وأيُّ نورٍ كان يحملهُ آدم؟ نورُ مُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وهذا المعنى واضحٌ في كلمات أهل بيت العصمة أما إذا كان الناس يريدوا ان يعرضوا عن كلمات أهل البيت فماذا نصنعُ لهم؟ وإذا كانوا يرفضون هذا القول فما ذنبنا نحن؟ هذا كلامُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فَمَثَّلَ مثالاً محمَّدٍ وعليٍّ وأمرَ اليهود بالسجود، أمرهم بالسجود وأن يقسموا على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ أن يحطَّ عنهم الذنوب التي ارتكبوها في فترة التيه وما قبل التيه فقد آذوا أنبيائهم وفعلوا الأفاعيل، الله سبحانه وتعالى أراد أن يفتح لهم باب المغفرة باب التوبة فقال لهم قولوا حطة اطلبوا أن يحط الله ذنوبكم واقسموا على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وادخلوا الباب سُجَّداً وأنتم تعتقدون بولايتهما هكذا في الرواية عن الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه فكيف دخل اليهود؟ الإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول دخلوا باستاههم يعني استدبروا اعطوا أدبارهم إلى الباب ودخلوا، الرواية كما يقول الإمام فدخلوا باستاههم يعني اعطوا أدبارهم للباب ودخلوا وقالوا كما تقول الرواية هكذا استهزاءً هطة سما قانا بلغة ذلك العصر حنطةٌ حمراء معناها حنطةٌ حمراء نتقوتها ونأكلها خيرٌ لنا من هذا الكلام ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم التي ارتكبتموها ما قبل التيه وأثناء التيه إلى اليوم الذي وصلتم فيهِ إلى أريحا بعد انتهاء التيه ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ من هم المحسنون؟ المحسنون الذين ثبتوا على الإيمان بنبوة النبي وولاية عليٍّ ما قبل التيه وأثناء التيه باعتبار أن النبي موسى قد أخبرهم بذلك.

ومرَّ علينا أنهم لَمَّا وصلوا إلى البحر أن موسى عليه السلام قال لهم أقسموا على الله بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد واعبروا ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ مرَّ علينا في الحلقة الماضية أنهم حينما كانوا يُعذبون جاءتهم التعليمات أن أقسموا على الله بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فكان العذاب يُدفع عنهم ومرت التفاصيل علينا كيف أنهم حينما يصعدون على السلالم ويتساقطون منهم من يموت ومنهم من تصبيه الزمانة فكانوا يبدأون

يومهم بذكر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فيُدفع عنهم بذلك الجهد والنَصَب والتعب والأذى والسقوط من على السلالم ومن نسيَ منهم وسقط فأصابتهُ الزمانه فأقسمَ على الله بِمُحَمَّدٍ وآل محَمَّد شَفيَ من مرضهِ ومن عاهته مرَّ هذا الكلام، القضية الارتباط بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد منذُ البداية، فالذين ثبتوا هؤلاء هم المحسنون وهذا ليس ببعيدٍ عن المعنى الموجود في سورة الشورى المباركة ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ من يقترف من يأتي بالحسنة ﴿ نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ هذه الآية الثالثةُ والعشرون من سورة الشورى المباركة ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ الذي يقترف حسنةً هو ماذا؟ هو المحسن ﴿ نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴾ يعني سنزيدُ المحسنين هذا المعنى يتعانق مع نفس الآية التي بين أيدينا ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟ يقول نحنُ بابُ حطتكم الرواية في تفسير العياشي رضوان الله تعالى عليه وإمامنا الباقرُ أيضاً يقول نحن بابُ حِطَّتِكُم، هم بابُ حِطّتنا وبابُ حِطّة بني إسرائيل وبابُ حِطّة الأمم وسأأتي على بيان هذا المعنى بعد أن أستمر في بيان معنى الآيات أعود إلى بيان معنى باب حطة وأن باب حطة هم مُحَمَّدٌ وعليٌّ وآلهما الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً ﴾ الرجز هو العذاب والعذاب قد يكون مادياً وقد يكون معنوياً وبنو إسرائيل نزل عليهم العذابُ المادي والعذابُ المعنوي ومن أشد معاني العذاب المعنوي هو الإضلال، الضلالة وهذا الذي جرى في الأُمَّة الرواية في الكافي الشريف عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه في الجزء الأول في أصول الكافي – **قال إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه: فبدَّلَ الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون** – هذه الرواية عن أبي حمزة الثمالي الشيخ الكليني يرويها بسندهِ المعتبر عن أبي حمزة الثمالي عن إمامنا الباقر عليه السلام أن المعنى الحقيقي لهذه الآية أن المعنى الذي نزل على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله المعنى الحقيقي لهذه الآية هو هذا قال هكذا نزلت على محمَّد يعني أن معناها الحقيقي وإلا ليس المراد هكذا نزلت باللفظ، الدلالة الحقيقية والمعنى الحقيقي لهذه الآية: **فبدَّلَ الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ حقهم قولاً غير الذي قيل لهم.**

هذا جرى في بني إسرائيل وجرى في هذه الأُمَّة، في هذه الأُمَّة بدلوا القول الذي قيل لهم في آل مُحَمَّد، لقد اعتدي على عليٍّ واعتديَ على فاطمة واعتدي على الحسن والحسين وجرى الذي جرى – **فبدَّلَ الذين**

ظلموا آل مُحَمَّدٍ حقهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ حقهم رجزاً من السماء – ولذلك عندنا في الروايات لَمَّا قُتِلَ الحسين عليه السلام الله سبحانه وتعالى أنزل ملائكة فنادت في هذه الأُمَّة أن لا بوركت لا بورك لهذه الأُمَّة لا بورك لكم لا في صيامكم ولا في فطركم ولذلك لم يُبارك لهذه الأُمَّة إلى يومنا هذا وما اتفقَ المسلمون على اليوم الذي يصومون فيه ولا اتفقوا على اليوم الذي يفطرون فيه فإنهم ربما صاموا في يوم عيدهم وربما أفطروا في يوم صيامهم لقد رفع الله البركة عن هذه الأُمَّة والروايات واضحة أن الملائكة نادت وتنادي في كل شهر صيام أن لا بورك في هذه الأُمَّة لأنهُ ماذا فعلت؟ ولا زالت تفعل لا زالت على نفس الطريق لا زال الانحراف والابتعادُ عن أهل البيت ولا زال التركيز والتأكيد على محبة أعداء أهل البيت إلى يومك هذا.

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، فأنزلنا على الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ حقهم رجزاً من السماء، وكانت الضلالة ولذلك إمامنا الصادق عليه السلام حينما يقف عند هذه الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ قال خيرُ أُمَّة أي أُمَّة؟ التي قتلت عليًّا أو التي قتلت الحسين قال كنتم خير أُمَّة كنتم خير أئمة هذه نزلت فينا في آل مُحَمَّد نحن الذين نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، الذين قتلوا عليًّا وقتلوا فاطمة وقتلوا الحسن والحسين هؤلاء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! كنتم خير أُمَّة قال كنتم خير أئمة وهم الأُمَّة هم الأُمَّة الصادقة هم الأُمَّة الناطقة وكان جدهم إبراهيم كان أُمَّة قانتاً إبراهيم لوحدهِ كان أُمَّة قانتا والأئمة هم الأُمَّةُ الصادقةُ التي هي خيرُ الأمم وهل هناك من هو خير من أئمتنا؟

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ والفسق معناه واضح الفسق هو الخروج من عقد الولاية، فسقت التمرة خرجت من قشرها هكذا في أصل كلام العرب يقال هذه تمرةٌ فاسقة حينما يخرج لب التمر من قشرهِ حينما يكون التمر عتيقاً حينما يعتقُ التمر ينفصل لبهُ عن قشرهِ فيقال لهذه التمرة فاسقة، فالذي نزع عنهُ رداءَ ميثاق الولاية والإمامة هو هذا الفاسق هذا الفسق الحقيقي ﴿**فأنزلنا على الذين ظلموا** – آل مُحَمَّدٍ حقهم – **رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون**﴾ وهذا ينطبقُ على بني إسرائيل الذين استهزءوا حينما دخلوا من باب حطة وينطبقُ على هذه الأُمَّة.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ هذا الاستسقاء كان في فترة التيه يعني بعد العبور يعني بعد أن عبروا وبعد ذلك دخلوا في مراحل أخرى ومنها مرحلة التيه كان الاستسقاء في تلكم الفترة لأنهم كانوا يسيرون في الصحراء من المساء إلى الصباح ومن الصباح إلى المساء فحينما يُصبحون يجدون أنفسهم قد رجعوا إلى

نفس المكان الذي قد بدأوا منه وبقوا على هذه الحالة لمدة اربعين سنة فلمَّا أصابهم العطش وأصابهم الجوع والتعب ضجوا إلى موسى أن أدركنا الرواية أيضاً عن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن موسى عليه السلام أقسم على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين أقسمَ على الله ثم انبجست المنبجسات انفجرت العيون ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ﴾ استسقى يعني طلب السقيا كيف طلب السقيا أن أقسمَ على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين هذا ليس كلامي هذا كلام آل مُحَمَّد - ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى﴾ طلب السقيا، استسقى، استفعل، الاستفعال هو الطلب ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى﴾ كيف استسقى؟ أقسمَ على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وهنا استسقى استفعل يعني استعمل الوسيلة كما يُقال استنبط الماء من البئر استخرج الماء من البئر كيف يُستخرج الماء من البئر؟ بواسطة وسيلة، كيف تُستخرج المعادن؟ هناك وسائل مادة استفعال تعطي هذا المعنى استعمال الوسيلة مادة استفعل استسقى استعمل وسيلةً ما هي هذه الوسيلة؟ الوسيلة في بُعدها المعنوي أقسمَ على الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وفي بُعدها المادي استعمل عصاه فضرب بعصاه وللعلم في رواياتنا أن العصا هي مظهرٌ من مظاهر ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ولو كان الحديث عن هذا الموضوع نتحدث إن شاء الله عنه في وقتهِ.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ لماذا اثنتا عشرة عينا؟ اثنتا عشرة عينا بحسب المعنى الظاهر لأنهم كانوا كما مرَّ علينا في قضية العبور وإذ فرقنا بكم البحر قالوا يا موسى نحن اثنا عشر قبيلة اثنا عشر مجموعة فنريد اثنا عشر طريق وهؤلاء هم الاسباط من أولاد إسرائيل قبائل اليهود من أولاد إسرائيل فجعل لكل أُناسٍ مشربهم لكل مجموعة، ولكن التركيز على هذا العدد وبالذات في بني إسرائيل تجد أن الأسباط اثنا عشر، الطرق التي فُتحت في البحر اثنا عشر، المشارب العيون التي انبجست لهم اثنتا عشرة عينا لماذا؟ التذكير بالاثني عشر ولذلك هذا المعنى واضح في رواياتنا نحن اثنا عشر بعدد العيون التي انبجست لبني إسرائيل من أراد أن يُراجع الروايات يجد هناك مطابقة مقارنة لأجل تأكيد المعاني في أذهان بني إسرائيل أن النجاة بالاثني عشر وأن الخلاص من العطشِ والجوع بالاثني عشر وأن السجود عند باب حِطَّة بأصل الاثني عشر بِمُحَمَّدٍ وعلي هناك ترابط واضح وهذه المعاني لا تتجلى إلا إذا رجعنا إلى كلمات أهل البيت ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ .

طبعاً هذه العيون كانت تنبجس لهم بطعامٍ وشراب هذه معجزات وفي الروايات أن إمامنا الحُجَّة عليه السلام حينما يخرج من الحجاز لا يحمل معهُ طعاماً ولا شراباً يحمل معهُ هذا الحجر، حجر موسى حجر المنبجسات على أي حالٍ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ليس فقط للشراب، هذه العيون هذه للطعام والشراب ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ .

تلاحظون المعجزات القوية وهم حتى في فترة التيه هذه الحادثة وقعت في فترة التيه لأنهم لَمَّا عبروا الله سبحانه وتعالى أنزل عليهم المنَّ والسلوى، لم تجد أُمَّة قد دُلِّلَت كما دُلِلَ بنو إسرائيل لَمَّا عبروا أنزل عليهم المنَّ والسلوى بعد ذلك عوقبوا بالتيه بعد عبادة العجل وما ترتب على ذلك من توبتهم ففي فترة التيه لَمَّا أصابهم العطش والجوع فضجوا إلى موسى فموسى استسقى لهم وهم يسمعون يطلب من الله بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فتنبجس هذه العيون اثنتا عشرة عيناً ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا﴾ لاتعثوا: لا تفسدوا ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تعثوا: لا تفسدوا، يعني ولا تكونوا مفسدين ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ هذا الكلام كان بعد إنزالِ المنِّ والسلوى كما قلتُ قبل قليل بأن هذه الأحداث ليست مرتبة بالنحو التأريخي وإنما بحسب أهمية الحدث، الحدث الأول وهو الدخول من باب حطة إعلان الولاية لِمُحَمَّدٍ وعلي كان هو الأهم، الحدث الثاني حدث المنبجسات حدث أن انبجست لهم اثنتا عشرة عينا بعدد الأئمة لكنهم لَمَّا أنزل الله عليهم المنَّ والسلوى قالوا ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ باعتبار هم يأكلون المنَّ عند الصباح هذه الحلوى السماوية ويأكلون السلوى عند المساء وهو طيور السمانا، وإذ قلتم وتلاحظون الخطاب لمن لبني إسرائيل الموجودين في زمان النبي لماذا؟

لأن بني إسرائيل الذين كانوا في زمان النبي كانوا يعيشون هذا الهاجس يعيشون هاجس انتظار النبي الخاتم لكنهُ لَمَّا بُعِثَ من قريش لَمَّا بُعِثَ من بني هاشم أرتدوا، بدءوا يخفون الحقائق وإلا كانوا في أنتظار هذا النبي الخاتم حيث كانوا يتصورون أنهُ يكون منهم وذهبوا إلى أرض يثرب تمهيداً لهُ يمهدون الأمر لهُ باعتبار أن هجرتهُ وأن مهاجرهُ سيكون في يثرب فذهبوا على هذا الأساس إلى بلاد الحجاز أبائهم وأجدادهم القضية متواصلة ومترابطة وتلاحظون إلى يومنا هذا قضية الارتباط العنصري لليهود بالديانة اليهودية يعني الآن اليهود هل ينظرون إلى الشخص الذي الآن يتهود وليس أصلهُ يهودياً بحسب عقيدتهم كاليهودي الذي من أصلٍ يهودي؟ أبداً إلى الآن هم يحاولون الحفاظ على مشجراتهم وعلى أنسابهم وإلى الآن فيما بينهم من

يحتفظ بمشجرات حسب ما يدّعون بأنهم مثلاً يرجعون هذا يرجع في نسبهِ إلى موسى وهذا يرجع في نسبهِ إلى هارون وهذا يرجع في نسبهِ إلى النبي الكذائي إلى الولي الكذائي إلى الآن يحتفظون بمثل هذه المعاني هناك ارتباط بالعنصر الأصلي عند اليهود لا يوجد لهُ شبيه في كل الأمم ولا عند كل الأقوام ولا عند كل القبائل ولذلك القرآن أيضاً ينظر إلى هذه القضية ويخاطبهم هكذا وكأن الذي عاشوا في زمان النبي هم نفسهم الذين مرت عليهم هذه الأحداث.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا ﴾ البقل الخضروات الأعشاب الخضراء مثل الفجل مثلاً الفجل وأخوات الفجل مثل الفجل مثل الكراث وأخوات هذه البقول، البقل هي الخضروات العشبية وقد يُطلق أيضاً البقل على الباقلاء وهي أيضاً من الخضروات ﴿ مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا ﴾ كالفجل ﴿ وَقِثَّائِهَا ﴾ القثاء هو الخيار ما يسمى بالخيار في زماننا ﴿ وَفُومِهَا ﴾ الفوم اختلف المفسرون في فومها منهم من قال أن الفوم هو الثوم ومنهم من قال أن الفوم هو الحنطة ومنهم من قال أن الفوم هو اللحم في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في بعض الروايات ورد معنى الفوم هو الحنطة ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ العدس والبصل معانيهما واضحة.

﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ موسى هنا يقوم بعملية مقارنة يقول الله يُنزل عليكم المنّ هذه الحلوى السماوية والسلوى طيور السمانا تنزل على موائدكم ما تريدون هذا وتبحثون عن أشياء هي أدنى منزلةً هي أقل قيمةً تبحثون عن عدسٍ وعن بصل وعن قثاء وعن فوم ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ مِصراً ليست هي مصر كما يشتبه البعض مِصراً، مِصر لا يُقال عنها مِصراً، مِصر أسم عَلَم والاسمُ العلم الذي فيه عُجمة مِصر أسم علم وهو أسمٌ أعجمي ليس عربياً فأسم علم وفيه عُجمة فسيكون ممنوعاً من الصرف والممنوع من الصرف لا يُنون وهذه منونة مِصراً، مِصر المراد من مِصر يعني بلداً وليس هو الاسمُ العلم ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ يعني كان هناك قريباً منهم منطقةً، بلداً، قريةً، لم تُذكر في كتب التفسير بشكلٍ واضح أيُّ بلدٍ هو هذا الذي ذهبوا إليه؟ لكنهُ هو قطعاً في هذه المنطقة هم كانوا يجولون فيما بين مِصر وسيناء وفلسطين وبلاد الشام قطعاً في هذه المنطقة لا تخرج عن هذه المنطقة ما بين أطراف مصر وسيناء وفلسطين.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ هناك كانت منطقة مدينة قريبة منهم أذهبوا إليها ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ ستجدون هناك عدساً وبصلاً وقثاءً فلمَّا وصلوا إلى هناك ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ يعني الله سبحانه وتعالى دعاهم إلى مأدبة خاصة هذه مأدبة إلهية، هذه مأدبة إلهية أن الله يُنزل عليهم من السماء المنّ وينزل عليهم السلوى وبحضور نبيهم موسى وبحضور نبيهم هارون بحضور الأنبياء هذه السفرة الإلهية تُمَد والله يُنزلها ويرون ذلك أمام أعينهم الآن الناس يذهبون إلى مكان ديني إلى مسجد إلى حسينية فيُطبخ فيها طعام أو حتى في بيوت الناس في بيوت المؤمنين يتبركون بأجزاء صغيرة من هذا الطعام، هذه سفرة إلهية مُدت لهم وهذا التأكيد على هذه المعجزات لأجل التكليف الذي كُلِّفوا بهِ بنبوة النبي وولاية عليٍّ والأئمة لكنهم رفضوا ذلك ذهبوا يبحثون عن بصلٍ وعن فجلٍ وعن قثاءٍ.

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ المسكنة الفقر الحاجة ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ باؤوا يعني حلّوا في منزلةٍ حلَّ فيها غضب الله عليهم وهذه القضية ليس خاصة في مقطع زماني هنا الآية تتحدث ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ ليس فقط في هذا المقطع من التأريخ حينما استبدلوا المنّ والسلوى بالعدس والبصل ليس فقط في هذا المقطع من التأريخ وإنما اليهود عِبرَ التأريخ ضُرِبت عليهم الذِّلَّة والمسكنة ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ المسكنة الفقر والحاجة ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ لماذا؟ لماذا عبر التأريخ هذه السُنة قد جرت عليهم ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ وآياتُ الله النبي والأئمة والأدلةُ الحسية عليها تلكم المعجزات التي رآها اليهود ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ فقد قتلوا كثيراً من الأنبياء، النبي زكريا عليه السلام نشروه بالمناشير مجموعة من النجارين من نجاري اليهود لأن زكريا كان يعملُ نجاراً معهم في السوق فحملوا مناشيرهم ونشروه بالمناشير، في الروايات أنهم كانوا يقتلون الأنبياء عند الصباح وعند العصر يُقامُ سوق البقل يعني العلوة مالت الخضرة، علوة الخضرة العصر تُفتح الروايات تقول هكذا يقتلون الأنبياء صباحاً وعند العصر يُقامُ سوقُ البقل عند بني إسرائيل، صباحاً يقتلون الأنبياء والعصر تفتح علوة الخضرة.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ عصوا نبيهم موسى ونبيهم هارون في أي شيءٍ؟ في الاعتقاد بنبوة نبينا وبولاية عليٍّ والأئمة وهذا الأمر بقيَ ثابتاً هذا الأمر بقيَ واضحاً إلى زمان النبي صلى الله عليه وآله لذلك حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأحداث كثيرة في هذا وربما نتطرق إليها.

بهذا تكمل عندنا صفحة كاملة من صفحات المصحف الشريف وإن كانت هناك الكثير من المطالب كان بودي أن أقف عليها ولكن إلتزاماً بجدول البرنامج وإلتزاماً بما أخذناهُ كصيغةٍ للبرنامج أن أتناول صفحة من صفحات المصحف الشريف.

لكن أعود إلى باب حطة أنا قلت في البداية سوف أتحدث عن باب حِطّة، وقلتُ بأن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه قال: **نحنُ بابُ حِطَّتِكُم**. أئمتنا قالوا لنا بأنهم هم بابُ حِطّتنا والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم بابُ حِطّة لنا ولغيرنا باب حطةٍ لأهل الأرض ولأهل السماء وهذا ليس غريباً يا شيعة أهل البيت أنتم تزورون أئمتكم هذا مفاتيح الجنان ولا أظنُ أن بيتاً من بيوتكم يخلو من هذا الكتاب الشريف، مفاتيحُ الجنان حينما تقرأون زيارة سيد الشهداء أنا آخذ هذه الزيارة كمثال وإلا هذا المعنى موجود في زياراتٍ كثيرة في زيارات أمير المؤمنين في زيارات سيد الشهداء في زيارات الأئمة لكن أخذ هذا مثال هذه بين يدي زيارة سيد الشهداء المخصوصة التي يُزارُ بها سيد الشهداء في شهر رجب وكذلك في النصف من شعبان الزيارة الشعبانية هذه الزيارة يرويها المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه يرويها عن الشيخ المفيد يرويها عن السيد ابن طاووس يرويها عن الشهيد الأول رحمة الله عليه عن أجلة علمائنا هذه الزيارة أوردوها في مزاراتهم الشيخ المفيد أوردها في مزارِهِ السيد ابن طاووس أوردها في كتب مزاراتِهِ والشهيد الأول أوردها في مزارِهِ أيضاً علمائنا الأقدمون كان كل عالم منهم عندهُ كتاب أسمهُ كتاب المزار لاهتمامهم بهذه النصوص الشريفة، المُحدِّث القمي رحمة الله عليه ينقل هذه الزيارة الشريفة عن شيخنا المفيد عن السيد ابن طاووس عن الشهيد الأول وعن الكثير من المصادر التي أوردت هذه الزيارة الكريمة الزيارة التي نزور بها الحسين في شهر رجب وفي شهر شعبان ماذا نخاطبهُ؟

أنتم تخاطبون إمامكم هكذا: **السلام عليك يا خازن الكتاب المسطور، السلام عليك يا وراث التوراة والإنجيل والزبور** – وأضع هنا خطاً تحت هذه العبارة كي تتذكروها بعد ذلك – **السلام عليك يا خازن الكتاب المسطور، السلام عليك يا وراث التوراة والإنجيل والزبور، السلام عليك يا أمين الرحمن، السلام عليك يا شريك القرآن، السلامُ عليكَ يا عمود الدين، السلامُ عليك يا باب حكمة ربِّ العالمين، السلام عليك باب حِطَّةَ أو السلامُ عليك يا باب حِطَّةٍ الذي من دخلهُ كان من الآمنين،**

السلام عليك يا عيبة علم الله، السلام عليك يا موضع سر الله، السلامُ عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور ... إلى آخر الزيارة الشريفة.

السلام عليك يا وراث التوراة والإنجيل والزبور: – التوراة والإنجيل والزبور يدور مدارها حول حُسينٍ وآل حسين – **السلامُ عليك يا باب حِطَّةٍ الذي من دخلهُ كان من الآمنين** – فهم باب حِطّة هذا المعنى يتكرر في زياراتهم هم كانوا باب حِطّة لبني إسرائيل وهم باب حِطّة لنا وباب حِطّة للأجيال الآتية بابُ حِطّة لأهل الأرضِ ولأهل السماء وحينما أقول إنهم بابُ حِطّة لا بذلك المعنى الضيق أنهم كانوا باباً لمدينة أريحا كما مرَّ علينا قبل قليل الكلام أو أنهم كانوا باباً لأُمَّة بني إسرائيل في مقطعٍ زماني معين إنما بابُ أريحا كان مظهراً من مظاهر هذا الباب لأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مظاهرهم في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود وهذا المعنى واضحٌ في كلماتهم لا أبالي بمن لا يقتنعُ بمثل هذا الكلام هذه كلمات أهلُ البيت وهذه فحاوى رواياتهم وإن شاء الله في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ربما نتطرقُ إلى كثيرٍ من هذه المضامين.

أليس الكعبةُ البيت الحرام هي صورة عن بيتٍ آخر هو البيت المعمور أو ما يسمى بالضُراح في روايات أهل البيت، البيت المعمور أو الضُراح أليس هو ذلك البيت الحقيقي والكعبة هي صورة عن ذلك البيت وطوافُ الناس بهذا البيت هو صورة عن طواف أهل السماء بذلك البيت في السماء الرابعة وحتى البيت المعمور هو صورة عن العرش الذي يطوفُ بهِ قُطانُ ذلك العالم في السماء السابعة كما يطوف قُطان السماء السابعة حول العرش يطوف قُطان السماء الرابعة حول البيت المعمور ويطوف قُطان الأرض وسكانها من المؤمنين حول البيت الحرام حول المسجد الحرام وجوهرة هذا المسجد جوهرتهُ ونواتهُ عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه الذي ولد فيه، جوهرة هذا المسجد الولاية العلوية، الحقيقة العلوية على أي حالٍ المطالب يُفتحُ بعضها على البعض الآخر ولا أريد التشعب كثيراً في مثل هذه التفاصيل ربما نتناولها بحسب المقام الذي يناسبُ الحديث فيها وعنها وحولها إن شاء الله تعالى فأهلُ البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مظاهرهم عديدة ولذلك نحنُ لا نستغربُ هذا بحارُ الأنوار وهو الجزء الرابع والعشرون في صفحة:301 الرواية السابعة ينقلها الشيخُ المجلسي عن بصائر الدرجات ينقلها، **بسندهِ عن مُحمَّد بن منصور عن الإمام المعصوم عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فقال: إن القرآن لهُ ظهرٌ وبطن فجميعُ ما حُرِّمَ في الكتاب هو الظاهر والباطنُ من ذلك أئمة الجور وجميعُ ما أُحِلَّ في الكتاب هو الظاهر والباطنُ من ذلك أئمة الحق.**

هناك عندنا رواية يأتي فيها التفصيل أكثر، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن كنز الفوائد للمحدث

الكراجكي رحمة الله عليه وهو يرويها عن الشيخ الطوسي شيخ الطائفة، **بإسنادهِ إلى داوود بن كثير قال قلتُ: لأبي عبد الله عليه السلام** – داوود بن كثير يسأل الإمام الصادق – **أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ قال يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهرُ الحرام ونحن البلدُ الحرام ونحن كعبة الله** – قبل قليل أشرت إلى أن المعنى الحقيقي لكعبة الله الولاية العلوية – **ونحن الشهر الحرام ونحن البلدُ الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلةُ الله ونحن وجهُ الله قال الله تعالى:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ – فثَمَّ فهناك – **ونحنُ الآيات ونحنُ البينات وعدونا في كتاب الله عزَّ وجلَّ الفحشاء والمنكر والبغيُ** – هذه مظاهر أعدائهم – **الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُ والخمرُ والميسر والأنصابُ والأزلامُ والأصنامُ والأوثانُ والجبتُ والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير، يا دوواد إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفَضَّلنا وجعلنا أُمنائهُ وحَفَظَتهُ وخُزَّانهُ على ما في السماوات وما في الأرض وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمّانا في كتابهِ وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحَبِّها إليه وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابهِ وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابهِ في أبغض الأسماء إليه وإلى عبادهِ المتقين.**

هذا مُرادي من أن الأئمة لهم مظاهر والرواية هنا تتحدث عن هذا المعنى والوقت لا يسمح لي أن أدخل في كل هذه التفاصيل لكنني أَعِدُ المشاهدين أن أتحدَّثَ عن مثل هذه المعاني إن شاء الله في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ولذلك رواية أخرى أيضاً ينقلها الشيخ الطوسي، **عن إمامنا الصادق أنهُ قال: نحنُ أصلُ كل خيرٍ ومن فروعنا كلُّ بِر ومن البر التوحيد والصلاة** – فروعنا من مظاهرهم – **نحنُ أصلُ كل خيرٍ ومن فروعنا كلُّ بِر ومن البر التوحيد والصلاة والصيامُ** – التوحيدُ من مظاهرهم – **التوحيدُ والصلاةُ والصيام وكظمُ الغيضِ والعفو عن المسيء** – لكن لا تُفهم هذه الأمور كما يفهمها أولئك البدو أصحاب العقول، حينما أقول البدو أنا لا أريد الاساءة إلى أناسٍ يسكنون في الصحراء إلى قبائل تعيشُ في الصحراء وإنما أشير إلى أولئك الأعراب الجهَلة الذين يعتقدون أنهم على حقٍّ وعلى هُدىً وعلى علم، أولئك الحولان والعميان والعوران الذين ابتلينا بهم عبر التأريخ – **نحنُ أصلُ كل خيرٍ ومن فروعنا كلُّ بِر ومن البر التوحيد والصلاة والصيام وكظمُ الغيضِ والعفو عن المسيء ورحمة الفقير وتعاهد الجار والإقرار بالفضل لأهله، وعدونا أصل كل شر ومن فروعهم كل قبيحٍ وفاحشة فمنهم الكذب والنميمةُ والبُخلُ والقطيعةُ وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حقه وتعدي الحدود التي أمر الله عزَّ وجلَّ وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن من الزنا والسرقة وكل ما وافق ذلك من القبيح، وكذب من قال إنهُ معنا وهو متعلقٌ بفرع غيرنا.**

والروايات في هذا كثيرةٌ لأننا أُمِرنا أن نؤمن بظاهرٍ وبباطن وهناك ظواهرٌ وهناك بواطن وهكذا أنتم تخاطبون أئمتكم: **إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم**. ما معنى ذلك؟ وأنتم تخاطبون الأئمة: **إني مؤمنٌ بظاهركم وباطنكم**. يأتي أحد فيقول المراد من الظاهر مثلاً الصورة الظاهرية قد يكون هذا من جملة المعاني لكن الأئمة هكذا قالوا. المراد من الظاهر والمراد من الباطن وهذا أيضاً إن شاء الله نأتي على بيانهِ في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

الوقتُ طال بنا وأخذت كثيراً من وقتكم وكان بودي أن أتناول مطالب أخرى إن شاء الله في الحلقات القادمة بقدر ما يسمح بهِ المقام ويسنحُ بهِ المجال سأشير إلى ما جاء في مثل هذه المضامين ومن كلمات أهل البيت لا من كلماتي ولا من كلمات غيرهم فإني لا أعبأُ بكلمات غيرهم سواءً كَبُرَ الناس أم صغروا فإني لا أعبأ بهم لا أعبأ إلا بكلمات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعهدٌ أني لا أنقل لكم إلا من كلامهم من كلام مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اللَّهُمَّ أحينا محيا مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وأمتنا ممات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ولا تفرق بيننا وبين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ طرفة عين أبداً. ألقاكم إن شاء الله على مودة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة التاسعة

تفسير سورة البقرة من الآية ٦٢ الى الآية ٧٣

السلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاتهُ وهذه هي الحلقة التاسعة من برنامج قُرآننا، لا زلنا في سورة البقرة المباركة وكان آخر الحديث في الحلقة الماضية في الآية الحادية والستين، نشرع اليوم في الآية الثانية والستين من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

الآية هذه هي في سياق وفي جملة الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل ولا زالت الآيات في سورة البقرة متواصلةً للحديث عن وقائع مختلفة من تأريخ ومن حياة بني إسرائيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ هناك أربع مجموعات أو أربعة أصناف ذُكرت في هذه الآية الذين آمنوا، الذين هادوا، النصارى، الصابئين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ المراد هنا الذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿والنَّصَارَى﴾ هم النصارى المسيحيون ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ الصابئون وقع اختلافٌ كبير بين المفسرين من المراد من الصابئين ولا أريد الدخول في اختلافات المفسرين، هناك من قال أن الصابئين هم المندائيون الذين توجد بقاياهم الآن في العراق وهناك من قال أن الصابئين هم طوائف من الوثنيين غير هؤلاء الذين يعيشون في العراق وهناك وهناك، الذي يبدو من تتبع كتب التفسير وحتى من خلال الروايات والأخبار ذكر الصابئين هنا إشارة إلى بقية الأديان السماوية التي بقيت لها بقايا وآثار في الأرض. فهناك طائفة الذين آمنوا وهم الذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله والذين هادوا والنصارى والصابئين الآية كأنها تريد أن تشير إن التسميات ليست مهمةً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ هؤلاء اسمهم المؤمنون ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ اسمهم اليهود ﴿والنَّصَارَى﴾ اسمهم النصارى أو المسيحيون والصابئون كذلك، هذه مجموعات من الناس كل مجموعة لها اسمها الخاص وقطعاً هذه التسمية لها سبب تأريخي ولها سبب عقائدي

وفكري هذه المجموعات من البشر على اختلاف مشاربها وأذواقها الفكرية القرآن هكذا يتحدثُ عنهم ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ يعني أن هذه المجموعات الأسماء والتسميات والتصنيف على أساس الفِرَق والمذاهب والأديان ليس هو الذي سيكونُ سبباً وسبيلاً للنجاة وإنما النجاة تكون في هذه الشرائط التالية: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ والأجر هو الثواب والجزاء ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوفٌ عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون مما يلقاهُ الذين ضلوا وابتعدوا عن جادة الصواب.

هذه الآية بشكلٍ عام هناك كلامٌ كثيرٌ بخصوصها وأنا سأختصرُ المقال هناك من المفسرين من قال بأن المراد من الذين هادوا والنصارى والصابئين الذين آمنوا حينما كانت دياناتهم غير منسوخة يعني الأوائل منهم يعني الذين هادوا قبل نزول المسيح والنصارى قبل نزول الديانة المحَمَّدية، مرادي قبل نزول المسيح قبل نزول الديانة المسيحية باعتبار أن الآية تتحدث عن أن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين أيُّ طائفة من هذه الطوائف إذا آمنت بالله وباليوم الآخر وعملت صالحاً فلها أجرها عند ربها وهذا يعني أنهم جميعاً على هدى وهذا خلاف الأصول الثابتة في قضية نسخ الأديان فلذلك ذهبَ جمعٌ من المفسرين إلى أن المراد بهؤلاء الذين ذُكروا هم المجموعات الأولى التي آمنت بدينها وعملت صالحاً قبل أن تُنسخ أديانها وهناك من قال بأن هذه الآية نزلت لغرضٍ مُعين ثم نُسخت، نُسخت بآيات أخرى كما نُسخت مثلاً بالآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ أو بالآية الشريفة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وغير ذلك وقد اختلفت أقوال المفسرين أنا هنا لن أطيلَ الكلام في هذه النقطة وإنما أذهبُ مستقيماً إلى ما جاء في روايات أهل البيت، ما جاء في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ في مستقبل أيامهم بعد أن جاء الدينُ الحنيف بعد أن جاءت العقيدةُ الحقة بعد أن جاء إسلامُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهذا المعنى يستقيم بسهولةٍ جداً ولسنا بحاجةٍ إلى ناسخٍ ومنسوخ ولسنا بحاجةٍ إلى ابتعادٍ عن سياق ألفاظ الآية الشريفة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى﴾ الذين هادوا اليهود والنصارى هم النصارى والصابئين من أي ديانةٍ أخرى من الديانات ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ في مستقبل أيامهم بعد نزول العقيدة الحقة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا

يتناسب مع سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل باعتبار أن الآيات التي بين أيدينا تُطالبُ بني إسرائيل تُطالبُ اليهود الذين كانوا يعيشون في زمان النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وما حول المدينة تطالبهم بالإيمانِ بالنبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فبهذا المعنى يستقيم تستقيم الصورة بشكلٍ كامل فجاء هنا ذكرُ النصارى وذكر الصابئين لبيان قاعدةٍ عامة في الحساب الأخروي يوم القيامة فجاءت الآية صريحةً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ إذا ما آمنوا بِمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وفقاً لِمَا جاء في دينهِ إيمانٌ بالله وباليوم الآخر وكذلك الإتيانُ بالعمل الصالح ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الخطاب لا زال لبني إسرائيل والخطاب لليهود الذين هم في زمان مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذه الأحداث وهذه الوقائع حدثت في زمان النبي موسى عليه السلام ولكن تلاحظون بأن الخطاب في الكتاب الكريم لنفس اليهود الذين عاشوا في زمان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وكأن الأحداث هذه حدثت في زمان النبي صلى الله عليه وآله وقد بينتُ السبب في ذلك قلتُ بأن اليهود هم الأُمَّة التي كُلِّفت بالاعتقاد بنبينا وآلهِ الأطهار بشكلٍ واضح وبشكلٍ صريح وهذا هو سبب تفضيلهم على بقية الأمم بينتُ هذا المعنى في الحلقات الماضية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ والميثاقُ هو العهد، العهدُ بأيّ شيءٍ؟ العهدُ بطاعة الله وبطاعة نبيهم موسى وبطاعة نبيهم هارون وإنما طاعة الله وطاعة موسى وهاورن بالاعتقاد بنبوة محمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل عليٍّ كما مرَّ علينا في الروايات وقد مرت الإشارة إلى ذلك في الآية الثالثة والخمسين من سورة البقرة ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ هناك كتابٌ وهناك فُرقان أما الكتاب فهو التوراة وأما الفرقان فهو ذلك الكتاب المخصوص بذكر مُحَمَّدٍ وآل محمَّد ورد في الروايات عن الأئمة الأطهار أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتاباً على موسى هذا الكتاب كتابٌ مخصوص بتكليف بني إسرائيل بالاعتقاد بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل علي والآية هنا تتحدث عن الكتاب والذي يُتبادر منهُ هو التوراة وتتحدث عن كتابٍ آخر وهو الفرقان إذا أردنا أن نجمع بين تلكم الروايات، الروايات التي قالت بين الرواية التي قالت إن الله أنزل على موسى كتاباً مخصوصاً بذكر محمَّدٍ وآل مُحَمَّد إذا جمعنا بين هذه الرواية وبين هذه الآية وقلنا بان الكتاب المذكور هو التوراة فإن الفرقان سيدلُ على ذلك الكتاب المخصوص الذي جاء فيه ذكرُ مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ متى كان هذا؟

حينما ذهب موسى لميثاق ربهِ لميقات ربه لَمَّا ذهب لميقات ربه وأخذ معه جمعاً من بني إسرائيل ومرَّ الحديثُ عن بعض وقائع الميقات ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الطور هو الجبل، لَمَّا ذهبوا مع موسى وأراد موسى أن يأخذ منهم الميثاق فإنهم ما أذعنوا القضية فيها صعوبة ما هي هذه الصعوبة؟ الصعوبة أن بني إسرائيل ما كانوا يجدون في قلوبهم إذعانٌ لبني عمومتهم لأولاد إسماعيل وأن موسى يريد أن يأخذ عليهم ميثاقاً لولد إسماعيل فلذلك كانت القضية عسيرة عليهم، فبنو إسرائيل ما كانوا يُذعنون في قلوبهم لبني إسماعيل ولقومٍ من بني إسماعيل سيأتون في آخر الزمان لذلك كانت القضية عسيرة على قلوبهم ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى أراهم هذه الآية، أيَّةُ آية؟

الله سبحانه وتعالى وبإرادةٍ من موسى سلسلة جبلية بكاملها رُفعت من الأرض ووقفت فوق رؤوسهم تكاد أن تقع على رؤوسهم في الروايات أن هذه القطعة من الأرض كانت فرسخاً في فرسخ، الفرسخ بالحساب المعاصر الآن يعني خمسة كيلو متر، يعني خمسة كيلو متر في خمسة كيلو متر هذه القطعة من سلسلة جبلية هائلة رُفعت من الأرض وبقيت مُعلقة في الهواء بين السماء وبين الأرض موسى قال لهم إن لم تؤمنوا وتُعطوا الميثاق فإني سَأُنزِل عليكم هذا الطور هذا الجبل، آية معجزة واضحة كبيرة جداً هل لنا أن نتصور كيف كانت هذه الصورة قطعة أرضية جبال، سلسلة جبلية فرسخ في فرسخ ترتفع من على وجه الأرض أمام أعينهم وتبقى مُعلقة في الهواء فوق رؤوسهم وموسى عليه السلام قال لهم إن لم تؤمنوا فإني سأوقع هذا الجبل على رؤوسكم فحينها أعطوا الميثاق، أعطوا الميثاق خوفاً ورهبةً وهم يصطرعون فيما بينهم وبين أنفسهم والروايات تقول إنهم أعطوا الميثاق ليس كلهم عن إيمانٍ وعن اقتناع فسقطوا خوفاً على وجوههم سجوداً وعَفّروا وجوههم في التراب لكن ليس كل الذين سقطوا سجوداً على التراب كانوا قد آمنوا وأيقنوا بالذي أمرهم به موسى عليه السلام وإنما البعضُ منهم والآية تتحدثُ عن هذه الواقعة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾ ما آتيناكم من أي شيءٍ؟

ما آتيناكم من كتابٍ ومن فرقان ما آتيناكم من عقيدةٍ ومن دين ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ اسحاق بن عمار يسأل الإمام الصادق عليه السلام قال هذه القوة يا ابن رسول الله قوةٌ في الأبدان أو قوةٌ في القلب، في القلوب؟ قال جميعاً ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بقوة الأبدان وبقوة القلوب أي أبذلوا أبدانكم للوفاء بهذا الميثاق واجعلوا قلوبكم صادقةً مطمئنةً بهذا الميثاق ولذلك الوفاء لأهل البيت الوفاء لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد يحتاجُ إلى قوةٍ في القلوب وإلى قوةٍ في الأبدان أن تُبذل الأبدان لأجل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وأن تُبذل القلوب

لأجل محمَّدٍ وآل محمَّد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اذكروا ما في هذا الميثاق اذكروا ما في هذه العقيدة اذكروا ما في هذا الكتاب الذي أنزلهُ ربكم عليكم ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون إما المراد لعلكم تتصفون بالتقوى في هذه الحياة الدنيوية أو لعلكم تتقون عذاب الله أو لعلكم تتقون سخط الله في يوم القيامة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهناك نقاشٌ كلامٌ بين موسى وبين الذين اختارهم من بني إسرائيل فلَمَّا عَرَضَ عليهم الميثاق شَكّوا ولم يقبلوا بما طرح عليهم فرفع لهم قطعةً من الجبال قطعةً من الأرض كادت أن تسقط على رؤوسهم وقال لهم إن لم تؤمنوا وإن لم تعطوا ميثاقكم فإني سأُسقط الجبل على رؤوسكم فَخَرُّوا سُجداً يُعفِّرون وجوههم في التراب والآية هنا تخاطبهم إنكم قد أُخِذَ عليكم الميثاق وعليكم الوفاء بهذا الميثاق بأبدانكم وبقلوبكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بقوة الأبدان وبقوة القلوب ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اذكروا ما في هذا الميثاق ولا تُعرِضوا عنه لا تغفلوا عنه اجعلوا ابدانكم وقلوبكم في خدمة هذا الميثاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكن ماذا فعلوا؟ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ هذه الحالة النفسية الموجودة عندهم لا تجعلهم يذعنون لا تجعلهم يُسلِّمون لنبيهم ولِمَا أراد منهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ توليتم أعرضتم ما وفيتم بقلوبكم وبأبدانكم لذلك الميثاق.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى يعفو عنكم ويغفر لكم ويُجدد لكم إقامة الحُجج وأنتم نفس الشيء تُكررون ولكن الله أخذكم بفضلهِ وبرحمتهِ وفتح لكم أبواب التوبة وأبواب الهداية لعلكم تؤلون وتؤبون إلى العاقبة الحسنى ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ من الخاسرين الذين خسروا الدنيا وخسروا الآخرة وقطعاً كان فيهم من الناجين وكان فيهم من الخاسرين قبل قليل قلتُ بأن الذين سقطوا على الأرض سُجّداً يُعَفِّرون وجوههم في التراب بعد أن رفع موسى فوقهم الطور ما كانوا بأجمعهم من الصادقين في ميثاقهم كان هناك جمعٌ منهم صدقوا في الميثاق وأولئك هم من الناجين وكان هناك جمعٌ منهم ما صدقوا تولوا بعد ذلك.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ الرحمة معناها واضح والفضلُ هو الإحسان فلولا أن أحسن الله إليكم لأن الإحسان إنما هو إعطاءٌ من دون استحقاق، الفضل أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم

من دون استحقاق وإنما ذاتهُ هي ذاتُ الرحمة وذات الفضل ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وهذه القضية معروفةٌ في تأريخ بني إسرائيل، يوم السبت هو يوم عطلتهم يوم السبت هو اليوم الذي نزلت فيه الأحكام عليهم أن يعطلوا أعمالهم، يوم السبت يوم فيه طقوس ومناسك خاصة لليهود ولا زال إلى يومنا هذا لا زال اليهود إلى اليوم عندهم طقوسهم ومناسكهم وعباداتهم الخاصة في يوم السبت فكان يحرَّمُ عليهم العملُ في يوم السبت ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ .

الآيات السابقة لو نُدقق النظر فيها، الآية السابقة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ الكلام لمن؟ لليهود الذين هم في زمان رسول الله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بينما قضية السبت ليس فيها خطاب للذين كانوا في زمان رسول الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ﴾ إلى مجموعة بينما الميثاق كان الخطاب فيهِ للكل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أيها اليهود الذين كنتم في زمان مُحَمَّد وإن كانت الواقعة في زمان موسى لكن لأن التكليف هو التكليف، التكليف بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل علي هو نفس التكليف في زمان موسى وفي زمان بعثة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أما حادثةُ يوم السبت فتلك حادثةٌ وقعت قام بها البعضُ من اليهود ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ كلمة السبت في اللغة السبت سَبَتَ الشيء يعني هدأ واستقر ونام ويُقال سبات السُبات والسِبات هو النوم، فيوم السبت هو اليوم الذي يسبتون فيه يتعطلون عن أعمالهم وهناك مناسك وأحكام وتكاليف خاصة بهم.

بحسب الروايات الموجودة عندنا كانت هناك مدينة من مدن بني إسرائيل حاضرة على البحر على ساحل البحر وكان أكثرُ أعمالهم في صيد السمك الروايات تقول بأنهم في سائر أيام الأسبوع تكون الأسماك قليلة لكن في يوم السبت الأسماك تكون كثيرة حتى في بعض الروايات أن الأسماك تكاد تكون طافية على سطح الماء بحيث يمكن أن تُمسك بالأيدي ويوم السبت يمنعُ عليهم الصيد لأنه يجب عليهم أن يُعطِّلوا أعمالهم فماذا يصنعون؟ عندنا في بعض الروايات أنهم كانوا هكذا يفعلون: كانوا ينزلون إلى الماء ويربطون هذه الأسماك بخيوط لا يخرجونها من النهر حتى لا ينطبق عليهم معنى الاصطياد بحسب تصورهم هم فكانوا يربطون الأسماك بخيوط وتبقى هذه الأسماك مربوطة بالخيوط يوم السبت إلى أن يأتي اليوم الثاني يوم الأحد فيسحبون هذه الخيوط ويخرجون الأسماك وفي رواية عن الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه

الإمام يقول بأنهم خدّوا أخاديد حفروا سواقي حفروا سواقي من البحر أين أوصلوا هذه السواقي أوصلوها إلى برك هناك مجموعة من البرك بحيرات صغيرة أحواض في البداية صنعوا أحواض وربطوا بين البحر وبين هذه الأحواض بسواقي فتحوا أخاديد بحيث أن مياه البحر مع هذه الأسماك كما قلتُ قبل قليل أنهُ في يوم السبت الكميات كبيرة من الأسماك تأتي فتدخل الأسماك في هذه الأخاديد تصل إلى الحياض إلى الأحواض إذا وصلت إلى الأحواض فهم قد صنعوا الأحواض بطريقةٍ لا تتمكن الأسماك أن تخرج من الأحواض فتعود إلى البحر فكانوا يفتحون هذه الأخاديد يوم السبت فتدخل الأسماك فتصل إلى تلكم الأحواض يوم الأحد يأتون فيُخرجونها من هذه الأحواض بسهولة وهذا كان مخالفةً للحكم الشرعي، للأحكام الشرعية التي كُلِّفوا بها لكنهم احتالوا عليها بهذه الحيلة وكما في الروايات أن هذه المدينة كان يسكن فيها أكثر من ثمانين ألف الأكثرية منهم كانوا يقومون بهذا العمل كانت هناك قلة قليلة منهم لا تقوم بهذا العمل وإنما كانوا يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وكانت مجموعة أيضاً أخرى لا تقوم بنفس العمل بقضية الاحتيال على الحكم الشرعي لكنهم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

تكرر هذا الأمر في هذه المدينة، الله سبحانه وتعالى أنزل غضبهُ على هذه المدينة طبعاً قبل أن ينزل الغضب هؤلاء الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان عندهم علم كانوا يعرفون إن الله سبحانه وتعالى سوف ينزل سخطه لذلك خرجوا بعوائلهم وأُسَرِهم وبنوا لهم بيوتاً خارج المدينة خارج أسوار المدينة، المدينة كانت مسورة خرجوا إلى خارج أسوار المدينة فبنوا لهم بيوتاً واستقروا خارج المدينة، نزل العذاب نزل السخط على بني إسرائيل فمسخهم الله قِرَدة جميع من بقوا في المدينة الذين كانوا يقومون بعملية الاحتيال والذين لم ينهوهم ما قاموا بعملية الاحتيال على الحكم الشرعي ولكنهم لا أمروا بمعروف ولا نهوا عن المنكر فتحولوا إلى قِرَدة مَسَخَهُم الله، المسخ هو التحول من الحالة الإنسانية إلى حالة حيوانية تغير في الخلقة البشرية فجعلهم الله قردة رجالاً ونساءً لم تُفتح أبواب المدينة في اليوم الثاني لم يخرج الصيادون كالعادة، ما الذي جرى؟! الناس يأتون قريباً من أبواب المدينة يسمعون أصوات، أصوات غريبة ليست أصواتاً بشرية فتسلق البعض منهم فرأوا أن المدينة كل المدينة قردة يتقافزون من هنا ومن هناك ينطّون من هذا المكان إلى ذلك المكان، وصل الخبر إلى القرى والمدن المجاورة فجاء الناس أجمع صعدوا على أسوار المدينة فرأوا أن المدينة بكاملها قردة لكنهم كانوا يميزون أقاربهم فيسألون هذا القرد يقولون لهُ أنت فلان؟ ويسألون تلك القردة يقولون لها أنتِ فلانة؟ فيهزون رؤوسهم بالإيجاب وتدمع عيونهم عيون القردة، هكذا وصفت الروايات هذا المشهد وصفتهُ الروايات عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

نحن عندنا في روايات أهل البيت أن المسوخ لا تبقى أكثر من ثلاثة أيام لذلك في اليوم الثالث الله سبحانه وتعالى أرسل ريحاً عاصفاً وأمطار ومياه شديدة فأخذت المدينة بكاملها وسقطت في البحر، هذه قصة

أصحاب السبت التي أشارت إليها الآية الشريفة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا ﴾ اعتدوا اعتداء على حرمات الله، الاعتداء هو الخروج على أحكام الله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ قِرَدة خاسئين قِرَدة مُبعدين، الخاسئ هو المبعَد، المُبعد هو الحقير، يُقال له إخسئ يعين إبعد كن بعيداً عن المكان الشريف عن المكان المناسب ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ القِرَدةُ الخاسئين الخاسئ هو المبعد عن المكان الشريف.

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ جعلناها نكالاً، نكالاً كما في رواية الإمام العسكري عليه السلام عِقاباً وردعاً وهو بيان دقيق للكلمة حينما راجعتُ كتب اللغة في معنى نكال لم أجد بياناً موجزاً ومختصراً كالبيان الذي جاء بهِ الإمام العسكري عليه السلام، كتب اللغة ذكرت تفصيلات وشرحاً لهذه الكلمة لكن أوجز كلام جاء في كلمة الإمام الحسن العسكري قال نكالاً قال عقاباً وردعاً، عقاب لأولئك الذين مُسِخوا وردعاً للذين بقوا من القرى والمدن الأخرى الذين رأوا هذه الآية بأم أعينهم ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ يعني للمدن القريبة منها هناك مدن قريبة منها حينما يكون الشيء بين يدي الإنسان يكون قريباً منه مُلاصقاً لهُ ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ المدن التي هي أبعد ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً ﴾ عِبرةً عقاباً وردعاً، عبرةً لِما بين يديها للمدن القريبة ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ للمدن البعيدة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ المتقون من هم؟ أولئك الذين خرجوا من المدينة وسكنوا خارج المدينة أولئك الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ومن هنا تتجلى لنا الحقيقة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سببُ نجاة هؤلاء، أما أولئك الذين ما قاموا بنفس الذي قام بهِ أصحاب السبت لكنهم ما نهوا قومهم عن المنكر ولا أمروا بالمعروف فكان جزاءهم كجزاء قومهم وهذه القصة إنما يوردها القرآن الكريم في خطابهِ لبني إسرائيل يريد أن يقول لهم إنكم تحبون أسلافكم وتسيرون على مسيرتهم أسلافكم لم يفوا بميثاق العقيدة لنبوة مُحَمَّدٍ وولاية عليٍّ وآل علي أنتم على نفس هذا الطريق فإن عاقبة أمركم كعاقبة أولئك الذين مُسخوا قِرَدة لأنهم ما نهوا قومهم، الذين نهوا قومهم خرجوا من المدينة فوصفهم القرآن بالمتقين ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الخطاب هنا أيضاً ليس كالخطابات السابقة كما في الخطاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ .

الحديث حينما يكون عن الميثاق يكون الخطاب مباشرةً للذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله، الحديث هنا عن قصة أخرى عن واقعةٍ أخرى من وقائع ومن أحداث بني إسرائيل، القصة هكذا تقول، الروايات هكذا حدَّثتنا الروايات تقول: كان هناك ثلاثة من أبناء العمومة أبناء عم ثلاثة أحدهم يكون ابن عمٍّ للآخر وكانت لهم أبنةُ عم وأبنة عمهم هذه كانت امرأة جميلة وكانت ذات مالٍ تملكُ مالاً كثيراً فخطبوها الثلاثة خطبوا أبنة عمهم هذه المرأة الجميلة الفاتنة الغنية الثرية فردت اثنين وقبلت أحدهم فهؤلاء الاثنان مُلِئوا غيضاً وحقداً وكمداً على ابن عمهم هذا الذي وافقت عليهِ وقبلت به أبنة عمهم هذه المرأة الجميلة فخططوا له مخططاً كادوا لهُ كيداً ودعوهُ أن يأتي عندهم فقتلوه، الاثنان اشتركا في قتلهِ إلى أن حان وقتُ الظلام فحملا جثتهُ وألقوها في حي مزدحم من أحياء بني إسرائيل قبيلة كبيرة من قبائل بني إسرائيل جاؤوا خلسةً في الليل فألقوا بجثة ابن عمهم الذي قتلوه في وسط ذلك الحي وعند الصباح جاؤوا يبحثون عن ابن عمهم فوجدوه قتيلاً فمزقوا ثيابهم وحثوا التراب على رؤوسهم وكانت جريمة القتل في بني إسرائيل لها عقوبة شديدة والدية عليها دية عظيمة فرفعوا أمرهم إلى النبي موسى عليه السلام.

والقصة فيها تفصيل أنا لا أريد أن أدخلَ في كل تفصيل القصة لأنهُ قد حدث جدلٌ فيما بين موسى وفيما بين تلكم القبيلة من قبائل بني إسرائيل لأن النبي موسى طالبهم بالأيمان وطالبهم بالدية وحدث كلام فيما بينهم إلى أن وصل الأمر أن بني إسرائيل طلبوا من موسى، طلبوا من موسى أن يطلب من الله أن يكشف الحقيقة فنزل الأمر الألهي أن اذبحوا بقرة فتعَجَّبَ اليهود! نحنُ يا نبي الله نقول لك هذا الميت نريد أن نعرف حقيقة ما جرى عليه ومن قتله وأنت تقول لنا اذبحوا بقرة! فقال لهم اذبحوا بقرة وبعد أن تذبحوها أضربوه ببعضها فإنهُ سيرجعُ حياً فسائلوه عن قاتله، قالوا وهذا أعجب من الأمر الأول إذا ذبحنا البقرة ماتت فنأخذ بعضاً من البقرة نأخذُ شيئاً ميتاً فنضربُ به ميتاً فكيف يعودُ إلى الحياة؟ قال هذا هو أمرُ الله، تلاحظون أن وقائع بني إسرائيل وأحداث بني إسرائيل دائماً يكون المحك فيها هو التسليم لماذا؟ التسليم لأن التسليم تكون فيه مخالفة لرغبات الإنسان والإذعانُ بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل عليّ كان خلافاً لرغباتهم لأنهم ما كانوا يحبون أولاد عمومتهم من بني إسماعيل على أي حالٍ نحن والقصة نحن والواقعة.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ يعني أنت تستهزئُ بنا تلاحظون أن خطابات بني إسرائيل بعيدة عن الأدب مع أنبيائهم وهذا على طول الخط كانوا أكثر جدلاً من غيرهم من الأمم الأخرى ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ أنت تستهزئُ بنا! أنت تسخرُ منّا هذا ميت نريد أن نعرف من قتله تقول لنا اذبحوا بقرة ما علاقة بقرةٍ وما علاقةُ ذبح البقرة بهذا الميت ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ

﴿أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لاحظوا الجواب ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ احتمي بالله أعوذُ إلى الله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لماذا؟ لأن الاستهزاء والسخرية بهذا النحو إنما هي فرعُ الجهل ما قال أعوذُ بالله أن أكون من المستهزئين قال من الجاهلين لأن هذا الاستهزاء لو كان موسى يستهزئ بهم في مثل هذا الموقف هناك قتيل وهناك مشكلة اجتماعية وهناك مشكلة شرعية في هذا الموضوع، من الذي قتل؟ ما هو الحكم الذي يترتب على هذا الأمر؟ فكيف يكون موسى في مثل هذا الموقف في حال استهزاء بقومهِ فقال ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لأن الذي يستهزئُ في مثل هذا الحال هو الجاهل وأنا لستُ جاهلاً ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ فرجعوا أيضاً.

في الروايات المروية عن الأئمة الروايات تقول لو أنهم ذبحوا أيَّة بقرة لَمَا احتاجوا إلى هذه التفصيلات التي أدت بهم إلى أن اشتروا بقرة بكل ما عندهم من الأموال، أموال كثيرة جداً دفعوها ثمناً للبقرة التي جاءت بأوصاف خاصة، الروايات تقول لو أنهم اكتفوا بكلام موسى لَمَّا قال لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ لو جاؤوا بأيّة بقرة وذبحوها لتحقق الأمر لكنهم كانوا في نقاش أولاً دخلوا في هذا النقاش ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فما ذهبوا وذبحوا بقرة ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ ما هي هذه البقرة؟ ما هي أوصافها لأنهم كأنهم هكذا قالوا اعتقدوا هكذا أن بقرة تُذبح بأمرٍ من الله ويؤخذ قسمٌ منها وهو أصلُ الذنب، أصلُ الذيل وبعد ذلك تتبين القصة بأي شيءٍ ضربوا ذلك القتيل؟ هم لَمَّا ذبحوا البقرة أمرهم موسى أن يأخذوا عَجْبَ البقرة عَجْبَ البقرة هو نهاية الذيل أصلُ الذيل فأخذوا أصل الذيل ضربوا بهِ القتيل فاحتيا رجع حياً وسألوه من الذي قتله فأخبرهم بأن الذي قتلهُ فلان وفلان.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ هذي بقرة لها خصوصية ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ سألوا ما هي هذه البقرة؟ ما هي أوصافها؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾ الله يقول ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ الفارض البقرة المُسِنة وفرضت البقرة يعني أسَنّت بقرةٌ فارض بقرة مُسِنّة كبيرة ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ ولا هي صغيرة ولا هي عجلة صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ هي لا هي بالكبيرة ولا هي بالصغيرة وإنما هي في سن الوسط عوان ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ لا مُسِنّة

﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ صغيرة ﴿ عَوَانٌ ﴾ هي وسطٌ بين ذلك ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ الآية السابقة بيّنت السن، بيّنت سن البقرة، ما لونها؟

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ بقرة لونها أصفر وإن كان وقع في بعض التفاسير المراد من اللون الأصفر هو الأسود ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ لكن في عديدٍ من روايات أهل البيت كان لون البقرة هو اللون الأصفر ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ فاقع اللون، الفاقع هو اللون الصافي وهذه الصفة صفة الفاقعية يُقال أصفر فاقع ويُقال أحمر فاقع في أغلب الأحيان يمكن أن يوصف أيُّ لونٍ من الألوان بأنهُ فاقع لكن في الغالب في لغة العرب يصفون اللون الأصفر واللون الأحمر بأنهُ فاقع وهذا أيضاً يُعين على أن لون البقرة كان أصفر وإن كان يمكن أن نصفَ اللون الأسود بأنهُ فاقع أيضا لكن في الغالب في كلام العرب حينما يصفون الصفرة أو الحمرة يصفون بأنها فاقعة ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ أيضاً عندنا في بعض الروايات قد يكون قرينة وإن كان خارج هذا المطلب في بعض الروايات على ما أتذكر في استحباب لبس النعل الأصفر الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول بأن لبس النعل الأصفر فيه منفعة للبصر ويُشير إلى هذه الآية ﴿ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ أن فيه مَسَرَّةٌ للنظر فيه منفعةٌ للنظر هذا يؤيد الكلام بأن لون البقرة هو الأصفر وإن كان هناك قول بأنهُ أسود على أي حالٍ ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ فاقعٌ لونها يعني أن الصفرة صافية لا يخالطها لون، لونها أصفر أصفر.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ هذه كل الأوصاف هذا الكلام يشير إلى حالة الجدل وإلى حالة عدم التسليم عند بني إسرائيل ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ يعني هناك أكثر من بقرة موصوفة بهذا الوصف ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ يعني هناك من الأبقار من هي في هذا السن، ولونها أصفر فاقع أيضاً هناك عديد من الأبقار بهذا اللون ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ: لا ذلولٌ تثيرُ الأرض أنها ليست مذللة لحراثة الأرض يعني هي لا تستعمل

لحراثة الأرض لأن بعض الأبقار يستعملونها لحراثة الأرض وقطعاً إذا أرادوا استعمالها لحراثة الأرض لابد من تذليلها يعني من ترويضها وتعليمها على هذه العملية ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ يعني لم تُذَلّل، لم تُذَلّل لم تُرَوّض لحراثة الأرض ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ هي ليست ذلولاً تُثيرُ الأرض تحرثُ الأرض ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ولا تستعمل كذلك في سحب الدوالي، الدوالي التي هي جمع دلو أو في عملية النواعير في عملية السقي ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الحرث المزارع المكان الذي يحرث هو الحقل أو المزرعة ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا شية يعني لا نقطة فيها يعني لونها أصفر صافي لا يوجد فيهِ أي لون آخر، مُسَلَّمَة يعني لونها كامل مُسَلَّم ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا نقطةَ فيها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ لأن هذه الأوصاف مجتمعة في بقرة واحدة من أبقار بني إسرائيل لا مُسِنّة ولا صغيرة لونها أصفر فاقع لا تستعمل للحراثة ولا للسقي ولا توجد نقطة في جسمها.

﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ما أن ذبحوها أمرهم نبيهم موسى بأن يقطعوا نهاية الذيل أصل الذيل ويضربوا بهِ هذا الميت ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ تدافعتم، قتلتم نفساً، عملية القتل هنا رجع الخطاب فيها لمن؟ للذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ادَّارَأتم يعني تدافعتم هذا أتهم هذا وهذا أتهمَ هذا ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أخذ بعضكم يتهم البعض الآخر ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الله يُخرج الحقائق المكتومة بهذه الطريقة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ اضربوا هذا الميت ببعضِ هذه البقرة بأصل ذيلها اضربوه بذيلها ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه أيضاً يمكن أن تدخل في جملة مصاديق الرجعة لأن هذا الرجل الذي قُتل من بني إسرائيل مات ثم احتيا وبقي حياً وعاش مع زوجتهِ فترة طويلة كما تقول الروايات المروية عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

في الرواية إن موسى عليه السلام أمَرَهُ عَلَّمَ هذا الميت الذي احتيا أن يتوسل إلى الله بمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار في أن يُطيل الله عمره وأن يعيشَ مع أبنة عمه وأن يتزوج أبنة عمهِ وأن يعيش معها عيشةً راغدةً

هائئة هكذا تقول الروايات فَلَمَّا دعا الله سبحانه وتعالى بذلك وتوسل إليه بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار كان لهُ ذلك، على أي حالٍ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

ربما في هذه الحلقة أنا تجاوزت أكثر من صفحة من صفحات الكتاب الكريم لضرورة تسلسل القصة باعتبار أن القصة قصة البقرة جاء بعضُ آياتها في هذه الصفحة وآياتٌ أخرى لأجل إكمال القصة في الصفحة التي بعدها، هناك شيءٌ مهم أن هذه السورة الكريمة سورة البقرة سميت بهذا الاسم باسم البقرة بسبب هذه القصة لماذا ذُكِرت هذه القصة ولماذا سُميت السورة بهذا الاسم؟! ما هو السر في قصة البقرة؟

في الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إن هذه البقرة كان يملكها شابٌّ من شباب بني إسرائيل والله سبحانه وتعالى أراد أن يجازيه لأن اليهود لَمَّا أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة بهذه المواصفات فهم لم يجدوا بقرةً بهذه المواصفات إلا عند ذلك الشاب فلَمَّا جاؤوا إلى هذا الشاب كي يشتروا منه البقرة اشترطَ عليهم، اشترطَ عليهم أن يملئوا لهُ جلد ثورٍ من الذهب، فهم مضطرون إلى ذلك فاشتروا البقرة بهذه الكمية الهائلة من المال، وأيضاً في الروايات إنهم كانوا يأتون بالذهب يضعونهُ في جلد الثور هذا وكان الله سبحانه وتعالى يُكَبّر جلد الثور كان جلدُ الثور يكبر في الرواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنهم وضعوا فيه خمسة ألاف ألف يعني خمسة ملايين دينار، دينار ذهب وضعوا في جلد الثور، كان ثمناً لهذه البقرة التي بهذه المواصفات وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه موسى لَمَّا سألهُ عن السبب في أن إحياء الميت لماذا كان بهذه الطريقة؟ عن طريق بقرة تُذبح! قال أريد أن أُغْنِيَ هذا الشاب، هذا طريق لإغناء هذا الشاب، لماذا أُغْنِيَ هذا الشاب؟

الروايات الشريفة ذكرت لنا أمرين بخصوص هذا الشاب: الأمر الأول بعض الروايات تحدَّثت أن هذا الشاب كان باراً بوالديه، كان باراً بوالدتهِ وبأبيه حتى ذكرت قصةً أن هذا الشاب كان عندهُ سلعة يريدُ بيعها فجاءهُ من يشتريها وأعطاهُ ثمناً كثيراً لهذه السلعة ثمناً مُربحاً لكن هذه السلعة كانت موضوعة في مكان وهذا المكان كان مُقفل، المفاتيح أين كانت؟ المفاتيح كانت تحت الوسادة التي كان ينامُ عليها أبوه فلمَّا جاء كي يأخذ المفاتيح وجد أباهُ نائماً فما أراد أن يوقظ أباه من نومهِ رحمةً بأبيه واحتراماً لأبيه وذهبت عليه الصفقة لَمَّا استيقظ أبوه من النوم سألهُ ماذا فعلت بتجارتك بسلعتك فقَصَ عليه القصة فأبوه قال لهُ عِوضاً عن هذا الشيء الذي خسرتهُ خُذ هذه البقرة فأعطاه عجلة، وبعد ذلك هذه العجلة كَبرت وصارت هذه البقرة، وأيضاً في الروايات عندنا، هذا جانب من الجوانب، أيضاً في الروايات عندنا وهنا إشارة إلى أهمية طاعة الوالدين وهذه القضية واضحة وإلى أهمية البر بالوالدين لكن هناك معنى أعمق الوالدان الحقيقان هم محمَّدٌ وعليٌّ صلوات الله عليهما وآلهما الأطهرين الأطيبين، في الروايات الشريفة إن هذا الشاب، إن هذا الشاب

كان يُكثِرُ من الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد لأنهُ قد سمع ذلك من النبي موسى، لأن النبي موسى حَدَّثَهُم عن أهمية الاعتقاد بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وعن فضل الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد، قد لا يقبل البعض مني هذا الكلام لكنني لا أعبأُ بمن لا يقبل بمثل هذا الكلام هذه روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روايات أهل البيت واضحة وصريحة في هذه المعاني التأكيد على قصة البقرة وعلى تسمية أكبر سورة من سور القرآن بهذا الاسم باسم البقرة لأن هذه القصة تُذَكِرُنا بالصلاة على محمَّدٍ وآل محمَّد لأن هذا الشاب كان يُكثِرُ من الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، كما جاء في الرواية عن إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه وهناك تفاصيل أخرى مذكورة لا أريد الإشارة إليها لأنني في مقام الإيجازِ والاختصار.

فالسرُّ إذاً في قصة البقرة والسرُّ في تسمية سورة البقرة بالبقرة هو الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وهذي القضية لمن أراد أن يتدبر في الكتاب الكريم قضيةُ بني إسرائيل من أراد أن يتدبر في الكتاب الكريم ويتدبر على نقاءٍ من النية ويحكِّم وجدانهُ ويُحَكِّم الإنصاف يجد أن سراً عظيماً وراء هذا الذكر والتكرار والتشديد والتأكيد على أحداث وتأريخ بني إسرائيل، الحقيقة أنا حين أراجع القرآن وأتابع مثلاً: أبونا آدم كم مرة ذُكِرَ في القرآن؟ وهو الخليفة البشري الأول الخليفة الأول هو أبو البشر، كم مرة ذُكر في القرآن؟ أبونا آدم جاء الحديث باسمهِ عن آدم يعني جاء الحديثُ باسم آدم عن آدم، 16 مرة، 16 مرة ذُكِرَ آدم عليه السلام، نعم ذُكِر الكلام القرآني جاء اللفظ القرآني أبني آدم في قصة أبني آدم قابيل وهابيل يا بني آدم، ذرية آدم، حدود تسع مرات يعني إذا أردنا أن نجمع 16 مع تسعة هذي خمسة وعشرين مرة ذُكِر أبونا آدم وليس كل الذكر فيها لأبينا آدم لأن تسع مرات الحديث عن ذرية آدم فأبونا آدم 16 مرة ذُكر. نوح عليه السلام وهو أبو البشرية الثاني ذُكر 43 مرة في القرآن الكريم. إبراهيم أبو التوحيد وديننا الإسلامي يمتدُ إليه يتصلُ بهِ جاء ذكرهُ في القرآن 69 مرة. عيسى عليه السلام جاء باسم عيسى 25 مرة وباسم المسيح ثمان مرات إذا جمعنا خمسة وعشرين وثمانية هذي 33 مرة. بشكل سريع أقول آدم 16 مرة، نوح 43 مرة، إبراهيم 69 مرة، عيسى 33 مرة، أما موسى كم مرة ذُكر في القرآن وذُكِرت معهُ أحداث بني إسرائيل 136 مرة، ما هو السرُّ في ذلك؟ 136 مرة جاء ذكر موسى وكلما يُذكر موسى يكون الحديث عن بني إسرائيل وبشكل مُفَصَّل يعني حتى الأنبياء الذين ذُكِروا مثلاً لَمَّا يُذكر إبراهيم ليس دائماً تُذكر معهُ قصص مفصلة لكن موسى في أغلب الأحيان إذا ذُكر تأتي معهُ تفاصيل كاملة عن بني إسرائيل لماذا؟

السرُّ هو هذا كما قلت، السرُّ أن بني إسرائيل الأُمَّة الوحيدة التي كُلِّفت بشكلٍ صريح وواضح وقطعي بالاعتقاد بنبوة نبينا وولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإن التدبر في جملة من المعاني التي جاءت في الكتاب الكريم التدبر في أن الله فَضَّلَهُم على العالمين بأي شيءٍ فَضَّلَهُم؟ التدبر في أن الله

فَضَّلَهُم على العالمين، التدبر في هذا العدد الضخم من المعجزات الهائلة الكبيرة التي جرت على بني إسرائيل الأحداث الهائلة والمعجزات الكبيرة التي ما رأت أُمَّة من الأمم مثلها أليس هذا يدلنا على أن هناك شيئاً تريد هذه المعجزات أن تجعل بني إسرائيل يعتقدون به إلى الحد الذي يُهددهم موسى كما مرَّ علينا في الآية وإذ رفعنا فوقكم الطور يُهددهم إما أن تؤمنوا بالميثاق أو أسقط عليكم الجبل، هذا العدد الهائل من المعجزات.

المسألة الثالثة العدد الكبير من الأنبياء أكثر أُمَّة الله سبحانه وتعالى بعث إليها الأنبياء هم بنو إسرائيل مع أنهم هم مجموعة قليلة من البشر بالقياس إلى بقية الناس هذا العدد الكبير من الأنبياء لأي شيءٍ؟ لإقامة الحجج عليهم ثم الوضع الذي كانوا يعيشونه الإسرائيليون حينما خرجوا من فلسطين وأين ذهبوا؟ ذهبوا إلى الحجاز لأي شيءٍ ذهبوا إلى الحجاز؟ لأي أمرٍ ذهبوا إلى الحجاز؟ البحث عن النبي، محاولات اغتيال النبي، وحتى إذا أردنا أن ندرس الحالة النفسية لبني إسرائيل بعد بعثة النبي إذا أردنا أن ندرس حالتهم بدقة نجد أنهم في حال اضطراب لا يعلمون ماذا يفعلون كانوا يتخبطون لأنهم كانوا يعيشون حالة من التناقض هم يعرفون أن هذا هو النبي الحق وفي نفس الوقت يحاولون أن يُضللوا أنفسهم ويُضللوا الآخرين لذلك هذا التأكيد الشديد على قضية تحريف اليهود للكتاب، تحريف اليهود للكتاب هو طمس هذه الحقيقة التي تدور عنها وحولها الآيات، فما هو بغريب أن تكون قصة البقرة مدارها وجوهرها الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد.

وأختمُ حديثي بالصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وألقاكم إن شاء الله على محبة وولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة العاشرة

تفسير سورة البقرة من الآية ٧٤ الى الآية ٨٢

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم بمحبة عليٍّ وآل علي وجعل بيوتكم ومجالسكم عامرةً بمودة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، هذه الحلقة العاشرة من برنامج قرآنُنا وقد كان آخر الحديث في الحلقة الماضية في قصة بقرة بني إسرائيل، تمَّ الكلامُ في الآية الثالثة والسبعين من سورة البقرة ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

نشرعُ اليوم في الآية الرابعة والسبعين ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ الآية هذه جاءت في سياق آيات بني إسرائيل حيثُ مرَّ علينا مجموعةً من الأحداث ومن الوقائع الإسرائيلية. وكان الحديثُ في الحلقة الماضية مثلاً عن قصة أصحاب السبت، وكذلك في موضوع أخذ الميثاق ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ وكذلك الحديثُ في قصة بقرة بني إسرائيل والآيات التي سبقت هذه الآيات أيضاً تناولت أحداثاً ومواضيع أخرى، بعد كل هذا الذي مرَّ ذكرهُ تأتي هذه الآية تقول ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ متى كانت القسوة بعد أن رأى بنو إسرائيل كل تلكم المعجزات وكل تلكم الآيات الباهرات، نبيهم موسى أراهم من الآيات ومن المعجزات ومن العجائب ومرت بهم الكثيرُ من الاختبارات والكثيرُ من الابتلاءات بعد كُلِّ هذا ماذا كانت النتيجةُ عند بني إسرائيل ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ دخلت القسوةُ في قلوبهم، تلبَّست القسوةُ في قلوبهم ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾ حينما يصفُ الإنسان شيئاً قاسياً فإنما يصفهُ بالحجارة باعتبار أن الحواس حينما تلاحظ الأشياء من حولها فإنها تلاحظُ أن أقسى الأشياء هي الحجارة، الصخور، الأحجار ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن

﴿بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ المُفَسِّرون قالوا **أو** هنا بمعنى **بل**، فهي كالحجارة بل أشد قسوةً من الحجارة وكانت قلوبهم كذلك كانت قلوبُ بني إسرائيل أشدَّ قسوةً من الحجارة ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **أو** هنا هل تفيد التخيير يعني أن قلوب بني إسرائيل الاحتمال الأول كالحجارة والاحتمال الثاني أشد من الحجارة، هل هي تفيد هذا المعنى؟ أو أنها تفيد معنى الاستدراك بل، فهي كالحجارة بل أشد قسوةً، أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن **أو** هنا بمعنى **بل** للاستدراك كما تقول مثلاً عن شيءٍ مثلاً تقول إنه غالي الثمن وثمنهُ كذا وكذا بل أغلى، ثمنهُ أغلى هذي بل تعطي معنى الاستدراك، استدراك ماذا؟ يعني أننا نستدركُ معنىً جديداً معنىً ثانياً بعد ذكرنا للمعنى الأول وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين.

في رواياتنا الرواية عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه قال إن أو ليست للاستدراك لأن الاستدراك يشتمل على معنى الغلط أو على معنى الجهل وكذلك هذه أو لا يُستفاد منها معنى التخيير وإنما أو تفيد معنى الإبهام وأنا الحقيقة هنا لا أريدُ الوقوف كثيراً عند هذه المسألة لأن هذا يقتضي أن ندخل في تفاصيل اللغة وفي تفاصيل البلاغة ولا أريد الخوض في هذه القضية ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ قلوبهم قاسية بالنتيجة إن آخر الآية يبين إن قلوب بني إسرائيل أشدُّ قسوةً من الحجارة لأن الآية في آخرها تتحدثُ عن الأحجار وكيف أن الأحجار ربما تنفعل ربما تتأثر ربما تتغير أما قلوب بني إسرائيل فإنها لا تنفعلُ بالحق لا تتأثر ولا تتغير لو كانت قلوبهم كالحجارة لانفعلت هذه القلوب لأن هذه الحجارة تنفعل ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ هذه الأنهار من أين تأتي؟ أليس تأتي من عيون تنبع من باطن الأرض هذي عيون تأتي من بين الصخور تأتي من داخل الجبال وتتجمع في أخاديد صغيرة ثم تلتقي في اخدودٍ كبير هو النهر فهذه الأنهار من أين تأتي؟ إذا أردنا أن نذهب إلى منابع الأنهار الأصلية أليس تأتي من عيون ومن تشققات في داخل الجبال ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ يتفجر يخرجُ الماءُ فوَّاراً من شقوقٍ في الجبال من عيونٍ بين الصخور ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء﴾ هناك تشققات تحدث في الجبال فتخرج منها الشلالات، الشلالات تأتي من تشققات وأخاديد في داخل الجبال فتخرج المياه فوَّارة.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ﴾ لَمَا يهبطُ من خشية الله هذه الصخور التي تقع بسبب الزلازل بسبب الهزّات الأرضية بسبب البراكين، الصخور التي تتساقط من أعالي

الجبال من قمم الجبال الآية هنا تقول بأن هذه الصخور تهبطُ من خشية الله، المراد أنها تهبطُ من خشية الله في بُعدها التكويني لأن الكائنات كُلُّها خاضعةٌ لله سبحانه وتعالى مثلاً حينما نقرأُ في الآية السادسة عشر بعد المئة من سورة البقرة ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما في السماوات والأرض هذه **ما** تشملُ جميع الكائنات تشمل جميع الموجودات ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ قانتون يعني خاضعين القنوت الخضوع، القنوت الانقياد، القنوت الخشوع ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ هذا القنوت القنوت التكويني كل ما في هذا الوجود خاضعٌ لإرادة الله سبحانه وتعالى هذه الآية تتحدث عن القنوت التكويني في الكائنات ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ كل شيءٍ في سماواتهِ وفي أرضه ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ هذا قنوتٌ تكويني خضوعٌ تكويني.

يمكن أن نجد المعنى في مثالٍ أوضح في سورة الرعد المباركة في الآية الثالثة بعد العاشرة ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ والرعدُ هو صوت الغيوم ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ الرعدُ يُسَبِّحُ بحمده والملائكةُ تُسَبِّحُ من خيفته، والرعد صوت الرعد هو تسبيحٌ بحمدهِ لكنَّ هذا التسبيح بحمدهِ من أين يتأتى؟ يتأتى من خيفتهِ من خيفة هذه الغيوم من خيفة هذا السحاب ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ هذه الخيفة خيفةٌ تكوينية هذه الخشية خشيةٌ تكوينية، الآية هنا تتحدث عن هذا النوع من الخشية عن هذا النوع من القنوت والخضوع. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ من الحجارة ﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ﴾ فكل شيءٍ خاضعٌ لإرادة الله وكل شيءٍ مندَكٌّ تحت قدرة الله – **اللَّهُمَّ أني أسألك من قدرتك بالقدرة التي استطلت بها على كل شيء وكل قدرتك مستطيلة، اللَّهُمَّ أني أسألك بقدرتك كلها** – هناك استطالةٌ على كل شيء ولذلك كلٌّ له قانتون كل الوجود قانتٌ له سبحانه وتعالى وهذا القنوت هو القنوت التكويني هذه الخشية هنا الخشية التكوينية ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ﴾ يمكن أن نُعَبِّرَ عن هذه الخشية بأنها إحساسٌ تكويني بأنها شعورٌ تكويني حيثُ تَندَكُّ كل الأشياء تحت قدرتهِ سبحانه وتعالى وتحت عظمة جبروته ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾ أيضاً هذه الحجارة إنما تتفجر منها الأنهار وإنما تفيضُ العيون غيداقة من هذه الحجارة لأي شيءٍ؟

نزولاً عند أمرِهِ سبحانه وتعالى، هو جعل هذه الحجارة وجعل هذه الأرض في ضمن سُنَنٍ أحكمها وأحكمتها إرادتهُ سبحانه وتعالى فتجري هذه الأمواه وهذه المياه وينبع هذا الماء الزلال من هذه الأحجار وفقاً وخضوعاً لسننه التكوينية ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء﴾ هذه الشلالات الفوارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ من هذه الحجارة ﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا المقطع من الآية واضحُ المعنى ولا يحتاجُ إلى شرح ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الغفلةُ تصيبُ الإنسان تصيبني أنا تصيبك أنت نحن تصيبنا الغفلة هناك غفلة النوم حين ننام فنحن في غفلةٍ عميقة حين نغطُّ في النوم فنحنُ موتى حين ينام الإنسان فإنهُ كالميت بل هو ميت لأن النوم نحوٌ من أنحاء الموت مرتبة من مراتب الموت، غفلة النوم وهناك غفلة اليقضة وهذه الطامة الكبرى إذ يعيشُ الإنسان دائماً في غفلة، هناك غفلةُ العقول، هناك غفلة القلوب، وهناك غفلة الحواس في بعض الأحيان الإنسان حاجتهُ بيدهِ وهو يبحثُ عنها وهذه هي غفلةُ الحواس أو أن الشيء الذي يريدهُ أمامه أمام عينيه لكنه لا يميزهُ هناك غفلة الحواس، هناك غفلة القلوب، وهناك غفلة العقول، وهناك غفلة الوجدان، والإنسان يخرجُ من غفلةٍ فيدخلُ في غفلةٍ أخرى الإنسان هو الذي يعيشُ في غفلاتهِ أما الله سبحانه وتعالى فهو الذي لا يشغلهُ شيءٌ عن شيء هو الذي لا تشتبهُ عليه الأصوات وهو الذي لا تأخذهُ سِنةٌ ولا نوم هو الحيُ القيوم.

﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ محيطٌ بنا وأقرب إلينا من حبل الوريد جَلَّت قدرتهُ وتعالى شأنهُ وتقدَّس هذه العبارة واضحة المعنى جلية بيّنة ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا الخطابُ لكل بني البشر وإن كان في الآية هنا موجهاً لبني إسرائيل لأن الناس يعيشون في غفلاتهم فتأخذهم الغفلة أن يعيشوا حالةً ينسوا فيها مراقبة الله سبحانه وتعالى لهم وهذا هو حالنا دائماً وكأننا نتصور أن الله له غفلة نحن الذين نعيشُ في الغفلة وهذه الغفلة تجعلنا نعيش وكأننا نتصور أن الله سبحانه وتعالى لا يراقبنا وأن الله سبحانه وتعالى ليس ناظراً إلينا وليس ناظراً لنا وهذه غفلةٌ في غفلة هذه غفلةٌ مركبة ﴿وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يا بني إسرائيل فلقد قست قلوبكم، هذه القسوة من أين تأتت؟ هذه القسوة تأتت من أي شيءٍ؟ تأتت من أمرين:

الأمر الأول من عدم التسليم لأنبيائهم، نحن لاحظنا على طول الأحداث وطول الوقائع المشكلة التي كان يعاني منها بنو إسرائيل عدم التسليم لا يملكون تسليماً لا يُسلِّمون لنبيهم لا يسلمون لأنبيائهم هذا الأمر الأول. والأمر الثاني وهو الأهم عقيدتهم بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ونحن قلنا بأن بني إسرائيل هم الأُمَّة التي كُلِّفت بشكلٍ صريح وبشكلٍ واضح بالديانة وبالاعتقاد بنبوة النبي وإمامة عليٍّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين والروايات عن أهل بيت العصمة واضحةٌ في هذا المعنى وهذا أيضاً يدخلُ في باب عدم التسليم لأن أنبيائهم هم الذين أخبروهم بهذه العقيدة لأن نبيهم موسى هو الذي بين لهم هذه الحقائق عدم تسليمهم لنبيهم ولأنبيائهم هو الذي جرَّ عليهم هذه الطامة وهي قسوة القلوب وإذا ما سيطرت القسوة على القلوب، القسوة هي الصلابة حينما تكون القلوب قاسيةً حينما تكون القلوب صلبةً يعني أن الرحمة لا تنفذ إليها ولا تخرج منها وإذا لم تنفذ الرحمة إلى القلوب ولا تخرج الرحمة من القلوب فإن الإيمان لن ينفذ إليها وإذا لم ينفذ الإيمانُ إلى القلوب فكيف ينفذ الانقيادُ والتسليم والطاعة وكيف يتحقق معنى العبادة؟! العبادة تتحقق بمعناها الكامل إذا ما نفذ الإيمانُ في قلب الإنسان وإذا دخل الإيمان في قلب الإنسان حلَّ في قلب الإنسان الطاعة والانقياد والخضوع والخشوع حينئذٍ تأتي العبادة، أما إذا كانت العبادة مجرد طقوسٍ فهي خاليةٌ من كل هذه المعاني من معنى الخشوعِ والخضوع والانقياد والتسليم وكل هذه المعاني إنما تجتمعُ في عنوانٍ واحد هو التسليم.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سؤالٌ قد يُطرحُ هنا هل هناك أسبابٌ للقسوة؟ وهل هناك علاجٌ للقسوة؟ نعم روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثت عن هذا الموضوع وأنا سأُجملُ الكلام في جواب هذا السؤال في آخر البرنامج سأستمرُّ في بيانِ معاني الآيات وبعد ذلك أتناول هذه المسألة في آخر البرنامج.

الآية التي بعدها ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾ الخطاب هنا لمن؟ للمؤمنين الخطاب هنا للذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وهذي الصفة واضحة في كثيرٍ من كتاب الله عند الحديث عن بني إسرائيل صفة التحريف صفة تحريف الحقائق، أصلاً مؤرخوا التوراة، التوراة التي هي الآن بين أيديهم ليس التوراة الأصلية، التوراة التي هي الآن بين أيديهم حينما يتحدث مؤرخوا التوراة كثيرٌ منهم يُثبتون هذه القضية بعد انتشار الديانة المسيحية بفترةٍ من الزمن بعدة عقود إن بني إسرائيل حَرَّفوا التوراة التي كانت موجودة عندهم آنذاك حَرَّفوها لأجل أي شيءٍ؟ لتضليل المسيحيين لأجل تضليل المسيحيين حَرَّفوها وكذلك في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حَرَّفوا أوصاف النبي الروايات هكذا تقول ذكروا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أوصافه الجسمية كانت هناك أوصاف للنبي لجسمهِ لوجههِ لأخلاقهِ بدأوا بتحريف هذه الأوصاف فمثلاً لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبير البطن! كان النبي صلى الله عليه وآله خميصاً الروايات هكذا

تصفهُ يتساوى صدرهُ وبطنه، صدر النبي وبطنهُ سواء مستويان فبدلوا هذه الصفة فقالوا بأن النبي الخاتم يكون واسع البطن كبير البطن، النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مربوع القامة، مربوع القامة يعني لا هو بالطويل الفارع جداً ولا هو بالقصير في وصف النبي إنهُ صلى الله عليه وآله كان مربوع القامة يميل إلى الطول، مربوع القامة مرةً يُقال عنه يميلُ إلى الطول ومرةً يُقال عنهُ يميلُ إلى القصر يعني ليس قصيراً كما يأتي في وصف أمير المؤمنين كان مربوع القامة يميلُ إلى القِصَر والنبي صلى الله عليه وآله كان مربوع القامة يميلُ إلى الطول، مربوع القامة ليس قصيراً وليس طويلاً وإنما هو في حالةٍ وسط يميل إلى الطول يُرى وكأنه طويل فالنبي هكذا كان حالهُ كان وصفهُ صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: لا إنهُ طويل القامة عظيم البدن بدأوا يذكرون أوصافاً غريبةً عن النبي، النبي صلى الله عليه وآله كان شعرهُ أسود قالوا بأن النبي الخاتم شعرهُ أصهب إلى غير ذلك فَحَرَّفوا الأوصاف الموجودة في كتبهم عن النبي قبلاً كانوا يقولونها للناس وعامة الناس أميون لا يحفظون قالوا لهم لا أنتم مشتبهون النبي الخاتم أوصافه كذا وكذا وكذا فحَرَّفوا أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ كيف يسمعون كلام الله؟ الإشارة هنا إلى المجموعة التي ذهبت مع موسى بعد أن اختارهم من قومه واختار موسى من قومه سبعين رجلاً الذين ذهبوا معهُ إلى الميقات ومرَّ علينا ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ لقد سمعوا كلام الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى أمرهم بأوامره ونهاهم عن نواهيه فلَمَّا رجعوا إلى قومهم، قومهم استكثروا ذلك رأوا أن هذه الأوامر يصعب عليهم أن يأتوا بها وأن هذه النواهي يصعب عليهم أن ينتهوا عنها رأوا أن هذا تكليفاً شاقاً قطعاً إن الله سبحانه وتعالى لا يُكَلِّفُ نفساً إلا وسعها لكن اليهود هم أكثرُ الأقوام جدلاً مرت علينا قصة البقرة نبيهم قال لهم اذبحوا بقرة جعلوها قصةً طويلة وهكذا حالهم في كل قضية فاستكثرَ اليهود هذه الأحكام فهؤلاء نفسهم الذين سمعوا وهؤلاء هم خيرة بني إسرائيل قالوا لهم إن الله أتبعَ هذه التعليمات بتعليمات أخرى وهذا كان افتراءً منهم قالوا بأن الله قال بأن الإسرائيليين إذا لا يستطيعون أن يأتوا بهذه الأوامر فذلك أمرٌ مُباحٌ لهم وإذا كانوا لا يستطيعون أن ينتهوا عن هذه النواهي فليفعلوا ما يشاءون فإن الأمر مباحٌ لهم هذه الأحكام مشروطة بالقدرة إذا كان الإسرائيليون يقدرون على ذلك فليفعلوا إذا لم يقدروا فهو مُباحٌ لهم ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ فريق هؤلاء السبعون ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ألم يطلبوا من موسى عليه السلام أن يُسمعهم كلام الله وموسى أسمعهم كلام الله لذلك بعد ذلك هم قالوا له نريد أن نرى الله في البداية قالوا يا موسى إنك تقول بأنك تسمعُ كلام الله فأسمعنا كلامهُ

فأسمعهم كلام الله فلما سمعوا كلام الله قالوا له نريد أن نراه ومرَّ علينا هذا الكلام.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ من بعد ما فهموا مغزاه وعرفوا معناه وهم يعلمون هم عَقِلوا كلام الله وسمعوا كلام الله ثم حَرَّفوا الحقائق وهم يعلمون أنهم يحرِّفون فإذا كان هؤلاء خيرة بني إسرائيل هؤلاء السبعون الذي اختارهم نبي من أولي العزم ورأوا ما رأوا من معجزاتهِ قبل أن يذهبوا إلى الميقات ورأوا ما رأوا من معجزاته عند الميقات وأسمعهم الله كلامهُ وسمعوا كلام الله فلما رجعوا حرَّفوا كلام الله إذا كان هؤلاء بهذا المستوى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ ونلاحظ إن الآيات تجعل القوم الذين كانوا في زمان النبي كأنهم هم نفسهم الذين ذهبوا إلى الميقات لماذا؟ لأن موسى عليه السلام قد بين لبني إسرائيل مسألة نبوة النبي وإمامة عليٍّ وآل علي وهذي القضية كانت واضحة وواضحة عندهم والأوصاف موجودة عندهم لكنهم حرفوا كل شيء.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ التحريف موجود في كل جانبٍ من جوانب دينهم، أنا جئتُ بالتوراة لأتلوا على مسامعكم مثالاً من الأمثلة من أمثلة التحريف. هذا هو سفر التثنية وسِفرُ التثنية هو السفر الخامس السفر الأخير من التوراة الموجودة الآن بين يدي اليهود توراة اليهود الآن الموجودة والتي يعتقدون بأنها توراة موسى عليه السلام تشتمل على خمسة أسفار السفر الأخير منها سفر التثنية ويشتمل على التشريعات مجموعة من التشريعات في سفر التثنية في السفر الخامس من توراة موسى، في الإصحاح الحادي والعشرين أنتم سمعتم قصة بقرة بني إسرائيل في الحلقة الماضية هذه القصة هل هي موجودةٌ في التوراة؟ ذُكِرت ولكن بأي صورة لنقرأ ماذا وجدنا في التوراة، في الإصحاح الحادي والعشرين:

إذا وُجد قتيلٌ في الأرض – الكلام عن قتيل في بني إسرائيل ومرت القصة لا أعيد الكلام مرة ثانية – **إذا وُجد قتيلٌ في الأرض التي يعطيك الربُّ إلهك لتمتلكها واقعاً في الحقل** – هناك قتيل واقع في الحقل في المزارع – **لا يُعْلَمُ من قتله** – وجه التشابه هنا واضح في القصة – **يخرج شيوخك وقُضاتُكَ ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل فالمدينة القربى** – يعني القريبة – **من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلةً من البقر لم يُحرث عليها** – مرَّ هذا الكلام في وصف البقرة – **عجلةً من البقر لم يُحرث عليها لم تجر بالنير** – النير هذه آلة الحراثة – **وينحدرُ شيوخ تلك المدينة بالعجلةِ إلى وادٍ دائم السيلان** – دائم السيلان يعني فيه نهر يجري – **لم يُحرث فيه ولم يُزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي** – بنو لاوي، لاوي من أولاد يعقوب أحدُ الأسباط – **ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه**

إياهم اختار الربُّ إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومةٍ وكل ضربة ويغسلُ جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ويُصَرِّحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر أغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم بريٍ في وسط شعبك إسرائيل فيُغفَرُ لهم الدم فتنزعُ الدم البري من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب – هذه قصةُ بقرة بني إسرائيل في التوراة الموجودة الآن وهذا هو الإصحاح الحادي والعشرون من السفر الخامس وهو سفر التثنية من أسفار توراة موسى الموجودة والمعتمدة الآن عند بني إسرائيل وتلاحظون الفارق الكبير لا يوجد تشابه بين ما مرَّ علينا في قصة البقرة وبين هذا المذكور في توراة موسى وعلى هذا فقِس بقية الأمور.

ولذلك هذا التركيز وهذا التأكيد على موضوع التحريف لأن اليهود لم يزيلوا الحقائق أصلاً وإنما حَرَّفوها والطامةُ هنا، ولذلك القرآن مثلاً الأمم الباقية أنكرو القرآن لم يتحدث كثيراً عن انكارهم جحدوا عاندوا، اليهود أين مشكلتهم؟ مشكلتهم في التحريف يعني اليهود لم ينكروا وجود نبيٍ خاتم وديانةٍ خاتمة إنما قالوا بأن النبي الخاتم ليس هو هذا النبي المبعوث الآن فبدلوا الأوصاف غيروا الأوصاف والتحريف أشدُّ خطراً، التحريف يربط الناس في الضلالة لا يجعل الناس يستطيعون الخروج من بئر الضلالة من مهاوي الضلالة ربما لو أنكر قومٌ شيئاً ما يأتي أُناس آخرون ويؤمنون به لكن حينما يكون تحريف من الصعوبة جداً أن يُكتشف التحريف وهذا ما ابتليت به أُمَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلقد حُرِّفَ الكتاب، حُرِّفَ الكتاب لا في ألفاظِهِ قرآننا ليس مُحَرَّفاً في ألفاظِهِ وإنما حُرِّفت المعاني أما هذه القضية التي يرددها المخالفون بأن الشيعة قالوا بتحريف القرآن يريدون أن يخفوا تلك الطامة وهو تحريفهم لمعاني الكتاب فيجعلون الصراع على مسألة ألفاظ الكتاب، الكتاب حتى لو لم تُحَرَّف ألفاظه ما الفائدة منه إذا حُرِّفت معانيه نحن نقول بأن الكتاب لم تحرَّف ألفاظهُ والكتاب هو هذا ما بين الدفتين هو كتاب الله الذي نزل به جبريلُ على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ولكن ما الفائدةُ من كتابٍ حُفِظَت ألفاظه وحُرِّفت معانيه.

لذلك حين يقول الأئمة بأن الكتاب حُرِّف حُرِّفت المعاني حقيقة الكتاب لا في ألفاظِهِ حقيقة الكتاب في معانيه وهؤلاء القوم دائماً يقولون بأن الشيعة يقولون بتحريف القرآن لأجل أن يُغطوا على التحريف الأعظم الذي في فعلوه حيث حَرَّفوا معاني الكتاب وهذي هي المشكلة نفسها التي عاشها بنو إسرائيل وإلى ذلك أشار النبي الأعظم أنهُ ما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأُمَّة حذو القُذَّة بالقُذَّة وحذو النعل بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو أنهم دخلوا جُحر ضبٍ لدخلتم فيه، وحين سألوه عن الأمم التي كانت قبلنا هل هم اليهود والنصارى فماذا قال؟ قال وهل الناس إلا هم، قالوا يا رسول الله الذين كانوا قبلنا اليهود

والنصارى قال وهل الناس إلا هم؟! الحديث عنهم الكلام هنا عنهم فما جرى في بني إسرائيل جرى في هذه الأُمَّة وهذا هو سر الحديث المتكرر عن بني إسرائيل في كتابنا.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هناك حادثة وقصة مُفَصَّلة يذكرها إمامنا الزاكي العسكري عن بني إسرائيل وعن معجزاتٍ طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يحققها لهم والقصة طويلة لا أجد وقتاً لذكر كل تفاصيلها بشكل مختصر أقول إن بني إسرائيل قالوا يا مُحَمَّد إنك تقول بأن قلوبنا أشد قسوةً من الحجارة فإنا نقول لك بأن قلوبنا ليست قاسية وإنما إذا كنت تدعي هذا فإنا نطلبُ منك أن تُقيم لنا دليلاً معجزةً قال ما تطلبون قال إذا كنت تدّعي بأن قلوبنا أشدُّ قسوةً من الحجارة فلتشهد لك الحجارة قال أي حجارةٍ تريدون؟ قالوا نخرج إلى هذه الجبال فاطلب من الجبال أن تشهد لك إمامنا يقول خرج النبي مع مجموعة منهم فاختاروا أوعر جبلٍ من الجبال التي وصلوا إليها قالوا فليشهد لك هذا الجبل الرواية فيها تفصيل الرواية تقول هكذا بأن النبي أقسم على الجبل بِمُحَمَّدٍ وآل محمَّد وهذا القَسَم لأي شيءٍ؟ لأجل تأكيد الحجَّة على بني إسرائيل بأنهم يجب عليهم أن يفوا بالميثاق لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، أنه أقسمَ على الجبل بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أن ينطق بالحق فنطق الجبل وتَشَهَّدَ بالحق وأقرَّ بالرسالة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبَيّنَ في كلامهِ بأن قلوب بني إسرائيل أشدُّ قسوةً من الحجارة كلهم سمعوا الصوت يخرج من الجبل ماذا قال اليهود؟

قالوا يا مُحَمَّد إنا لا نأمن أن يكون بعض أصحابك قد اختفى خلف هذا الجبل، مع أنهم خرجوا من دون أن يكون هناك تخطيط خرجوا من المدينة إلى ذلك المكان وهم اختاروا الجبل قالوا لا نعلم ربما أن يكون بعض أصحابك أو بعض مرَدَتِك بعضُ شياطينك خلف هذا الجبل وهم الذين كلمونا ولم يكلمنا الجبل بأمرٍ من الله فإنا نطلبُ منك أن تأمر هذا الجبل بأن يُقتلع من مكانهِ ويأتيك سعياً ويقترب منك ثم يشهد لك بنفس هذه الشهادة الرواية تقول بأن النبي صلى الله عليه وآله كان هناك حجر، حجر وزنهُ خمسة أرطال النبي أشار إليه بأصبعهِ فجاء الحجر يتدحرج وصل إلى أحدهم قال اسمع ما يقول الحجر أقترب من الحجر، لهذا اليهودي فاقترب من الحجر وإذا بالحجر هذا ينطق بنفس الذي نطق به ذلك الجبل فقال له النبي صلى الله عليه وآله أهناك أحدٌ قد اختفى خلف هذا الحجر؟

الحجر صغير وزنهُ خمسة أرطال وجاء يتدحرج حتى وقف بجانبهم قالوا لا ولكن نحن نريد منك أن تطلب من هذا الجبل أن يأتي إليك ثم ينقسم إلى نصفين عرضاً هكذا ثم يتحول الجانب السفلي من الجبل فيكون هو القمة والقمة تكون في الجانب السفلي من الجبل ويشهد لك بذلك، فتحقق لهم ما يريدون الجبل اقترب من النبي وانقسم إلى نصفين كما أرادوا وصار أعلاه أسفله وأسفله أعلاه وشَهِد للنبي بالرسالة وبالحق،

بعضهم قالوا لقد أقام علينا الحُجَّة وهناك منهم من قال لا إن الرجل مبخوت، مبخوت يعني هذه كلمة كان يقولها العرب أي أنه صاحب بخت صاحب حظ وصاحبُ الحظ أن الأمور تتحقق له هكذا من دون سبب، قالوا إن الرجل مبخوت فأيُّ شيءٍ يريد!! لاحظوا الشيطنة ولاحظوا التحريف وهذا الأمر نفسهُ أبتُلي به أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الرواية تقول إن الجبل خاطبهم قال إن تقولوا كذلك فهل أن موسى كان مبخوت حينما حدثت له المعجزات؟! يمكن أن يُقال أن موسى أيضاً كان مبخوتاً، هذه قصة بني إسرائيل مع النبي ومع أهل البيت قصةٌ طويلة والقصة ضاربةٌ في العمق إلى زمان موسى وهارون لكن هذه الحقائق لا تُبيّن لماذا؟ لأن الذين يفسرون القرآن يذهبون إلى مشرق الأرض ومغربها إلى كل زاوية لكن لا يذهبون إلى أهل البيت الذين يفسرون القرآن يذهبون إلى كل مكان يتيهون في كل زاوية لكن لا يذهبون إلى أهل البيت فلا يسألون أهل البيت عن معاني قرآنهم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ بعد كل هذا ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بعد أن رأوا هذه الآيات من النبي، قلت هناك مجموعة قالوا لابد أن نؤمن به لا نستطيع أن ننكر أقام علينا الحُجَّة، ومنهم من قال بأنهُ مبخوت هؤلاء الذين أذعنوا لكن قلوبهم تأبى ذلك فهم مترددون ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ الرواية تقول حينما يلتقون بسلمان وأبي ذر والمقداد قالوا آمنا ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأن هؤلاء هم الذين آمنوا حقيقةً ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ حينما يجتمعون فيما بينهم هناك الذين قالوا بأن النبي مبخوت هؤلاء أساتذة في الدعايات يعرفون كيف يُرتبون الدعايات وهذي مسألة الدعايات موجودة في كل زمان هناك ناس متخصصون وأساتذة وخُبراء في فن الدعايات لابطال الحقائق فهناك أساتذة في فن الدعايات منهم وهناك الذين يحرِّفون الكتاب الذين حَرَّفوا أوصاف النبي فكتبوا أوصافاً أخرى فحينما يجتمعون فيما بينهم هؤلاء المترددون ينتكسون ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ يتذكرون ما رأوا من الدلائل والمعجزات ويتذكرون ما كانوا قد سمعوه من أحبارهم فيما مضى من الأيام أصلاً هم جاؤوا إلى الحجاز بحثاً عن النبي الخاتم وهذه القضية كانت تعيش معهم تأكل وتشرب.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أتحدثونهم بما كان في كتبكم بما عندكم من المعلومات ومن علائم نبوة النبي ومن أوصافهِ لماذا تحدِّثونهم بما عندكم ﴿قَالُوا

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وهذه الآية واضحة في أن بني إسرائيل كانوا مُكَلَّفين بالاعتقاد بنبوة النبي وإمامة علي ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الرواية عن الإمام العسكري عليه السلام يقول إذا لقوا سلمان وأبا ذر والمقداد قالوا لهم إننا نؤمنُ بنبوة النبي وبولاية علي، لماذا إذا لقوا سلمان وأبا ذر والمقداد؟ لأن هؤلاء يؤمنون بنبوة النبي وبولاية علي هؤلاء لهم خصوصية حتى في كتب المخالفين هؤلاء يُسمون بشيعة عليٍّ في زمان النبي حينما كان يأتي سلمان وأبو ذر والمقداد الصحابة يسمون هؤلاء بشيعة علي وهذا موجود في كتب القوم في كتب المخالفين لأهل البيت لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يُردد دائماً: **عليٌّ وشيعتهُ هم الفائزون يوم القيامة؛ يا علي أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة؛ يا علي أنت وشيعتك على منابر من نور في جواري يوم القيامة.**

هذه أحاديث من كتب المخالفين ليس هذه الأحاديث من كتب الشيعة هذه الأحاديث من كتب المخالفين وكانوا يُشيرون إلى سلمان وإلى أبي ذر وإلى المقداد وإلى عمار يقولون هؤلاء شيعةُ عليٍّ هذا في زمان رسول الله ليس بعد شهادة رسول الله يعني هذه القضية كانت مميزة شاخصة واضحة، فلذلك هؤلاء اليهود كما يقول إمامنا العسكري عليه السلام كانوا يلتقون بسلمان وأبي ذر والمقداد وأضراب هؤلاء فيُحدِّثونهم بأنهم يؤمنون بالنبي وبعليٍّ، يحدِّثون هؤلاء لأن هؤلاء شيعةُ عليٍّ وهؤلاء هم أصحابُ الإيمان الحق يحدِّثونهم ويقولون إن ذلك مذكور في كتبنا لذلك يعترضون عليهم ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ وكأن الله لا يعلم بذلك يعني كأن الله سبحانه وتعالى إنما يُحاسبُ اليهود إذا ذكروا هذا الكلام لسلمان ولأبي ذر واحتجَّ سلمان وأبو ذر على اليهود بهذه الحجج وهذه البيانات التي ذكروها.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ فيما بينهم اليهود ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لماذا تخبرونهم بما في كتبنا، ولذلك في هذه المرحلة بدأت عملية تحريف ثانية قبل قليل أنا ذكرت إن مؤرخي التوراة بعد انتشار الدين المسيحي حَرَّفوا التوراة وهي توراتهم لأجل أن يوقعوا المسيحيين في ضلالة وفي تحريف للمعاني نفس هذه العملية حدثت في زمان النبي صلى الله عليه وآله لأنهُ إلى زمان بعثة النبي والحقائق موجودة في كتبهم والناس الذين كانوا يعيشون يعرفون هذه المعاني والآية هنا تتحدث عن هذه الحقيقة ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذه المعاني لا تتضح، الآيات تبقى مغلقة مُبهمة إذا

لم نُفسر الآيات بكلام أهل البيت إذا رجعنا إلى فلان وعلان القرآن لا تتضح معانيه تتضح معاني القرآن إذا فُسِّر بكلام أهل البيت كتابهم وهم أولى بكتابهم هم يقولون نحن أولى بالله نحن أولى بدين الله نحن أولى بكتاب الله نحن أولى برسول الله، من أولى بهذه المعاني غيرهم؟! هم أولى بالله، وأولى برسول الله وأولى بدين الله وأولى بكتاب الله وأولى ببيت الله، هم آل الله هكذا نُسَلِّمُ عليهم: **السَّلامُ عليكم يا آل الله.**

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ هذا المقطع من الآية يحتاج أن يقف عليه القارئ الذي يقرأ القرآن، يحتاج أن يقف لماذا يعترضُ بعضهم على البعض الآخر ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ فتح يعني هناك معلومات مفصلة ليس إشارة ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يُقال للإشارات وللمعلومات القليلة إنها فتح هناك فتح مُفَصَّل هناك معلومات مُفَصَّلة عند اليهود عن النبي وآل النبي ﴿ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ وهذا ليس بغريب.

قصة مرحب لَمَّا أخذ الراية أبو بكر فرَّ من المعركة ورجع يجبنُ أصحابهُ ويُجَبِّنونه وفي اليوم الثاني أخذ عمر الراية ورجع يُجَبِّنُ أصحابهُ ويُجَبِّنونه وفي بعض الروايات يشتم أصحابهُ ويشتمونه، يُقَبِّحُ أصحابهُ ويُقَبِّحونه، فرجع أبو بكر يُجَبِّنُ أصحابهُ ويُجَبِّنونه، ورجع عمر يُجَبِّنُ أصحابهُ ويُجَبِّنونه لماذا؟ لأن الذي كان على رأس القوة العسكرية اليهودية من هو؟

مرحب ذلك البطل الأسطوري ذلك البطل الذي تخافهُ وتهابهُ الفرسان، لَمَّا أخذ الراية عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه والقصة معروفة أخذ الراية وقلع القموص وهو باب خيبر لَمَّا قلع باب خيبر ودخل إلى داخل خيبر واجههُ مرحب الروايات تقول حين المواجهة مرحب سألهُ من أنت؟ لَمَّا ارتجز وقال أنا الذي سمتني أُمِّي حيدرة الروايات تقول إن مرحب فرَّ من بين يديه، الروايات هكذا تقول لأنهُ كان عنده خبر أخبار موجودة إن الذي يفتح هذا الحصن والذي يقلع هذا الباب أسمهُ حيدرة ففر مرحب في البداية، والروايات تقول إن الشيطان تصور له بصورة وأرجعهُ والقصة فيها تفصيل، أنا هنا أريد أن أشير إلى أن حتى هذه الجزئيات كانت مذكورة عند بني إسرائيل حتى هذه الجزئيات ليس فقط أوصاف عامة ولذلك حينما قلت في الحلقات الماضية بأن بني إسرائيل الأُمَّة الوحيدة التي كُلِّفت بالاعتقاد بنبوة النبي وبإمامة علي وآل علي بشكل مفصل كل الأمم كُلِّفت لكن بنحوٍ إجمالي، بنو إسرائيل كُلِّفوا بشكلٍ مُفَصَّل وإلا إذا كانت هذه القضية مذكورة هذه القضية كانت مذكورة إن الذي يفتح الباب يفتح الحصن ويقلع الباب اسمه حيدرة فمعنى ذلك أن التفاصيل كاملةً موجودة، لذلك أقول هذه الآيات تحتاج إلى تدبر تحتاج إلى توقف ولن نفهم معانيها من دون الرجوع إلى كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ لكن الضلالة حينما تستحكم وبالذات الحسد المشكلة أين؟ المشكلة في الحسد، الحسد هو أساس القسوة في القلوب، الحسد هو أساس القسوة حينما دخل الحسد في قلوبهم حينما حسدوا النبي صلى الله عليه وآله اختلفت حتى الموازين البديهية في التفكير، هم ألا يعلمون بأن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون؟! يعلمون ذلك ولكنهم ماذا يصنعون وهم في حالة اصطراع بين حقٍّ وباطل، فيقولون لهم لا تحدثونهم بما فتح الله عليكم، لماذا؟ كي لا يحاجوكم به عند ربكم لذلك الآية تقول ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

ثم تستمر الآيات في الحديث عنهم ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ من هؤلاء الذين عاشوا في زمان النبي ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أُمِّيون: الأُمِّي هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة، لماذا يُقال لهُ أُمِّي؟ يعني هو باقٍ على حالهِ كما خرج من بطن أمه نسبةً إلى الأم لماذا يُقال لهُ أُمِّي؟ هكذا الروايات تقول روايات أهل البيت تقول إن الرجل الذي لا يقرأ ولا يكتب يُقال له أُمِّي لأنهُ بقيَ على حالهِ كما خرج من بطن أمه فنسبةً إلى الأم يُقال له أُمِّي وإن كان هناك في بعض كتب اللغة يقولون إن سبب التسمية إن الأمهات كُنَّ يُشفقن على أولادهن أن يذهبوا إلى المعَلِّم باعتبار المعلم يمكن أن يضرب الأولاد يمكن أن يتعبهم بالتكاليف التعليمية بما يعطيهم من واجبات من عمل ولا يرغبن في أن يفارقن أطفالهن فيُشفقنَ على أطفالهن فيبقى الأطفال عند أمهاتهم فالذي يذهب يتعلم هذا يكون غير أُمِّي وإنما الذي يبقى عند أُمِّهِ يُقال لهُ أُمِّي وعلى أي حالٍ المعنى واحد، الأُمِّي هو الذي بقيَ على حالهِ كما خرج من بطن أمه ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ لا يعلمون الكتاب لأنهم لا يعرفون القراءة والكتابة فإذا كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة فهم لا يملكون علماً لأن وسيلة التعلم هي القراءة والكتابة، كيف يتعلم الإنسان؟ كيف يصلُ العلم إلى الإنسان؟ يصل العلم إلى الإنسان بالوسائل ما هي وسائل التعلم والتعليم؟ القراءة والكتابة إذا كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة فهم لا يعلمون.

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ أماني، الأمانيَّ هي جمعٌ لأمنيَّة والأُمنيَّة هي الكذبة، الأُمنيَّة هي الكِذبة قد يكون معنى الأمنية ما يتمناه الإنسان لكن في اللغة الأُمنيَّة هي الكذبة، أشرح الكلام إذ قد يستغرب البعض ربما لم يسمع البعض أن معنى الأُمنيَّة في اللغة هي الكذبة ولكن هو هذا الموجود في كتب

اللغة، قواميس اللغة كلها تقول بأن الأُمنيَّة هي الكذبة، الأصل في هذا الكلام أن الفعل مَنى تأتي بمعنى قَدَّرَ، ألا يقول الإنسان أني مُنيتُ بمرض، ابتليتُ بمرض قُدِّرَ ليَّ مرض مَنى الله عبدهُ بكذا وكذا يعني قَدَّرَ لهُ كذا وكذا مُنيتُ بكذا يعني ابتليت بكذا يعني قُدِّر لي كذا، مَنى قَدَّرَ ومن هنا الكاذب، الكاذب يُقَدِّر الكذبة في ذهنهِ ثم يقولها يُقَدِّرُها يعني يرسمها التقدير هو الرسم، الخلق، الصناعة، الكاذب يُقَدِّر الكِذبة ثم يتلفظ بها فيُقال للكذبة أُمنيَّة وجمعها أمانيَّ لذلك الآية تقول ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ هؤلاء لا يعرفون القراءة والكتابة لا يعلمون الكتابة إلا أمانيَّ إلا أكاذيب هذه الأكاذيب من أين يأتون بها؟ يأتون بها من علمائهم من أحبارهم لأن هؤلاء لا يقرأون لا يكتبون لا يملكون علماً لا يملكون قدرةً على التحقيق والبحث يأخذون العلم من أين؟ يأخذون العلمَ من علمائهم.

علمائهم مرَّ الكلام قبل قليل يُحَرِّفون الكَلِم عن مواضعهِ يُحَرِّفون المعاني يُقَلِّبون الحقائق فيقولون لهم إن الكتاب يقول كذا وكذا مثلاً يأتي هؤلاء الأُمِّيون من اليهود يقولون إن مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم هو هذا النبي الخاتم ألم تخبرونا في سنة كذا وكذا أن أوصاف النبي الخاتم كذا وكذا يخرِجون لهم كتاباً وقد حرَّفوه يقولون هذا هو الكتاب ويقرأون إن هذه الأوصاف غير أوصاف النبي الخاتم، أوصاف مُحَمَّد شيء وأوصاف النبي الخاتم شيء آخر، وإنكم قد نسيتم الكلام هذا هو الكتاب يشهد عليكم فهؤلاء لا يعلمون من الكتاب إلا أمانيَّ إلا أكاذيب ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ هم لا يملكون يقيناً يعتقدون بأن هذا هو الكتاب لأنهم لا يحفظون الكتاب ولا يقرأون ولا يكتبون والأمر بيد علمائهم وعلمائهم حَرَّفوا، فهم في حالة ظن في حالة حيرة.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الويل العذاب وطبعاً في الروايات ويل هو أشدُّ مكانٍ في جهنم عذاباً حتى في بعض الروايات ويل هو وادٍ في جهنم فطلب من الله أن يأذن له أن يتنفس فحين تنفس أحرق جهنم إشارة إلى شدة العذاب فيه، ويل يعني العذاب الشديد ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ يكتبون الكتاب بأيديهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ يُحَرِّفون ويقرأون على هؤلاء الأُمِّيين ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ إلا أكاذيب، أكاذيب من أين يأتون بها؟ من هؤلاء العلماء ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ بأيديهم وليس من الله كما مرَّ علينا قبل قليل في قصة البقرة لاحظتم الفارق الكبير في قصة البقرة.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ﴾ وأنا قلت قبل قليل بأن الطامة الكبرى عند

بني إسرائيل هو التحريف، تحريفُ الكتاب ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ يعني هناك ثمن ومُثمَن هناك ثمن قليل يُحَصِّلونهُ ما هو هذا الثمن القليل؟ أن يبقوا على منزلتهم الدينية وأن يبقوا على سمعتهم الدينية في بني إسرائيل فهم أحبارهم وهم علمائهم وهم قُرَّائُهم يحافظون على هذه المنزلة الدينية والأموال تُجبى إليهم والناس تحترمهم وتُقَدِّسُهم لمدة زمنية محدودة ثم يموت الإنسان مُقابل هذا الشيء ماذا يفعلون؟ يُحَرِّفون كتاب الله بأيديهم ويخدعون الناس يقولون هذا هو الحق ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ يعني القيمة التي تُدفع تحريف كتاب الله الثمن القليل هو هذا بقائهم في مناصبهم ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ويلٌ لهم، عذابٌ لهم ﴿وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ وويلٌ لهم مما يكسبون من آثامٍ ومن سيئاتٍ ومن ذنوبٍ ومن ضلالة اجترحوها ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ هذا الكلام فيما بينهم حينما يلتقي هؤلاء الذين يعرفون الحقائق الذين يعرفون بأن النبي الخاتم هو مُحَمَّد صلى الله عليه وآله حينما يجتمعون فيما بينهم يقولون صحيح إن النبي هو هذا الخاتم ونحن قد حَرَّفنا وخالفنا لكن هذا لن يجعلنا مُقيمين في النار خالدين في النار أيام ثم تُدركنا الشفاعة ثم نخرج.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ هل الله سبحانه وتعالى أعطاكم عهداً أنهُ لن يجعلكم خالدين في النار؟! من أين جئتم بهذا الكلام أنكم تمكثون أياماً في النار بسبب تحريفكم للكتاب بسبب إضلالكم لبني إسرائيل ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ هل أعطاكم الله عهداً أنكم لن تخلدوا في النار ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا الكلام أنتم تقولونهُ وتخدعون أنفسكم والإنسان يمكن أن يخدع نفسه الإنسان كما يتمكن أن يخدع الآخرين يمكن أن يخدع نفسه هذا الخُداع من أين ينشأ؟ بسبب الحسد، قوة الحسد، شدة الحسد لرسول الله صلى الله عليه وآله شدة الحسد، حسد اليهود للعرب إن النبي جاء من العرب حسد اليهود كان مركباً اليهود يبغضون أولاد عمهم إسماعيل وهذي مشكلتهم مشكلة اليهود هي هذه، اليهود حسدوا العرب، أولاد إسماعيل وحسدوا قريش الذروة من العرب وحسدوا بني هاشم الذروة من قريش وحسدوا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله الذروة من بني هاشم، حسد اليهود كان مركب ما كانوا يطيقون أن النبوة تكون أين؟ في أولاد إسماعيل لذلك هم حتى حَرَّفوا قضية الذِبح وأن الذي قدمهُ إبراهيم قرباناً هو

إسحاق لأنهم يعلمون أن عملية القربان هذه كانت قربان للإمامة للنبوة، للنبوة الخاتمة وللإمامة الخاتمة، فإسماعيل أعطى عهدهُ بأن قدم نفسهُ للذبح وكان ذلك هو عهد الإمامة، في التوراة حَرَّفوا هذه القضية في كتبهم الدينية حَرَّفوا هذه القضية فجلعوا أن الذي قُدِّمَ قُرباناً هو إسحاق، إسحاق والد يعقوب ويعقوب هو جدهم والحسد قد عشعشَ في نفوسهم وقلوبهم فهم يعلمون الحقيقة الحاسد يعرف أن فلان أفضل منه لكن الحسد يمنعهُ لذلك الروايات تقول، ماذا تقول؟

إياكم والحسد – والأئمة هم المحسودون وأعداء أهل البيت سببُ العداء هو الحسد وحتى في زماننا هذا الذين ينتقصون من أهل البيت أي واحد في وسطنا الشيعي في الوسط السني في أي وسطٍ كان الذين ينتقصون من النبي ومن آل النبي هو الحسد، حسد هناك حسد، حسد يسيطر على القلوب هذا الحسد هو الذي منعَ أحبار بني إسرائيل من الإيمان مع علمهم بأن الحق مع مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله – **إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب** – يأكل الإيمان – **إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الإيمان** – إمامنا الصادق، إمامنا الباقر أئمتنا صلوات الله عليهم هكذا نبهونا – **إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب** – ولذلك هؤلاء أُكِلَ إيمانهم وهذه القضية تبقى موجودة في هذه الأُمَّة قضية الحسد.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ بسبب هذا الحسد يبقى الحاسد هكذا يُخَيِّل لنفسه أشياء ويصطنع لنفسه أشياء يُقنع نفسهُ بها حينما هناك إنسان يحسد إنساناً آخر ولا يريد لذلك الإنسان الثاني العلو والرفعة يبدأ يُعاديه وينتقص منه مع أنهُ يعلم أن الحق معه مع ذلك الثاني لكنه يرفضُ ذلك فيُحاول أن يبحث لهُ عن عيوب أن يختلق له عيوب ونقائص لأي شيءٍ؟ كي يقنع نفسه بأنهُ على حق ولو يقنع نفسه بشكلٍ مؤقت ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الروايات في الكافي الشريف وفي غيرهِ ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ السيئة في رواياتنا المراد هنا من هذه السيئة عداوة عليٍّ، عداوة مُحَمَّدٍ هي عداوة عليٍّ وعداوة عليٍّ هي عداوة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، الآية هنا تبين قانوناً عاماً ليس خاصاً ببني إسرائيل صحيح الآية السابقة تتحدث عن بني إسرائيل وأنهم يخدعون أنفسهم ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ القرآن يخاطبهم ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ﴾ أنتم عندكم عهد فيما بينكم وبين الله أنكم لا تخلدون في النار ﴿أَمْ تَقُولُونَ

﴿عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أم تقولون هكذا من دون أن تعرفوا قوانين الله، قانون الله هو هذا ما هو؟ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هكذا تتحدثون وتسنون القوانين لله ما هو قانون الله؟ قانون الله هو هذا ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الروايات فسرت السيئة بعداوة عليٍّ، السيئة يمكن أن تنطبقَ على أي معنىً سيء لكن لماذا في هذه الآية فُسِّرت بعداوة علي؟ هذه فُسِّرت لو دققنا النظر في الآية كلمة السيئة يمكن أن تُقال لأي ذنبٍ من الذنوب يمكن أن تُقال لأي أثمٍ من الآثام وسيئات الناس كثيرة، سيئاتنا كثيرة لكل قبيحٍ يمكن أن يُقال سيئة لكن لماذا جاءت الروايات لتقول السيئة هنا عداوة عليٍّ، مخالفةُ عليٍّ، لماذا؟ لأن السيئة يمكن أن تُغفر للإنسان، لأن السيئة يمكن أن تُمحى، أما عداوة عليٍّ لا يمكن أن تُمحى.

هناك قانون ثابت بيَّنهُ خاتمُ الأنبياء، **قال: حُبُّ عليٍّ حسنةٌ لا تضر معها سيئة، وبغض عليٍّ سيئةٌ لا تنفع معها حسنة.** والآية تتحدث عن هذا المعنى ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ الخطيئة هنا هي آثار السيئة، الخطيئة يمكن أن تكون سيئة لكن هنا في الآية الخطيئة هي آثارُ السيئة ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ بحيث لا يمكن أن تتبدل سيئاتهُ إلى حسنات ولا يمكن أن تُغفر سيئاتهُ ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ الذي يُعادي عليّاً أنت لا تجدُ في كتاب الله ولا تجد في الروايات الشريفة سيئة تُحيط بالإنسان وهذه السيئة تمنعهُ من الدخول إلى الجنة إلا الشرك، لأن الله لا يغفرُ أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك القرآن صريح في هذا، الله سبحانه وتعالى لا يغفرُ أن يُشرك به وهو يغفر ما دون ذلك جَلَّت قدرتهُ وتعالى شأنه وعداوة عليٍّ هي الشرك بعينها وعداوة مُحَمَّدٍ هي الشرك بعينها، عداوة عليٍّ هي الشرك لأن حُبَّ علي هو الإيمان – **ولا يُحبُّكَ يا علي إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؛ حُبُّ عليٍّ هو الإيمان؛ حُبُّ عليٍّ هو حُبُّ مُحَمَّد من أحبَّ علياً أحب رسول الله ومن أحبَّ رسول الله فقد أحبَّ الله ومن سبَّ علياً فقد سبَّ رسول الله؛ من سَبَّ علياً فقد سَبَّني ومن سَبَّني فقد سَبَّ الله** – وهذي الأحاديث موجودة في كتب المخالفين لا في كتبنا فقط – **من سَبَّ علياً فقد سَبَّني ومن سَبَّني فقد سَبَّ الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغضَ الله** – عداوة عليٍّ هي الشرك بعينه، الله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يُشرك به وإنما يغفر ما دون ذلك – **وحُبُّ عليٍّ حسنة لا تضر معها سيئة وبغض عليٍّ سيئة لا تنفع معها حسنة.** ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ الخطيئة أحاطت به، الخطيئة هي الآثار

العقلية القلبية النفسية الوجدانية الآثار العقائدية المترتبة على عداوة عليٍّ هذي تحيط بالإنسان فتمنعهُ من الوصولِ إلى رضوان الله الذي يُمنع من الوصول إلى رضوان الله إلى أين يذهب، يذهب إلى جهنم وبئس المصير ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الآية حتى في روايات المخالفين في بعض الروايات إنها في عليٍّ خاصة، هكذا ورد إنها في عليٍّ خاصة، هذه الآية في عليٍّ وشيعتهِ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

حُبُّ عليٍّ حسنة لا تضر معها سيئة، حُبُّ علي هو هذا الإيمان وحُبُّ علي محرِّك يدفع الإنسان للعمل الصالح بنحوٍ وبآخر، حُبُّ علي محرِّكٌ يدفع الإنسان للعمل الصالح، حُبُّ عليٍّ يدفع الإنسان للدفاع عن عليٍّ، وهل هناك من عمل صالح أفضلُ من الدفاع عن علي، حُبُّ عليٍّ يدفعُ الإنسان لدعوة الناس إلى علي وهل هناك عملٌ صالح أفضلُ من دعوة الناس إلى علي؟ حُبُّ عليٍّ يدفعُ الإنسان لأي شيءٍ؟ للحديث عن فضائل عليٍّ للاستماع إلى فضائل عليٍّ والروايات تقول: **من استمع إلى فضيلةٍ من فضائل علي غفر الله له ذنوبهُ التي اكتسبها بالسمع ومن نظر إلى فضيلةٍ من فضائل علي غفر الله له ذنوبه التي اكتسبها بالنظر ومن كتب فضيلةً من فضائل علي تستغفر له الملائكة**، الله يستغفر له الملائكة تستغفر له، الله يغفر له ما دامت هذه الكتابة موجودة **{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ}** حُبُّ عليٍّ يدفعنا إلى زيارة عليٍّ، حُبُّ عليٍّ هو الذي يدفعكم يا شيعة أهل البيت أن تمشوا على أقدامكم للحسين، حُبُّ عليٍّ هو الذي يدفعنا أن نُقَدِّمَ ما نملك من مال ومن نفسٍ في سبيل عليٍّ وآل علي في سبيل إحياء أمر عليٍّ وآل علي وهذا هو العمل الصالح.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يا بني إسرائيل أنتم تقولون ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ قانون الله هو هذا، قانون الله يتألف من شقين:

الشق الأول من القانون ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

والشقُ الثاني من القانون ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

بقيت عندنا آية والوقت طال بنا هذه الآية أتركها للحلقة القادمة إن شاء الله تعالى لكن وعدتكم أن

أجيبَ على سؤالٍ وهو ما هي أسبابُ القسوةِ وما أسبابُ علاجها؟

بشكل مختصر فإن الوقت طال بنا، أهمُّ أسباب قسوة القلوب هو الحسد، وقد مرت الإشارة إليه قبل قليل، أهم أسباب قسوة القلوب الحسد، الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، والحسد إنما هو شُعبة من شُعب الكفر، الكفر له شُعَب من أخطر شعب الكفر هو الحسد، ومشكلة إبليس مع أبينا آدم الحسد، ومشكلة الأنبياء مع أممهم الحسد، ومصائبُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جاءت من الحسد فهم المحسودون، وما يحدثُ من خلافٍ في الأُمَّة بين علمائها وبين المؤمنين وبين قادتها ما هو سببهُ؟ الحسد، فإن الحسد هو أخطر الأمراض، أخطر الأمراض التي تؤدي إلى قسوة القلوب، هناك أسباب أخرى والوقت لا يسمحُ بالحديث في كل هذه التفاصيل لكنني أشير إلى أهم المطالب، أهمُ الأسباب الحسد.

وأما علاجُ القسوة، علاجُ القسوةِ هناك أشياء عديدة ذُكِرت في علاج القسوة أنا أذكر نموذجين في الجانب الأخلاقي، بالنتيجة القسوة هي حالةٌ نفسية وحالة قلبية وحالةٌ وجدانية فَتُعالجُ بحالةٍ نفسية أخرى أيضاً من اسباب إزالة القسوة هو حُسنُ الخُلُق، والروايات تقول: **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً**. حُسنُ الخُلُق في الروايات هكذا إمامنا الباقر، إمامنا الصادق، أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: **حُسنُ الخُلُق يميثُ الخطيئة كما تميثُ الشمس الجليد**. هذي الرواية بحاجة إلى شرح لكنني لا أجد وقتاً لشرحها الآن إن شاء الله في مناسبة أخرى أتحدث عنها بالتفصيل – **حُسنُ الخُلُق يميثُ الخطيئة كما تميثُ الشمس الجليد** – والخطيئة من أين تأتي؟ تأتي من الحسد تأتي من العداوة وقبل قليل قرأنا ﴿**بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾ حُسنُ الخُلُق علاجٌ ناجع لإزالة القساوة وكذلك التواضع ومن تواضع لله رفعه هكذا قال نبينا وأئمتنا وفي الحديث عن إمامنا الصادق وعن غيرهِ من الأئمة – **إن الله أوحى لنبيه داوود عليه السلام إن أقرب الناس إلى الله** – من هم؟ – **المتواضعون وإن أبعد الناس عن الله** – من هم؟ – **المتكبرون** – حُسنُ الخُلُق والتواضع من العلاجات الناجعة التي تزيل القسوة من القلوب.

وهذا الموضوع بحاجة إلى تفصيل أكثر ولكني أشير إلى أكسيرٍ أقوى من كل هذه العلاجات مع أهمية هذه العلاجات ومع أهمية هذه المعاني الأكسير الذي يزيل القسوة هو: تعميق حُبِّ أهل البيت في القلوب، كُلمَّا تَعَمَّقَ حُبُّ أهل البيت في قلوبنا كلمَّا زالت القسوة، ولا يتعمَّقُ حُبُّ أهل البيت إلا بذكرهم، إلا بالاستماع إلى حديثهم، إلا بقراءة حديثهم إلا بزيارتهم، إلا بالعيش في أجوائهم، في مجالسهم، إلا بإحياء أمرهم، إلا بالسعي إلى زيارتهم، بإقامة شعائر الحسين عليه السلام، بإقامة شعائر أهل البيت، بسفح الدموع على مصابهم، البكاء شوقاً إليهم، البكاء حزناً عليهم، البكاء فرحاً بهم، البكاء لهذه النعمة العظيمة التي مَنَّ الله

علينا بها ونحن لا نستحقها، أن نذرف الدموع شكراً لله سبحانه وتعالى أن مَنَّ علينا بنعمة الولاية التي لا نستحقها، من نحن؟ ما قيمتنا أن مَنَّ الله علينا بهذه النعمة من دون هذه المليارات من البشر، العيش في هذه الأجواء يُرقِقُ القلوب، أما إذا أضفنا إلى ذلك حُسنُ الخلُق والتواضع فهذا هو الأكسير الذي سيُبدل السيئات إلى حسنات، هذا هو الأكسير الذي تكون به النجاة نجاة في الدنيا والنجاة في الآخرة، هذا هو الأكسير الذي يجلب لنا السعادة، السعادة في هذه الحياة والسعادة عند الموت والسعادة في يوم القيامة، النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **ألا أخبركم** – وأئمتنا يقولون هذا الحديث منقول عن النبي وعن الأئمة – **ألا أخبركم من هو السعيد حق السعيد، إن السعيد حق السعيد** – من هو؟ – **إن السعيد حق السعيد من تولى عليّاً في حياتي وبعد مماتي.**

السعيدُ هو هذا، ولِذا أقول الحمد لله الذي أخرجنا من حدود البهيمية إلى حد الإنسانية بولاية عليٍّ وآل علي، الحمد لله الذي مَنَّ علينا بهذه السعادة وأيَّةُ سعادة؟ وإن كانت الحياة ملئى بكل المُنَغِّصات لكن هذه السعادة تبقى فوق كل مُنَغِّص الحياة ملئى، الدنيا دارٌ محفوفةٌ بالبلاء الدنيا يحفها المرض، يحفها الخوف، يحفها الجوع، يحفها الفقر، ويحفها ما يحفها من أنواع البلايا لكن هذه السعادة بولاية عليٍّ فوق كل هذه المنَغِّصات، الحمدُ لله على هذه السعادة، وإن الألسنة والقلوب والعقول لتعجز عن شكر هذه النعمة.

اللَّهُمَّ أَدِم علينا هذه السعادة بولاية عليٍّ وآل علي، اللَّهُمَّ اكتبنا من السعداء في الدنيا بولاية عليٍّ وآل علي، واكتبنا من السعداء عند الموت وفي قبورنا بولاية عليٍّ وآل علي واحشرنا مع السُعداءِ يوم القيامة بولاية عليٍّ وآل علي، اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يجوزُ على صراطك يوم القيامة سعيداً يحمل بيدهِ صك ولاية عليٍّ وآل علي صلواتك وسلامك عليهم أجمعين.

أسألكم الدعاء جميعاً وألقاكم على مودة وولاية عليٍّ وآل علي وفي أمان الله.

الحلقة الحادية عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ٨٣ الى الآية ٨٨

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وأسعد الله أوقاتكم وأيامكم ونحن نعيشُ هذه الأيام أيام ولادة الصديقة الكبرى صلوات الله وسلامه عليها وهذه هي الحلقة الحادية بعد العاشرة من برنامج قرآننا، أيضاً في هذه الحلقة سأتناول صفحةً من صفحات الكتاب الكريم وإن بقيت عندنا آية من الصفحة السابقة أكمل الكلام فيها وأتم الكلام في صفحةٍ جديدةٍ إن شاء الله تعالى.

وصل الحديثُ في الحلقة الماضية إلى الآية الثالثة والثمانين والتي تركتها وأبقيتها لضيق الوقت الآية الثالثة والثمانون من سورة البقرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ لازلنا في سياق الآيات التي تتحدثُ عن بني إسرائيل وهناك أمران مهمان أشير إليهما: الأمر الأول مرَّ ذكرهُ علينا وكذلك الأمر الثاني إلا أنني أعيدُ التذكير بهما لأجل أن تتضح المعاني التي سأتناولها في هذه الحلقة.

الأمر الأول: إن ذكر بني إسرائيل المتكرر في القرآن الكريم وإن هذا التأكيد وهذا الاهتمام بتفاصيل مجريات حياة بني إسرائيل لأمرٍ مهم يتعلُقُ بأن اليهود هم الأُمَّة التي كُلِّفت بشكلٍ مفصَّل بالاعتقاد بنبوة نبينا وولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومرَّ الكلام في هذا.

والأمر الثاني: أئمتنا أخبرونا بأن القرآن نزل بهذا اللسان إن الكثير من آيات الكتاب الكريم نزلت بهذا اللسان بلسان إياكِ أعني واسمعي يا جارة.

أعودُ إلى الآية الثالثة والثمانين من سورة البقرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ والميثاق معناه واضح الميثاقُ هو العهد وهو العقد هو العهد الذي أُخِذَ على بني إسرائيل العهد الذي أُخِذَ على اليهود وهذا العهد اتخذهُ الله على اليهود بواسطة نبيهم موسى، وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل وتقدم الكلام في قصص بني إسرائيل في قضية رفع الطور فوق رؤوسهم وذلك في وقت أخذ الميثاق كما مرَّ في الآية الثالثة والستين من سورة البقرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ خذوا ما آتيناكم من تعاليم

ومن أحكام ومن قواعد ومن قوانين ومن معرفةٍ وعقيدة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ والآيات بيّنت إن بني إسرائيل لم يفوا بذلك العهد ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ توليتم أي أعرضتم عن ذلك الميثاق من جملة المطالب التي أخذت في هذا الميثاق الآية الثالثة والثمانون تتحدث عن بعض تفاصيل هذا الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على أي شيءٍ؟

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وهو التوحيد فالعبادة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى ليس هناك من مصداقٍ من مصاديق العبادات في كل الديانات التي نزلت من الله سبحانه وتعالى والتعبير بالديانات هو تعبيرٌ مجازي لأن الدين عند الله دينٌ واحد الدينُ من زمان آدم وإلى يوم القيامة إنما هو دينٌ واحد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ لكن سمي هذا الدين بالديانة الموسوية سمي هذا الدين بالديانة العيسوية سمي هذا الدين بالديانة الإبراهيمية وهكذا، الدين عند كل الأنبياء من زمان آدم إلى يوم القيامة هو دينٌ واحد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الدين هو دين الإسلام وهو دين التسليم وهو دين الخضوع إنما سميت الديانة اليهودية الديانة الموسوية لمقطعٍ تأريخي، الديانة العيسوية الديانة المسيحية لمقطعٍ تأريخي لخصوصية مأخوذة بلحاظٍ معين الديانة المحمدية سميت هذه الديانة بهذه التسميات لخصوصية معينة لملاحظة معينة إما لملاحظة النبي الذي بلغ بها أو لملاحظة القوم الذين بُلغوا بها أو لملاحظات تأريخية أخرى وإلا فالدينُ دينٌ واحد وكل الدين من زمان آدم وإلى يوم القيامة أساسهُ الأول والأخير هو التوحيد فدينُ الله هو دين الإسلام ودين الإسلام هو التوحيد وهذا التوحيد كيف يتجلى؟ إنما يتجلى في توحيد العبادة فإن العبادة لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى ولا يمكن أن يقبل المنطق ولا يمكن أن يقبل العقل بأن العبادة تكون لغير الله لأن هذا الوجود بهذا النظام الواحد يدل على آله واحد وهذا الإله الواحد هو مصدر كل شيءٍ في هذا الوجود فلا تكون العبادة إلا لمصدر كل شيء ومصدر كل شيءٍ هو واحد وذلك الواحد هو الله سبحانه وتعالى لذلك المنطق يقول والعقل يقول والفطرة تقول بأن العبادة لا تكون إلا لله، وهنا أُخِذَ ميثاق بني إسرائيل على هذه العقيدة وعلى هذه الحقيقة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ آيات الكتاب الكريم فيها أكثر من أفق فيها أكثر من وجه فيها أكثر من جهة يمكن أن تلحظ في كلمات الله سبحانه وتعالى الكلام هنا

بلحاظٍ ثم أنتقل إلى لحاظٍ آخر ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ثم ينتقل الكلام إلى خلق الله والكلام عن خلق الله يبدأ الأولى فالأولى ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الأقرب من هم الأقرب إلى الإنسان؟ الأقرب إلى الإنسان الوالدان ﴿وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً﴾ ثم ﴿وَذِي القُربَى﴾ وذي القربى إنما تكون قرابتهم بسبب الوالدين الإنسان أساساً يوجد وجوداً مادياً على الأرض بسبب الوالدين قرابات الإنسان من أين تبدأ؟ تبدأ من الناس الذين لهم صلةٌ رحمية بالوالد والناس الذي لهم صله رحمية بالوالدة فأول الأرحام من هم؟ هم الإخوة والأخوات وكذلك الأجدادُ والجدات وكذلك الأعمام والعمات والأخوال والخالات وهكذا هذه القرابات إنما تتفرعُ من الوالد ومن الوالدة ولذلك جاء ذكرُ القرابات بعد ذكر الوالدين.

﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَذِي القُربَى وَاليَتَامَى﴾ وبعد القربى من هم الأولى بالعناية والرعاية؟ هم الأيتام هم الصغار الذين فقدوا آبائهم ويُقال للطفل بأنه يتيم إذا فقد أباه، الذي يفقد أمه ولا يفقد أباه لا يُقال له في لغة العرب اليتيم، اليتيم هو الذي يفقد أباه واليتامى هناك في كتب اللغة يقولون بأن اليتيم من بني البشر الذي يفقدُ أباه وإن اليتيم من سائر الحيوانات الأخرى الذي يفقد أمه لعلة مهمةٍ إن الأطفال وإن الأولاد في بني البشر الذي يرعاهم آبائهم بالدرجة الأولى والذين لهم الولاية الكاملة عليهم آبائهم بالنسبة للحيوانات الذي يرعى الأولاد الحيوانات حينما ترعى أولادها هي أمهات الحيوانات لذلك يُقال للحيوان الصغير الذي يفقد أمه يقال له يتيم وإلا فهو فاقدٌ لأبيه من البداية، وبالنسبة لبني البشر الذي يفقد أباه يُقال له اليتيم وهؤلاء الصغار الأيتام هم أولى من غيرهم بالعناية والاهتمام لذلك جاء ذكرهم هنا بعد القربى ﴿وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَذِي القُربَى وَاليَتَامَى﴾ وبعد اليتامى ﴿والمَسَاكِينِ﴾ جاء ذكر المساكين والمساكين جمعٌ لمسكين والمسكينُ هو الذي يكونُ أشد فقراً بسبب الفقر بسبب الحاجة قد سكنت جوارحهُ قد سكنت حواسهُ واعضائه أو قد أصابتهُ المسكنة، والمسكنة هي المذلة هي المهانة، أصابته المذلة والمهانة بسبب حاجتهِ هو يستشعر هذا في نفسهِ يستشعر المذلة يستشعر المهانة بسبب حاجتهِ، هؤلاء هم الأولى والأجدر بالعناية من سائر بني البشر.

ولذلك هذا الترتيب يبدأ من الأقرب ثم شيئاً فشيئاً يتدرج ﴿وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَذِي القُربَى﴾ وهم القرابات ﴿وَاليَتَامَى﴾ الأطفال الذين فقدوا آبائهم ﴿والمَسَاكِينِ﴾ وهم أكثر الناس فقراً أكثر الناس حاجةً وعوزاً

إذاً من مصاديق هذا الميثاق العبادة لله التوحيد والإحسانُ إلى الوالدين وكذلك الإحسانُ إلى ذي القربى والإحسان إلى اليتامى والإحسانُ إلى المساكين ثم ماذا؟ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ الحديث هنا عن بقية الناس، الطبقات التي هي الأولى بالاهتمام وبالرعاية الوالدان، الأرحام من جهة الوالدين، ثم اليتامى الأطفال الذين فقدوا آبائهم، ثم الناس المحتاجين المساكين الذين أصابهم الفقر وأصابتهم الفاقة بنحوٍ شديد وبعد ذلك ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ فإنكم لا تسعون الناس بأموالكم كما قال صلى الله عليه وآله فإنكم لا تسعون الناس بأموالكم، اليتامى ربما يمكن ان يعينهم الإنسان بشيءٍ من المال المساكين كذلك الوالدان الأرحام لكن لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من سعةٍ في المال أن يصل إلى كل الناس، إنكم لا تستطيعون أن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ والتعبير هنا في غاية الجمال هذا التعبير القرآني ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ ولم يقل القرآن وقولوا للناس حَسَناً وإن كان المراد هو هذا: وقولوا للناس قولاً حسناً لكن القرآن ماذا استعمل؟ استعمل حُسناً، الحُسن مصدر في لغة العرب وليس صفة نحن لا نستطيع أن نقول بأننا نقول للناس قولاً حُسناً إذا أردنا أن نقول هذا فإنما هو على نحو التجوز على نحو المسامحة الصيغة الصحيحة في التعبير بأننا نقول للناس قولاً حَسَناً لأن القول يُوصف بأنه حَسَن، أما الحُسن فإنهُ مصدر فكأن الآية الكريمة تريد أن تقول بأنهُ يجب عليكم أن تبالغوا في حُسن الخُلق كأن الآية تأمرنا بالمبالغة في حُسن الخُلق في حُسن الخلقِ مع الناس ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ ولذلك في الروايات الشريفة بأن أقرب المواقف من رسول الله هي مواقف الذين كانوا أحسن أخلاقاً في العالم الدنيوي، أحسنكم أخلاقاً أقربكم مني موقفاً يوم القيامة، هكذا قال صلى الله عليه وآله وسلم، وحُسنُ الخُلق يستندُ إلى أي شيءٍ؟ يستندُ إلى التواضع حُسنُ الخُلق لا يمكن أن يتحقق من دون التواضع هذا أولاً، وثانياً يستندُ إلى البشاشة والطلاقة في الوجه، وثالثاً يستندُ إلى جمال الأدب إلى اللفظ المؤدب إلى الكلام المؤدب، حُسنُ الخلق هذه أركانه، أركان حسن الخلق التواضع والبشاشة والطلاقة في الوجه وجمال اللفظ جمال الحديث جمال الكلام وحلاوة المعشر.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ الرواية في الكافي الشريف عن إمامنا الباقر عليه السلام وعن إمامنا الصادق أيضاً صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ الأئمة هكذا قالوا، قالوا: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يُقال لكم، أنتم ماذا تحبون أن يُقال لكم ماذا تحبون من الناس أن يتعاملوا معكم إن كان في الأخلاق إن كان في الألفاظ إن كان في المعاشرة إن كان في اللقاء مع الناس ماذا تحبون أن يفعل الناس معكم أفعلوا

هذا مع الناس إذا ألتقيتم بهم ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ أن قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يُقال لكم هكذا قال أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالميثاق يشتمل على جملة من المطالب المطلب الأول وهو التوحيد ﴿لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ والمطلب الثاني هو التعامل مع خلق الله ﴿وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً﴾ ثم تأتي الآية ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أقيموا الصلاة بحدودها وبأصولها وبأركانها ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ والزكاة أيضاً بكل معانيها.

الزكاة ليست فقط حينما تُذكر في الكتاب الكريم يُراد منها فقط الزكاة المالية، هناك زكاة المال وهناك زكاة العلم وهناك زكاة الجاه وهناك زكاة قوة الأبدان، الزكاة المالية تشتمل على مصاديق هناك الزكاة الواجبة المعروفة بحدودها، الزكاة التي تُفَصَّلُ أحكامها في الكتب الفقهية كزكاة النقدين الذهب والفضة أو زكاة الغلات أو زكاة الأنعام الزكاة الواجبة التي بُينت أحكامها وتفاصيلها في الكتب الفقهية، وهناك كذلك زكاة الأبدان ما تسمى بزكاة الفطرة، وهناك الزكوات المستحبة وهي الصدقات عموماً والصدقات أبوابها عديدة الصدقات المستحبة فهناك الزكاة المالية وهي الزكاة الواجبة وزكاة الفطرة والزكوات والصدقات المستحبة وهذه أنحاءها كثيرة جداً، وهناك زكاة العلم وهو انفاق العلم ونشره وتبليغ أمر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وزكاة العلم أعلى درجةً وأعلى رتبةً كما في أحاديث أهل البيت من زكاة الأموال، وهناك زكاة الجاه من كانت له منزلة اجتماعية من كانت له منزلة وكرامة بين الناس ويستطيع أن يُعين الناس أن يُعين إخوانهُ بجاههِ الاجتماعي وبمنزلتهِ بين الناس فما يقوم بهِ بهذا الاتجاه هو زكاةٌ للجاه الذي ما وصل إليه إلا بتوفيقٍ من الله سبحانه وتعالى، زكاة الجاه وكذلك زكاة قوة الأبدان هناك من الناس من يملك القوة البدنية فيجب عليه أن يُزكي هذه القوة أن يبذلها في إعانة الضعفاء ممن لا يملكون تلك القوة البدنية، فالمراد من الزكاة، الزكاة ليس بنحوٍ واحد وإنما في جميع الاتجاهات في جميع النعم التي أسبغها الله سبحانه وتعالى على عباده.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيتُم﴾ أعرضتم عن هذا الميثاق يا بني إسرائيل وتلاحظون إن الآية تخاطب اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله وهذا الميثاق إنما أُخِذَ عليهم في زمان نبوة موسى عليه السلام مرَّ علينا قبل قليل في الآية الثالثة والستين ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم وَرَفَعنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ﴾ هذا كان بصحبة موسى حينما ذهبوا إلى الميثاق حينما ذهبوا إلى الميقات ومع ذلك الآية تخاطب بني إسرائيل تخاطب اليهود الذين عاشوا مع رسول الله في المدينة وفي المناطق المجاورة للمدينة ﴿ثُمَّ تَوَلَّيتُم إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُم﴾ ما قالت الآية ثم

تولوا يعني الذين مضوا وعاشوا في الأزمنة الماضية ﴿ثُمَّ تَوَلَّيتُم﴾ الخطاب للذين كانوا يعيشون في زمان رسول الله ﴿ثُمَّ تَوَلَّيتُم إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُم﴾ هناك قليل منكم الذين وفوا لذلك الميثاق ﴿وَأَنتُم مِّعرِضُونَ﴾ والخطاب هنا للقليل الذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فإن القليل من اليهود وفوا بذلك الميثاق هذا الوجه الأول اللحاظ الأول للآية وإلا الآية لها لحاظ آخر لها أفق آخر وأكثر من أفق لكن أشير إلى أفق آخر من آفاق هذه الآية الكريمة.

﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لاَ تَعبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً﴾ الوالدان الوالد الأول والوالد الثاني مُحَمَّدٌ وعليٌّ؛ **أنا وعليٌّ أبوا هذه الأُمَّة**، الرواية ينقلها أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن رسول الله قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **أنا وعليٌّ أبوا هذه الأُمَّة، ولَحَقُّنا على هذه الأُمَّة أعظمُ من حقِّ والديهم** – من حق والديهم الوالد الجسماني والوالدة الجسمانية يعني الوالد الذي ينتسبُ إليه جسماً وينتسبُ إليه رحماً – **أنا وعليٌّ أبوا هذه الأُمَّة** – والدا هذه الأُمَّة – **ولَحَقُّنا على هذه الأُمَّة أعظمُ من حقِّ والديهم** – ثم يبينُ النبي صلى الله عليه وآله بأن هذا الحق وأن عظمة هذا الحق لأن والدية النبي ووالدية عليٍّ تقودهم إلى النعيم تقودهم إلى النجاة من الضلالة في الدنيا وإلى النجاة من العذاب في الآخرة أما الوالدية الجسمية فهي محدودة بحدود الدنيا محدودةٌ بحدود التربية والعناية والتنمية والإنشاء الأُسري، الوالدية الحقيقية هي والدية مُحَمَّدٍ وعليٍّ صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لاَ تَعبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً﴾ التوحيد صنو الولاية، الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل ومرَّ الكلام فيه إنهُ ميثاق التوحيد والولاية لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وهذا هو المعنى الأدق أما هذه المعاني التي تحدثت عنها قبل قليل هذه المعاني صحيحة ومأخوذة في نظر الآية الشريفة لكن هذه فروع، الأصول هي العقائد والميثاق إنما يؤخذ في الأصول ولا يؤخذ في الفروع، الميثاق في البداية يؤخذ في الأصول هناك للميثاق أصول وفروع أول ما تؤخذ في الميثاق هي أصول الميثاق، وأصول الميثاق التوحيد والولاية.

﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لاَ تَعبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً﴾ بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ ﴿وَذِي القُربَى﴾ وذي القربى الذين تفرعوا عن مُحَمَّدٍ وعليٍّ، وذو القربى معناهما واضح الأئمة المعصومون، النبي وعليٌّ وفاطمة وما ولدا، ما ولد عليٌّ وفاطمة من المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولئك هم ذو القربى ﴿وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَذِي القُربَى﴾ وأما اليتامى والمساكين، اليتامى والمساكين هم شيعة أهل البيت هم شيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أنا أشير إلى بعضٍ من الأحاديث الشريفة التي وردت عن أهل بيت العصمة وإلا

فالروايات كثيرةٌ جداً التي تحدث فيها الأئمة عن أن اليتامى والمساكين هم شيعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذا الكتاب الذي بين يدي هو الجزء الثاني من كتاب بحار الأنوار الرواية مرويةٌ عن رسول الله صلى الله عليه وآله ماذا قال، يرويها إمامنا العسكري: **أشدُّ من يُتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه** – وقبل قليل قلت الذي يموت أبوه يُقال لهُ يتيم – **أشدُّ من يُتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يُتم يتيمٌ انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالِماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطعُ عن مشاهدتنا يتيمٌ في حجره ألا فمن هداه وأرشدهُ وعَلَّمَهُ شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى** – فهؤلاء اليتامى هم يتامى آل مُحَمَّد هم يتامى شيعة أهل البيت في زمان غيبة إمام زماننا الذين انقطعوا عن إمامهم صلوات الله وسلامه عليه.

وروايةٌ أخرى والروايات كثيرة وأنا هنا أوردُ بعضاً منها على سبيل النموذج الرواية أيضاً عن إمامنا الجواد صلوات الله وسلامه عليه – **من تكَفَّلَ بأيتام آل مُحَمَّد، المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأُسَراءِ في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعداءنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بِحُجج ربهم ودليل أئمتهم ليفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحُجُب على السماء** – يعني بأكثر من فضل السماء على الأرض – **وبأكثر من فضل العرش والكرسي والحُجُبِ على فضل السماء وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكبٍ في السماء** – هذه من الأحاديث التي تحدثت عن يتامى آل مُحَمَّد الذين انقطعوا عن أئمتهم.

ورواياتٌ أخرى تتحدثُ عن المساكين الرواية عن إمامنا الحسن الزاكي العسكري – **إن من محبي مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم مساكين مواساتهم أفضلُ من مواساة مساكين الفقراء وهم الذين سكنت جوارحهم وضعفت قواهم** – عن أي شيءٍ؟ – **عن مقابلة أعداء الله الذين يعيرونهم بدينهم ويُسَفِّهون أحلامهم ألا فمن قوَّاهم بفقهه وعلمه حتى أزال مسكنتهم ثم سلطهم على الأعداء الظاهرين النواصب وعلى الأعداء الباطنين إبليس ومَرَدَته حتى يهزموهم عن دين الله ويذودوهم عن أولياء آل رسول الله صلى الله عليه وآله حَوَّلَ الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم فأعجزهم عن إضلالهم قضى الله تعالى بذلك قضاء حقٍّ على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله** – وحديثٌ آخر عن سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه – **أنهُ قال لرجلٍ أيهما أحَبُّ إليك** – إمامنا الحُسين يسأل رجلا – **أيهما أحَبُّ إليك رجلٌ يروم قتل مسكينٍ قد ضَعُف** – هناك رجل مسكين وجاء رجل آخر قوي

يريد أن يقتله، رجلٌ يروم؛ يَروم يريد – **رجلٌ يروم قتل مسكينٍ قد ضَعُف أتنقذهُ من يده أو ناصبٌ يريد إضلال مسكينٍ من ضعفاء شيعتنا تفتح عليه ما يمتنع به** – ما يمتنع به يعني ما يتقوى به – **ما يمتنع به ويُفحِمهُ ويكسره بِحُجج الله تعالى؟ قال: بل إنقاذُ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب إن الله تعالى يقول:** ﴿مَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ – الإمام هنا صلوات الله وسلامه عليه يسأل الرجل، لا يريد من الرجل جواباً، وإنما الإمام يسأل سؤالاً ثم يجيب، وإنما هذه هي طريقة في التنبيه هو سأل الرجل أيهما أحبَّ إليك رجلٌ يروم قتل مسكين إلى آخر الكلام ثم الإمام ما انتظر جواباً من الرجل وإنما الإمام هو أجاب، فقال صلوات الله وسلامه عليه: بل إنقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب إن الله تعالى يقول: ﴿مَن أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ أي ومن أحياها وأرشدها من كفرٍ إلى إيمان فكأنما أحيا الناس جميعاً من قبل أن يقتلهم بسيوف الحديد.

وروايةٌ أخرى أيضاً هذه الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **من كان هَمّهُ في كسر النواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين لنا أهل البيت يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبين عوراتهم ويُفَخِّمُ أمرَ مُحَمَّدٍ وآلهِ صلوات الله عليهم جعل الله هِمَّةَ أملاك الجنان في بناء قصورهِ ودوره، يُستعمل بكل حرفٍ من حروف حُجَجهِ على أعداء الله أكثرُ من عدد أهل الدنيا أملاكاً قوة كل واحدٍ تفضلُ عن حمل السماوات والأرض فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصورٍ لا يعرف قدرها إلا ربُّ العالمين.**

وروايةٌ أخرى واكتفي بها فالروايات كثيرةٌ جداً، الرواية هذه عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه يرويها إمامنا الزاكي العسكري: **أفضلُ ما يُقَدِّمُهُ العالِمُ من مُحبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقتهِ وذلته مسكنته** – يعني بعد موته يعني ما يقدمه لقبره وليوم قيامته – **أفضلُ ما يُقدمه العالِم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته وذله ومسكنته** – ماذا يفعل؟ – **أن يُغيث في الدنيا مسكيناً من محبينا من يد ناصبٍ عدوٍ لله ولرسوله** – فماذا يجازى هذا العالِم؟ – **يقومُ من قبرهِ والملائكة صفوف من شفير قبره** – من شفير يعني من حافة قبره – **يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبرهِ إلى موضع محله من جنان الله فيحملونه على أجنحتهم ويقولون طوباك طوباك** – هنيئاً لك – **طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار، طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار** – والتعصب للحق ليس تعصباً مذموماً، التعصب المذموم هو التعصب للباطل أو التعصب لشيءٍ لا يجوز له التعصب، التعصب للحق هو التمسك به والدفاع عنه ولذلك الرواية هكذا تخاطب هذا العالم الذي يُدافع

عن المساكين من شيعة أهل البيت والمراد بالمساكين هنا المساكين في المعنى العقائدي – **طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار** – التعصب للأئمة الأخيار لا بهذا المعنى الساذج للتعصب، التعصب للحق واجبٌ لا تجوز المهادنة أو المجاملة فيه، أما ما يُذَمُ في كلمات أهل البيت أو ما يذمهُ الناس من العصبية أو التعصب فذلك ليس في جانب الحق، التعصب للحق واجب، التعصب للحق يعني الإيمان بالحق يعني التمسك بالحق، يعني الدفاع عن الحق، التعصب للأئمة الأخيار يعني الإيمان بهم يعني التصديق لهم يعني الدفاع عنهم يعني أن لا يهادن الإنسان في عقيدته بأهل البيت وأن لا يجامل في عقيدته بأهل البيت وأن ينطق القول الصريح الحق وأن يتمسك بهم كما هم أمروا وكما هم أرادوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ وهو التوحيد ﴿ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً ﴾ بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ ﴿ وَذِي القُربَى ﴾ بالأئمة المعصومين ﴿ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ ﴾ بشيعة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً ﴾ وقولوا للناس حُسنا لغيرهم الروايات هكذا تقول: **أمحض المودّة لأخيك المؤمن وصانع المنافق بلسانك.** هناك عندنا آفاق في التعامل مع الناس الذين أحبوا محمَّداً وعليّاً وأخلصوا لهما صلوات الله عليهما هؤلاء يجب علينا أن نمحضهم المودّة، محضُ المودّة أن تكون المودّة فيما بيننا وبينهم خالصة صادقة، أمحض المودّة لأخيك المؤمن، هكذا قالت روايات أهل البيت إمامنا الصادق عليه السلام يقول: **أمحض المودّة لأخيك المؤمن،** ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً ﴾ من غير شيعة أهل البيت هناك الكثير من الناس ممن أعمتهم الشبهات هناك الكثير من الناس الذين لا يوالون أهل البيت لا يعني أن هؤلاء الناس الذين لا يسيرون في طريق أهل البيت كلهم في الحقيقة أو في الأصل ينصبون العداء لأهل البيت هناك الكثير منهم ممن غطتهم الشبهات وممن من لم يجدوا من يُعَرِّفهم حقائق الأمور هؤلاء يجب أن نُداريهم أُمِرنا بِمُداراة الناس، ومُداراة الناس يعني أن نتعامل معهم بالخُلُق الحسَن وأن نحترم ما يقولون على نحو التدرج وأن نُبيّن لهم الحقائق على نحو التدرج وهذي هي معاني المداراة أما أولئك الذين محضوا العداء لأهل البيت أن نتبرأ منهم وأن نصانعهم دفعاً لشرهم في بعض الأحيان، لشرهم عن أنفسنا أو عن إخواننا ولذلك الرواية تقول ماذا؟ تقول أمحض المودّة لأخيك المؤمن وصانع المنافق بلسانك، صانع من المُصانعة، والمصانعة هي المجاملة في زماننا هذا لا يُقال مُصانعة يُقال مُجاملة، المُجاملة هي المُخالطة المبنية على الكلام الظاهري فقط الكلام الفارغ الذي لا حقيقة له يُقال مجاملات، مجاملات يعني كلام لا حقيقة له يعني كلام لا هو بالصدق ولا هو بالكذب هي هذه المجاملات، المجاملات هي الكلمات التي تصدر

عن الإنسان لا هي بالصدق ولا هي بالكذب وإنما هي مماشاة ومُداراة ومُصانعة للناس – **أمحض المودّة لأخيك المؤمن وصانع المنافق بلسانك** – دفعاً لشره وللخلاص من شروره.

﴿ وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً ﴾ وهذا الميثاق الذي أُخِذَ على بني إسرائيل هو مأخوذٌ علينا أيضاً مأخوذٌ على كل الناس ميثاق التوحيد ميثاق الولاية ميثاق المحبة في الله والبغض في الله ﴿ وَبِالوَالِدَينِ إِحسَاناً وَذِي القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ ﴾ ميثاق الأخلاق الحسنة ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أقيموا الصلاة: الصلاة لا تُقامُ إلا بشروطها وشرط الصلاة الأول والأخير هو ولاية عليٍّ هذا الشرط الأول والأخير الصلاة من دون الاعتقاد بولاية عليٍّ لا تسمى صلاة حقيقة الصلاة وجوهر الصلاة ولاية عليٍّ أما على نحو أجزاء الصلاة فإن من أهم أجزاء الصلاة الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد التي إن لم تُذكر بَطُلت الصلاة ورُدَّت الصلاة، الصلاة في جوهرها، في عمقها، في معناها الحقيقي هي ولاية عليٍّ ولذلك لا تُقبلُ إلا بولاية عليٍّ، إلا بالاعتقاد بولاية عليٍّ، والصلاة في بُعدها الظاهري في مناسكها وأجزاءها هي أيضاً مشروطةٌ بذكر الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فإن لم تُذكر هذه الصلاة رُدّت هذه الصلاة وبَطُلت هذه الصلاة فإذاً أين هي حقيقة الصلاة؟ وحقيقة الزكاة كذلك؟ وكل المعاني ومرَّ علينا فيما سلف من الحلقات من برنامج قُرآننا مرَّ علينا بأن كل خيرٍ جاء مذكوراً في الكتاب الكريم إنما هو مظاهر لأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا أريد أن أطيل كثيراً فقد مرَّ قسطٌ كبير من وقت البرنامج.

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيتُم ﴾ والأُمَّة هذه لَمَّا أُخِذَ عليها ميثاق الغدير أيضاً نفس القضية تكررت ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيتُم إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُم وَأَنتُم مِّعرِضُونَ ﴾ أليس الروايات تقول بأن القوم ارتدوا بأن الناس ارتدت بعد رسول الله والروايات واضحة وصريحة، كلمات أهل البيت واضحة وصريحة في ذلك.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيتُم إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُم وَأَنتُم مِّعرِضُونَ ﴾ الخطاب هنا في هذه الآية خطاب ليهود المدينة مع أن الأحداث وقعت في زمان موسى عليه السلام والخطاب أيضاً لهذه الأُمَّة بلسان إياكِ أعني وأسمعي يا جارة لذلك أنا في بداية الحلقة قلتُ بأن أمرين مهمين أريدُ بيانهما: الأمر الأول إن هذا الاهتمام بذكر بني إسرائيل للقضية التي بينتها وبأن القرآن مبنيٌ في كثيرٍ من نصوصهِ على هذا المضمون إياكِ أعني وأسمعي يا جارة، الآية التي بعدها ﴿ وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم ﴾ هذا الميثاق التفصيلي قلنا الميثاق هناك أصول وهناك فروع الأصول هي العقائد والمعارف والفروع هي الأحكام والتكاليف التي يحتاجها الناس في حياتهم اليومية.

﴿وإذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم﴾ من جملة مواثيق الأحكام التي أُخِذت على بني إسرائيل، الخطاب لمن؟ ليهود المدينة مع أن هذه المواثيق أُخِذت في زمان موسى ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم مّن دِيَارِكُم﴾ من جملة الأحكام لا يحل لكم أن تسفكوا دماء بعضكم البعض لا يحل لكم أن يقتل بعضكم البعض حُرمة سفك الدماء وهذا حكمٌ واضح ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم مّن دِيَارِكُم﴾ تُخرجون أنفسكم يعني تُخرجون إخوانكم أن تُخرجون إخوانكم من دياركم هذي أحكام شرعية الحكم الشرعي الأول حرمة سفك الدماء، الحكم الشرعي الثاني حرمة إخراج الناس من بيوتها ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم مّن دِيَارِكُم ثُمَّ أَقرَرتُم﴾ أقررتم بهذا الميثاق حينما رُفِعَ فوقكم الطور ﴿ثُمَّ أَقرَرتُم﴾ أقررتم يعني أنكم عاقدتم الله وعاقدتم وعاهدتم نبيكم موسى على هذه المواثيق ﴿ثُمَّ أَقرَرتُم وَأَنتُم تَشهَدُونَ﴾ وهذا الإقرار كان بحضوركم وأنتم تشهدون يعني بكامل قواكم العقلية بكامل حواسكم ﴿وَأَنتُم تَشهَدُونَ﴾ يعني وأنتم حاضرون وعالمون وشاعرون وعارفون ومحيطون بالأمر يعني أن هذا الميثاق لم يؤخذ عنكم بالنيابة وإنما كنتم شهوداً وحضوراً وكنتم عالمين وبكامل مداركم العقلية وبكامل اختياراتكم أنتم وافقتم على هذا الميثاق ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ لا تخرجون الضعفاء منكم لا تُخرجون الفقراء قطعاً هم لا يخرجون الأقوياء.

القوي وصاحب الأموال يبقى قوياً ويبقى مُرَفّهاً في زمان كل حكم ونحن نشاهد أمامنا وقائع الحياة اليومية أكان الحُكَّام إذا كان الحاكم شيوعياً فالأقوياء وأصحاب الأموال سيبقون مرفهين أكان الحاكم إسلامياً فنفس الشيء يبقى القوي ويبق صاحب المال مرفهاً وفي أمان وفي مأمنٍ من محاسبة القانون وإذا كان الحكم وطنياً أو قومياً أو اشتراكياً أو ديموقراطياً أو قل ما شئت عَبّر ما شئت من الأوصاف، الأقوياء أصحاب النفوذ دائماً يعيشون بسلامٍ وآمان في ظل أي حكومةٍ تأتي وكذلك في مأمنٍ من القوانين، القوانين إنما تُطبق في رؤوس الفقراء وهذا التأريخ شاهد عبر الزمان في الأزمنة القديمة وإلى يومنا هذا إلى ساعتنا هذه كأن القوانين لم تُسَن إلا لتُطَبّق في رؤوس الفقراء والمساكين وإلا الأقوياء أصحاب النفوذ وأصحاب الوجاهات الاجتماعية وأصحاب الأموال هؤلاء مُبعدون منزهون مبرأون خارجون عن حكم القانون فهم من يُخرجون؟ يخرجون الضعفاء والفقراء من بيوتهم ومن ديارهم ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ

﴿أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُم ثُمَّ أَقْرَرتُم﴾ أنتم وافقتم على هذا الميثاق وذلك بعلمٍ واختيارٍ منكم ﴿وَأَنتُم تَشْهَدُونَ﴾ ثم أنتم هؤلاء تشهدون ليس بمعنى الشهادة في المحاكم وإنما المراد تشهدون تعلمون، الشاهد هو العالم وهو الحاضر وإنما يُقال للذي يشهد في المحكمة شاهد لأي شيءٍ؟

لأنهُ كان حاضراً وعالماً الشهادة في أصلها تعني الحضور وتعني العلم فلأن هذا الشخص كان حاضراً في الواقعة وعالِماً بها يؤتى بهِ إلى المحكمة كي يكون شاهداً في قضيةٍ من قضايا المحاكم لذلك ﴿وَأَنتُم تَشْهَدُونَ﴾ المراد هنا يعني وأنتم حاضرون عالمون بالذي أقررتم به ووافقتم عليه، وواثقتم الله ونبيكم به وعليه ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُم ثُمَّ أَقْرَرتُم وَأَنتُم تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم﴾ هذه الأحداث لم تكن قد جرت في زمان رسول الله، هذه الأحداث ما جرت في زمان رسول الله، يعني أن اليهود الذين كانوا في المدينة والمناطق المجاورة للمدينة لم تكن هذه الأحداث قد جرت في أيامهم وإنما جرت في الأيام السابقة في أيام موسى والأيام التي تلت أيام موسى عليه السلام لكنَّ الخطاب لمن؟ لليهود الذين عاشوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لأن المواثيق التي أُخِذت عليهم في سالف الأيام هي بخصوص نبوة نبينا وإمامة عليٍّ والأئمة من ولده ولذلك الخطاب مع اليهود الذين عاشوا مع رسول الله لأجل هذه القضية وإلا لا معنى لأن يخاطبوا بنفس الأحداث وبنفس الأمور التي جرت في زمان موسى عليه السلام.

﴿ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم﴾ تقتلون أنفسكم لا يعني أنكم تنتحرون وإنما تقتلون أنفسكم يعني تقتلون إخوانكم وهذا التعبير ورد في الكتاب الكريم ﴿ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم﴾ تقتلون إخوانكم ﴿وَتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم﴾ يعني بعض المجموعات أنتم تقتلونهم لهدفٍ سياسي، لهدفٍ دنيوي، لتعصبٍ لا معنى له، لسببٍ لا يحق لكم لأجله أن تقتلونهم ﴿ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم وَتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ﴾ تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ: يعني تتعاونون فيما بينكم على هؤلاء الضعفاء، على هؤلاء الفقراء، ففريقاً منهم قتلتم وفريقاً منهم أخرجتموهم من ديارهم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالعُدوَانِ﴾ بالتعدي على حقوقهم وبالتعدي على حقوق الله سبحانه وتعالى

﴿ ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم ﴾ تقتلون بعضاً من إخوانكم ﴿ وَتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسَارَى تُفَادُوهُم ﴾ يعني أنتم في حالةٍ من التناقض هؤلاء هذه المجموعات من إخوانكم قتلتم بعضاً منهم لأسباب دنيوية، لأسباب سياسية، لأسباب اجتماعية، وأخرجتم بعضاً منهم وإخراجهم من ديارهم محرَّمٌ عليكم فقد أُخِذَ عليكم في الميثاق كما مرَّ في الآية السابقة ﴿ وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم لاَ تَسفِكُونَ دِمَاءكُم وَلاَ تُخرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُم ﴾ ولكن في نفس الوقت حينما يهجم عليهم بعض الأعداء ويسبونهم فأنتم تدفعون أموالاً لِمُفاداتهم وهذان حُكمان وردا في كتاب الله الحكم الأول يحرم عليكم إخراج إخوانكم من ديارهم والحكم الثاني يجب عليكم أن تُفادوا إخوانكم إذا ما وقعوا أسرى في يد أعدائكم فأنتم تعملون بالحكم الثاني وهو أنكم تدفعون الفدية لهم إذا ما وقعوا في الأسر وتخالفون الحكم الأول أن تخرجونهم من ديارهم.

﴿ ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم وَتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسَارَى ﴾ إذا أسرهم الأعداء تُفادوهم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيكُم إِخرَاجُهُم أَفَتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكفُرُونَ بِبَعضٍ ﴾ يعني أنتم حينما يأسرهم الأعداء تدفعون لهم الفدية وهذا يعني أنهم هم إخوانكم لذلك دفعتم الفدية لأجل إطلاق سراحهم ومن جهةٍ ثانية لأسباب أخرى قد تكون سياسية أو غير سياسية تقتلون بعضاً منهم وتُخرجون البعض الآخر من ديارهم وهذا محرَّمٌ عليكم أليس الميثاق هو شامل لكل هذه الأجزاء لماذا تجزؤون إيمانكم تعملون ببعض الكتاب ولا تعملون بالبعض الآخر.

﴿ ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُم وَتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسَارَى تُفَادُوهُم وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيكُم إِخرَاجُهُم أَفَتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكفُرُونَ بِبَعضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم ﴾ ما جزاء من يفعل هذا الأمر من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض الكتاب ﴿ فَمَا جَزَاء مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلاَّ خِزيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا ﴾ الخزي هو المذلة والمهانة المشهورة حينما يُذل الإنسان ويُهان بشكل مشهور بحيث تكون مذلته ومهانتهُ مشهورة أمام الناس ﴿ فَمَا جَزَاء مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلاَّ خِزيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيَومَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ ﴾ الغفلة هي من صفات الإنسان الغفلة

ليس من صفات الله الغفلة من صفات الإنسان والغفلة إنما هي فرعُ النقص وفرع الجهل وفرع الضعف لماذا يُصاب الإنسان بالغفلة؟ يُصاب الإنسان بالغفلة، أولاً: لجهلهِ، وثانياً: لضعفهِ ضعف الحواس النوم أليس هو علامة من علامات الضعف؟! لذلك الباري سبحانه وتعالى لا تأخذهُ سِنةً ولا نوم، الإنسان حينما ينام تصيبهُ الغفلة الإنسان حينما يمرض تصيبه الغفلة الإنسان حينما يتعب تصيبهُ الغفلة الإنسان حينما تمر عليه ظروف عديدة الإنسان مثلاً حينما يصيبهُ الخوف والهلع أيضاً تصيبهُ الغفلة عن كثير من الأمور الإنسان حينما يصيبهُ الجوع الشديد أيضاً تصيبهُ الغفلة عن كثير من الأمور حينما يصيبه العطش الإنسان ضعيف عوامل الضعف الإنسان حينما يتقدم في السن حتى لو لم يصل إلى مرحلة أرذل العمر حينما يتقدم في السن تضعف ذاكرتهُ تضعف قواه تضعف أحاسيسه تضعف حواسهُ تضعف مشاعرهُ، الإنسان يعيش ما بين جهلٍ وضعف لذلك تكون الغفلة ملازمة للإنسان، الله سبحانه وتعالى منزه هذه المعاني.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هؤلاء الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض الكتاب وهذا الحال موجود في المخالفين لأهل البيت، هم من جهةٍ يدّعون أنهم أتباع لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ومن جهةٍ أخرى هم أعداءٌ له فهم يُعادون عترتهُ ويُعادون أوصيائهُ ويُعادون الأئمة الذين أمر الناس بالرجوع إليهم فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض الكتاب ما هو جزاءهم؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ هؤلاء هم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض الكتاب فهم من جهةٍ كما مرَّ في المثال التأريخي المتقدم يُفادون الأسرى لأنهم إخوانهم ومن جهةٍ لمطامع دنيوية يقتلون بعضاً منهم لأسباب سياسية لأهداف مصلحية شخصية يُخرجونهم من ديارهم كما مرَّ علينا في الآيات المتقدمة فهؤلاء الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر يؤمنون بأن مُحَمَّداً هو النبي ولا يعملون بوصيتهِ بالتمسك بالكتاب والعترة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ هؤلاء أشتروا الحياة الدنيا، ماذا قدموا لها مهراً لهذه الحياة الدنيوية قدموا المهر لها الآخرة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ العذاب لن يُخفف عنهم يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ولن يجدون ناصراً لهم لأن الناصر يوم القيامة هو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم ومحمَّد ينادي في أصحابهِ سُحقاً سحقاً أليس هكذا الروايات في كتب القوم لَمَّا يأتي أصحابهُ الذين يقولون بأنهم أصحابهُ إلى حوض الكوثر فيُذادون ويأتي النداء إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إن هؤلاء إن أصحابك هؤلاء قد ارتدوا قد ارتدوا القهقرة قد فعلوا ما فعلوا فيقول سُحقاً سحقاً لهم وبُعداً بُعداً لهم، والروايات تقول في كتبهم إن الناجي منهم كمثل همل النعَم يعني العدد القليل

جداً الذين سينجون يوم القيامة، هَمَل النعم يعني النعم الضالة يعني إنسان مثلاً عنده مئة بعير كم يضل من جِمالهِ وإبله هذه يضل بعير واحد، همل النعم يعني الإبل الضالة في الصحراء العدد الأكثر من الإبل يكون عند أصحابهِ أم يكون ضالاً في الصحراء، طبعاً العدد الأقل هو الذي سيضل، أنهُ لا ينجو منهم لا يبقى منهم على المحجة على الحق إلا كمثل همل النعم.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ﴾ قبل أن أنتقل إلى هذه الآية الشريفة خطر في بالي بعض الروايات الواردة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في تفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير علي بن إبراهيم القمي رواياته مروية عن الأئمة وأكثر روايات تفسير علي بن إبراهيم القمي مروية عن الإمام الصادق وأيضاً عن الأئمة الباقين صلوات الله عليهم لكن أكثر روايات تفسير علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليه عن إمامنا الصادق عليه السلام في هذه الآية الشريفة الآية التي مرَّ الكلام عنها ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ ﴾ الإمام الصادق عليه السلام كما في تفسير علي بن إبراهيم يشير إلى أي قضية؟ قال الآية من جملة مضامينها الآية في أبي ذر وعثمان لأن عثمان أخرج أبا ذر إلى الربذة وقصة أبي ذر معروفة لو كان المقام يسع لبيّنتها، قصةٌ تكشفُ عن المأساة التي وقع فيها الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، مروان طريد رسول الله يكون هو الحاكم والمتحكم في المدينة وأبو ذر صاحب رسول الله المخلص يُطرد إلى الربذة وإنما طُردَ إلى الربذة لأي شيءٍ؟ عثمان سألهُ قال أحبُّ الأراضي إليك، قال: المدينة مدينة رسول الله، قال: أبغضُ الأراضي إليك، قال: الربذة لأنها بعيدة عن المدينة وأكثر سكانها اليهود ومنطقة مجدبة، فنفاهُ إلى الربذة، إمامنا الصادق يقول: من دلالات الآية هي هذه الواقعة.

﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم ﴾ هل أُخرِجَ بالحق؟ لا ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ ﴾ طبعاً لو نفرض أن أبا ذر وقع في الأسر لو نفرض هذه الفرضية قطعاً فإن عثمان سيفاديه لا يمكن أن يقع أبو ذر في الأسر ولا يُفاديه عثمان ماذا سيقول المسلمون، لذلك الإمام صلوات الله وسلامه عليه يشير إلى هذه القضية باعتبار الآية تقول ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيهِم بِالإِثمِ وَالعُدوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسَارَى تُفَادُوهُم وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيكُم إِخرَاجُهُم ﴾ إلى أن تبين العاقبة ما هي؟ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ والآية تحدثت ﴿ فَمَا جَزَاء مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزيٌ فِي

الحَيَاةِ الدُّنيَا ﴾ وأظن أن بقاء جثة عثمان على المزابل كما تذكر كتب التأريخ ثم بعد ذلك يُدفن في مقابر اليهود لربما من مصاديق المعنى الذي أشارت إليه هذه الآية، على أي حالٍ هذي موضوعات تأريخية بحاجة إلى بسطٍ وتفصيل وأنا لست بصدد التطرق إليها هنا.

﴿ وَلَقَد آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّينَا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ قفينا: أتبعنا، الكتاب هنا التوراة وواضح وإن كان قد يكون للكتاب أكثر من دلالة لأن موسى عليه السلام كما مرَّ علينا أنزل الله عليه التوراة وأنزل عليه الفرقان والفرقان هو الكتاب الذي نزلت فيه التعاليم بإتباع مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ومر الكلامُ في هذا ﴿ وَلَقَد آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّينَا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ قفينا يعني جاء بعدهُ رسل ورسل ومن هؤلاء الرسل الذين جاؤوا بعد موسى ﴿ وَآتَينَا عِيسَى ابن مَريَمَ البَيِّنَاتِ ﴾ البينات يعني الدلائل الواضحة المعجزات التي جاءت على يد عيسى عليه السلام المعجزات والدلائل والبراهين والحجج التي بينها ﴿ وَآتَينَا عِيسَى ابن مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ وقد أُيِّدَ عيسى بروح القُدس من أول أمرهِ إلى أن رفعهُ جبرئيل إلى السماء الرابعة الكلام هنا عن موسى وعن عيسى والكلام مع اليهود الذين كانوا في المدينة لأن موسى بشر بمُحَمَّد ولأن عيسى بَشر بِمُحَمَّد ولذلك جاء ذكرهما على نحو الخصوص وجاء ذكر الباقين بشكلٍ إجمالي ﴿ وَلَقَد آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ ﴾ فماذا كان في كتاب موسى؟ بشارةٌ بِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿ وَقَفَّينَا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ جاء ذكر الرسل إجمالاً لأن الرسل الذين جاؤوا بعد موسى كانوا أتباعاً لموسى وكانوا شُراحاً لكتاب موسى ﴿ وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ ﴾ والبينات التي جاءت على يد عيسى ومن جملتها الإنجيل وفي الإنجيل بشر الله سبحانه وتعالى على لسان عيسى بمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ وَآتَينَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ روح القُدس سأأتي على بيان معناها في آخر هذه الحلقة لكن المراد هنا كما في الروايات بروح القدس: جبرئيل ﴿ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ أيدناه بجبرئيل فجبرئيل كان مؤيداً لعيسى وبقي معهُ إلى آخر لحظة حتى رفعهُ إلى السماء.

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُم رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهوَى أَنفُسُكُمُ استَكبَرتُم فَفَرِيقاً كَذَّبتُم وَفَرِيقاً تَقتُلُونَ ﴾ يا بني إسرائيل الآن جاءكم مُحَمَّد فكانت النبوة في أبناء عمكم من ولد إسماعيل، جاءكم محمَّد فلماذا ترفضون؟

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ جاءكم عيسى فحاولتم قتله الآن جاءكم مُحَمَّد فأنتم تكذبونه ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ﴾ أتريدون أن الله يبعث الأنبياء بحسب أهواءكم؟! أتريدون أن الله يُنزل دينهُ ويُصدرُ أمرهُ بحسب أهواءكم؟! ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ هذا الأمر حتى جرى على موسى لطالما كذبوا موسى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ ولقد قتلوا كثيراً من الرسل والأنبياء ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ في بعض الأحيان تكذبون بعض الرسل، وفي بعض الأحيان تقتلون بعض الرسل.

في رواياتنا في الكافي الشريف وفي غيرهِ عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ﴾ الخطاب لأُمَّة مُحَمَّد وحتى لليهود، أفكلما جاءكم محمَّد صلى الله عليه وآله في ولاية عليٍّ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتكم ففريقاً من آل مُحَمَّد كذبتم وفريقاً من آل مُحَمَّدٍ تقتلون، هذه الرواية في الكافي الشريف عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه يرويها جابر بن يزيد الجعفي، وموجودة في تفسير العياشي وفي غيرهِ من كتب التفسير، أفكلما جاءكم مُحَمَّدٌ رسول الله بما لا تهوى أنفسكم في ولاية علي أستكبرتم ففريقاً من آل مُحَمَّدٍ كذبتم وفريقاً من آل محمَّدٍ تقتلون.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وقالوا اليهود قالوا لَمَّا أحتج عليهم رسول الله بالآيات ومرَّ علينا كيف أنهم طلبوا من رسول الله أن يبين لهم المعجزات وقد جاءهم بالمعجزات وكيف أنهم طلبوا من رسول الله أن يشطر لهم الجبل وأن تشهد له الصخور ومرت هذه القصة وتفاصيلها ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ غُلف جمعٌ لأغلف أو جمعٌ لغلاف، مُرادهم قلوبنا غُلف يعني أن قلوبنا أوعية هذه الأوعية أن قلوبنا أغلفة الأغلفة هي الأوعية أن قلوبنا أوعية للإيمان وللمعرفة وللعلم ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ فماذا كان الجواب؟ ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ لأن اليهود هكذا كانوا يقولون: يا مُحَمَّد أن قلوبنا ليس قاسية باعتبار أن القرآن خاطبهم مرَّ علينا خاطبهم القرآن في أكثر من موطن خاطبهم القرآن بأن قلوبهم أشدُّ قسوةً من الحجارة مرَّ هذا الكلام علينا ومرَّ الكلام علينا أيضاً في موطنٍ آخر في قصة البقرة، ماذا قال لهم؟ قال

﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لليهود بأن قلوبكم من لسان القرآن أشدُّ قسوةً من الحجارة هم قالوا إن قلوبنا أشد قسوة من الحجارة معك لأننا لا نريد أن نؤمن بك وإنما قلوبنا هي الغُلُف هي الأغلفة للإيمان مشتملة على الإيمان مشتملة على المعرفة مشتملة على العلم لأن الله قد أمرنا أن لا نؤمن إلا لموسى أو لنبيٍ يأتينا بالذي جاء بهِ موسى وهذه هي عقيدتهم وهذا هو كلامهم ولا أريد التفصيل أكثر في ذلك ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قلوبنا أغلفة وهذه الأغلفة تحتوي على الإيمان أوعية مملوءة بالإيمان الخطاب الإلهي ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه﴾ لعنهم أبعدهم اللعن هو الإبعاد الإخراج من دائرة الرحمة والإبعاد من دائرة الرحمة يعني إبعاد من دائرة الهداية الذي يُلعن يعني يخرج من دائرة الرحمة والذي يُخرج من دائرة الرحمة يُخرج من دائرة الهداية. ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه﴾ نحن حينما نلعن أعداء الله أننا نبعدهم عن رسول الله لأن رسول الله هو الرحمة التي بُعِثت للعالمين واللعن هو إبعاد عن الرحمة فحينما يُلعن عدو الله إنما يُخرج من دائرة رحمة الله يعني من دائرة رسول الله ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِم فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا هو حال اليهود عبر التأريخ مع أنبيائهم ومع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

بقيت مسألة أشرت قبل قليل أني أشيرُ إلى معناها في آخر الحلقة ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى بن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ روح القدس المذكور في الآية بحسب الروايات هو جبرئيل لكن هذا المصطلح مصطلح روح القدس في بعض الروايات قد يُطلق على جبرئيل وفي بعض الروايات قد يُطلق على غير جبرئيل، في بعض الروايات يُقال بأن روح القدس مَلَك أشرف وأعظم وأعظم وأكبر من جبرئيل ومن الملائكة والذي جاءت الإشارة إليه في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ هذا الروح أعظم من الملائكة لأن الروايات قالت بأن جبرئيل من الملائكة، جبرئيل وميكائيل داخل في لفظة الملائكة، روح القدس في روايات أهل البيت وفي روايات المعارف التي جاءت عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين له أكثر من دلالة، بشكلٍ مختصر أقول ما المراد من روح القدس؟

روح القدس: هو الحقيقة العلوية، الحقيقة العلوية هي التي يُراد منها هذا التعبير روح القدس، ألم يقل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: **كنتُ مع الأنبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً**. وحينما أقول الحقيقة العلوية الحقيقة العلوية المستبطنة للحقيقة المُحَمَّدية لأن الحقيقة العلوية متفرعة عن الحقيقة المحمدية فحينما أقول الحقيقة العلوية فهي مستبطنةٌ للحقيقة المحَمَّدية، أنا مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ أنا، كما قال سيد

الأوصياء وكما قال رسول الله: أنا عليٌّ وعليٌّ أنا، الحقيقة المُحَمَّدية مستبطنةٌ للحقيقة العلوية والحقيقة العلوية مستبطنةٌ للحقيقة المُحَمَّدية، روح القدس هو الحقيقة العلوية كنتُ مع رسول الله ظاهراً ومع الأنبياء باطناً وفي نصٍ آخر: **كنتُ مع الأنبياء سراً ومع رسول الله علناً**.

والإشارات إلى هذا المضمون كثيرة الحقيقة العلوية لها مظاهر من جملة هذه المظاهر الإشارة هنا من جملة مظاهر الحقيقة العلوية الملائكة الأربعة جبرئيل، الروايات ماذا تقول؟ من أين خُلقت الملائكة؟ أليس من أنوارهم القدسية من شعاع الأنوار الخمسة والروايات مفصلة في هذا الجانب ولا أريد الدخول فيها لكن هذا التعدد لمعنى روح القدس في الروايات مرةً يُطلق على جبرئيل ومرةً يُطلق على المَلَك الأعظم الذي جاء ذكرهُ في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ ومرةً يُطلق على الروح المصاحب للنبي وللإمام المعصوم ومرةً يُطلق على المَلَك أو الروح المقدس المصاحب للمؤمنين أليس في بعض الروايات لَمَّا ينطق أحد المؤمنين نطقاً صائباً يقول لهُ الإمام لقد نطق روح القدس على لسانك كما خاطب الإمام الرضا دعبل الخزاعي لَمَّا ذكر الإمام الحجَّة عليه السلام في تائيتهِ المعروفة فقال لقد نطق روح القدس على لسانك يا خزاعي، فروح القدس هناك مَلَكٌ يُصاحب المؤمنين وهناك روح القدس يُصاحب الأنبياء وهناك روح القدس مع نبينا ومع أئمتنا وهذه لها دلالات لكن كل هذه تعودُ إلى أصلٍ واحد الإشارة إلى الحقيقة العلوية، كنتُ مع الأنبياء باطناً ومع رسول الله ظاهراً، كنتُ مع الأنبياء سراً ومع رسول الله علناً، والمطلب بحاجة إلى توضيح أكثر من ذلك ولكنني أكتفي بهذه العُجالة وأختم حديثي بالدعاء الشريف:

اللَّهُمَّ يا ربَّ فَاطِمَة بِحَقِّ فَاطِمة أشفي صدر فَاطِمة بظهور الحُجَّةِ عليه السلام آمين آمين ربَّ العالمين

أسألكم الدعاء جميعاً وألقاكم على مودة فاطمة وآل فاطمة وفي أمان الله.

الحلقة الثانية عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ٨٩ الى الآية ٩٣

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته أسعد الله أوقاتكم بمحبة مُحَمَّدٍ وآل محمَّد وأتمَّ الله عليكم نِعَمَهُ بولاية عليٍّ وآل علي، هذه الحلقة الثانية بعد العاشرة من برنامج قرآننا والحديثُ متواصلٌ في سورة البقرة المباركة، وصل الحديثُ إلى الآية التاسعة والثمانين من سورة البقرة: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم

﴿ وَلَمَّا جَاءهُم كِتَابٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾. لا زالت الآيات في نفس السياق المتقدم في الحلقات الماضية الحديثُ عن بني إسرائيل آخر آيةٍ تحدثنا عنها في الحلقة الماضية ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفرِهِم فَقَلِيلاً مَّا يُؤمِنُونَ ﴾ يستمر الكلام ﴿ وَلَمَّا جَاءهُم كِتَابٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم ﴾ والكتاب هنا هو القرآن الكريم ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم ﴾ مصدق لِمَا في التوراة ولِمَا عندهم من معارف دينية ومن كتبٍ نقلوا فيها كلام أنبيائهم ﴿ وَلَمَّا جَاءهُم كِتَابٌ مِّن عِندِ اللّهِ ﴾ جاءهم القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم ﴾ مُصَدِّقٌ موافقٌ للذي في عقيدتهم ﴿ وَكَانُوا مِن قَبلُ ﴾ يعني من قبل أن ينزل القرآن في الفترة السابقة ﴿ وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الذين كفروا الذين كانوا يعيشون معهم في جزيرة العرب من غير اليهودِ ومن غير النصارى ﴿ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ على القبائل العربية القريبة منهم.

ما المراد من كلمة يستفتحون؟ يستفتح هذه الصيغة صيغة الاستفعال كما نقول يستخرج، يستخرج يعني يطلبُ إخراج شيء يستكمل يعني يطلب ويسعى لإكمال شيء يستكمل الأمر يعني يسعى في تحقيق كمالهِ يستخرج هذا الشيء يستخرج النفط من باطن الأرض يعني يطلب إخراجهُ يسعى إلى إخراجهِ من باطن الأرض، يستنبط الماء يعني يسعى لأن ينبط الماء يخرج الماء من باطن الأرض من البئر وهكذا، صيغة الإستفعال حينما يأتي الفعل بهذا الوزن بهذه الهيئة فإنهُ يدل على الطلب للحصول على ذلك الشيء الذي

دلت عليه مادة الفعل، يستفتح يعني أنهُ يطلب الفتح يسعى لأن يتحقق الفتح له ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ﴾ ما المراد من الاستفتاح؟! كانوا يتوسلون إلى الله كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم بأي وسيلةٍ حينما كانوا يدخلون في مشاكل مع العرب الذين كانوا يقطنون في نفس الجزيرة حينما تصادفهم المشاكل وستأتي الروايات لبيان هذا المعنى فإنهم يستفتحون على الذين كفروا يلجأون إلى الله يطلبون من الله أن يفتح لهم يطلبون من الله أن ينصرهم على من يعاديهم من العرب الذين جاوروهم ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأي شيءٍ كانوا يستفتحون؟ كانوا يتوجهون إلى الله كانوا يُقسمون على الله بالنبي الأُمّي بالنبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم كي ينصرهم ولطالما نُصِروا ولَطَالما ظفروا بأعدائهم بسبب توسلهم بالنبي مُحَمَّدٍ وعليٍّ صلوات الله عليهما وآلهما.

هكذا حدثتنا روايات أهل البيت، حتى في كتب المخالفين في تفسير الدر المنثور للسيوطي وهو من تفاسيرهم الحديثية المعروفة بل ربما هو أشهر جامعٍ تفسيريٍ حديثيٍ عند القوم لمفسرهم ومحدثهم السيوطي في الدر المنثور هناك أكثر من رواية ولكن هناك رواية صريحة تتحدث عن هذا المضمون تتحدث عن هذا المعنى والرواية منقولة عن ابن عباس الرواية ماذا تقول؟ في بيان معنى هذا الاستفتاح كيف كان يستفتح اليهود على الذين كفروا؟! اليهود كما تقول الرواية عن ابن عباس في الدر المنثور من بني قريضة ومن بني النظير وهؤلاء من أقوام اليهود الذين سكنوا جزيرة العرب وهذه الأسماء معروفة في التأريخ، بنو قريضة وبنو النظير كانوا حينما تواجههم المشاكل حينما يصطدمون مع العرب الذين يحيطون بهم الرواية هكذا تقول، رواية الدر المنثور فكانوا يستفتحون يدعون الله هكذا يقسمون على الله، يقسمون على الله بأي شيءٍ؟ يقولون: **اللَّهُمَّ إنا نُقسم عليك بحق النبي الأُمّي إلا نصرتنا عليهم، فيُنصرون**. هكذا تقول الرواية ولَمَّا جاءهم مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وما شكوا فيه فقد عرفوا بان مُحَمَّداً هو الذي نبأتهم التوراة عنهم ما كان عندهم من شك في ذلك لكنهم كفروا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبما جاء به. فكانوا يُقسمون على الله: **اللَّهُمَّ إنا نُقسم عليك بحق النبي الأُمّي إلا ما نصرتنا عليهم، فيُنصرون**. كما تقول الرواية طبعاً، المخالفون أهل البيت قالوا كالعادةِ بأن هذه الرواية مشتملة على معنى التوسل فقالوا بأنها ضعيفة السند وهي روايةٌ شاذة وهذا ما هو بشيءٍ غريب ولا أريد الوقوف طويلاً عند مثل هذا الكلام.

لكن اليهود كانوا يستفتحون كانوا يدعون الله يتوسلون إلى الله بالنبي وعليّ وآلهما الأطهار كما تقول روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَلَمَّا جَاءهُم كِتَابٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم وَكَانُوا مِن قَبلُ﴾ قبل أن يبعث النبي كانوا يتمنون أن يُبعث

النبي منهم لا من أبناء عمهم من ولد إسماعيل ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يتوسلون إلى الله بالنبي وآله إن يُنصروا عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا﴾ لَمَّا جاء النبي وجاء القرآن وهم يعرفونهُ حق المعرفة ما شكوا في ذلك أبداً ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ فماذا يقول الله ﴿فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافِرِينَ﴾ لعنة الله على الكافرين هنا دعاء إبعادهم عن ساحة الرحمة، وساحة الرحمة الحقيقية هي ساحة النبي وأهل بيتهِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. نحن تحدثنا في هذا الموضوع فيما مرَّ من الحلقات الماضية بأن اليهود ما جاؤوا إلى جزيرة العرب إلا لأجل نُصرة النبي الخاتم لكنهُ لَمَّا بُعِثَ من بني إسماعيل انقلبوا على أعقابهم.

هناك رواية جميلة يرويها شيخنا الكليني في كتابهِ الكافي الشريف هذا هو الجزء الثامن من كتاب الكافي الشريف وأتلوا على مسامعكم هذه الرواية الجميلة، الرواية **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ – فماذا قال الإمام؟ – **كانت اليهودُ تجدُ في كتبها أن مهاجر مُحَمَّد** – مُهاجر المكان الذي يُهاجر إليه – **أن مُهاجر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ما بين عَير وأُحد** – عَير وأُحد جبلان قريبان من المدينة المنورة لكن في ذلك الزمان ما كانت هناك منطقة أسمها المدينة وإنما كانت صحراء جرداء خالية – **كانت اليهودُ تجدُ في كتبها أن مهاجر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ما بين عَير وأُحد** – وهما جبلان قريبان من المدينة الموجودة الآن – **فخرجوا يطلبون الموضع** – خرجوا من أين؟ جاؤوا من بلادهم من بلاد الشام – **فخرجوا يطلبون الموضع** – الموضع الذي يكون مُهاجر مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله – **فمروا بجبلٍ يُسمى حداد فقالوا حداد وأحد سواء** – قالوا ربما هناك تغيير في الاسم فحداد وأحد لأنهُ في كتبهم أن مهاجرهُ في أرضٍ تقعُ بين عَير وأحد فلمَّا سافروا وقطعوا مسافة وتعبوا من السفر وصلوا إلى مكان إلى جبلٍ يسمى حداد وهو جبلٌ في جزيرة العرب أيضاً – **فقالوا حداد وأحد سواء فتفرقوا عنده** – تفرقوا يعني كل قبيلة كل مجموعة ذهبت إلى مكان سكنت فيه – **فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء** – وهي منطقةٌ في جزيرة العرب معروفة – **فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض أخوانهم** – الذين سكنوا في مناطق أخرى كفدك أو خيبر – **فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فَمَرَّ بهم أعرابي من قيس** – يعني من قبيلة قيس – **فتكاروا منه** – تكاروا أي أَجّروا إبله لذلك الذي يؤجر الإبل والدواب ماذا يُقال لهُ؟ يُقال لهُ المُكاري، تكاروا منه أي أَجّروا إبلهُ وجِمالهُ – **فَمَرَّ بهم أعرابي من قيس**

فتكاروا منه وقال لهم – لأنهم ما كانوا أهل إبل الإبل كانت في الصحراء واليهود كانوا يقطنون في بلاد الشام كانوا يقطنون في مناطق متحضرة والمناطق المتحضرة غالباً ما كانوا يستعملون الإبل يستعملون ربما البغال الحمير الخيول، فالصحراء كانت تستعمل في الغالب الإبل لذلك ما كان عندهم إبل فتكاروا الإبل من هذا الأعرابي القيسي – **فَمَرَّ بهم أعرابي من قيس فتكاروا منه وقال لهم** – هو قال لهم هكذا اقترح عليهم، هم لم يطلبوا منه أن يذهب إلى هذه المنطقة التي سيخبرهم بها وإنما هم طلبوا منه أن يأخذهم إلى إخوانهم الذين سكنوا في خيبر، سكنوا في فدك في مناطق تبعد عنهم بعض الشيء – **وقال لهم أَمرُّ بكم ما بين عَير وأُحد** – هذا أعرابي ومن أهل المنطقة يعرف هذا المكان – **وقال لهم أَمرُّ بكم ما بين عَير وأُحد** – طريقنا من هنا سيكون هكذا يخبرهم على رسلهِ فهؤلاء وجدوا غايتهم وبُغيتهم، وجدوا المنطقة التي يبحثون عنها منذُ زمنٍ بعيد – **فقالوا له إذا مررت بهما فآذنا بهما** – آذنا يعني أعلمنا صارت عندهم نية أن لا يذهبوا إلى إخوانهم لقد وجدوا المدينة أو المكان أو الأرض التي يبحثون عنها وجدوا هذه المنطقة التي هي مُهاجر مُحَمَّد ما بين عَير وأُحد.

جاءتهم هكذا جاءتهم قطعاً هذا بتوفيقٍ من الله سبحانه وتعالى – **وقال لهم أَمرُّ بكم ما بين عَير وأُحد فقالوا له إذا مررت بهما فآذنا بهما** – أعلمنا – **فلمَّا توسط بهم أرض المدينة** – أرض المدينة التي صارت بعد ذلك المدينة وإلا فهي كانت أرض جرداء – **فلمَّا توسط بهم أرض المدينة قال لهم ذاك عَيرٌ وهذا أُحد** – أشار إلى الجبلين فجبل عَير من هذه الجهة وجبل أحد من جهةٍ أخرى – **فقال لهم ذاك عَير وهذا أحد فنزلوا عن ظهر إبله** – هم كانوا قد اتفقوا معه أن يوصلهم إلى مكان أبعد، ما أخبروه بأن غايتهم الأساسية هي الوصول إلى هذه المنطقة هذه الغاية بعد ذلك صارت في قلوبهم لأنهم ما كانوا يعرفون المنطقة كانوا يريدون الذهاب إلى إخوانهم من اليهود لكن لَمَّا قال لهم إني أمر بكم ما بين عَير وأُحد فنووا في قلوبهم إذا وصلوا إلى هذه المنطقة ينزلون فيها – **فلمَّا توسط بهم أرض المدينة قال لهم ذاك عَيرٌ وهذا أُحد فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا قد أصبنا بُغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيثُ شئت وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر إنا قد أصبنا الموضع** – الموضع الذي جئنا نبحث إليه آبائنا أجدادنا وصلنا إلى الموضع – **إنا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا فأقدموا أسرعوا فكتبوا إليهم** – إخوانهم الذين بفدك وخيبر – **فكتبوا إليهم إنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما أقربنا منكم فإذا كان ذلك** – يعني إذا بُعث النبي – **فما أسرعنا إليكم** – سنسرع إليكم – **فاتخذوا بأرض المدينة الأموال** – يعني اليهود سكنوا وعَمَّروا المدينة، بأرض المدينة – **فاتخذوا بأرض المدينة الأموال فلمَّا كَثُرت أموالهم** – صارت عندهم أموال طائلة واليهود عبر التأريخ تجار وأصحاب تجارة وأصحاب ذهنية اقتصادية ويجمعون

الأموال عبر التأريخ – **فَلَمَّا كَثُرت أموالهم بلغ تُبّع فغزاهم** – تُبّع هذه الكلمة يعني ملك اليمن مثل كلمة كسرى، كسرى ليست اسماً لشخص وإنما كسرى تعني ملك الفرس، الملك عند الفرس يُقال له كسرى، كما أن كلمة قيصر هي تعني الملك تعني السلطان، كما يُقال الأكاسرة ويُقال القياصرة، تُبع هذه الكلمة تعني ملك اليمن ويُقال التبابعة، التبابعة هي جمعٌ لِتُبّع يعني ملوك اليمن وتُبع الذي غزا اليهود بسبب كثرة أموالهم طمعاً في أموالهم كان أسمه كما هو مذكور في كتب التأريخ أسعد أبو كرب وليس أسمه تُبع، تُبع هو عنوان الوظيفة هو الملك، يُقال التُبع أسعد أبو كرب تُبع هو الملك اليماني وكان أسمه أسعد أبو كرب هو هذا الذي غزا اليهود والذي تُنسب إليه قبائل الأوس والخزرج – **فَلَمَّا كَثُرت أموالهم بلغ تُبّع فغزاهم فتحصنوا منه** – تحصنوا من تُبع وجيشهِ – **فحاصرهم وكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تُبع** – كانوا يرقون تصيبهم الرقة تأخذهم الرقة والرحمة بالفقراء من أصحاب تُبع رغم أنهُ كان يحاصرهم وكان يريد أن ينهب أموالهم – **وكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تُبع فيُلقون إليهم بالليل التمر والشعير** – يلقون لهم التمر والشعير مساعدةً لهؤلاء الفقراء – **فبلغ ذلك تُبع فرقَّ لهم وآمنهم** – أعرض عن عملية محاصرتهم وعن عملية قتالهم لَمَّا رأى أخلاقهم وتعاملهم الحسن مع ضعفاء أصحابهِ – **فبلغ ذلك تُبع فرقَّ لهم وآمنهم فنزلوا إليه فقال لهم إني قد استطبتُ بلادكم** – وجدت بلادكم طيبة – **إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم** – قطعاً إذا أراد أن يقيم سيكون ملكاً في هذه المنطقة – **فقالوا له: إنهُ ليس ذاك لك** – لأنهُ مذكور في كتبهم أن المدينة لا يحكمها حاكمٌ واحد إلّا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **فقالوا: له ليس لك ذلك** – لن تستطيع البقاء حتى لو أردت أن تبقى وحدثوه بما في كتبهم.

هناك تفاصيل مذكورة في كتب التأريخ، الرواية ما أشارت إليها الرواية هنا مجملة وإلا هناك تفاصيل مذكورة في أحاديث أخرى عن الأئمة وكذلك في كتب المؤرخين أخبروه بما جاء في كتبهم بأن هذه المدينة يحكمها مُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **فقالوا له إنهُ ليس ذاك لك إنها مُهاجرُ نبي وليس ذلك لأحدٍ** – يعني ليس ذلك لأحدٍ أن يحكم فيها أن يتملك فيها – **حتى يكون ذلك** – يعني حتى تكون هذه الأرض مُهاجر ذلك النبي – **فقال لهم إني مُخَلِّفٌ فيكم من اسرتي من إذا كان ذلك ساعدهُ ونصره** – ترك قسماً من أسرتهِ ومن عشيرتهِ لنصرة ذلك النبي بعد أن أذعن قلبهُ لكلام اليهود بما أخبروه بما في كتبهم عن النبي الخاتم – **فقال لهم إني مُخَلِّفٌ فيكم من اسرتي من إذا كان ذلك ساعدهُ ونصره فخَلَّفَ حيين الأوس والخزرج** – الأوس والخزرج هم في الأصل من أقوام الملك تُبع، تُبع اليمن أسعد أبو كرب – **فخَلَّفَ حيين الأوس والخزرج فلمَّا كثروا بها** – كثروا بالمدينة يعني كثرت قبائل الأوس والخزرج وكثرت أعدادهم – **فلَمَّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود** – كانوا يعتدون على اليهود وينهبون أموالهم في بعض الأحيان –

فلَمَّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم أما لو قد بُعِثَ مُحَمَّد ليُخرجنَّكم من ديارنا وأموالنا – لأنهم كانوا يعتقدون أن مُحَمَّداً سَيُبعثُ منهم وأنهم سينصرونهُ – **فلَمَّا كثروا بها** – الأوس والخزرج – **كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم أما لو قد بُعِثَ مُحَمَّد ليُخرجنَّكم من ديارنا وأموالنا** – ولكن القضية انعكست وجرى قانون الاستبدال فالذين أُخرجوا من هذه الديار هم اليهود لكفرهم كما تقول الروايات بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما والذين نصروا النبي هم الأوس والخزرج انقلبت الآية – **أما لو قد بُعِثَ مُحَمَّد** – هكذا كان اليهود يقولون للأوس والخزرج – **ليُخرجنَّكم من ديارنا وأموالنا** – ثم تستمر الرواية فتقول – **فَلَمَّا بعث الله عزَّ وجلَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله آمنت بهِ الأنصار وكفرت به اليهود وهو قول الله عزَّ وجلَّ** ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافِرِينَ﴾ .

ورواية ثانية في نفس هذا السياق وفي نفس الصفحة من الجزء الثامن من الكافي الشريف – **عن اسحاق بن عمار قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى** ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ – الإمام هكذا قال: – **كان قومٌ فيما بين مُحَمَّد وعيسى** – في هذه الفترة في الفترة ما بين بعثة النبي عيسى وبعثة نبينا صلى الله عليه وآله وهم اليهود – **كان قومٌ فيما بين مُحَمَّد وعيسى وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي** – يتوعدونهم يقولون سيأتي وينصرنا عليكم – **وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ويقولون ليخرجن نبيٌ فليكسرنَّ أصنامكم وليفعلنَّ بكم** – وفعلاً خرج النبي وكَسَّرَ الأصنام لأنهم قد وجدوا ذلك في كتبهم وهذا ما كنت أشيرُ إليه فيما مرَّ من الحلقات الماضية من أن اليهود الأُمَّة الوحيدة التي كُلِّفت بشكلٍ علني وواضحٍ ومباشر بالاعتقاد بالنبي مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما، وهذا المعنى مذكور أن اليهود كانوا ينتظرون النبي مُحَمَّد في كتب المخالفين لأهل البيت لكنهم أخفوا ذكر عليٍّ أما في رواياتنا فإن اليهود كانوا مكلفين بالاعتقاد بنبوة مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما، فماذا كانوا يقولون لهم؟ – **ليخرجن نبيٌ فليكسرنَّ أصنامكم وليفعلنَّ بكم فلمَّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله كفروا به** – أعتقد بعد هذا التوضيح الذي بينتهُ لنا الرواية المروية عن صادق العترة في الكافي الشريف صارت الآية واضحة.

﴿وَلَمَّا جَاءهُم كِتَابٌ﴾ لَمَّا جاءهم القرآن ﴿مِّن عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم﴾ مُصدقٌ لكل التفاصيل التي جاءت مذكورةً في كتبهم لو كان المقام يسع للتفصيل لجئتُ بروايات كثيرة مفصلة تتحدث عن هذه القضية

وتتحدث عن تفاصيل عقيدة اليهود بالنبي وعليٍّ وآلهما، روايات مبسوطة موجودة في كتبنا لكن المقام لا يسع لكل هذه التفاصيل وكما هو الأساسُ في هذا البرنامج أني أحاول أن أبين قدر الإمكان ما يمكن بيانهُ من معاني صفحةٍ واحدة من صفحات المصحف الشريف.

﴿ وَلَمَّا جَاءهُم كِتَابٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يستفتحون يطلبون الفتح ويطلبون النصر والفوز بالنبي الخاتم ﴿ وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا ﴾ ما عرفوه من خلال كتبهم ما شكَّ اليهود قط، أحبار اليهود ما دخلهم الشكُّ قط في مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لكنهم حَرَّفوا الحقائق ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا ﴾ القرآن يُصرِّح بهذا المعنى، الذي يعرف الذي لا يشك المعرفة لا تكون مُصاحبةً للشكوك ربما الذي يعلم قد يصاحب في بعض الأحيان يُصاحبُ الشكُّ العلم في بعض الأحيان، لكن المعرفة المعرفة هو الوضوح واليقين ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ ولذلك الآية التي قبلها تشير إلى نفس هذا المعنى تشير إلى معنى اللعن ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفرِهِم فَقَلِيلاً مَّا يُؤمِنُونَ ﴾ الآية التي قبلها أيضاً أشارت إلى اللعن ولذلك لعنُ أهل الضلال ولعنُ النواصب ولعن أعداء أهل البيت هو من أخلاق الله سبحانه وتعالى أليس هذا القرآن قرآن الله؟ أليس هذا الكلام كلام الله؟!

في الآية الثامنة والثمانين ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفرِهِم فَقَلِيلاً مَّا يُؤمِنُونَ ﴾ الآية التي بعدها ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ وهذا المعنى يتردد في عشراتٍ من الآيات، آياتُ اللعن في الكتاب الكريم تتجاوز العشرة والعشرين والثلاثين وأكثر من ذلك، آيات اللعن في الكتاب الكريم تتجاوز العشرات، آيات اللعن كلها تشير إلى هذه الحقيقة إلى أن هذا اللعن هو من أخلاق الله وإلا لو لم يكن من أخلاق الله لماذا هذا التأكيد على اللعن في كتاب الله؟ أليس النبي صلى الله عليه وآله أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله؟! فأين نجدُ أخلاق الله؟ أليس أخلاق الله تكون واضحةً في كلامهِ؟ النبي يأمرنا تخلقوا بأخلاق الله فما هو أوثقُ مصدرٍ لأخلاق الله؟ أليس القرآن هو أوثق مصدرٍ لأخلاق الله؟ الله سبحانه وتعالى الكثير من القضايا لم يذكرها في القرآن الكريم والكثير من القضايا ذُكِرت في آية أو آيتين من القضايا المهمة الكبيرة جداً، لماذا هذا التأكيد والإصرار على اللعن في الكتاب الكريم بعشراتٍ من الآيات لماذا؟ أليس هذا يعني أمرين؟ الأمر الأول: أن اللعن من أخلاق الله، والأمر الثاني: أن اللعن مهمٌ عند الله ومهمٌ في القرآن، وإلا

لماذا هذا التكرار وهذا التأكيد على اللعن؟ أليس دائماً الذي يريد أن يحتج من أهل القبلةِ يحتج بالقرآن؟! فليخبرني أهل القبلة لماذا هذا التكرار للّعن في الكتاب الكريم؟ هل هناك غير هذين المعنيين؟ المعنى الأول أن اللعن من أخلاق الله وإلا لماذا كررهُ؟ والمعنى الثاني أن اللعن مسألةٌ مهمة لأنها حدٌ فاصل في المسألة العقائدية في قضية الولاية والبراءة، ولذلك هذا التأكيد ومن هنا اللعن على أعداء أهل البيت إنما هو خُلقٌ من خُلق الله وإنما هو سُنةٌ من سُنن الله القرآنية ومن سنن الله الشرعية، أما هذا الكلام الذي يُقال هنا وهناك بأن الشيعة لعّانون وغير ذلك فلماذا لا يقولوا على الله، الله أيضاً لعّان القرآن مليء باللّعن، كما أن الله سبحانه وتعالى إنما لعن المستحقين للّعن، شيعة أهل البيت إنما يلعنون المستحقين للّعن وهم أعداء أهل البيت لهذا السبب نحن نلعنُ أعداء أهل البيت لأن الله لعنهم، القرآن مشحونٌ باللّعن فهل يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة بأن هناك العشرات من الآيات القرآنية التي تأكد فيها معنى اللعن على أعداء الله.

ومن هنا نحن نعتقد بأن أعداء أهل البيت هم أعداء الله لذلك نلعنهم ولا نخشى من ذلك ولا نخجل من ذلك فربُّنا هو الذي يلعنُ أعدائهُ وأعداء أهل البيت هم أعداء الله لذلك يستحقون اللعن كما هي الآيات القرآنية واضحةٌ وصريحة، نحن لا نريد أن نلعن من لا يستحق اللعن وإنما نلعن الذين لعنهم الله سبحانه وتعالى في كتابهِ الكريم.

﴿ **وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا** ﴾ الذين عادوا علياً أليس هم قد عرفوا الحقائق؟! هذا الكلام ينطبق عليهم فلمَّا جاءهم ما عرفوا في عليٍّ كفروا به ﴿**فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافِرِينَ**﴾ ألا تنطبقُ هذه الآية على نفس المضمون الذي قالهُ رسول الله في بيعة الغدير – **اللَّهُمَّ وَالي مَن وَالاه وعَادي مَن عَادَاه وانصُر مَن نَصَرَه واخذُل مَن خَذَله** – هذا الحديث موجودٌ في كتبنا وفي كتب القوم – **اللَّهُمَّ وَالي مَن وَالاه وعَادي مَن عَادَاه** – الذي يُعاديه الله سبحانه وتعالى ألا يلعنهُ كما لعن أعدائهُ هنا؟ النبي هو الذي يقول – **اللَّهُمَّ وَالي مَن وَالاه وعَادي مَن عَادَاه وانصُر مَن نَصَرَه واخذُل مَن خَذَله** – الله يخذل أحداً، الله يعادي أحداً، كيف نستدل على خذلان الله وعلى عداوة الله لأحدٍ من خلقه؟ أليس من خلال اللعن الذي جاء في الكتاب الكريم؟ فاللعن هو شعارٌ ربانيٌ لبيان أهل الحق من أهل الباطل، ولبيان أهل الهدى من أهل الضلال، وما هذا اللعن في هذه الآية إلا لبيان ضلال اليهود في هذه القضية التي مرَّ الكلامُ عنها ﴿**فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافِرِينَ * بِئسَمَا اشتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم**﴾ لقد اشتروا أنفسهم ﴿**بِئسَمَا اشتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم**﴾ يعني هناك عملية بيع وشراء ﴿**بِئسَمَا اشتَرَوا**

بِهِ أَنفُسَهُم أَن يَكفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِن عِبَادِهِ فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ الآية هنا تتحدث عن حالة بني إسرائيل في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿بِئسَمَا اشتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم﴾ يعني هناك عملية بيع وشراء، اشتروا أنفسهم لأي شيءٍ؟ الآية هنا تتحدث أن بني إسرائيل اشتروا أنفسهم، من الذين اشتروا أنفسهم؟ هم أحبارهم هم زعمائهم، زعمائهم زعماء كل قومٍ يكونون على ثلاثة أنحاء، هناك زعماء السياسة، وهناك زعماء الأموال، وهناك زعماء الدين، وفي بعض الأحيان هذه الثلاثة تجتمع في جهةٍ واحدة زعماء الناس إما هم زعماء السلطة والسياسة والحكومة وإما هم زعماء الأموال الذين يملكون رؤوس الأموال الكبيرة والطائلة وإما هم زعماء الدين رجال الدين وعلماء الدين، هؤلاء هم الذين عبثوا باليهود هؤلاء هم الذين جاؤوا باليهود من بلاد الشام إلى جزيرة العرب وأخرجوهم من الحياة المتحضرة إلى حياة البداوة، هؤلاء هم اقنعوا عامة اليهود بأن نبياً سيبعث في هذه البلاد فجاؤوا بهم إلى هذه البلاد إلى بلاد العرب ولَمَّا بُعِثَ هذا النبي هؤلاء حَرَّفوا الكتاب وحَرَّفوا عقائد عامة اليهود واقنعوهم بأن النبي الموجود في كتبهم هو غير هذا النبي وأنهُ سيبعث بعد خمسمئة عام هؤلاء بهذا العمل ماذا فعلوا؟ اشتروا لأنفسهم المتعة والسلطان، اشتروا لأنفسهم الراحة أن لا يعارضوا هواهم أن لا يعارضوا رغباتهم في أن يكونوا أتباعاً لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهو من قومٍ هم لا يحبونهم من بني إسماعيل وهم لا يريدون لبني إسماعيل عزةً ورفعة والآية تتحدث عن ظلمٍ وعن حسد فهؤلاء اشتروا الراحة لأنفسهم، اشتروا انفسهم يعني اشتروا الراحة والمنزلة والمقام والتجارة والأموال فخدعوا اليهود، خدعوا اليهود بأي شيءٍ؟ بكفرهم يعني كأنهم دفعوا الكفر ثمناً لشراء راحتهم ولشراء مناصبهم.

﴿بِئسَمَا اشتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم﴾ وبئس للذم، بئس يا سوء ما فعلوا يا سوء هذه الصفقة وهذه التجارة الكاسدة والخاسرة التي لا ربح فيها ﴿بِئسَمَا اشتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم﴾ بماذا اشتروا أنفسهم؟ ﴿أَن يَكفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ يعني اشتروا أنفسهم اشتروا الراحة اشتروا الأموال المتعة، متعة السلطة متعة الزعامة الدينية متعة الزعامة السياسية متعة الزعامة المالية والتجارية، حافظوا على هذا الوضع وجعلوا عامة اليهود يعيشون في هذه الأجواء بأي شيءٍ؟ أن خدعوا اليهود بالكفر مع أنهم يعرفون الحقيقة مرت الآية ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ * بِئسَمَا اشتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم أَن يَكفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ لماذا يكفرون بما أنزل الله على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿بَغياً﴾ بغياً يعني ظلماً وحسداً والآية تبين أنهم كانوا يحسدون رسول

الله ﴿بَغياً﴾ كيف كان هذا البغي؟ البغي هو الظلم والحسد، هو من أوضح معاني الظلم لكن كيف عرفنا بأن البغي هنا هو الحسد؟! ما جاء في تفصيل الآية ﴿بَغياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِن عِبَادِهِ﴾ فهم لا يريدون أن هذا الفضل ينزلُ على مُحَمَّدٍ وعلى العرب وذلك هو الحسد حينما يغضبُ الإنسان لنعمةٍ نزلت على غيرهِ فذلك هو الحسد، ما هي علامة الحسد؟ أليس علامة الحسد أن يغضب الإنسان ولا يرضى ويصيبهُ الأذى والحقد والشنئان وتدخل البغضاء في نفسهِ على أولئك الذين نزلت عليهم فضائل الله ونعم الله.

﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغياً﴾ البغي ما هو هذا؟ ﴿أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِن عِبَادِهِ﴾ فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ باؤوا يعني رجعوا عادوا، الرجوع والعودة هنا ليس عن مكانٍ معين وإنما باؤوا يعني كانت عاقبة أمرهم خُسراً، فباؤوا يعني فرجعوا ما هي الحصيلة من هذه الصفقة ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم﴾ اشتروا الراحة واشتروا السلطة والسمعة والجاه بأي ثمنٍ؟ أن كفروا بالحقائق لماذا كفروا؟ ﴿بَغياً﴾ حسداً، لماذا حسداً؟ ﴿أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِن عِبَادِهِ﴾ فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَبَآؤُوا﴾ فرجعوا فعادوا ما هي نتيجتهم؟ ﴿فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ يعني هناك غضب مركب الغضب الأول لأنهم كفروا بالتوراة وحرفوها، التوراة أخبرتهم عن مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعليٍّ وآلهما فكفروا بالتوراة وحرفوها فكان هذا الغضب الأول والغضب الثاني أن كفروا بِمحَمَّدٍ وعليٍّ وقرآنهما كفروا بِمُحَمَّدٍ وبالوحي الذي نزل عليه ﴿فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ هذا الغضب المركب متأتي من هاتين الجهتين لأن الآية السابقة ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم﴾ فهناك كتابٌ عندهم وكتابٌ آخر جاء مصدقاً للذي عندهم فهم قد كفروا بالاثنين مع أنهم يعلمون أن الحقَّ مع الاثنين مع الكتابين ﴿فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لماذا وصفوا بالكفر هنا مع أنهم يؤمنون بالتوراة ويؤمنون بموسى؟ وصفوا بالكفر لأنهم كفروا بِمُحَمَّد وهذا هو الوصف الحقيقي لمن لا يعتقد بِمُحَمَّد فهو كافر ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ العذابُ المهين العذاب التي يجرُّ الخزي على الإنسان الخزي في الدنيا والخزي في الآخرة ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ أذا خوطب اليهود وقيل لهم وخصوصاً لأحبارهم ولكبرائهم لأن الكلام هنا مع الكبراء مع الذين يُتبعون الاتباع القضية قد تكون أسهل

معهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ بما أنزل الله على مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ نؤمن فقط بما أُنزل علينا وما هو الذي أنزل عليهم؟ أليس الذي قد أُنزل عليهم قد خبرهم وأنبأهم وألزمهم الاعتقاد بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما هكذا تقول روايات أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والقرائن واضحة من خلال التفسير العام لكل الآيات التي مرت والتي ستأتي.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهذا الكلام مرَّ علينا في الآية الثامنة والثمانين ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ وبيّنت معنى غُلف أي أن قلوبهم أغلفة أوعية مشتملة على الإيمان بما نزل على موسى ولا تقبل الإيمان بما نزل على غيره ومرَّ هذا الكلام وهناك ماذا أجابهم القرآن؟ ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِم فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يكفرون بما وراءه يعني بما نزل وراءه فيكفرون بعيسى ويكفرون بِمُحَمَّد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ كفروا بعيسى وحاولوا قتله وكفروا بِمُحَمَّدٍ وحاولوا قتله ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ والحديث هنا بشكلٍ خاص عن القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُم﴾ وهذا الذي يكفرون بهِ الآن وهو القرآن والحديثُ عن اليهود في زمان مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ هذا القرآن هو الحق ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُم﴾ وهو يصدق ما معهم في توراتهم وفي بقية كتبهم ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُم﴾ القرآن ماذا يقول لهم؟ يقول لهم إذا كنتم تقولون بأننا لا نؤمن بالقرآن وهو الحق وهو مصدقٌ لِمَا معكم وبأنكم تؤمنون بما أُنزل عليكم فقط هم هكذا يقولون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يا يهود آمنوا بالنبي وبقرآنهِ ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ فقط!! ثم القرآن يتحدث يستعرض وصفهم ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يكفرون بما وراء التوراة ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُم﴾ ثم يعود فالقرآن هنا يسأل، الله يسألهم، الله يقول لرسول الله أسألهم هذا السؤال ما هو هذا السؤال؟ أنتم تقولون يا يهود تقولون بأننا نؤمن بما أُنزل علينا بما أُنزل في توراتنا. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذا كنتم تؤمنون بالتوراة فهل إن

التوراة أمرتكم بقتل الأنبياء؟

﴿قُل فَلِمَ تَقتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ﴾ واليهود قتلوا الكثير من أنبيائهم ﴿قُل فَلِمَ تَقتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبلُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ إذا كنتم تقولون بأننا نؤمن بما أُنزل علينا أليس التوراة أنزلت عليكم؟ فهل التوراة أمرتكم بقتل الأنبياء؟ من أين جئتم بقتل الأنبياء؟ جئتم به من التوراة؟! التوراة خاليةٌ من ذلك فلماذا تقولون بأننا نؤمن بما أنزل علينا؟ إنما هي الدنيا وإنما هي الأموال وإنما هي المناصب ﴿قُل فَلِمَ تَقتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ﴾ وتلاحظون الآية تخاطب الذين كانوا في زمان رسول الله والذين كانوا في زمان رسول الله ما كانوا قد قتلوا نبياً وهذا السياق واضح، هذا النوع من التعبير هذا اللحن القرآني في مخاطبة اليهود الذين عاشوا في زمان رسول الله بكل الأفعال والجرائم والأمور التي مرت والتي قام بها أسلافهم لأي شيءٍ؟ لوجود ترابط أكيد وشديد في هذه القضية في قضية الاعتقاد بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما ﴿قُل فَلِمَ تَقتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبلُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ .

هناك آية أكثر وضوحاً وأكثر صراحةً، آية جلية جداً في سورة آل عمران وربما أشرتُ إليها أيضاً فيما مرَّ من برامج متقدمة الآية ماذا تقول؟ أيضاً الحديث عن بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَينَا أَلاَّ نُؤمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُربَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُل قَد جَاءكُم رُسُلٌ مِّن قَبلِي بِالبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلتُم﴾ أنتم تطلبون قرباناً تأكلهُ النار ﴿قُل قَد جَاءكُم رُسُلٌ مِّن قَبلِي بِالبَيِّنَاتِ﴾ جاؤوكم بالبينات ﴿وَبِالَّذِي قُلتُم﴾ بل جاؤوكم بالذي هو أقوى من ذلك، ألم يحيي عيسى الموتى أمام أعينكم؟! أتريدون معاجز وأدلة جاءكم عيسى بالبينات، ألم يخلق لكم من الطين كهيئة الطير، المعجزات التي جاءت على يد عيسى هل هناك أقوى من معجزاتهِ؟! ماذا فعلتم؟ حاولتم قتله وقتلتم أتباعه وعذبتم أصحابه وفعلتم ما فعلتم فيه ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَينَا أَلاَّ نُؤمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُربَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُل قَد جَاءكُم رُسُلٌ مِّن قَبلِي بِالبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلتُم فَلِمَ قَتَلتُمُوهُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ فلمَ قتلتموهم، الخطاب لمن؟ لليهود الذين يعيشون مع رسول الله في المدينة وفيما جاور المدينة ﴿فَلِمَ قَتَلتُمُوهُم﴾ الخطاب دائماً مع اليهود بهذه الصيغة وهذا الخطاب أيضاً مع هذه الأُمَّة.

حين يخرج صاحب الأمر يخاطب أولئك الذين خالفوا أهل البيت لِمَا قتلتم الحسين؟ نفس القضية لِمَا قتلتم عليّاً؟ لِمَا قتلتم فاطمة؟ إذاً لماذا يُستكثَرُ على شيعة أهل البيت حينما يقولون بأن الإمام الحجة عليه

السلام حين يخرج وشعارهُ يا لثارات الحسين هذه الفكرةُ في أصولها وفي جذورها من قوانين الله ومن قواعد الله ومن أخلاق الله أليس هذا القرآنُ قرآنَ الله؟ أليس هذا الكلامُ كلامَ الله؟ أنا لم آتي بروايةٍ من كتابٍ حتى بسهولةٍ يمكن أن يُقال بأنها ضعيفةُ السند، هذا الأسلوب الشيطاني وللأسف هناك الكثير من شيعة أهل البيت تأثروا بمثل هذه الأساليب وبمثل هذه الأحابيل، هذا أسلوب شيطاني أول ما بدأهُ بدأهُ أعداءُ أهل البيت حينما هددوا علياً بأن يقتلوه في قضية السقيفة لَمَّا أخرجوه من دارهِ وقالوا له إن لم تبايع قتلناك فقال إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسول الله فماذا أجابوهُ؟ وبالذات ماذا أجابهُ عمر بن الخطاب قال عبد الله نعم وأما أخو رسول الله فلا، وهذا أولُ ردٍ على روايات وأحاديث رسول الله، أليس الأحاديث المنقولة عن رسول الله بأن علياً القرآن عَبَّرَ عن عليٍّ بأنهُ نفسُ رسول الله ولكنهُ هو أخُ رسول الله، رسول الله آخى من؟ وآخى من في يوم المؤاخاة؟ ألم يؤاخي علياً.

أنا هنا لم أأتي بروايةٍ يمكن أن يُقال بأنها هذه من أخبار الأحاد أو من المناكير أو من الأحاديث الضعاف أو من الأحاديث الشاذة أو من الأحاديث غير المقبولة أو من الأحاديث التي لم يتلقاها أهل العلم بالقبول والرضا أو هذه رواية رواها رافضيٌ خبيث وإن كان ثقةً في الحديث، هكذا يُقيمون الروافض في كتب رجالهم رافضيٌ خبيث ثقةٌ في الحديث، أنا لم أورد روايةً هنا هذا القرآن يتحدث يخاطب اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله بأنهم قد قتلوا الأنبياء وهم ما عاشوا في زمان الأنبياء الذين قتلوهم، من هنا جاء الخطاب لماذا؟ لوحدة الفكر بين هؤلاء وأولئك لوحدة العاطفة لوحدة الولاية والبراءة بين هؤلاء اليهود وبين الذين سبقوهم فقتلوا الأنبياء، ولذلك إمامنا سيحاسب الأمم وسيحاسب الشعوب وسيحاسب المجموعات وسيحاسب الزعامات السياسية والدينية على هذا الأساس لأن هؤلاء على نفس الولاية والبراءة لقتلة الحسين من هنا يرفع هذا الشعار يا لثارات الحسين.

﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبلُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ * وَلَقَد جَاءكُم مُّوسَى بِالبَيِّنَاتِ ﴾ وأكثر من ذلك أنكم كفرتم بما جاء به موسى وفي زمان موسى القضية ليس فقط من بعد زمان موسى ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ ﴾ هذا من بعد زمان موسى بل إن قضيتكم يعني أكثر سوءاً من ذلك إنكم كفرتم بما جاء بهِ موسى في زمان موسى ﴿ وَلَقَد جَاءكُم مُّوسَى بِالبَيِّنَاتِ ﴾ جاءكم بتلكم المعجزات الهائلة التي ما رأت أُمَّة من الأمم كما رأى اليهود من معجزات موسى جاءكم بالبينات بالدلائل والمعجزات والآيات الباهرات لكن ماذا فعلتم؟ ﴿ ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ مِن بَعدِهِ وَأَنتُم ظَالِمُونَ ﴾ يعني بعد كل تلكم البينات وبعد كل تلكم المعاجز يا بني إسرائيل موسى غاب عنكم ثلاثين يوماً وهو أخبركم بذلك، تأخر عشرة أيام لَمَّا تمَّ ميقات ربه أربعين يوماً

خلال هذه الأيام العشرة انقلب اليهود فعادوا يعبدون العجل، قوم بهذه الحالة وبهذه الكيفية وبهذه الوضعية ليس غريباً عليهم أن يحرِّفوا الكتاب يقلبوا الحقائق فيكفروا بالنبي الذي كانوا ينتظرونه مثل ما كفروا بدين موسى وكفروا بربِّ موسى وبإله موسى وذهبوا إلى تمثال عجلٍ يعبدونه ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ والله سبحانه وتعالى أظهر لهم من المعجزات الهائلة لو كانت فقط معجزة المَن والسلوى والتي عاشوا معها سنين طوال يأكلون المن والسلوى بطريقةٍ إعجازية لو كانت فقط هذه المعجزة لو كانت فقط هذه البيّنة هذه الحجة لكفى فما استحوا من الله وذهبوا إلى عجلٍ يعبدونه، إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه يقول: ألا تنظر إلى البقرة عينها مكسورة، وهذه ملاحظة دقيقة أنت الآن أنظر إلى أي بقرة إذا نظرت إلى عينها تجد إن عينها مكسورة واضح الكسر في نظرات البقرة ألا تنظر إلى البقرة فإنك تجد أن عينها مكسورة الإمام يقول لقد انكسرت عينُ البقرة يعني انكسرت نظراتها منذُ أن عبدَ اليهود العجل، وهم ما عبدوا العجل عبدوا تمثالاً لعجل، حياءً من الله هذه البقرة حياءً من الله أنكسر نظرها بين يدي الله سبحانه وتعالى والعالم كلهُ هو محضرُ الله العالم كلهُ هو ساحة الله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ﴾ اتخذتم العجل إلهاً تعبدونه ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ وأقصى معاني الظلم هو الشرك ولذلك في سور لقمان، لقمان حين يعضُ ولدهُ ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أعظم الظلم هو الشرك بالله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ ومرَّ الكلام في الميثاق وفي الطور ولا أعيدُ التفصيل فيه ولكن بشكلٍ مجمل مرَّ الكلامُ في كيفية أخذ الميثاقِ على بني إسرائيل وكيف أن موسى رفعَ الطور فوقهم وهددهم بأن إن لم يُذعنوا ولم يؤمنوا ولم يواثقوا ميثاقهم فإنهُ سيوقع الطور عليهم ومن أوائل الأمور التي أُخِذَ عليها الميثاق بعد التوحيد لله سبحانه وتعالى الإذعان والاعتقاد والتمسك والإلتزام بمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما والروايات عندنا مرويةً عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم تبين هذا المعنى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ والطور هو الجبل ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ هذا الكلام مرَّ علينا في الآيات المتقدمة من سورة البقرة المباركة في الآية الثالثة والستين ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ ما آتيناكم من ميثاقٍ ومن كتابٍ ومن فرقانٍ ومن عقيدةٍ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ومرت علينا الآية الثالثة والخمسون ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ

﴿لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ فهناك كتابٌ أنزل على موسى وهناك فرقان ﴿وَإِذ آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ﴾ وهو التوراة ﴿وَالفُرقَانَ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ هذا الفرقان وهذا الكتاب هو الذي أُخِذَ عليهما العهد على بني إسرائيل ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم وَرَفَعنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ كما في الآية الثالثة والستين من سورة البقرة وهذه الآية التي بين يدي هي الآية الثالثة والتسعون من سورة البقرة ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم وَرَفَعنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بأي قوة؟ بقوة الأبدان بقوة القلوب بقوة العقول بقوة الحواس عليكم أن تبذلوا تمام قوتكم لأجل أي شيءٍ؟ للوفاء بهذا الميثاق وهذا الميثاق هو ميثاق الولاية، الولاية لِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم وَرَفَعنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ﴾ ولذلك الآيات تخاطبهم بأنكم قتلتم الأنبياء بأنكم كفرتم وبأن الله قد لعنهم كُلُّ هذا الخطاب لمن؟ للذين عاشوا في زمان رسول الله لماذا؟ لأنهم لم يفوا بالميثاق الذي أُخِذَ عليهم ولأنهم حَرَّفوا الميثاق وكان اللازم عليهم أن يعملوا بهذا الميثاق بكل ما أوتوا من قوة، من قوة البدن من قوة العقل من قوة القلب من قوة الجاه من قوة المال من قوة السلاح من كل قوةٍ موجودةٍ في هذه الحياة.

﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم وَرَفَعنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسمَعُوا﴾ اسمعوا لِمَا جاء في هذا الميثاق، اسمعوا لِما جاء في هذا الكتاب اسمعوا لِما أنزل الله ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسمَعُوا﴾ فماذا قالوا؟ ﴿قَالُوا سَمِعنَا﴾ هذا في الميثاق لَمَّا رُفِعَ فوقهم الطور ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسمَعُوا﴾ اسمعوا لِما يريد الله اسمعوا لِما يريد موسى ﴿قَالُوا سَمِعنَا وَعَصَينَا﴾ عصينا هذه ما قالوها أثناء أخذ الميثاق ولكن عملياً هو الشيء الذي قاموا به لذلك الآية جعلتها وكأنها جاءت في سياقٍ واحد ﴿قَالُوا سَمِعنَا وَعَصَينَا﴾ متى كان العصيان؟ العصيان بعد الرجوع من الميثاق وبقيَ هذا العصيان موجوداً حتى في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله فقد خالفوا الميثاق الخلاف الأكيد والخلاف الواضح حين كفروا بنبوة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبما جاء به الميثاق هكذا ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسمَعُوا قَالُوا سَمِعنَا﴾ هذا الكلام في أفق الميثاق حينما أُخِذَ عليهم ﴿وَعَصَينَا﴾ ولكن الجانب العملي ما هو؟ المعصية فبسبب ذلك ماذا ترتب على هذا؟ ﴿وَأُشرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجلَ بِكُفرِهِم﴾ لأنهم لَمَّا قالوا سمعنا وعصينا فقد كفروا فبسبب ذلك حلَّ فيهم ما

حل، ما الذي حلَّ فيهم؟ ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ اشربوا في قلوبهم العجل هناك من يفسر الآية ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ يعني وأُشرِبوا في قلوبهم حُبَّ العجل، أُشرِبوا كأنهم شربوا حُبَّ العجل هذا التعبير يُراد منهُ هذا المعنى أُشرِبَ حُبُّهُ يعني كأنه شربَ حُبَّهُ شراباً شرباً كالذي يأكل ويشرب حينما يشربُ الإنسان الشراب يمازج بدن الإنسان ويمازج بدن الإنسان أسرع من ممازجة الطعام لذلك التعبير دقيق يعني الإنسان حينما يتناول الشراب يتناول السوائل فإن هذه السوائل تتمازج مع بدن الإنسان أسرع مما تتمازج الأطعمة المأكولات لذلك الإنسان حينما يشرب الماء الشيء الطبيعي كما يقول المتخصصون في ذلك، الشيء الطبيعي لجسم الإنسان يحتاج إلى الإدرار ما بعد عشرين دقيقة أو أقل من ذلك ما بين ربع ساعة إلى نصف ساعة يحتاج إلى إدرار إلى إخراج المياه الفاسدة من جسمهِ بعد أن يشرب الماء بعد أن يشرب السوائل لأن المياه ولأن الأشربة والسوائل أسرع ممازجةً في بدن الإنسان أسرع من الأطعمة.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ كأنهم شربوا حُبَّ العجل وكأن حُبَّ العجل سائل من السوائل فأُشرِبوا، ومن الذي شربهُ؟ قلوبهم شربتهُ وليس المعدة التعبير في غاية الدقة تعبير مجازي جميل ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ مثل ما المعدة ينزل فيها الماء وبعد ذلك الماء يتصرف ينتقل إلى البدن فكأن المعدة هي التي شربت الماء فكأن قلوبهم هنا قد شربت حُبَّ العجل ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ هذا الإشراب جاء بكفرهم ومتى كان كفرهم؟ حين ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ حين عصوا الميثاق خالفوا الميثاق فقد كفروا وبسبب هذا الكفر هذه الباء باء السببية ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ يعني بسبب كفرهم أُشرِبوا في قلوبهم العجل فقلوبهم شربت حُبَّ العجل.

هناك كلمة لسيد الأوصياء يقول: **عجبتُ من هذه الأُمَّة أنهُ كيف أُشرِبت حُب هذا الرجل وصاحبهِ.** هذه الأُمَّة يَعجَبُ الأمير من أمرها كيف أُشرِبت حُب هذا الرجل وصاحبهِ، الرواية موجودة في كتاب سُليم بن قيس رضوان الله تعالى عليه الإمام يشير في كلمتهِ هذه إلى هذا المضمون الموجود في الآية ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ وطبعاً هذا الإشراب كان معنوياً وكان مادياً هم بعد ذلك شربوا العجل، موسى عليه السلام لَمَّا رجع من ميقات ربّهِ ووجد اليهود بهذه الحالة يسجدون ويعبدون لهذا العجل الذهبي أخذهُ وبَرَدَهُ، بَرَد العجل وحَوَّلَهُ إلى سُحالة، السُحالة، سُحالة هي البرادة نفسها بَرادة الحديد السُحالة هي برادة

الذهب لأن السامري كان قد صنعهُ من الذهب فَبَرَدَهُ ثم ألقاهُ في النهر كان هناك نهر قريب من مساكن بني إسرائيل فألقاهُ في النهر ألقاهُ في البحر، والمراد من البحر هنا البحر الحلو يعني النهر فامتزجت هذه البرادة بهذا الماء وبعد ذلك موسى أمرهم أن يشربوا، متى؟ حينما نزل الأمر في قضية التوبة أن اقتلوا أنفسكم فتوبوا إلى بارئكم، ومرَّ علينا الكلام ولكن قبل أن ينزل الأمر بالتوبة كان هؤلاء الذين يعبدون العجل هكذا تقول الروايات في بعض الأحيان يعطشون فيشربون وحتى الذي لا يريد أن يشرب من هذا الماء الروايات تقول بأنهُ بسببٍ وآخر يقع في النهر يقع على وجههِ فيدخل هذا الماء في جوفهِ فكان هذا الإشراب كان إشراباً مادياً ومعنوياً، كما أنهم أُشرِبوا في قلوبهم أُشرِبوا في أبدانهم وهذه معاني تتحدث عن سُنن عن ترابط بين أمورٍ تشريعية وأمورٍ تكوينية هناك ترابط عجيب وغريب ودقيق وفي غاية الدقة والنظام بين أمور التكوين والتشريع ولذلك ليس بدعاً من القول ما قالهُ الحكماء والعرفاء الإلهيون من أن هذا الوجود هو عبارةٌ عن كتابٍ تكويني وتدويني.

وهناك تطابقٌ تام بين الكتاب التكويني وبين الكتاب التدويني كما أن هناك كتابٌ أنفسي وأفاقي وهناك تطابقٌ أيضاً بين الكتاب الأنفسي والأفاقي وهذه موضوعات خارجة عن بحثنا لكن فقط أردت الإشارة إليها من بعيد، لذلك اليهود أُشرِبوا من الجهة المعنوية العاطفية دخل الحب للعجل في قلوبهم فكأن قلوبهم شربت العجل، شربت حُبَّ العجل وكأنهُ سائل وشربتهُ وهم شربوا العجل مادياً بعد أن بَرَدَهُ موسى حَوّلَهُ إلى بَرَادة وألقاها في النهر فقد شربوا من النهر لكن الذين كانوا يعبدون العجل وشربوا من هذه البَرَادة كما تقول الروايات ومرَّ الحديث عن ذلك فإن شفاههم كانت تسوّد وإن أنافهم كانت تسوّد كان الشخص حينما يشرب وهو من عُبّاد العجل، لأن موسى لَمَّا رجع ونسف العجل وظهرت معالم الغضب عليه تبرأ اليهود من عبادة العجل فأيُّ شخصٍ يُسأل يقول إني ما عبدت العجل بحيث لم يعترف أحد من اليهود بأنهُ قد عبد العجل لذلك الله سبحانه وتعالى أمر موسى أن يأمر اليهود أن يشربوا من النهر الذي خولط ببرادة ذهب العجل، فمن شَرِبَ من هذا النهر ولم يعبد العجل لم يتغير لون شفتيه ولون أنفهِ ولكن الذين عبدوا العجل اسودت شفاههم واسودت أنافهم ومرَّ الحديث في قضية توبة بني إسرائيل بعد قضية عبادة العجل.

﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ إذا تقولون بأن عندكم إيمان وكل هذه الأمور فعلتموها فبئسَ الإيمان هذا ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ إذا كنتم مؤمنين وتقولون بأننا نؤمن بموسى ونؤمن بالتوراة ونؤمن بما جاء في كتبنا الدينية فأين النتائج العملية لهذا الإيمان وهذا هو

تأريخكم شاهدٌ عليكم هذه الوقائع مرت عليكم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُم﴾ تلاحظون الخطاب لمن؟ لليهود الذين عاشوا مع رسول الله وكل هذه الأحداث تأريخياً كانت في زمانٍ قبل مئات من السنين قد حدثت ولكن القرآن ينسبها إلى اليهود الذين عاشوا في زمان رسول الله ويقول لهم ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إذا كنتم من أهل الإيمان فبئس الإيمان هذا الذي تدّعون بأنكم تؤمنون به وتدّعون بأنكم تعتنقونهُ، هكذا تقولون بأنكم تؤمنون بموسى وبتوراة موسى وبما جاء على ألسنة أنبياءكم هذه الأفاعيل التي فعلتموها هل أمركم بها موسى؟ حينما عبدتم العجل أليس هذا كفراً بما جاء به موسى عليه السلام ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فلا إيمان لهم لأن الإيمان هو قيدُ الوفاء بالميثاق هم كفروا بالميثاق، أسلافهم كفرت بالميثاق والذين كانوا في زمان رسول الله أيضاً كفروا بالميثاق مع أنهم كانوا كما قالت الآية ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهذه القضيةُ إن كانت موجودةً في بني إسرائيل فهي موجودةٌ في هذه الأُمَّة نفس الشيء! الأُمَّة ماذا فعلت بعليٍّ وآل عليٍّ بعد رسول الله؟

أبتاهُ هذا السامريُ وعِجلهُ عُبِدا ومال الناس عن هارون

ماذا فعل الناسُ بعليٍّ وآل عليٍّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ نفس الأحداث نفس الأمور، تحريف الحقائق طمسُ الحقائق، منعُ كتابة الحديث، إحراق المصاحف التي كُتبت عليها أحاديثُ النبي لبيان أسباب النزول، غصب الخلافة من عليٍّ، قتل فاطمة صلوات الله عليها وكل هذه الأمور التي جرت على أهل البيت هناك تشابه واضح، لذلك لَمَّا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأمم التي سبقتنا حين قال: **ما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأُمَّة حذو القُذَةِ بالقُذّة وحذو النعل بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع** – الذراع هو هذا، الباع ما هو؟ الباع ما بين اليدين هذه المسافة يُقال لها باع – **حذو القُذّةِ بالقُذّة** – القُذّة هي ريشةُ السهم، أليس السهم في آخرهِ توجد ريشتان أو توجد ثلاث ريش لابد أن تكون هذه الريش متساوية تكون في ذنب السهم حتى ينطلق السهم بشكلٍ صحيح، إذا لم تكن متساوية وبالدقة بنفس الشكل وبنفس الحجم وبنفس الاتجاه فإن السهم لا ينطلق لا يخرج من كبد القوس يقع قريباً من الرامي – **حذو القُذّة بالقُذّة وحذو النعل بالنعل ذراعاً بذراع وباعاً بباع** – الباعُ هو هذا ما بين اليدين – **ولو أنهم دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتم فيه، فقيل: يا رسول الله من هم هؤلاء الناس، اليهود والنصارى؟ قال: وهل الناس إلا هم** – الحديث عن هؤلاء فما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأُمَّة.

وهذه الأُمَّة كما أن الميثاقَ أُخِذَ عليها ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسمَعُوا قَالُوا سَمِعنَا﴾ بايعوا، بَخٍ بَخٍ لك يا علي، ولكن ماذا فعلوا بعد ذلك؟ ﴿وَعَصَينَا﴾ نفس الآية ﴿وَإِذ أَخَذنَا مِيثَاقَكُم وَرَفَعنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ﴾ وإذا أخذنا ميثاقكم في الغدير هذه تطبيقات واضحة، إذ أخذنا ميثاقكم في يوم الغدير وقلنا انصروه، والوه هو أولى بكم من أنفسكم، هذا عليٌّ مولاكم من نَصرهُ نصَرهُ الله ومن خذلهُ خَذَلَهُ الله اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله ﴿قَالُوا سَمِعنَا﴾ بخٍ بَخٍ لك يا علي لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمنٍ ومؤمنة، ولكن ماذا؟ ﴿قَالُوا سَمِعنَا وَعَصَينَا﴾ هؤلاء الذين بايعوا في الغدير هذه الألاف قالوا سمعنا لكن بعد رسول الله ماذا فعلوا؟ ﴿وَعَصَينَا وَأُشرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجلَ بِكُفرِهِم قُل بِئسَمَا يَأمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُم إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾ إن كنتم مؤمنين، إن كُنّا مؤمنين علينا أن نأخذ هذا الميثاق بقوة ﴿خُذُوا مَا آتَينَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسمَعُوا﴾ أن نَفِيَ لهذا الميثاق بكل قوةٍ نملكها بقوة الأبدان، بقوة الأموال، بقوة العقول، بقوة الأرواح، بقوة الأحاسيس، بقوة العلم، بقوة الفكر، بقوة السياسة، بأي قوةٍ يمكن أن تصل إليها أيدينا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ بكل قوةٍ لابد أن نَفِيَ لميثاق عليٍّ وآل عليٍّ بقوة الوقت، بقوة الجاهِ، بقوة السمعة، بقوة الصحة والعافية، بقوة الأبدان، بقوة الأموال، بقوة الإعلام، بقوة السياسة والسلطة بأي قوةٍ حتى يتحقق معنى الخلافة حتى تَرِفَ رايةُ إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

بهذا تنتهي صفحةٌ أخرى من صفحات مصحفنا الشريف أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الثالثة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ٩٤ الى الآية ١٠٢

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاتهُ، أسعد الله أوقاتكم وأيامكم وليالكم في هذا الشهر الشريف في شهر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وهذه هي الحلقة الثالثة بعد العاشرة من برنامج قرآننا وكلامنا متواصلٌ في آيات سورة البقرة المباركة، تمَّ الكلامُ في الحلقة الماضية في الآية الثالثة والتسعين من سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تقدَّمَ الكلامُ في هذه الآية. وأشرعُ اليوم في الآية الرابعة والتسعين من سورة البقرة ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

لا زال الحديثُ عن بني إسرائيل وسنبقى نتحدثُ في هذه الحلقة والحلقة الآتية ولا زال الكلامُ متواصلاً عن بني إسرائيل من أول أمرهم إلى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والكلامُ في هذه الآيات عن بني إسرائيل الذين هم عاشوا في زمان نبينا صلى الله عليه وآله الآيات المتقدمة والتي تحدثت عن الكيفية التي تعامل بها اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكيف حَرَّفوا الحقائق وقَلَّبوا الأمور وقد طلبوا المعجزات من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقد استجاب لهم وآتاهم المعجزات التي طلبوها ولكنهم حَرَّفوا الأمور وبدلوا الحقائق وخدعوا أتباعهم ومرَّ الكلامُ في مثل هذه الموضوعات في الحلقات الماضية ولا زال الحديث على نفس هذا السياق.

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾ هؤلاء هم اليهود الذين قالوا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم هم الذين أنزل الله عليهم دين الهدى وهم لا يؤمنون إلا لنبي يأتيهم بمعجزاتٍ كمعجزات موسى عليه السلام ومثل هذا كثيرٌ من الكلام كل ذلك مع علمهم بحقائق الأمور إلا أن الحسد والكراهية وسوء النية هي التي وقفت فيما بينهم وبين إيمانهم لِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار لذلك القرآن في مواطن عديدة

يُحدِّثُنا عن اليهود ماذا قالوا وكيف أخبروا عن انفسهم مثلاً: في نفس سورة البقرة المباركة الآية الحادية بعد العاشرة بعد المئة ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى﴾ يعني اليهود قالوا لا يدخل الجنة إلا من كان من اليهود والنصارى، قالوا ذلك فاليهود هكذا كانت تقول ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى تِلكَ أَمَانِيُّهُم قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ هذا قولٌ من أقوال اليهود ذكرتهُ سورة البقرة.

وقولٌ آخر في الآية الخامسة والثلاثين بعد المئة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ القرآن أجاب ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ كلامهم هنا ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ أي لا تؤمنوا بِمُحَمَّدٍ وإنما الهدايةُ أن تكونوا هوداً أو نصارى.

ومواطن أخرى كثيرة مثلاً: في سورة المائدة في الآية الثامنة بعد العاشرة من سورة المائدة ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحنُ أَبنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَل أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّن خَلَقَ يَغفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَمَا بَينَهُمَا وَإِلَيهِ المَصِيرُ﴾ فهذا هو كلامُ اليهود أنهُ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى قل كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، وقالت اليهود والنصارى، ماذا قالوا ﴿نَحنُ أَبنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ وغير ذلك من المعاني ومن الادعاءات ومن الكلمات التي نطقوا بها ومن جملة كلامهم هذا قالوا بأن الدار الآخرة لنا عند الله خالصة ﴿قُل إِن كَانَت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ هذا المعنى العام الجو العام للآية، الآية تتحدث عن ادعاء اليهود بأن الدار الآخرة خالصةٌ لهم وأن النجاة والفوز والفلاح في يوم القيامة لهم ولدينهم ولمعتقداتهم ولأحبارهم ولِما كانوا عليه وليس لِمُحَمَّدٍ وآل محمَّدٍ وأتباعهم، القرآن هنا يقول: إذا كانت لكم الدار الآخرة كما تقولون فتمنوا الموت باعتبار أن الموت سيكون باباً لأي شيءٍ؟ للوصول إلى الآخرة التي فيها راحتكم وهناءتكم وسعادتكم، هذا الجو العام لألفاظ الآية، أما إذا أردنا أن نرجعَ إلى روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن الروايات تحدِّثُنا كما أن النصارى باهَلَهم النبي صلى الله عليه وآله وقصة المباهلة مع النصارى معروفة في الآية الحادية والستين من سورة آل عمران المباركة بخصوص أوضاع وقصة وأحوال عيسى بن مريم ﴿فَمَن حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ﴾ فَمَن حَآجَّكَ فِيهِ: حاجك في عيسى ﴿مِن بَعدِ مَا جَاءكَ مِنَ العِلمِ

﴿فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أَبنَاءنَا وَأَبنَاءكُم وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَّعنَةُ اللّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ المباهلة مع نصارى نجران والقصة فيها تفصيل ولا أريد الحديث عنها ربما لو وصلنا إلى هذه الآية في مستقبل الأيام ووُفقنا لذلك سأتحدث عن تفاصيل هذا الأمر إن شاء الله تعالى، لكن مجمل القصة جدلٌ ونقاشٌ بين نصارى نجران وبين النبي صلى الله عليه وآله وما وصل النقاشُ إلى مكانٍ معين فحاججهم رسول الله بالمباهلة طلبهم إلى المباهلة، باهَلَهم وقصة المباهلة معروفة ﴿فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أَبنَاءنَا وَأَبنَاءكُم وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل﴾ ندعوا ﴿فَنَجعَل لَّعنَةُ اللّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ وهذه قصة معروفة، روايات أهل البيت تحدثنا عن مباهلةٍ ثانية مع اليهود، هذه مباهلة مع نصارى نجران التي جاءت مذكورةً في الآية الحادية والستين من سورة آل عمران، في روايات أهل البيت هذه الآية تتحدثُ عن مباهلةٍ مع اليهود.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم إذا كنتم تعتقدون بأن الدار الآخرة خالصةٌ لكم كما تقولون وكما تدّعون فتعالوا إذا كنتم تقولون بأنكم أصحابُ الحق وبأن دعاءكم مستجاب، هم هكذا كانوا يقولون كما تقول الرواية بعد ما مرَّ من جدلٍ ونقاش وتعرضت الآيات السابقة لمثل هذه المواضيع الرواية تقول بعد جدلٍ ونقاشٍ فيما بين اليهود وبين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في قضية دعوتهم إلى الإيمانِ بما أُخِذَ عليهم في المواثيق الأولى في زمان موسى في الإيمان بالنبي وعليٍّ وآلهما الأطهار بنبوة محمَّد وبولاية عليٍّ فقالوا إنما تقولهُ من الكلام يا مُحَمَّد ليس صحيحاً نحن أصحاب الحق ونحن أولياء الله وإن الجنة خالصةٌ لنا وإن دعاءنا مستجاب الله سبحانه وتعالى سيستجيبُ لدعاءنا، النبي قال لهم إذا كنتم تدّعون ذلك وتقولون بأن دعاءكم مستجاب فادعوا أن يُهلك الله الكاذب منا إن كُنا نحن نكذب، يعني النبي صلى الله عليه وآله وعلياً وأتباعهما إن كُنا نحن نكذب فإننا سنهلك بدعاءكم لأنكم تقولون بأن دعاءكم مستجاب وإذا كنتم أنتم المبطلون فيكم من هو المبطل فإنهُ سيهلك ﴿قُل إِن كَانَت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ كما تقولون ﴿عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ﴾ تمنوا الموت بالدعاء يعني أدعوا على الكاذبِ بالهلاك ﴿فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ الرواية تقول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم إذا دعوتم فإن الهلاك سيحل بكم وهم يعلمون بأن النبي صادق صلوات الله وسلامه عليه فما استطاعوا أن يبلعوا ريقهم لأنهم عالمون بذلك عارفون بحقائق الأمور ﴿قُل إِن كَانَت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ والروايات قالت: من دون الناس يعني مُحَمَّداً وعلياً وأتباعهما هكذا قال إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه ﴿قُل

﴿إِن كَانَت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ يا يهود ﴿عِندَ اللّهِ خَالِصَةً﴾ من دون مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما وأتباعهم ﴿فَتَمَنَّوُا المَوتَ﴾ فاطلبوا الموت ﴿إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ مراد تمنوا الموت أي أدعوا بالهلاك على الكاذب فمن هو الكاذب يهلك ﴿فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمين﴾ لن يتمنوه، الآيات تبين ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ لماذا؟ لأنهم يعلمون أنهم على باطل وأنهم في كفرهم بِمُحَمَّدٍ، وفي كفرهم بكتاب محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم يعلمون أنهم إنما يكفرون بالحق لأن هذه المضامين وهذه الحقائق موجودة في كتبهم وهم يعرفون مواضعها ولقد حَرَّفوها وبدلوها وغيروها.

﴿قُل إِن كَانَت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ * وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشرَكُوا﴾ إنهم أحرص الناس على الحياة وكذلك هم أحرص الناس وأحرصُ كل البشر وحتى أحرص من الذين أشركوا ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ والقرآن هنا جعل كلمة حياة مُنَكّرة ولم يُعرِّفها لم تقل الآية ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى الحَيَاةِ﴾ وإنما ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ كأن الآية تريد أن تشير إلى تقليل قيمة هذه الحياة، إلى قلة قيمة هذه الحياة لأن هذه الحياة الدنيوية لا قيمة لها إذا ما قيست بالحياة الآخرة لذا جاءت منكرة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يعني على أي نوعٍ وعلى أي مرتبة من مراتب الحياة الدنيوية حتى لو كانت بائسة فإن هؤلاء اليهود هم أكثر الناس حرصاً على هذه الحياة، وهم أكثر حرصاً على هذه الحياة حتى من الذين أشركوا من الذين لا يعتقدون بدينٍ كدينهم كدينٍ سماوي ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشرَكُوا﴾ وحتى أحرص على الحياة من الذين أشركوا.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم﴾ يود أحد اليهود ﴿لَو يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ﴾ يُعَمَّر ألف سنة الألف هو أعلى الأرقام عند العرب لا يوجد في لغة العرب رقم أعلى برأسِهِ أعني رقماً برأسه لا يوجد رقم في لغة العرب برأسه، وإنما حينما يكون الرقم أكثر من ألف سيؤتى بأرقام أخرى لمضاعفات الألف كأن نقول مثلاً عشرة ألاف كأن نقول مثلاً ألفُ ألف وإلا فهو أعلى الأرقام في لغة العرب، لذلك الآية لا تشير إلى ألف سنةٍ بعينهِ بحدود هذا الرقم وإنما تشير إلى العمر الطويل المديد والذي قد يتجاوز الألف ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ

﴿بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ﴾ يعني حتى لو عُمِّرَ هذا العمر الطويل فإن ذلك لن يزحزحهُ، لن يزحزحهُ لن يبعدهُ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ الرواية عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه يقول الإمام الآية قالت ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ فإن الآية ما قالت هكذا ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ﴾ لو كانت الآية قالت هكذا ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ﴾ لصار في الآية عندنا احتمالان: الاحتمال الأول أن الذي يُزحزحهُ من العذاب أو ما هو بمزحزحهِ من العذاب هو نفس عملية المودة أن يكون عمرهُ ألف سنة ولكن الآية لا تريد أن تشير إلى هذا المعنى تريد أن تشير أنهُ حتى فعلاً لو عُمِّرَ هذا العمر الطويل فإن العمر الطويل لن يكون مانعاً أو سبباً يؤدي إلى زحزحة هذا الذي قد طال عمرهُ عن العذاب.

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعمَلُونَ﴾ حتى لو عُمِّر آلاف مؤلفة من السنين فإن ذلك لن يبعده وأين تكون النهاية؟ تكون النهاية بيد الله ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعمَلُونَ﴾ هذه الآيات الآية الرابعة والتسعون والآية الخامسة والتسعون والآية السادسة والتسعون هذه الآيات تتحدث عن هذا المضمون وعن هذه المباهلة التي جرت بين اليهود وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هذه المباهلة التي جرت فيما بين نبينا وبين اليهود الذين كانوا يعيشون في أيامه، يعيشون في المدينة وما جاور المدينة، فلذلك النبي صلى الله عليه وآله دعاهم إلى هذه المباهلة إلى أي مباهلة؟ إلى أن يدعو على هلاك الكاذب ولكن ما دعوا بذلك لأنهم يعرفون الحقائق ولأنهم أشدُّ الناس حرصاً على الحياة.

الآية التي بعدها ﴿قُل مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبِكَ بِإِذنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَينَ يَدَيهِ وَهُدًى وَبُشرَى لِلمُؤمِنِينَ﴾ الكلام أيضاً لا زال مع بني إسرائيل رغم كل المعجزات التي شاهدوها ورغم كل المعاني التي تلمسوها على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو في هذه المباهلة لَمَّا حجهم رسول الله بهذه المحاججة قال لهم إذا كنتم تقولون بأنكم أصحابُ الحق وبأن دعاءكم مستجاب فادعوا على الكاذب منّا حتى يهلك فأحجموا، الرواية عن الإمام الحسن السبط صلوات الله وسلامه عليه يقول الإمام: فكاع اليهودُ بأجمعهم، كاعوا أي أنحرفوا أي مالوا أي ابتعدوا أي عجزوا كاعوا يعني عجزوا، عجزوا عن أن يستجيبوا لهذه الحُجَّة حينما حاججهم رسول الله كاعوا ما استطاعوا عجزوا أن يستجيبوا لأنهم علموا لو دخلوا في هذه المباهلة لعادت عليهم المباهلة بالعذاب وببطلان أمرهم وبالهلاك لذلك هم عكسوا الكلام

فقالوا يا محمَّد إذا كنت تقول بأنك صاحب حق وبأنك وعليّاً أولياء الله وبأن دعاءكم هو المستجاب فإن لنا رئيساً من رؤوساء اليهود عندهُ ولد وهذا الولد كان وسيماً جميلاً نبيلاً فأصابهُ البرص والجُذام وقد هجرهُ الناس وهو الآن لا يأكل الخبز إلا على أطراف الرماح، مقصود على أطراف الرماح أن أهله يخافون أن يقتربوا منه ويتقذرون من الاقتراب منه فحينما يريدون أن يقدموا له الخبز، يُقدموا له الطعام، كيف يقدمون له الطعام؟ يضعون الطعام والخبز على رأس الرمح باعتبار أن الرمح طويل ويدفعون بالرمح إليه حتى يأخذ الخبز، لا يريدون أن يتقربوا منه، فقالوا إن كنت يا مُحَمَّد تقول بأن عليّاً هو وصيك فليدعوا لأبن رئيسنا هذا بالشفاء فجاؤوا به، جاؤوا بابن رئيسهم وكان مصاباً بالبرص والجُذام كان على أسوأ حال كان على أشوه خلقة، النبي صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ أدعوا له يا علي فدعا له سيد الأوصياء فشفي في الحال ورجع إلى حالتهِ الأولى، النبي صلى الله عليه وآله قال لهذا الشاب اليهودي قال لهُ آمن بالذي كشف بلائك فآمن بالله وآمن برسول الله وأسلم، أبوه كان موجوداً بدأ أبوه يستغيث ويقول يا مُحَمَّد قد خدعت أبني وإن هذا الأمر ما كان من فعل عليٍّ ومن دعاء علي وإنما جاء وقت عافيته فصادف وقت عافيته مع وقت دعاء عليٍّ إذا كنت صادقاً وكان عليٌّ صادقاً فليدعو عليَّ الآن أن يصيبني نفس البلاء الذي كان قد أصيب به ولدي سابقاً، نهاهُ النبي عن ذلك قال إنك ستصاب ولكنه أصرَّ على ذلك فطلب النبي من عليٍّ أن يدعو عليه فأصابهُ الذي كان قد أُصيب به ولدهُ سابقاً أُصيبَ في الحال بالجُذامِ والبرص هكذا تقول الرواية عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومثل هذه المعاني كانت تتردد أمام أعين اليهود كان تتردد أمام أسماعهم لكن ماذا يقولون؟

يقولون هذا سحرٌ من سحر مُحَمَّد حينما يُحاججون بالمحاججات العقلية والمنطقية والعلمية يقلبون المُحاججة بشكلٍ معاكس وحينما يطلبون المعجزة وتأتي المعجزة يقولون هذا سحرٌ من سحر مُحَمَّدٍ وعلي وهذه القضية قضية إتهام النبي بالسحر قضية بالغة جداً، القرآن الكريم تحدَّث عنها كثيراً وفي كتب التأريخ وفي كتب السير الحديث عن هذه القضية موجود بشكل واسع جداً إتهام النبي وإتهام الأئمة المعصومين بالسحر، فلذلك حينما تكون المعجزات ماذا يلجأ اليهود يلجأ اليهود إلى تبرير ذلك وإلى إتهام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسحر.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ هذا مثال آخر من أمثلة ضلال اليهود، مثال آخر هذه الآية أيضاً تتحدث عن نحو نقاشٍ وعن نحو جدالٍ جرى بين رسول الله وبين اليهود ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدقاً لِمَا بين يديه لِما تقدَّم مُصدِّقاً للتوراة لكتب اليهود ولكتب

النصارى ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه أوصاف القرآن ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فماذا فعل جبريل ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فإن جبريل نَزَّلَ القرآن على قلبك يا رسول الله ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هذا القرآن نزل على قلبك بإذن الله برعاية الله بأمر الله الحقيقي وإنما جبريل كان هو السبب والمُجري الظاهري وإلا الأمر الحقيقي إنما هو بإذن الله فهذا القرآن قرآن الله ونزل في قلبك بإذن الله وكان جبريل هو المجرى هو السبب ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لِما بين يديه لِما تقدَّمه ﴿وَهُدًى﴾ وهذا القرآنُ هدىً ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هدىً في الدنيا وبُشرى في الآخرة هذا القرآن قرآن هدايةٍ كتاب هدايةٍ في هذه الدنيا وكتاب بشرى للمؤمنين يبشرهم بالنعيم وبالجنان وبالرضوان، ثم تقول الآية ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ هذا الخطاب لمن؟ الخطاب لليهود ولمن كان على علاقة معهم من أعداء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، كان هناك مجموعة من المسلمين، حتى من المسلمين كان مجموعة من العرب تتفق مع اليهود وكان مجموعة من المسلمين حينما أقول من المسلمين من الذين أظهروا القول بالشهادتين وكانوا يُعَدُّون في المسلمين في المدينة كانوا على علاقةٍ خاصة باليهود وكانوا ينصبون العداء لِمُحَمَّدٍ ولعَليٍّ صلوات الله عليهما وآلهما.

هناك رواية عندنا مروية عن إمامنا الحسن السبط صلوات الله وسلامه عليه أقرأ مقطعاً من هذه الرواية والتي جاءت في بيان ومضمون بيان هذه الآيات التي نحن بصددها ماذا تقول الرواية: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا كان لا يزال يقول في عليٍّ عليه السلام الفضائل التي خَصَّهُ الله عزَّ وجلَّ بها والشرف الذي أَهَّلهُ الله تعالى له وكان في كل ذلك يقول، حينما يتحدث عن فضل عليٍّ: أخبرني به جبرئيل عن الله ويقول في بعض ذلك جبرئيلُ عن يمينه وميكائيلُ عن يسارهِ ويفتخر جبرئيلُ على ميكائيل، جبرئيلُ عن يمينه يعني عن يمين عليٍّ، جبرئيلُ عن يمينه وميكائيلُ عن يسارهِ ويفتخر جبرئيلُ على ميكائيل في أنهُ عن يمين عليٍّ صلوات الله عليه الذي هو أفضل من اليسار كما يفتخر نديم ملكٍ عظيمٍ في الدنيا يجلسُ عن يمينه على النديم الآخر الذي يُجلسهُ عن يسارهِ ويفتخران على إسرافيل الذي خَلَّفَهُ بالخدمة أو الذي خلفهُ بالخدمة ويفتخران على إسرافيل الذي خلفهُ بالخدمة ومَلَكُ الموت الذي أمامه بالخدمة وأن اليمين والشمال أشرفُ من ذلك كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلهم من ملكهم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في بعض أحاديثهِ إنَّ الملائكة أشرفها عند الله أشدها حُبَّاً لعليٍّ بن أبي طالب، وإن قَسَمَ الملائكة فيما بينهم والذي شَرَّفَ عليّاً على جميع الورى بعد مُحَمَّدٍ المصطفى ويقول مرةً أخرى إنَّ ملائكة السماوات

والحُجُب، الحُجُب أعلى من السماوات ما بعد السماوات، ليشتاقون إلى رؤية علي بن أبي طالب كما تشتاق الوالدة الشفيقةُ إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقيَ عليها بعد عشرةٍ دفنتهم، يعني عندها عشرة أولاد ودفنت تسعة منهم وهذا آخر واحد من وُلدها وهو بارٌ وشفيقٌ بها فكيف تشتاق إليه هذه الوالدة الذي بقي من بعد أن مات تسعة من أولادها، فإن الملائكة يشتاقون إلى رؤية عليٍّ كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفنتهم فكان هؤلاء النُصاب يقولون إلى متى يقول مُحَمَّد: جبرئيل وميكائيل والملائكة كل ذلك تفخيمٌ لعلي وتعظيمٌ لشأنهِ، وأنت تعرف من هم هؤلاء النُصاب الذين يقولون مثل هذا الكلام!! فكان هؤلاء النُصاب يقولون إلى متى يقول مُحَمَّد: جبرئيل وميكائيل والملائكة كل ذلك تفخيمٌ لعلي وتعظيمٌ لشأنهِ ويقول الله تعالى لعليٍّ خاص من دون سائر الخلق برئنا من ربٍّ ومن ملائكةٍ ومن جبرئيل وميكائيل هم لعليٍّ بعدُ مُحَمَّدٍ مُفَضِّلون وبرئنا من رُسُل الله الذين هم لعلي بن أبي طالب بعد مُحَمَّدٍ مُفضِّلون، هذا القول قول اليهود وقول النواصب الذين كانوا يلتقون بهم، الآيات هنا تتحدث عن هذا المضمون ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ الآيات تتحدث عن كلامٍ كان يرددهُ اليهود ويرددهُ أولئك النواصب الذين يلوذون باليهود والذين يأخذون الكثير من المعلومات من اليهود.

وموجود في كتب الفريقين هناك من نفس الذين كانوا مع النبي هناك من صحابة النبي من الذين كانوا يذهبون إلى اليهود ويتعلمون عند اليهود ولقد نهاهم النبي أكثر من مرة عن ذلك ولكن بقيت علاقتهم باليهود ولذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكعب الأحبار وأمثال كعب الأحبار وابن سلام كان لهم شأن في الدولة الإسلامية كان لهم شأن في دولة المدينة وفي حكومة المدينة بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد إقصاء عليٍّ عن منصب الخلافة والإمامة وهناك قرائن وشواهد كثيرة تشير إلى هذه القضية وتشير إلى هذا الموضوع.

هناك مناقشة لا أريد الإشارة إليها مناقشة حدثت فيما بين النبي وبين ابن صوريا وابن صوريا هذا من أكثر أحبار اليهود علماً بكتبهم وهو المعروف بعبد الله بن صوريا الأعور، ابن صوريا دخل مع النبي في نقاش وسأله مسائل النبي صلى الله عليه وآله كان يجيب ابن صوريا في هذه المسائل وكلما أجاب قال صدقت يا مُحَمَّد إلى أن سأله عدة أسئلة حتى وصل قال من الذي يُنزل عليك القرآن؟ من الذي يُنزل عليك الوحي؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله إنه جبريل فماذا قال ابن صوريا؟ لاحظوا التحريف! قال جبريل هذا عدونا لو كان ميكال هو الذي يُنزل عليك الكتاب لآمنا بك لأن جبريل كان عدواً لبني إسرائيل لأنهُ هو الذي كان ينزل بأمر هلاكنا وبأمر ما ينزل علينا من البلاء والعذاب فهو عدوٌ لنا، هذه المضامين متشابهة مع المضمون

السابق وهناك روايات أخرى تتحدث عن هذا المعنى، اليهود ومن كان معهم من النواصب من أعداء محمَّدٍ وعليٍّ هم الذين كانوا يقولون هذا الكلام ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أنت تقول بأن ميكال لو نزل بالقرآن على مُحَمَّدٍ فإننا نؤمن به فما ميكال إلا مَلَك وما جبريلُ إلا مَلَك وما هم إلا ملائكة مأمورون يأتمرون بأمر الله سبحانه وتعالى ويفعلون ما يأمر الله وما يصدر الله من أمر لهم لذلك الآية تقول ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ ولكن هو هذا التحريف، التحريف في كل شيء التبديل في كل شيء وإلا ما معنى هذا الكلام؟!

لو نزل ميكال بالقرآن عليك لآمَنَّا بهذا القرآن لأن ميكال صاحبنا صديقنا وأما جبريل فهو عدونا هذا تضليلٌ لعامة اليهود الذين حضروا المناقشة هذا عبد الله بن صوريا من يهود فدك وكان مجموعة كبيرة من اليهود قد حضروا في هذه المناقشة، في هذه المجادلة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يا مُحَمَّد أنزلنا إليك آياتٍ بينات، بينات واضحات صريحات هذه الآيات البينات في كتاب الله آياتُ مُحَمَّدٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصى آياتُ مُحَمَّدٍ البينات في كتاب الله سبحانه وتعالى وآيات مُحَمَّدٍ البينات في معجزاتِهِ وفي كراماتِهِ وفي ما حدث على يديه وآياتُ مُحَمَّدٍ البينات في أخلاقِهِ وفي علمِهِ وفي فضلِهِ وفي شخصِهِ وفي كل أحوالِهِ في كل جانبٍ من جوانب حياة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كانت الآيات البينات واضحةً جلية ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ في هذا القرآن وفي الحكمة وفي الفرقان الذي أنزله الله عليك ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾ ما يكفر بهذه الآيات ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الذين فسقوا عن أمر الله وخرجوا عن أمر الله، الفاسقون هنا لا بمعنى المصطلح الفقهي للفسق فلربما يكون المسلم فاسقاً الفاسقون هنا الخارجون عن فطرتهم الفاسقون هنا الذين كفروا برسول الله وكفروا بآياتِهِ البينات والفاسق هو الذي خرج من ردائِهِ، الفاسقة هي التمرة التي خرجت من قشرتها والفاسق هو الذي خرج من رداء الحقيقة من رداء الفطرة، خرج من رداء فطرتِهِ نزع الفطرة.

كما أن الكافر هو الذي كفر الفطرة، الكافر هو الساتر ويُقال له كافر لأنه ستَرَ هذه الفطرة وكفرها لذلك يُقال للزارعِ كافر، الفلاح يُقال له كافر لماذا؟ لأنهُ يكفر البذور يزرع البذور، الكافر هو الذي كفر الفكرة، غطى فطرتهُ فكل مولود يولد على الفطرة والكافر إنما يغطي هذه الفطرة، الفاسق أيضاً هو الذي نزع رداء

فطرتهِ وهي درجةٌ من درجات الكفر ﴿وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكفُرُ بِهَا إِلاَّ الفَاسِقُونَ﴾ يكفر بها!! الذي يكفر هو الكافر فلذلك هنا الفاسقون هم الكافرون ﴿وَمَا يَكفُرُ بِهَا إِلاَّ الفَاسِقُونَ * أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنهُم﴾ وهذه القضية كانت تتكرر، اليهود يعاهدون النبي ثم ينقضون هذا العهد والأحداث في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضحة وكثيرة، النبي لماذا حارب اليهود؟ النبي صلى الله عليه وآله في البداية عاهد اليهود واتفق معهم وكانت هناك معاهدات فيما بين النبي وبين اليهود إلا أنهم نقضوها واحدةً واحدة لذلك النبي صلى الله عليه وآله حاربهم وأخرجهم من المدينة وأخرجهم من أرض العرب أمرَ بإخراجهم من أرض العرب ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنهُم﴾ نبذهُ يعني رموه كما ينبذون الشيء القبيح ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنهُم بَل أَكثَرُهُم لاَ يُؤمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءهُم رَسُولٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِم﴾ نبذوه تركوه ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لاَ يَعلَمُونَ﴾ ماذا نبذوا؟ نبذوا الحقائق التي كانوا يعلمون بها وحرفوها، ومرَّ علينا كيف أنهم أقنعوا أقوامهم بأن الأوصاف المذكورة في كتبهم لا تنطبقُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنهُم﴾ رموه وتركوه ﴿بَل أَكثَرُهُم لاَ يُؤمِنُونَ﴾ لا يؤمنون حتى بالحقائق التي جاءت في كتبهم وإلا لو كانوا يؤمنون بما جاء في كتبهم لآمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَلَمَّا جَاءهُم رَسُولٌ مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم﴾ وهو نبينا صلى الله عليه وآله ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ نبذوا الكتاب الذي عندهم والذي يدّعون بأنهم يعتقدون بما فيه كيف نبذوه؟

تركوا المعاني والحقائق الموجودة فيه وحَرَّفوها وأقنعوا الناس من حولهم بأن الله ما قال هذا وإنما قال غيرهُ بعد أن حَرَّفوا الكتب ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾ من هم هؤلاء الذين نبذوا الكتاب؟ هم روؤسائهم، روؤسائهم في الدين رؤسائهم في السياسة والحكم، ورؤسائهم في الأموال هذه المجموعات الثلاثة التي تعبث بالمجتمعات على طول التأريخ رؤساء الدين، رؤساء السياسة، ورؤساء الأموال ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لاَ يَعلَمُونَ﴾ كأنهم لا يعلمون الحقائق هكذا تصرفوا وبينوا للناس بأن ما كانوا يقولونهُ سابقاً من بعثة النبي الخاتم ومن مجيئهِ إلى يثرب من المدينة كُلُّ ذلك كان ليس صحيحاً وإنما سيتحقق بعد

خمسمئة عام وكلما جاءهم النبي صلى الله عليه وآله بمعجزةٍ يرونها أمام أعينهم قالوا إن هذا من السحر ولذلك إلى أين وصلوا؟ كل هذا إلى أين أوصلهم الآن هذه الآيات التي مرت علينا الآيات التي تحدثت عن نوعٍ من أنواع المباهلة ﴿قُل إِن كَانَت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ هذه مباهلة حدثت بين رسول الله وبين اليهود، النقاش والكلام الذي دارَ بين النبي وبين ابن صوريا وبين ما قاله اليهود والنواصب ﴿قُل مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجبرِيلَ﴾ إلى آخر الآيات الكريمة التي تحدثت عن هذا المضمون والعهود التي نبذوها ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنهُم﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءهُم رَسُولٌ مِّن عِندِ اللّهِ﴾ هذه الحقيقة النهائية ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لاَ يَعلَمُونَ﴾ فإلى أي نتيجةٍ وصلوا؟ كيف أقنعوا أقوامهم؟ أقنعوا أقوامهم بأي أمرٍ؟! قالوا إن مُحَمَّداً وعَلِيّاً ساحران وكل ما يأتي به محمَّدٌ وعليٌّ إنما هو من السحر واقنعوا أقوامهم إن محمَّداً وعَلِيّاً يريدان أن يصنعا مُلكاً كَمُلك سليمان فكما كان سليمان قد صنع مُلكهُ بالسحر إن هذان يعني مُحَمَّداً وعَلِيّاً يريدان ان يصنعا لهما مُلكاً ويحكمان في الناس بأي شيءٍ؟ على أساس السحر بعلم السحر، وصلوا إلى هذه القضية وهذا هو التحريف تحريف الحقائق.

أولاً أساؤوا إلى نبيهم إلى سليمان فقالوا بأن سليمان ساحر وما كان عندهُ من مُلك فإنما هو من سحرهِ وحَرَّفوا الحقائق وتحريف الحقائق في تأريخ اليهود قضية واضحة عبر تأريخهم وهذا الأمر نفسهُ أنتقل إلى هذه الأُمَّة، الآن ونحن نقرأ الروايات ونطبق المعاني على الآيات تلاحظون أن الروايات دائماً تقرنُ بين ذكر مُحَمَّدٍ وعلي وهذا ما لا نجد له أثراً في كتب التفسير! في كتب تفسير المخالفين لأهل البيت هناك تحريف واضح للحقائق وحتى في كثيرٍ من كتب التفسير الشيعية إذا مروا على مثل هذه الروايات إما أن تُضَعَّف هذه الروايات وإما أن توضع في الحاشية على جانب لا توضع في المتن ولا تكون هي الأساس في فهم آيات الكتاب الكريم ومَرَدُّ هذه القضية إلى قضية التحريف الكبرى هناك قضية تحريف كبرى جرت في هذه الأُمَّة حُرِّفت كلّ الحقائق وما هذا بشيءٍ مستغرب أبداً هذه الحقائق حُرِّفت وما هو بشيءٍ مستغرب، أنا أشير إلى مثال عملي وقع في حياتنا لا أريد أن أذهب بعيداً في أيام النظام البائد في العراق الذين يعرفون تأريخ الحكومة البعثية التي حكمت العراق والتي جاءت بعد انقلاب 17 تموز يعرفون التأريخ والتفاصيل أنا لا أريد الحديث هنا في هذا الموضوع فقط أشير إلى قضية واحدة، الصور الموجودة أول خطاب خطبهُ أحمد حسن البكر أول خطاب والصورة الأولى لقادة الانقلاب لزعماء الانقلاب مثل حردان التكريتي وسعدون غيدان وعماش وحماد شهاب وغيرهم أين كان يقف صدام في الصور، صور موجودة صدام حسين في أول خطاب

خطبه أحمد حسن البكر كان يقف في حاشية المكان يحمل رشاش كلاشنكوف وكان يلبس نفس هذا الزي الذي يلبسه أفراد الجيش الشعبي وكانت البدلة التي يلبسها غير مُنسجم قياسها مع بدنهِ مع جسمهِ والصورة واضحة يعني كان بمثابة حارس هذا في أول خطاب خطبه أحمد حسن البكر والصور موجودة يعني هذه ليست قضية مفتراة الصور الأيام الأولى للانقلاب موجودة وموجودة الوثائق وموجودة الكتب التي تحدثت عن هذا الأمر والصحف والمجلات موجودة، الخطاب الأول الذي خطبهُ البكر كان صدام يقف في حاشية المكان ورائه يحمل رشاش كلاشنكوف وكان يرتدي زيّاً كأزياء أفراد الجيش الشعبي وكانت البدلة التي يلبسها غير منسجم قياسها مع بدنهِ وهذا ماذا يكشف؟ يكشف عن أنهُ لا أهمية له لا قيمة له في القضية وحينما يقف قادة الانقلاب في الصور كان يقف خلفهم لا يُرى إلا من بعيد يعني لا وجود له لكن في السنين الأخيرة من حياتهِ ماذا كانت تُكتب الدراسات؟

كان بعض الدراسات تُكتب وتُمنح عليها شهادة الدكتوارة في جامعة بغداد والأفلام السينمائية التي أُنتجت وما كُتِب في الصحف والمجلات وما كان يُنشر في وسائل الإعلام بأن القائد الحقيقي والمفَجِّر الأساسي لهذه الثورة هو صدام، حُرِّفت كل الحقائق في فترة زمنية محدودة من 68 إلى بداية الثمانينات بدأ التحريف في الأحداث وتغيير الأمور من بداية الثمانينات لَمَّا صار رئيساً للجمهورية صار رئيساً للجمهورية سنة 79 من بداية الثمانينات إلى أن انقبر، غَيّر كل الأحداث وغَيّر كل الحقائق التي كانت موجودة على أرض الواقع وصار هو الرمز إلى أن وضع له 98 اسم اسمائهُ الحسنى كانت والعراقيون يعرفون ذلك يعني أقل من اسماء الله الحسنى، اسماء الله الحسنى 99 كان 98 اسم عنده من الاسماء الحسنى من اسمائهِ الحسنى فترة زمنية وبمرآى من الناس ووسائل الإعلام موجودة والصور موجودة وحُرِّفت كل الحقائق تمام الأمور حُرِّفت، مثل ما يعني خالهُ أيضاً خالهُ أيضاً خير الله طلفاح كان حينما كان يخرج في وسائل الإعلام ويتحدث عن حركة مايس التي حدثت في الأربعينات وهو ما كان بشيء ليس له أي قيمة حينما يتحدث عن حركة مايس ويتحدث عن أحداث الضُباط الأربعة صلاح الدين الصباغ ورفاقه وحركة رشيد عالي الكيلاني يتحدث وكأنه هو القطب واللولب في كل هذه الأحداث هو هذه أيضاً كُتبت ووضعت في كتب والكل المطلعون على حقائق التأريخ يعرفون البطلان في ذلك ولو استمر حكمهم لصارت هذه الأمور حقائق ثابتة وتتوارثها الأجيال وهذه قضايا نحنُ شهدناها في حياتنا اليومية فما بالك بقضايا مرَّ عليها المئات من السنين وحكومات تتوالى على نفس المنهج.

أنا فقط أشير إلى مثال من الأمثلة هذا هو تاريخ الطبري وهذا الجزء الأول، هذه الطبعة طبعة دار صادر بيروت صفحة: 333 أقرأ هذا النص يرويه بسندهِ الطبري – **عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم** – مكتوب صلى الله عليه

وسلم، قطعاً على طريقتهم يصلون الصلاة البتراء – **لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ – هذه الآية هي الآية: 214 من سورة الشعراء وهي من الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله – **لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ – عليٌّ يقول: – **دعاني رسول الله فقال لي: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم** – يعني أوضح لهم – **أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره** – تلاحظون هذا المعنى هو نفسهُ، نفس هذه القضية نفس هذا المضمون الذي جاء في سورة المائدة في ما نزل في كتاب الله في واقعة الغدير الآية السابعة والستون ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ القوم الكافرين الذين يعترضون على هذا الأمر.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ والله يعصمك من الناس: لأن الناسَ كانوا لا يقبلون بهذا الأمر بولاية عليٍّ، هذا الكلام نفسهُ في الإنذار الأول لأن هذا الكلام هنا في سورة المائدة هو الإنذار الأخير في بيعة الغدير أما في الإنذار الأول ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، **إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه** – يعني انقطعت عنه – **حتى جاءني جبرئيل فقال يا مُحَمَّد إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يُعذِّبك ربُّك فاصنع لنا صاعاً من طعام** – النبي يقول للأمير – **فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُساً من لبن** – عُس يعني إناء كبير قدح كبير من لبن – **واملأ لنا عُساً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أُمرت به** – الأمير يقول – **ففعلتُ ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامهُ أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلمَّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئتُ به فلمَّا وضعته تناول رسول الله حَذيَّة من اللحم** – حَذيَّة: قطعة، يعني أخذ قطعة من لحم الفخذ لأنه أمره أن يأتي برجل شاة بفخذ فأخذ حَذيَّة – **فلمَّا وضعتهُ تناول رسول الله حَذيّة من اللحم** – يعني قطعة من اللحم – **فشقها بأسنانهِ قطعها قطع ثم ألقاها في نواحي الصحفة** – الصحفة يعني القصعة التي وضع فيها الطعام – **ثم قال: خذوا بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيءٍ حاجة** – يعني حتى شبعوا – **وما أرى إلا موضع أيديهم وأيمُ الله الذي نفس عليٍّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت**

لجميعهم – لكن هذه معجزة، معجزة أراهم إياها – **ثم قال: اسقي القوم فجئتهم بذلك العُس فشربوا منه حتى رووا منهُ جميعاً وأيمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلمَّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدرهُ أبو لهب إلى الكلام، فقال: لقد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم** – قالوا إن هذا سحر أن يأتي بطعامٍ قليل وبشرابٍ قليل غاية ما فيه أن يكفي الواحد فيشرب ويرتوي هؤلاء الأربعون رجلاً إن هذا سحر – **لقد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إليّ، قال: ففعلتُ ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربتهُ لهم ففعل كما فعل بالأمس** – يعني أخذ قطعة وشققها وألقاها في نواحي الصحفة – **فأكلوا حتى ما لهم بشيءٍ حاجة ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العُس فشربوا حتى رووا منهُ جميعاً ثم تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومهُ بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم** – هذا كلام الطبري.

وهذا الكلام وعمر عليٍّ عشر سنوات في بداية الدعوة عمر عليٍّ إما عشر سنوات أو أحد عشر سنة وحتى على القول بأن عمره كان ثلاثة عشر سنة في بدايات عمره على القول بأن هذه الآية نزلت في السنة الثالثة من بعد البعثة فيكون عمره ثلاث عشر سنة – **فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلتُ:** – الإمام يقول – **وإني لأحدثهم سِناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً، أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه** – على هذا الأمر – **فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمركَ أن تسمع لأبنك وتُطيع** – هذا الكلام واضح طبعاً الطبري حينما ينقلهُ في تفسيرهِ يحرِّفهُ، نفس هذا الكلام لو كان الكلام عن تحريفات الطبري لجئتُ بكتاب الطبري لكن الكلام ليس في هذا الموضوع أنا جئت بهذه القضية مثال يعني قضية الوصية وقضية الخلافة ليس قضية فقط ذُكرت في المدينة وإنما من أول يوم، وهذا يؤيد الروايات التي تتحدث عن تكليف اليهود بنبوة النبي وبولاية علي.

قضية الوصية وقضية الخلافة وقضية الولاية هناك تحريف هذه القضية مذكورة من أيام مكة وهذا كتاب الطبري هناك مصادر أخرى كثيرة ذكرت هذا الكلام أنا قلت طبعاً الطبري في تفسيره نقل الحادثة وحرَّفها وحتى هي هذه الرواية فيها تحريف، التحريف أين موجود؟ في كلام أمير المؤمنين وأني لأحدثهم سِناً صحيح

هو أصغرهم سِناً كان عمره عشر سنوات أو إحدى عشر سنة وأرمصهم عيناً أرمصهم عيناً الرمص ما هو؟ هو هذه القذارة في العين، وأعظمهم بطناً طفل عمره عشر سنوات كيف يكون أعظم بطناً من هؤلاء الأبطال أمثال حمزة وغير حمزة، كيف تتصور هذه الصورة هذا التشويه، التشويه الأموي نحن عندنا في رواياتنا أن المعصوم لا يكون هناك رمص في عينيه حينما يجلس عند الصباح والروايات حتى في كتب المخالفين عن حليمة السعدية حينما كانت ترضع رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت تُرضع لها أخاً في الرضاعة فحينما تأتي إلى أخي رسول الله في الرضاعة عند الصباح تجد الرمص في عيني هذا الطفل أما رسول الله عند الصباح حينما تنظر إلى وجههِ وهو وضاء يُشرق نوراً وعيناه أنظف ما تكونان لأننا في رواياتنا نعتقد المعصوم صلوات الله عليه منزه عن هذه القذارات وعن هذه الأوساخ.

وأني لأحدثهم سِناً وأرمصهم عيناً يعني أكثر واحد في عينيه وساخة، أنظف الناس كان رسول الله وعليٌّ هو ربيب رسول الله منذُ نعومة أظفارهِ تربى في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وأنظف الناس ليس في جزيرة العرب في الكرة الأرضية في الوجود أنظف الناس رسول الله وهو الذي يأمر عليّاً أن يعد هذا الطعام تتوقع هذه الصورة في عيني علي!! هذا القذر وإني لأحدثهم سِناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً كان عمره عشر سنوات احدى عشر سنة كيف يكون أعظمهم بطناً، أعظم بطناً مثلاً من العباس بن عبد المطلب من الحمزة من أبي لهب ومن الباقين من الهاشميين الباقين من أبناء عمومة النبي من أقرباء النبي من عشيرة النبي هؤلاء الرجال كلهم وعليٌّ عمره عشر سنوات أو أحدى عشر سنة وهو أعظم بطناً، وأحمشهم ساقاً أحمشهم يعني أدقهم وهذه مواصفات وضعها الأمويون ودسوها في الكتب دسوا الكثير من التحريفات والكثير من الأمور دُست في كتب وحتى موجودة في كتبنا مثل هذه الأوصاف، أنا الآن لا أريد الحديث عن هذه التفصيلات لكن يقول – **وإني لأحدثهم سِناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً** – خُلاصة الكلام فماذا قال سيد الأوصياء؟ – **إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا** – هذا الكلام منذُ بداية البعثة يعني أن الدين نشأ على هذين الأساسين على نبوة مُحَمَّد وولاية علي وإنما قال هذا الكلام لعشيرتهِ باعتبار أن عشيرتهُ يتحملون هذا الأمر أكثر من غيرهم وقال هذا الكلام لخواصهِ من الذين آمنوا به وسلَّموا الأمر له وأذعنوا لِما يريد صلى الله عليه وآله.

وكان يطالب اليهود كما في الروايات التي مرت علينا بالإذعان بنبوتهِ وبولاية عليٍّ والأئمة لأن هذا الأمر قد أُخِذَ فيه الميثاق على اليهود وهذا وغيرهُ من القرائن ومن الوثائق ومن الحقائق تشير إلى حقيقة مضامين الروايات التي مرَّ ذكرها في الحلقات الماضية أو في هذه الحلقة لذلك هناك حقائق حُرِّفت حقائق غُيِّبت وهذا التركيز والتأكيد على موضوع السحر وأن النبي ساحر وأن الأئمة المعصومون سحرة هذا أيضاً من جملة الموضوعات ومن جملة القضايا التي لها ارتباط شديد بهذه المعاني التي بين أيدينا ولذلك اليهود بعد كل هذا

التحريف وبعد كل هذا التغيير أنا أشرت إلى قضية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ كيف أن القضية واضحة ومذكورة في كتب القوم منذُ الأيام الأولى للبعثة لكن كيف حُرِّفت وكيف بُدِّلت وكيف غُيِّرت إلى أن وصلت القضية إلى يوم الغدير وأُنكِر يوم الغدير فمن ينكر بعد ثلاث وعشرين سنة من الحث ومن الكلام ومن التبليغ وهذا يؤيد الرواية التي ذكرتها قبل قليل وهو أن النبي يقول بأن الملائكة أشرفهم أشدهم حُبَّاً لعلي وأن جبرئيل عن يمينه، الرواية التي مرت قبل قليل وأن النواصب قالوا بأننا نبرأ من ربٍّ ومن رُسلٍ ومن ملائكة يفضلون عليّاً هذا التفضيل، الآية التي مرت علينا قبل قليل ونحن نقرأ في سورة البقرة ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ وتتحدث عن أولئك النواصب وعن اليهود الذين تبرأوا من جبرئيل ومن ميكائيل ومن الملائكة ومن رسل الله وتبرأوا من ربٍّ يُفضِّلُ عليّاً صلوات الله وسلامه عليه بعد محمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

هذه الحقائق كلها يعضد بعضها بعضاً فإذا كانت الولاية والوصية والخلافة بُلِّغَ فيها منذُ اليوم الأول للبعثة وحُرِّفت هذه المعاني ثلاثة وعشرين سنة النبي يبلغ إلى آخر أيام حياته إلى آخر لحظة طلب منهم أن يأتوه بكتاب ليؤكد هذه الحقيقة ولكنهم قالوا بأن الرجل يهجر إن مُحَمَّداً يهجر وحسبنا كتابُ الله، وهذه كلمات عمر بن الخطاب معروفة في كتب الحديث وفي كتب التأريخ، حُرِّفت الحقائق وحُرِّفت الأمور ولذلك إلى أين تتجه الأمور في هذه الآيات؟ وصل الكلام إلى أن ما جاء به مُحَمَّد سحر ما جاء به علي سحر القصة التي اشرت إليها قبل قليل وهو شفاء ابن رئيسهم ابن رئيس اليهود من الجُذام والبرص وبعد ذلك إصابة أبيه بالجذام والبرص وغير ذلك من الأمور التي تقدم ذكرها في الحلقات السابقة وصلوا إلى هذه النتيجة كيف يقنعون الناس؟ قالوا هذا سحر فكما يعمل مُحَمَّدٌ وعليٌّ بالسحر فإننا سنعمل بالسحر.

آخر آية قرأناها ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وماذا فعلوا؟ على نفس السياق ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ انتقل الكلام الآن إلى السحر ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نستمر ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

﴿وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاَقٍ وَلَبِئسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾ هذه هي الآية الثانية بعد المئة من سورة البقرة والتي تتحدث عن السحر وعن أساليب السحر عند اليهود ومن تبع اليهود في هذه الأساليب تلاحظون السياق واضح الآية 101 ﴿وَلَمَّا جَاءهُم رَسُولٌ﴾ وهو مُحَمَّد ﴿مِّن عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم﴾ لتوراتهم ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ رموا الكتاب رموا كتاب الله وراء ظهورهم ﴿كَأَنَّهُم لاَ يَعلَمُونَ﴾ وماذا فعلوا؟ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلكِ سُلَيمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ إلى آخر الآية الثانية بعد المئة من سورة البقرة.

إذاً أين توجهوا؟ توجهوا إلى السحر وليس كما يقول بعض المفسرين بأن هذه الآية تتحدث عن اليهود الذين عاشوا في الأزمنة الماضية السياق واضح، الحديث عن اليهود الذين لم يصدقوا بالنبي الذي جاء بكتابٍ مُصَدِّقٍ لِما عندهم من الكُتب ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ فقالوا بأن مُحَمَّداً وبأن عليّاً ساحران وأنهما يعملان بالسحر كما كان سليمان يعملُ بالسحر فإن سليمان نال الملك بالسحر وإن مُحَمَّداً وعَلِيّاً يعملان بالسحر ولا غرابة في ذلك حينما يقرنون بين مُحَمَّدٍ وعلي فإن هذا الأمر كان واضحاً لديهم ألم يقل القرشيون إن هذا من سحر بني هاشم أصلاً نسبوا السحر إلى كل بني هاشم ليس فقط إلى مُحَمَّدٍ وعلي لكن اليهود نسبوا السحر إلى محمَّدٍ وعلي لعلمهما بأن الرسالة وأن الديانة تقوم على هذين القطبين وأن العقيدة تقوم على هذين الأساسين نبوة مُحَمَّد وولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأين توجهوا؟ توجهوا إلى السحر.

أنا لا أريد أن أدخل في تفاصيل كل الآية لكن بشكلٍ مجمل أشير إلى ما جاء في الآية الكريمة وإن شاء الله تتمة الحديث تأتينا في الحلقة القادمة. أولاً السحر الكلام هنا هل أن للسحر حقيقة؟ هل هناك شيءٌ أسمهُ: السحر؟ قطعاً هناك شيءٌ اسمهُ: السحر، نعم هناك الكثير من الناس يدّعون هذا الأمر نحن هنا لا نريد أن نتحدث عن ظاهرة اجتماعية أن هناك أناس يعتقدون بالسحر وهناك أناس يخدعون الناس بادعائهم بأنهم سَحَرة هذه مسألة أخرى الحديث هنا عن حقائق، هل هناك شيء أسمه السحر في هذه الحياة؟ نعم هناك شيءٌ أسمهُ السحر ولو رجعنا إلى الكتاب الكريم لوجدنا ستين آية من آيات الكتاب الكريم تتحدث عن السحر عن وجود السحر وعن وجود السَحَرة وعن وجود الأضرار المترتبة على السحر وعن وجود حلول لهذا السحر، هناك ستون آية في كتاب الله الكريم تتحدث عن السحر وما يتفرع عن هذا المعنى، هذا العدد

الضخم من الآيات يتحدث عن موضوع، هذا الموضوع لابد أن تكون له حقيقة لكن لا يعني أن كل من يدعي بأنهُ على علمٍ بالسحر فهو ساحر، نعم هناك شعوذة وهناك شعبذة وهناك أمور كثيرة وهناك ادعاءت باطلة وأكاذيب لكن هل هناك سحر؟ نعم هناك سحر.

أقرب المعنى لِما يُراد به السحر المعنى الحقيقي لهذا الكلام، الإنسان على هذه الأرض تحوط به مجموعة من العلائق مقصود من العلائق روابط فيما بين الإنسان وبين غيرهِ هناك مجموعة من الروابط هناك روابط داخلية وهناك روابط خارجية الإنسان يملك نوعاً من العلاقات التي يمكن أن نسميها العلاقات الروحانية، العلاقات الروحانية وهي علاقة الإنسان الدينية علاقتهُ بربهِ علاقتهُ بنبيه علاقته بأوصياء النبي علاقتهُ بالمؤمنين، العلاقات الدينية العلاقات الروحانية هذه العلاقات أيُّ علمٍ ينظمها ويقننها ويشرف عليها؟ علمُ الدين، العلوم الدينية، علم الدين هو الذي ينظم ويقنن العلاقات الروحانية للإنسان، علاقة الإنسان بالله علاقة الإنسان برسول الله علاقة الإنسان بالنبي وآل النبي علاقة الإنسان بالمؤمنين بقرنائه بإخوانهِ من أهل الإيمان، أنا أتحدث عن علاقة روحانية وليس عن علائق اجتماعية العلائق الروحانية التي ترتبط بالدين التي تكون سبباً لانتفاع الإنسان الديني لنفسه أو أن تكون سبباً لأن ينتفع الآخرون منه انتفاعاً دينياً هذه العلاقات الروحانية العلم المتخصص بها هو علم الدين العلوم الدينية.

هناك علاقات اجتماعية تربط الإنسان فيما بينه وبين الناس هذه العلاقات الاجتماعية من هو العلم المختص بها قد يكون علم الأخلاق قد يكون علم التربية قد يكون علم الاجتماع في باب العادات والتقاليد والأعراف هناك مرجعية وهناك علم وهناك ثقافة تحدد العلاقات الاجتماعية والبعض منها يحددهُ الفقه يتدخل الدين فيه وتأتي الأحكام الشرعية لتنظيم وتنسيق هذه العلاقات الاجتماعية فهناك مجموعة من العلوم مختصة بهذه العلاقات، العلاقات الاجتماعية. وهناك كذلك علاقة الإنسان بالأشياء المادية من حوله المركبات والعناصر، العلم الذي يستعين به الإنسان على معرفة علاقتهِ بهذه المركبات الكيميائية والعناصر هو علم الكيمياء وهناك علاقة الإنسان بنفسهِ وببدنهِ الإنسان مركب علم الطب هو الذي يكون مختصاً بهذه العلاقة البدنية والجسدية، هناك وهناك أنواع من العلاقات والروابط بين الأشياء.

وهناك نوع من العلائق يسمى بالعلائق الخفية هناك علائق وروابط بين هذه الوجودات غير هذه الأنواع من العلائق ولذلك هناك مجموعة من العلوم تسمى بالعلوم الغريبة تسمى بالعلوم الخفية تسمى بعلوم الأسرار ما تسمى بعلم الهيميا مثلاً أو بعلم الليميا أو بعلم الريميا وغير ذلك من هذه الفنون ومن هذه العلوم الغريبة وأيضاً من جملتها أيضاً يمكن أن نقول فن السحر، علم السحر قل ما شئت ليس مهماً التسمية والمصطلح هذه العلوم أو هذه الفنون أو هذه القضايا تعمل في هذا المجال في مجال العلاقات الخفية هناك نوع من العلاقات، علاقات خفية فيما بين الأشياء فيما بين الموجودات ولذلك القرآن الآن يشير إلى مثل هذه

القضية ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ ﴾ الحديث هنا ليس قضية وشاية أو نميمة أو أن يأتي أحد فيفرق بين المرء وزوجتهِ بمسائل حديث وكلام وافتراءات وأكاذيب، هنا الحديث عن سحر هناك وسائل سحرية يفرق بها بين المرء وزوجه الآية صريحة ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وَزَوجِهِ ﴾ هذا مثال من الأمثلة كما في الآية الكريمة فهناك حقيقة للسحر والسحر إنما يلعب الساحر في هذا الجانب في جانب العلاقات الخفية بين الأشياء وأنا لا أريد الخوض في هذه التفاصيل لأن البرنامج ليس خاصاً بهذا الموضوع ولكن لأن الكلام وصل إلى لجوء بني إسرائيل إلى السحر وإلى افترائهم على نبيهم سليمان وإلى افترائهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهُ يعمل السحر ولذلك لجأوا إلى السحر، فهل السحر حقيقة؟ السحر حقيقة له وجود لكن لا يعني أن كل من يدعي بأنهُ ساحر فهو ساحر.

وهذا السحر موجود منذُ العصور القديمة يعني ليس منذُ زمان سليمان منذُ أزمنة قديمة الروايات والأخبار تحدثنا بأنهُ في زمان الأنبياء السابقين حتى قبل إبراهيم في زمان النبي نوح عليه السلام في تلكم الأزمنة القديمة جاءت فترة زمانية بعد فترة النبي نوح انتشر فيها السحر بشكلٍ واسع ولا تستغربوا من ذلك الآن في بعض بلدان الخليج الآن في بعض بلدان الخليج ربما يمكن أن يُقال في كل زقاق في بعض المدن من بعض بلدان الخليج في كل زقاق موجود هناك من يشتغل بهذا الأمر أكان صادقاً أم كاذباً لا علاقة لي بذلك ولكن الناس يعرفون في كل زقاق في كل مكان في كل محلة هناك ناس يعملون بهذا الأمر يعملون بالسحر أكانوا صادقين أم كاذبين أقصد أن القضية قضية معروفة ليست القضية قضية خفية، في زمنٍ من الأزمان يعني منذُ زمان النبي نوح بعدَ الطوفان في مقطع زماني انتشر السحر بشكلٍ قوي طبعاً بحسب النصوص التأريخية وبحسب النصوص الدينية أين كان الموطن الأول للبشرية؟ الموطن الأول للبشرية هو العراق آدم نزل في العراق وأنتم تزورون آدم عليه السلام في النجف ونوح أيضاً مدفونٌ في النجف – **السَّلامُ عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح وجاريك هودٍ وصالح** – وهود وصالح أيضاً من الأنبياء الأوائل أين دفنوا مدفونون في النجف ومزاراتهم معروفة، الأرض التي نزل فيها الإنسان في العراق والطوفان حدث في العراق وحركة السفينة كانت من مسجد الكوفة، وهذه القضايا مبسوطة في الروايات أنا لا أريد الحديث عن كل هذه التفاصيل فكان مستقر أبناء نوح أين استقروا؟ استقروا في العراق كان مستقرهم في العراق.

بعد نوح انتشر السحر وفي زمن نبيٍ من الأنبياء في ذلك الزمان الذي انتشر فيه السحر الله سبحانه وتعالى أنزل على ذلك النبي اثنين من الملائكة يعينانه في تعليم الناس كيف يتخلصون من أضرار هؤلاء السَحَرة فأنزل المَلَكين هاروت وماروت أين نزلا؟ نزلا ببابل، وبابل العراق صحيح هناك منطقة في إيران تسمى بابُل في الجهة الشمالية من إيران وبعض المفسرين قالوا بأن بابل المقصودة هنا هي بابُل التي هي في شمال إيران

ولكن هذا الكلام ليس دقيقاً وليس صحيحاً بابُل هذه هي بابُل العراق، فأنزِل الملكان، الله أنزل المَلكين هاروت وماروت وليس كما في بعض الأخبار من أن هاروت وماروت نزلا إلى الأرض وزنيا بامرأة اسمها الزهرة وهذه قصة لها تفصيل وشربا الخمر وفعلا ما فعلا الملائكة منزهون عن ذلك وإنما الله سبحانه وتعالى أنزل هذين المَلكين على ذلك النبي الذي عاش في العراق، عاش في منطقة بابل طبعاً في كتب التأريخ يقولون إنها سميت بابل لأن الألسنة تبلبلت فيها لأن أبناء نوح كانوا يتكلمون لغة واحدة وكان المعروف أنهم يتكلمون السريانية أو لغة قريبة من السريانية وإن كان البعض يقول بأنهم كانوا يتكلمون العربية على أي حال، لكن المشهور أنهم كانوا يتكلمون السريانية فَكَثُر عددهم وزاد الاختلاف فيما بينهم على الأرض وعلى الماء وعلى الزراعة في يوم من الأيام الله سبحانه وتعالى أراد أن تجري حكمتهُ فيهم جلسوا عند الصباح كل مجموعة تتكلم بلغة واختلاف الألوان والألسنة هي من آيات الله سبحانه وتعالى لذلك تفرقوا في الأرض، يُقال سميت بابل لأن الألسنة تبلبلت فيها وعلى أي حال هذا الموضوع خارج عن بحثنا وإنما الكلام جر الكلام فأشرت إلى ذلك.

فأنزل الله سبحانه وتعالى هاروت وماروت على ذلك النبي كي يعينا النبي في مواجهة السحر وكي يُعلما الناس كيف يتخلصون من ضرر السحر، هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، لذلك اليهود ماذا فعلوا؟ انتفعوا من المعلومات الموجودة والمُثبّتة في بعض الكتب التي كانت عندهم والتي نُقلت عن الملكين هاروت وماروت لأن هاروت وماروت كيف يعلمان الناس الخلاص من السحر؟ لابد أن يقولا بأن الساحر يفعل معكم كذا وكذا وعلاج هذا كذا وكذا، فهناك من انتفع من هذا التعليم ترك العلاج وأخذ الطريقة التي يعمل بها الساحر، هناك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول: **ما كان يقوم هاروت وماروت مثل الذي يعلم الناس كيف يتخلصون من ضرر السم**، يعني الآن الإنسان لَمَّا يدرس السموم أليس يدرس تركيبة السموم ومن أين تنشأ وكيف تُصنع وكيف تكون، هناك سموم نباتية هناك سموم تستخرج من باطن الأرض من التركيبات والمعادن سموم كيميائية أنواع من السموم موجودة فلابد أن يدرس أنواع السموم هذه ثم يبحث عن أسباب العلاج عن الترياق فإذاً الذي يعالج السموم لابد أن يكون عارفاً بأسرار السموم وبكيفية صناعتها وبمدى أضرارها وحينما يريد أن يُعلم الآخرين كيف يتخلصوا من أضرار السموم لابد أن يعلمهم طبائع هذه السموم وتراكيب هذه السموم، الآن مثلاً معروف في دول العالم أن بريطانيا الدولة الأولى الأكثر خبرةً والأكثر دقةً والأكثر حنكةً أطبائها مستشفياتها هناك مستشفيات هناك متخصصون في معالجة السموم لذلك الشخصيات الكبيرة التي تتعرض لمثل هذا الأمر تجلب إلى بريطانيا لإعطاءها الترياق، معروف منذُ زمن بعيد البريطانيون معروفون بمعالجة السموم، كيف تمكنوا أو طوروا هذه القضية ما لم يدرسوا تراكيب السموم وخصائص السموم وكيف تُصنع حتى يتمكنوا من إيجاد الترياق المعالِج والمُضاد للسموم،

فحينما انتشر السحر حينما نزل الملكان وتصورا بصورة رجلين الملائكة إذا نزلوا إلى الأرض وأرادوا أن يتعاملوا مع البشر لابد أن يتصوروا بصورة الآدميين، فتصور هذان الملكان بصورة آدميين في منطقة بابل وبدأ يعلمان الناس كيف يتخلصان من أضرار السحر فلابد أن يُعلما الناس كيف يفعل الساحر وكيف يُبطل عمل ذلك الساحر، اليهود ذهبوا إلى الشطر الأول مما علم هاروت وماروت الناس وأخذوا يعملون بهذا فهناك مصدران من مصادر السحر لليهود، المصدر الأول: هو هذا ما علم به هاروت وماروت الناس، والمصدر الثاني: ما كتبه إبليس في كتاب، روايات عندنا إن إبليس كتب كتاباً أودع فيه الكثير من معاني السحر ووضع هذا الكتاب دفنهُ تحت عرش سليمان وبعد أن توفي سليمان بطريقةٍ وبأخرى إبليس دلَّ اليهود على هذا الكتاب فلمَّا أخرجوا الكتاب وجدوا مكتوب على هذا الكتاب: هذا ما كتبه آصف بن برقيا، وهو وصيُ سليمان والذي كان يفعل العجائب الذي نقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين لذلك الآن هناك بعض الكتب موجودة يتناقلها هؤلاء الذين يدعون السحر يقولون هذا كتاب آصف بن برقيا مثلاً فيه مجموعة من الأمور ومجموعة من الأعمال.

الروايات تقول عن أئمتنا إن إبليس كتب كتاباً وضع فيه قواعد السحر وكتب عليه هذا ما كتبهُ آصف بن برقيا لسليمان فاليهود ماذا كانوا يقولون؟ يقولون إن آصف وسليمان يعملان بالسحر ولذلك قالا هذا الكلام عن مُحَمَّدٍ وعلي فقالوا بأن مُحَمَّداً وعليّاً يعملان بالسحر، قضية مترابطة القضية واضحة إبليس بطريقةٍ وأخرى دلهم، طبعاً الكلام عن إبليس يحتاج إلى حديث طويل في الآيات التي يأتي فيها ذكر إبليس نتحدث عن إبليس وعن شؤوناتهِ بحسب ما جاء في روايات أهل البيت، فدل اليهود بطريقة وبأخرى على هذا الكتاب فاليهود لَمَّا وقع بأيديهم هذا الكتاب قالوا بأن سليمان وآصف ما وصلا إلى ما وصلا إليه من هذه الآيات العجيبة التي كانت تظهر على أيديهما إلا من طريق هذا السحر ومن هنا اليهود أخذوا هذين المصدرين أساساً للسحر والآية تتحدث عن هذا الأمر ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ سليمان ما كفر ما كان ساحراً فإن الساحر كافر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ هذا السحر الذي يقولون بأنهُ من آصف ومن سليمان كتبه إبليس وسنأتي على تفصيل الآية في الحلقة القادمة لكنني أردت أن أعطيكم صورة إجمالية والتفصيل يأتينا في الحلقة القادمة إن شاء الله ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ والمصدر الثاني ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ يعني أن بني إسرائيل اتبعوا ما تتلوا الشياطين وماذا؟ ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ يعني أن مصدر السحر هذان

الأمران ﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ والأمر الثاني ﴿ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ وقد حاولوا سحر النبي لكن النبي لا يُسحر.

الروايات في كتب المخالفين بأن النبي سُحِر، والرواية عن عائشة بأنه كان يتوقع، كان يعتقد بأنهُ قد فعل كذا وكذا وهو ما كان قد فعل، اليهود حاولوا أن يسحروا النبي أكثر من مرة لكن ذلك لم يؤثر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما هذه الآية الموجودة في آخر القرآن الكريم في سورة الفلق، حينما نقرأ سورة الفلق ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ من شر النفاثات في العُقد: هو نوعٌ من أنواع السحر، عُقدٌ يعقدها الساحر وينفث فيها نفثة ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ واليهود جمعوا هذين المعنيين فهم حسدوا رسول الله وهم نفثوا في العُقد وحاولوا أن يسحروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنهم ما نجحوا وما وفقوا في ذلك لأن النبي لا يمكن أن يُسحر لكنهم ماذا فعلوا؟ اتهموه بالسحر.

وهذا الإتهام بقي مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دائماً، الأمويون يقولون هذا من سحر بني هاشم، هذا من سحر ابن أبي كبشة يشيرون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من سحر مُحَمَّد هكذا كانوا يقولون، بقيت هذه القضية موجودة على طول الخط تُنسبُ إلى النبي وتُنسبُ إلى الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقت البرنامج طال بنا كثيراً أكتفي بهذا القدر وتتمة الحديث إن شاء الله تأتينا في الحلقة القادمة ألتقيكم إن شاء الله على مودة مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

الحلقة الرابعة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١٠٢ الى الآية ١١٠

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقة الرابعة بعد العاشرة من برنامج قرآننا، لا زال كلامنا متواصلاً في سورة البقرة والحديثُ لا زال في الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وصلنا إلى الآية الثانية بعد المئة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

الآية التي قبل هذه الآية كانت تتحدثُ عن بني إسرائيل وماذا كان موقفهم من رسول الله ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ يعني مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ بما في توراتهم وفي كتبهم ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ هذا أحبارهم نبذوا الكتاب وراء ظهورهم ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ نبذوا توراتهم فإنهم لم يعملوا ولم يتصرفوا ولم يخبروا الناس الحقائق بل حرَّفوها ونبذوا القرآن أيضاً بعد أن تبينت لهم الآيات البينات ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وماذا فعلوا؟ ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ لأنهم بعد أن حرَّفوا التوراة ماذا قالوا لقومهم؟ قالوا بأن مُحَمَّداً وعلياً إنما يعملان بالسحر كما كان سليمان ووصيه آصف بن برقيا يعملان بالسحر وتقدم الكلام في هذه القضية أنا فقط أشرت إلى هذه المسألة الوجيزة لأجل أن يترابط الكلام فيما بين الحلقة الماضية وهذه الحلقة ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ توجهوا إلى السحر قالوا بأن مُحَمَّداً وعلياً

يعملان بالسحر فنحن إذا أردنا أن نتخلص من كيدهما وأن نتخلص مما يريدان أن نعمل في مواجهة مُحَمَّدٍ وعليٍّ بالسحر فاتبعوا أي طريق؟! لجأوا إلى السحر، السحر الذي عندهم كان متأتياً من طريقين:

الطريق الأول بحسب ما جاء في الروايات إن إبليس كتب كتاباً في السحر ثم كتب على ظهرِهِ يعني على غلاف الكتاب عنوان الكتاب: هذا ما كتبهُ آصف بن برقيا للملك سليمان بن داوود من ذخائر العلوم، وكتب فيه من أراد أن يعلم كذا أن يصل إلى كذا فعليه أن يفعل كذا وكذا فكتب السحر في هذا الكتاب وأخفاهُ تحت عرش سليمان، بعد موت سليمان بمدةٍ من الزمن جاءهم بحيلة وحيلة حتى دلهم على ذلك المكان فلمَّا استخرجوا الكتاب وقرأوا ما فيه قالوا إن سليمان وإن آصف كانا يعملان بالسحر وهكذا ما كان يصدر منهما من المعجزات ما كان يصدر منهما من الأشياء الخارقة التي لا يستطيع عامة الناس أن يفعلوها ما كانت من عند الله بآياتٍ وبمعجزات وإنما استعملوا السحر فملكوا أمر الناس، فشاع هذا الكتاب بين الناس وإلى الآن توجد في المكتبات بعض الكتب التي تنسب إلى السحر أو يقال إنها من كتب السحر مكتوب عليها هذا كتاب آصف بن برقيا.

الطريق الثاني الذي أخذوا منه السحر هو ما جاء من طريق الملكين هاروت وماروت، الروايات تقول بعد زمان النبي نوح عليه السلام بفترة شاع السحر وانتشر السحرة في كل مكان والمشعوذون ويصل إلى الناس قطعاً بسبب ذلك أذىً عظيم حينما يكثر السحرة وينتشر السحر على مستوى الثقافة على مستوى العلاقات الاجتماعية فيما بين الناس، على مستوى الصداقات، على مستوى العداوات، على مستوى العلاقات الأسرية، فحينئذٍ سينتشر الفساد ويتأذى الكثير من الناس، نبي ذلك الزمان أراد أن يصلح الوضع، الله سبحانه وتعالى أنزل عليه ملكين من السماء هما هاروت وماروت، وهو طلب منهما النبي كي يعيناه فتصورا بصورة بشرين وذهبا بين الناس يعلمان الناس أساليب السحر إن السحرة يفعلون كذا وكذا لأجل كذا فإذا فعلوا كذا وكذا لأجل كذا فإنكم عليكم أن تواجهوهم بالأمر الفلاني افعلوا كذا وكذا، كانوا يبينون الأمر للناس كيف أن السحرة يفعلون وما هو العلاج، كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **من يريد أن يدفع غائلة السم لابد عليه أن يعرف السم وأضراره**، أن يعرف نوع السم أن يعرف ضرر السم ثم بعد ذلك حتى يتمكن من أن يوجد له الترياق الدافع لغائلتهِ والدافع لضررهِ، الملكان هاروت وماروت وكانا ببابل، بابل التي في العراق ومرَّ الحديث عن هذا قلت بأن بعض المفسرين قالوا هي بابل الموجودة في شمال إيران ولكن القرائن الموجودة، القرائن التأريخية الروايات تدل على بابل العراق لأن نوحاً والأقوام الذين جاؤوا من بعدهِ كانوا يسكنون العراق وتكلمت في هذا الموضوع لا أعيد الكلام مرة ثانية.

فكان هاروت وماروت يعلمان الناس أساليب السحر وكيف يمكن الخلاص منها وكان هناك من الناس من يستفيد من هذا التعليم بشكلٍ معاكس لأنهم يعلمان الناس أساليب السحر فكان هناك من الناس من

يتعلم منهما أساليب السحر، وهذه كُتبت أيضاً ووصلت إلى يد اليهود، السحر الذي كان بيد اليهود الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وآله كان قسم من السحر من الكتاب الذي كتبه إبليس وزوره وكتب عليه بأنه هذا كتاب آصف بن برقيا ومن التعليمات التي علمها هاروت وماروت للناس لأجل الخلاص من السحر، من هذين الطريقين أخذ اليهود السحر.

وبدأ يعملان بالسحر لمواجهة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحوادث كثيرة لمحاولة اليهود سحر النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ما تتلوا يعني ما تقرأ وإن كان في بعض التفاسير قالوا ما تتلوا يعني ما تكذب ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ماذا تلت الشياطين؟ الشياطين تلت، قرأت الشياطين من شياطين الجن والإنس لأن مُلك سليمان كان فيه الأعوان من الجن ومن الإنس والشياطين من شياطين الجن والأنس ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ يعني اليهود اتبعوا ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ما تتلوا الشياطين يعني ما تقرأ الشياطين في كتاب إبليس على مُلك سليمان ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ لأنهم كانوا يتصورون بأن سليمان كان يقرأ على مُلكه لأجل تحصيل المُلك ولأجل بسط سلطتهِ كان يعمل بالذي كتبه إبليس في ذلك الكتاب الذي عنونه: هذا ما كتبه آصف بن برقيا، اليهود اتبعوا ما قرأه الشياطين في ذلك الكتاب لأي شيءٍ قرأوه؟ قرأوه لأجل أن ينالوا مُلكاً كما نال سليمان ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ما تقرأ الشياطين على أي شيءٍ؟ على ملك سليمان لأجل أن يحصلوا مُلكاً كملك سليمان ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ومرت القصة كيف أن اليهود كانوا يدعون بأن سليمان وآصف كانا يعملان بالسحر وتلاحظون الترابط سليمان نبي وآصف وصي ومحَمَّدٌ نبي وعليٌّ وصي فقالا إن علياً ومُحَمَّداً يعملان بالسحر كما يعمل سليمان وآصف ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ما تقرأ الشياطين في كتاب إبليس على ملك سليمان لأجل أن ينالوا مُلكاً كملك سليمان هكذا يتصورون.

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما كفر هنا الآية تشير إلى أن السحر كفر ولذلك في بعض الروايات، الروايات تصف الساحر بأنهُ كافر، ووصفتهُ كافر لعمله بالسحر فهذا يعني إن السحر إنما هو كفر درجة من درجات الكفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي أنهُ وما كان سليمان يعمل بالكفر يعمل بالسحر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾

الشياطين هم الذين عملوا بالسحر الذي كتبه إبليس في ذلك الكتاب المزور ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ اليهود اتبعوا واو الجماعة هنا يعود على اليهود واتبع اليهود ما تتلوا الشياطين، ما تقرأ الشياطين، ما قرأتهُ الشياطين في كتاب إبليس ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ لأنهم كانوا يتصورون أن سليمان قرأ هذه الأشياء على ملكهِ كي يحصنهُ ويوسعهُ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما عمل سليمان بالسحر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ كيف كفروا؟ ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ومن هنا الكفر المراد منه السحر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ هذا الأمر الأول الذي من خلالهِ وصل السحر إلى اليهود.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ هذا الطريق الثاني الذي من خلالهِ وصل السحر إلى اليهود ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وتحدثت عن قصتهما قبل قليل ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ هاروت وماروت لَمَّا أمرهما نبي ذلك الزمان أن يتصورا بصورة البشر وأن يتحركا بين الناس لتعليم الناس أساليب السحر لأجل الخلاص منها وما هو العلاج لدفع السحر ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ من الناس في ذلك الوقت ﴿حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ يعني هذا الأمر الذي نعلمكم إياه هو صحيح فيه جانب لخلاصكم لكن ايضاً إذا أستعمل في جانب الشر فإن ذلك سيقودكم إلى الكفر سيقودكم إلى الضلال لأنه العلوم والآلات والوسائل والكثير من الأمور الموجودة في الحياة إن لم تكن كل الأشياء الموجودة في الحياة المعارف، العلوم، الوسائل، الآلات، المطالب الحياتية المختلفة لها وجهان وجه يمكن الانتفاع بها ووجهٌ يمكن الإضرار بها كالسكين يمكن لهذه السكين أن ينتفع منها الإنسان ويمكن أن تكون سبباً لضررهِ كأي مادةٍ أخرى في الحياة يمكن الانتفاع منها ويمكن أيضاً أن تكون سبباً للإضرار، كل الآلات كل الوسائل الآن هذا الجهاز الذي أنتم تنظرون إليه جهاز التلفاز يمكن أن يكون سبباً للفائدة ويمكن أن يكون سبباً للمضرة.

فما كان يقوم به الملكان هاروت وماروت بسبب الفساد الذي انتشر بين العباد وفي البلاد يعلمون الناس السحر لأجل أن يتخلص الناس من غائلة السحر لكن في نفس الوقت يمكن للناس أن يستعملوا هذا الأمر في جانب المضرة لذلك هم حينما يعلمون الناس يبيّنون لهم هذه الحقيقة ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني لا تعمل بالسحر تلاحظون بأن الكفر بقي وصفاً واسماً للسحر على طول الآية ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ الناس يتعلمون من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ الناس يتعلمون من

الملكين كيف أن السحرة يقومون ببعض الأعمال التي تؤدي إلى التفريق بين المرء وزوجه فيقولون بأن السحرة يفعلون كذا وكذا وعلاج هذا الأمر ودفعهُ بكذا وكذا لكن الذين يريدون أن يستخدموا السحر في الجانب السيئ يأخذون القسم الأول من الكلام فيعملون به للتفريق بين المرء وزوجه ومن هذه الأمور انتفع اليهود ووصل السحر إليهم من هذا السبيل ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ المرء يعني الرجل لأن الأنثى يقال لها المرأة المرء هو الرجل وزوجهِ الزوج هنا هي الزوجة هي الأنثى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لأنه هناك من السحرة من يتصور أو يعتقد بأنه بسحرهِ يستطيع أن يتجاوز على السنن والقوانين الموجودة في الكون التي وضعها الله سبحانه وتعالى ومن هنا يأتي الكفر.

الكفر في السحر يأتي من عدة جهات من الجهة الأولى التي يعتقد بها بعض السحرة بأن السحر هو تصرف في القوانين والسنن الكونية وكأن السحر هو الحاكم على هذه القوانين والسنن الكونية التي وضعها الله والأمر ليس كذلك إنما كل ما يجري في هذا الكون إنما هو بأذن الله سبحانه وتعالى في ضمن قوانين أخرى هناك قوانين تكون حاكمة على قوانين أخرى مثل ما عندنا المعجزة هي قانون، قانون يكسر القانون الاعتيادي القانون الذي اعتادهُ الناس هناك فوقهُ قانون وهو قانون المعجزة قانون المعجزة الذي يعمل به الأنبياء هو كسرٌ للقانون الرتيب الاعتيادي هو عمل بقانون وسنة إلهية، تأثير السحر أيضاً يدخل في هذا الجانب في ضمن قوانين أخرى تكون فوق القوانين الاعتيادية وهذا موضوع يحتاج إلى بسطٍ في القول فيه لا أريد التطرق إليه ولكن قلت بأن الكفر يأتي إلى السحر من هذه الجهة. ومن جهةٍ ثانية الجهة الثانية هو العبثُ الذي يقوم به الساحر فيما بين الناس من العلائق، فيما بين الناس من الأمور، فيما بين الناس من الأشياء التي ترتبت حياتهم على أساسها. وكذلك الجهة الثالثة الأضرار المترتبة، هناك عدة جهات يأتي الكفر ويتسرب الكفر من خلالها إلى السحر ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لأن الضار والنافع هو الله سبحانه وتعالى لا يوجد في الوجود ضارٌ ولا نافع لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى الضار هو الله والنافع هو الله ومن اسمائهِ الحسنى الضار والنافع جلت قدرته وتعالى شأنه.

﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ الناس يتعلمون ونفس الشيء اليهود ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يعني الملكان هاروت وماروت يعلمان الناس الوجهين، يعلمان الناس وجه المضرة من السحر وكيف يُدفع وهو وجه النفع لكن هؤلاء الناس الذين أساؤوا استعمال هذا الأمر إلى أين يذهبون؟

يذهبون إلى الاتجاه الذي يضرون به أنفسهم ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُم﴾ يتركون المسائل التي هي لأجل دفع السحر يتشبثون بما يكون في طريق السحر ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنفَعُهُم وَلَقَد عَلِمُوا﴾ مع أنهم يعلمون ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ من اشتراهُ يعني الذي اشترى السحر واشترى السحر المقصود يعني الذي تعلق به أحبه باعتبار الإنسان لا يشتري شيئاً إلا إذا كان يريدهُ ولابد أن يدفع شيئاً في مقابل الشراء ﴿وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ﴾ خلاق: يعني نصيب يعني حظ فهم يعملون بالسحر مع أنهم يعلمون إن الذي يشتري هذا السحر يتعلق به يبحث عنه يذهب وراءهُ ليس له في الآخرة من خلاق لأن ذلك يُغضب الله سبحانه وتعالى والشيء الذي يُغضب الله سبحانه وتعالى ليس له من نصيب في الآخرة ليس له من حظ في الآخرة.

﴿وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم﴾ شروا يعني باعوا ولبئس هذه الصفقة أنهم باعوا أنفسهم الثمن هم أنهم خسروا أنفسهم ما هو المثمن؟ المثمن السحر ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا﴾ ما باعوا ﴿بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾ لو كانوا يعلمون الحقائق ولو كانوا يعلمون الهدى ولو كانوا على بصيرةٍ من إيمانهم من دينهم لَمَا فعلوا ذلك أن باعوا أنفسهم أن خسروا أنفسهم في مقابل ماذا؟! في مقابل أن تعلموا شيئاً من السحر للإضرار بالآخرين أو لتحصيل بعض المنافع كما يتصورون منافع دنيوية محدودة وهذا هو الذي فعلهُ اليهود، الآية هنا تتحدث عن السحر وعن السحرة بنحوٍ عام وعن الطرق التي جاء من خلالها السحر ووصل إلى أيدي الناس وتتحدث كذلك عن اليهود فاليهود إنما وصل إليهم السحر أولاً من طريق إبليس في كتاب آصف بن برقيا المزور، وثانياً من طريق تعاليم هاروت وماروت لإنقاذ الناس ولإصلاح المجتمع لا لإفسادهِ ولكن الأمور أسيء التصرف فيها فماذا فعلوا؟ أخذوا الجانب السيء من هذه الأمور وعملوا بها وأثروا في الناس وأشاعوا الفساد في الناس وبذلك ماذا باعوا وماذا أشتروا؟! باعوا أنفسهم ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم﴾ وماذا اشتروا؟ اشتروا هذا السحر وما يترتب عليه ﴿وَلَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ﴾ من حظٍ ومن نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنفُسَهُم لَو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾ .

ثم تستمر الآيات وهي تتحدثُ عن بني إسرائيل، عن اليهود في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية التي بعدها ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا وَاتَّقَوا﴾ لو أنهم لم يعملوا بالسحر، الكلام مع اليهود والآيات مترابطة أنا

قلت بأن اليهود قالوا بأن مُحَمَّداً وعلياً يعملان بالسحر لذلك نحن سنعمل بالسحر لمواجهتهم وإنما وصل إليهم السحر من هذه الطرق التي مر الكلام عنها فبدأوا يعملون بالسحر، القرآن ماذا يقول؟

﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا﴾ آمنوا بِمُحَمَّد، لو أنهم لم يعملوا بالسحر لم يلجأوا إلى السحر لم يلجأوا إلى هذه الأساليب التي توقعوا من خلالها أن يؤثروا في دين النبي في رسالة النبي ولكنهم ما صنعوا شيئاً النبي لا يُسحر ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا واتَّقَوا﴾ صحيح أنهم بحيلهم بخباثتهم استطاعوا أن يقيموا علائق مع المشركين أن يقيموا علائق مع المنافقين يقيموا علائق مع بعض صحابة النبي كما يقال لهم باعتبار أنهم صَحِبوا النبي وانتفعوا من ذلك في أي شيءٍ؟ في معاداة رسول الله في معاداة أهل بيته وهناك شواهد في التأريخ كثيرة على ذلك ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا﴾ آمنوا بِمُحَمَّد ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا واتَّقَوا﴾ وعملوا التقوى هي العمل بالإيمان ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا واتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ﴾ المثوبة هو الجزاء ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّن عِندِ اللَّهِ خَيرٌ﴾ لكانت هذه المثوبة والمنفعة والشيء الذي ينالونه بسبب إيمانهم بِمُحَمَّدٍ وبسبب عملهم بما يريد منهم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لنالوا مثوبةً هذه المثوبة هي خيرٌ مما نالوه بعملهم بالسحر ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا واتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ مِّن عِندِ اللَّهِ خَيرٌ﴾ خير من أي شيءٍ؟ خير مما قاموا به بعمل السحر ﴿لَّو كَانُوا يَعلَمُونَ﴾، ﴿وَلَو أَنَّهُم آمَنُوا واتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ﴾ المثوبة هو الجزاء ﴿مِّن عِندِ اللَّهِ خَيرٌ﴾ مما عملوا.

﴿لَّو كَانُوا يَعلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ هنا الآية التفتت في الخطاب للمؤمنين وهذه هي أول آية في القرآن الكريم تخاطب المؤمنين بهذا الخطاب الآيات السابقة من بداية سورة الفاتحة ﴿بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ * الحَمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ بعد ذلك شرعنا في سورة البقرة من بدايتها إلى هذه الآية يعني إلى أن تمت الآية الثانية بعد المئة والآية الثالثة بعد المئة شرعنا في الآية الرابعة بعد المئة الآية الرابعة بعد المئة تبدأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذا أول خطابٍ للمؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ في الكتاب الكريم هناك مواطن كثيرة يأتي الخطاب يا أيها الذين آمنوا، وقطعاً الخطاب يا أيها الذين آمنوا له أكثر من أفق، هناك أفق في الروايات أنه ما من آيةٍ في كتاب الله ابتدأت بيا أيها الذين آمنوا إلا وعليٌّ أميرها وسيدها هذا في أفق من الأفاق لكن في أفاق أخرى هذه الآيات في بعض الأحيان تخاطب يا أيها الذين آمنوا لا بمعنى الإيمان على الوجه الحقيقي وإنما بمعنى التصديق بمعنى الإسلام وبمعنى الإذعان للنبي بالجملة هناك فارقٌ بين

الإسلام والإيمان هناك أُناس أسلموا ويسلمون وهناك أناس آمنوا ويؤمنون والإيمان أعلى درجة من الإسلام، الإيمان هو الدرجة الأخص في الإسلام، في بعض الأحيان يأتي الخطاب يا أيها الذين آمنوا الخطاب لعامة من آمن بالنبي ولو على درجة الإسلام، يعني بشكلٍ عام لكل أتباع النبي وهذه الآية من جملة الآيات التي كانت تخاطب أتباع النبي بشكلٍ عام الذين أسلموا أو الذين آمنوا لأن الخطاب هنا لكل الذين كانوا مع النبي في المدينة والذين كانوا مع النبي في المدينة منهم من كان في درجة الإسلام ومنهم من كان في درجة الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذا المطلب بحاجة إلى بحث أكثر من هذه الإشارة لكن المقام لا يكفي للتفصيل في كل هذه الجزئيات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ الخطاب في الآيات السابقة كان مع اليهود والحديث عن اليهود الآن القرآن التفت يخاطب أتباع النبي في المدينة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هنا الحديث عن الكافرين وقبل قليل كان الكلام عن السحر ووصف السحر بأنهُ كفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ واليهود كانوا يعملون بالسحر فينطبق عليهم وصف الكفر من هذه الجهة ومن جهاتٍ أخرى هناك جهة ثانية أيضاً ينطبق على اليهود وصف الكفر والذي أشارت إليه هذه الآية ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني ولليهود عذابٌ أليم الآية ماذا تقول؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ الآية تتحدث عن حالة اجتماعية في المدينة، المسلمون أتباعُ النبي صلى الله عليه وآله من كان منهم في درجة الإسلام أو من كان منهم في درجة الإيمان أتباع النبي كانوا يخاطبون النبي صلى الله عليه وآله يخاطبونه بهذه اللفظة يقولون راعنا يطلبون الرعاية، راعنا يا رسول الله وكأنهُ نحوٌ من انحاء التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كانوا يخاطبون النبي فيقولون يا رسول الله راعنا، راعنا من الرعاية أي إننا بحاجةٍ إلى رعايتك أي إننا بحاجةٍ إلى لطفك أي إننا بحاجةٍ إلى أبوتك أرعانا يا رسول الله، أرعانا والتفت إلينا والتفت إلى أمورنا والتفت إلى حوائجنا واستمع إلينا فإن عندنا كذا وكذا من القول هذا المراد من راعنا يطلبون الرعاية وهو نوع من أنواع أساليب الأدب في التعامل، الإنسان حينما يخاطب شخصاً عالي المقام فيقول له راعني يطلب منهُ الرعاية هو نوع من أنواع التأدب نوع من أنواع التوسل فهم يطلبون الرعاية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الآية تنهى المؤمنين، يا أيها الذين آمنوا، تنهى أتباع النبي عن أن يخاطبوا رسول الله بهذا الخطاب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ النهي عن اللفظة لا عن المعنى ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ انظرنا نفس المعنى راعنا وانظرنا النهي هنا ليس عن المعنى انظرنا أيضاً لَمَّا تقول لشخص أنا تحت نظرك فانظر إلي بعين اشملني برحمتك اشملني بعطفك اشملني باهتمامك، المعنى اللغوي راعنا وانظرنا نفس الشيء لا يوجد فارق في المعنى اللغوي، إذاً لماذا الآية تنهى عن استعمال اللفظ، فقط اللفظ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ واسمعوا لكلامهِ لكلام رسول الله، أنتم حينما تقولون انظرنا يا رسول الله ورسول الله يلتفت إليكم، رسول الله يخاطبكم فاسمعوا إليه وهذا هو جزء من الاحترام جزء من الأدب وإلا كان هناك من المسلمين من كان يسيء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

حينما نقرأ مثلاً في سورة الحجرات في الآية الثانية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب أيضاً مع الذين آمنوا والخطاب في هذه الآية لنفس الذين خوطبوا في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخطاب هنا بشكلٍ عام لأتباع النبي وإلا الذين بلغوا درجة الإيمان لا يسيئون التصرف مع رسول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الذين بلغوا درجة الإيمان الحقيقي لا يمكن أن يسيئوا التصرف يعني مثلاً هل أن أبا ذر يقوم بهذا الأمر؟! هل أن سلمان يقوم بهذا الأمر؟! قطعاً لا، الذين بلغوا درجة الإيمان الحقيقي لكن أولئك الأعراب البدو الذين تعلموا على حياة الأعراب وحياة البداوة وعندهم قساوة وجفوة وغلظة هؤلاء يسيئون الأدب مع رسول الله، الخطاب هنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ للكل، لكل أتباع النبي أنا قلت بأن الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في القرآن الكريم له أكثر من أفق وهذا مطلب بحاجة إلى شرح المقام لا يسع لذلك لكن يمكن من خلال هذه الأمثلة تتضح الصورة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ لماذا؟ إذا أسأتم الأدب مع رسول الله ورفعتم صوتكم فوق صوته ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ يعني إساءة الأدب مع رسول الله تؤدي إلى إحباط العمل، إحباط يعني بطلان العمل يعني ما قمتم به من عملٍ صالح سينتهي تأتون يوم القيامة فلا تجدون عملاً صالحاً فحين تسألون يقال بإن عملكم قد أحبط لماذا أحبط؟ لأنكم رفعتم صوتكم فوق صوت رسول الله أسأتم الأدب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ

﴿النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فكان هنا من المسلمين من يسيء الأدب مع رسول الله والخطاب هناك يا أيها الذين آمنوا مع أولئك الذين يسيئون الأدب لا مع الذين يحسنون الأدب الخطاب هنا أيضاً بشكل عام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ انظر إلينا، وانظر إلينا أيضاً معناها راعنا لكن النهي عن اللفظة.

﴿وَاسْمَعُوا﴾ اسمعوا لرسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينقل التأريخ لنا شخصاً عن شخصٍ كرحمتهِ صلى الله عليه وآله والقرآن هو وصف النبي صلى الله عليه وآله بأجمل أوصاف الرحمة، وأوصاف الخلق العظيم لكن مما ينقل في الأخبار إن النبي صلى الله عليه وآله حينما يأتي بعض المسلمين ويرفعون صوتهم حتى من وراء الأبواب ومن وراء الجدران ينادونهُ صلى الله عليه وآله من دون احترام، في بعض الروايات الأئمة يحدثوننا بأن النبي رحمةً بهؤلاء كان يخاطبهم بصوت أعلى من أصواتهم حتى لا تكون أصواتهم أعلى من صوتهِ فتحبط أعمالهم هذه رحمة رسول الله يعني هؤلاء يسيئون الأدب بصوتٍ عالٍ، النبي يضطر من جمال خلقه ومن سعة رحمتهُ أن يرفع صوتهُ عالياً جداً أعلى من أصواتهم حتى لا تنطبق الآية عليهم فتكون أصواتهم فوق صوت النبي فتحبط أعمالهم هكذا كان يتعامل رسول الله صلى الله عليه وآله وليس الحديث هنا عن أخلاق رسول الله وعن الطريقة التي يتعامل بها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله.

مُحَمَّدٌ هو محمَّد هي هذه اللفظة لا تحتاجُ إلى شرحٍ مُحَمَّدٌ هو محَمَّد كل معاني الحمد مجموعةٌ في ذاتهِ صلوات الله وسلامه عليه كل شيءٍ مُحمد وبنحوٍ مُشدد مُحَمَّد بالشدة يعني هذه الذات التي فيها كل شيءٍ محمود وبنحو مشدد مؤكد فماذا أريد أن أقول في وصف أخلاقهِ مُحَمَّدٌ هو مُحَمَّد وكفى صلى الله عليه وآله وسلم أعودُ إلى الآية، الآية تخاطب الذين آمنوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ لا تستعملوا هذه اللفظة ليس النهي عن المعنى وإلا بعد ذلك تقول ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ انظرنا وراعنا من جهة المعنى واحدة إذاً لماذا النهي عن هذه اللفظة؟ النهي عن هذه اللفظة لأن هذه اللفظة في لغة اليهود فيها معنى السب ومعنى الإهانة فيها معنى الإساءة الأدبية المسلمون كانوا يقولون لرسول الله راعنا يا رسول الله اليهود وجدوا ذلك طريقاً لشتم النبي قالوا بأننا كنا نشتم مُحَمَّداً في السر فتعالوا نخاطبهُ كما يخاطبه أصحابهُ، أصحابهُ يخاطبونه فيقولون راعنا يا رسول الله نحن أيضاً نقول له راعنا يا مُحَمَّد، راعنا في لغة اليهود في اللغة العبرية عند اليهود في ذلك الزمان، راعنا تعني أسمع يعني: أسمع منا الكلام لا سمعت، وهذا سبٌّ في لغة العرب سبٌّ في العرف العربي اساءةٌ أدبية يعني: أسمع لا سمعت، يعني أصابك الطرش أسمع لا سمعت فكان اليهود يستعملون هذه اللفظة هي نفس اللفظة العربية لكن في اللغة العبرية في اللفظ العربي فيها تأدب ولكن في اللفظ العبري تدل على

اساءة الأدب، أسمع لا سمعت، لذلك رداً على هذا القول القرآن قال للمؤمنين ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ نحن نطلب رعايتك ونستمع إليك نسمع لِما تقول يا رسول الله في سورة النساء في الآية السادسة والأربعين بيانٌ لهذا المعنى ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ هذا الكلام مرَّ علينا هذا الكلام قالوه لموسى وقالوه لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ويقولون سمعنا منك يا مُحَمَّد وعصيناك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ وهو بيان وترجمة لكلمة راعنا اليهود ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يعني اسمع لا سمعت ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾ راعنا هي هذه اللفظة لكن ماذا يقصدون منها؟ يقصدون منها هذا المعنى ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ ليّاً: أي أنهم يحرفون القول بألسنتهم حين يلوي الإنسان الشيء يغير اتجاهاته، وليُّ الشيء هو تغيير اتجاهاته، اللي بالألسنة هو تغيير اتجاهات الكلام تغيير اتجاهات الألفاظ تغيير اتجاهات المعاني.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يعني كما يقال في العبرية راعنا معناها أسمع لا سمعت ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ طعناً في الدين يعني طعناً في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أيضاً هنا الوصف وصف اليهود بالكفر كما مر في الآيات السابقة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني الذين لا يقولون بقولكم هذا وهم اليهود الذين يقولون راعنا ويقصدون بها معنىً يسيئون فيه الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك الآيات لا زالت مستمرة تتحدث عن اليهود.

الآية التي بعدها ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا: الذين كفروا هم اليهود لأن الآيات السابقة وصفت اليهود بالكفر والآية التي قبلها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ هنا البيان من أهل الكتاب في الدرجة الأولى الحديث

عن اليهود وحتى عن غير اليهود ولكن الكلام هنا عن اليهود باعتبار سياق الآيات عن اليهود يعني المقصود الأول هم اليهود ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ الحديث هنا من خيرٍ من ربكم ليس الحديث عن نزول الأرزاق الطعام والشراب والأموال وإنما الحديث هنا الكلام في الآيات وفي سياق الآيات عن العقيدة.

فماذا ينزل من ربكم ما ينزل من الدلائل من البينات من الآيات من المعجزات من الحكَم الواضحة، هؤلاء أهل الكتاب والمشركون لا يحبون أن ينزل الله سبحانه وتعالى عليكم يا معشر المؤمنين من آياتهِ ومن بيناتهِ ومن دلائلهِ لأن ذلك سيرفع من شأنكم ويقوي أمر دينكم وبالتالي إن أتباع أحبار اليهود وأتباع رؤساء المشركين سيذعنون لدينكم ويتبعونكم وهذا ما لا يريدونهُ لذلك رؤساء المشركين مثلاً عُتاة قريش وأضرابهم ماذا كانوا يفعلون؟ كانوا يحاولون قدر الإمكان أن يحولوا فيما بين رسول الله وبين الناس لذلك كل الأفاعيل التي قاموا بها لأجل أن يحولوا بين رسول الله وبين الناس يعني لو فرضنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلن دينهُ ولا يتبعهُ أحد أفهل كانت قريش تؤذي رسول الله؟! قطعاً لا، إنما آذت رسول الله لِما يصدر منه من تأثيرٍ في الناس وهذه القضية هي المشكلة الموجودة على طول التاريخ هذه المشكلة هي التي واجهت الأنبياء، واجهت الأئمة والأوصياء، وواجهت كل الصالحين عبر التأريخ أنهُ حينما يكون هناك تأثير لنبي أو لإمامٍ أو لولي أو لصالحٍ أو لعالمٍ أو لأي شيءٍ الجهات التي لا تريد مثل اليهود مثل المشركين أو أي جهة أخرى وفي كل زمان له ناسهُ وله رجالهُ وله جهاتهُ لا يريدون لأتباعهم للناس أن يتأثروا بهذا الشيء الذي يُطرح للناس، فهؤلاء اليهود وهؤلاء المشركون لا يحبون أن ينزل على الذين آمنوا أو تظهر لهم من الآيات والمعجزات والبينات التي لو رآها الناس لصدقوا بهذا الدين ولا تبعوا هذا الدين طبعاً العُتاة والمَرَدة والطغاة الكبار والأحبار لن يتبعوا هذا الدين لأنهم يجدون في ذلك مضرةً عليهم على مقاماتهم على أموالهم وإن كانوا يعلمون بأنهُ الحق لكن خوف هؤلاء على عامة الناس عامة المجتمع الذين يتبعونهم يخافون أن يصدقوا بهذه الآيات وهذه البينات وإلا بالنسبة لأحبار اليهود الحقائق واضحة عندهم وعلائم النبي ودلائل النبي واضحة عندهم لكنهم لا يريدون لأتباعهم من عامة اليهود أن يتبعوا محمَّداً صلى الله عليه وآله وهذه هي المشكلة في كل زمان لذلك الآية تقول ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وهم اليهود والمشركون ومن ماثلهم في كل زمانٍ وفي كل مكان.

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ مراد أن ينزل من خير هذا الخير من الدلائل من البينات من المعجزات من الحكم من كل شيءٍ يمكن أن يستدل به الناس أو من

خلالهِ يصل الناس إلى الحقيقة، ولذلك عندنا في الروايات أن اليهود ماذا كانوا يفعلون أنا أقرأ هذه الرواية، هذه الرواية موجودة في تفسير البرهان للمحدث السيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه والرواية يرويها إمامنا العسكري عليه السلام عن الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه أنا أقرأ فقط موطن الحاجة الرواية طويلة فقط السطور التي تتعلق بموطن الحاجة إلى أن يقول صلوات الله وسلامه عليه إمامنا الرضا: **أن يُنزَّل عليكم** – إشارة إلى نفس الآية ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ وَلاَ المُشرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيكُم﴾ – **لا يودون أن ينزل عليكم من خيرٍ من ربكم من الآيات الزائدات** – الزائدات يعني المزيدات المبينات – **في شرف مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الطيبين عليهم السلام ولا يودون أن ينزل دليلٌ معجزٌ من السماء يبين عن مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما فهم لأجل ذلك يمنعون أهل دينهم من أن يحاجوك يا رسول الله مخافة أن تبهرهم حجتك وتفحمهم معجزتك فيؤمن بك عوامهم أو يضطربون على رؤسائهم فلذلك يصدون من يريد لقاءك يا مُحَمَّد** – الآية تخاطب النبي بالدرجة الأولى وتخاطب الذين آمنوا بالدرجة الثانية – **فلذلك يصدون من يريد لقاءك** – يخافون أن عوامهم أن عامة المجتمع يتبعون مُحَمَّداً فماذا يقولون؟

الرواية تبين ماذا يقولون لأتباعهم! – **يقولون: بأن مُحَمَّداً لطيفٌ خَلاق** – خلاق يعني يملك الخلق العالي يعني إذا التقيتم به فإنه سيعجبكم بأخلاقهِ وبجمالهِ وبقوة شخصيتهِ وبحلاوة حديثهِ – **إنه لطيفٌ خلاق ساحر اللسان** – هكذا يقولون للعوام الذين يريدون أن يذهبوا لرؤية رسول الله من أتباعهم ولذلك أنتم تعرفون ماذا كان يصنع عُتاة قريش، حينما يبدأ النبي صلى الله عليه وآله بالحديث أو بقراءة القرآن ماذا كانوا يصنعون؟ أليس يصفقون ويضربون بالدفوف وبالصياح حتى لا يصل صوتهُ إلى من يأتي زائراً إلى مكة هم يريدون أن يمنعوا هذا الصوت إذا قدروا أن يمنعوا الصوت أو قدروا أن يمنعوا الناس من أن يسمعوا الصوت فيمنعون أتباعهم يقولون لهم إياكم ومُحَمَّد – **إنه لطيفٌ خلاق ساحر اللسان لا تراه ولا يراك خيرٌ لك وأسلم لدينك ودنياك** – لماذا؟! لماذا لا تدعون الناس يبحثون عن الحقيقة؟! هذه القضية هي التي واجهت الأئمة على طول التأريخ، وواجهت الشيعة على طول التأريخ على طول التأريخ الأنبياء والأئمة لماذا يحاول المخالفون لأهل البيت أن يمنعوا أتباعهم من أن يستمعوا إلى حديث أهل البيت لماذا؟! ولربما مثل هذا أيضاً حتى في أوساطنا الشيعية هذا الكلام موجودٌ هذه الطبيعة بشرية، هذه طبيعة بشرية لماذا الكثيرون لا يريدون للناس أن يسمعوا هذا الذي أقولهُ؟! القضية ليست شخصية أنا هنا لا أتحدث عن شخصٍ اسمه فلان بن فلان أتحدث عن حديث أهل البيت لماذا يمنع الناس عن الاستماع إلى حديث أهل البيت؟! هذا حديث أهل البيت هذا كلام أهل البيت هذا كلامٌ لا ينسب لشخصٍ بعينهِ هذا كلام القرآن وكلام آل مُحَمَّد هذا كلام الكتاب والعترة إذا يمنع الناس بأحابيل وأساليب معروفة إما بإثارة الشبهات حول

الكلام، بإثارة الشبهات حول المتكلم، وغير ذلك وهذه قضايا معروفة لكن من أراد أن يكتشف الحقيقة هذا القرآن وهذا كلام آل محمَّد إذا كنا لا نريد للناس أن يسمعوا كلام القرآن وكلام آل مُحَمَّد فماذا يسمعون؟! ماذا تريدون من الناس أن يسمعوا؟! فهكذا كان أحبار اليهود يقولون لأتباعهم – **إن مُحَمَّد لطيفٌ خلاق** – هذا كلام الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه – **إن مُحَمَّد لطيفٌ خلاق ساحر اللسان لا تراه ولا يراك خيرٌ لك وأسلم لدينك ودنياك فهم بمثل هذا الكلام يصدون العوام عنك يا رسول الله** – تستمر الرواية – **ثم قال الله عزَّ وجلَّ: والله يختص برحمتهِ وتوفيقه لدين الإسلام وموالاة مُحَمَّدٍ وعليٍّ عليهما السلام من يشاء والله ذو الفضل العظيم على من يوفقه لدينه ويهديه لموالاتك يا مُحَمَّد وموالاة أخيك عليِّ بن أبي طالب عليه السلام** – إذاً الكلام عن ظاهرة كانت موجودة في زمان رسول الله وموجودة في الأزمنة التي سبقت رسول الله وفي زمان الأئمة وحتى في زمان الغيبة الكبرى وإلى يومنا هذا وفيما يأتي من مستقبل الأيام هذه ظاهرة بشرية.

الأحبار، أصحاب رؤوس الأموال، رؤساء الديانات، رؤساء السياسات، الرؤساء في الدين، في السياسة، وفي الأموال هؤلاء هم الذين يتصرفون بمصائر الناس الذين يملكون الرئاسة الدينية أو الرئاسة السياسية أو الرئاسة المالية وأيضاً الرئاسة الاجتماعية تدخل في ضمن هذه الرئاسات لأنهُ لا يكون رئيساً اجتماعياً إلا أن يكون مالكاً للأموال أو أن يكون قريباً من السلطة أو أن يكون قريباً من الرئاسة الدينية فتكون له الرئاسة الاجتماعية هذه الرئاسات هي التي تتصرف بمصائر الناس وبما أن مصالحهم لا تتحقق إلا باتباع عامة الناس لهم فحينئذٍ لا يريدون للناس أن يسمعوا الحق لا يريدون للناس أن يستمعوا إلى صوت مُحَمَّد، إلى صوت عليٍّ، إلى صوت حسين، إلى صوت أهل البيت، إلى صوت الكتاب والعترة لذلك هكذا يقولون للناس: إن مُحَمَّداً لطيفٌ خلاقٌ، كما جاء في رواية الإمام الرضا، ساحر اللسان خيرٌ لدينك وأسلم لدينك ولدنياك أن لا تراه ولا يراك، أبتعد عنه، هذه مواطن فتنة مواطن شبهة الإنسان عليه أن يحتاط في مواطن الفتنة والشبهة وهذه النغمة الموسيقية معروفة هذه النغمة الموسيقية المعروفة وعلى طول التأريخ هذه النغمة الموسيقية معروفة وهذا هو نفس الكلام ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ وَلاَ المُشرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِّن خَيرٍ مِّن رَّبِّكُم وَاللّهُ يَختَصُّ بِرَحمَتِهِ مَن يَشَاء ﴾ الإختصاص بالرحمة في المعنى الحقيقي الإختصاص بالرحمة إنما هو لـمُحَمَّد وعليٍ وآلهما الأطهار.

في بعض الروايات الله سبحانهُ وتعالى جعل الرحمة مئة قسم دخر منها تسع وتسعين لـمحَمَّد وعليٍ وعترتهما وأفاض بذلك القسم الواحد الباقي على سائر الموجودين، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامهُ عليه: بل هم رحمةُ الله الواسعة التي وسعت كل شيء، ولكن بالمعنى الأعمق وهم في مقام الكلمة التامة وهم

في المقام الأعظم في مرحلة الخلق الأول هم الرحمةُ التي وسعت كل شيء أليس في الأحاديث القدسية إن رحمته سبقت غضبه فالرحمةُ وهو الجمالُ والكمال تجلى فيهم صلوات الله وسلامهُ عليهم ولا أريد الدخول في مثل هذه المطالب ولكن الحديث هنا بأن الله سبحانه وتعالى يختصُ برحمته من يشاء فيبين لهُ حقائق الأمور والله ذو الفضلِ العظيم. الآيةُ التي بعدها وهي الآيةُ السادسةُ بعد المائة:

﴿ مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ النسخ ما المراد من النسخ؟ الآية تتحدث عن نسخٍ وعن إنساء ﴿ مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ النسخ: هو الإزالة، أنا هنا لا أريد الدخول في التفاصيل التي يتناولها المفسرون في هذا المطلب في مطلب النسخ ويدخلون في تفاصيل تقسيمات النسخ ما يسمى بنسخ التلاوة مثلاً كآية عمر الآية التي جاء بها عمر والتي قال بأن الله قال في كتابه الكريم – الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة – وقال بأن هذه الآية كانت في كتاب الله ورفعت بعد ذلك وإن أدنى إنسان عندهُ أدنى إطلاع على أسلوب القرآن يجد أن هذه الآية بعيده كل البعد عن الأسلوب القرآني، أبعد مما بين السماء والأرض أبعد مما بين المشرقين والمغربين بُعد شاسع فيما بين الأسلوب القرآني وبين هذا اللحن الموجود في هذه الجملة الركيكة – الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة – لا أريد الدخول في مثل آيات عائشة آيات الرضاع وغير ذلك لا أريد الدخول في هذه التفاصيل، ما يسمى بنسخ التلاوة، ما يسمى بنسخ الحكم والتلاوة، ما يسمى بالتفاصيل الأخرى التي تذكر في مواطنها ولا أريد أن أدخل في التعاريف والإشكالات التي تثار على التعاريف ولا أدخل في عدد الآيات الناسخة والمنسوخة كل هذا أجدهُ بعيداً عن الفائدة بالنسبة للمشاهدين والمشاهدات لكن بشكلٍ إجمالي أتحدث عن النسخ ﴿ مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ النسخ هنا دائرتهُ بحسب روايات أهل البيت دائرة واسعة، دائرة النسخ دائرة واسعة غير محددة في جهةٍ واحدة هناك عندنا النسخ في الكتاب والنسخ في الكتاب أيضاً على أكثر من طور.

هناك نسخٌ في الأحكام تأتي آية من آيات الكتاب الكريم فتبين لنا حكماً كالحكم الذي بينته آية من آيات الكتاب الكريم في سورة النساء وقد تحدثتُ عن ذلك في الحلقة الماضية من برنامج يسألون والمودة تجيب حين الكلام عن الآية القرآنية ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ هذه الآية نَسَخَت آية جاءت قبلها في سورة النساء تتحدث عن حبس التي ترتكب الفاحشة في بيتها حتى تموت، فهناك حكم جاء في آيةٍ قرآنية وهو حبس المرأة الزانية ثم جاءت آية أخرى فنسخت ذلك الحكم فهناك نسخٌ في الأحكام وهذا النسخ في الأحكام إنما ينشأ من أية جهةٍ؟ ينشأ من جهة مصلحة المجتمع وإلا لا يأتي من

جهة أن الله سبحانه وتعالى تغير رأيه في الحكم وكأنه كعامة الخلق يكون للحاكم رأي وبعد ذلك يتغير رأيه وإنما هذا الحكم الأول لمصلحة الناس، الأحكام تأتي وفقاً لملاكات هذه الملاكات إما لتحصيل منافع أو لدفع مفاسد ودفع مضار فالحكم يأتي متناسباً مع مصلحة العباد إلى فترة زمانيه معينه وينتهي هذا الحكم فيأتي حكمٌ أخر الحكم الأتي هو حكمٌ ناسخ للحكم الأول وهذا يحدث في الكتاب الكريم وهو نسخُ الأحكام هذا مصداق من مصاديق النسخ.

مصداق أخر من مصاديق النسخ هو قد يكون النسخ في بيان الحقائق والمعارف أيضاً وهذا ما نجدهُ مثلاً في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين مثلاً هذه الرواية جاءت في تفسير النعماني المنقول عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامهُ عليه الأمير يعدد الآيات الناسخة والمنسوخة مثلاً من جملة الآيات الناسخة والمنسوخة التي ذكرها، ذكر الأمير هذه الآية ونسخ قولهُ تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هذه الآية ونسخ قولهُ تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قولهُ عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للرحمةِ خلقهم هذه آيات الأمير صلوات الله وسلامه عليه أوردها في باب الناسخ والمنسوخ لا علاقة لها بالأحكام كذلك مثلاً ذكر أيضاً هذه الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ وَإِن مِّنكُم إِلَّا وَارِدُهَا: إلا وارد جهنم، إن منكم يعني أن الجميع يردونها ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ الأمير يقول هذه الآية نسخت بهذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ هذه وغيرها من الآيات وردت في روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنها في دائرة الناسخ والمنسوخ فهناك نسخٌ في الأحكام وهذا النسخُ في الأحكام كما جاء في الرواية في تفسير العياشي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام السائل وهو مسعد بن صدقه، **قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، قال: الناسخُ الثابتُ المعمول به والمنسوخُ ما كان يعمل به ثم جاء ما نسخهُ** – وفي رواية ثانية أيضاً – **سألتهُ عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، قال: الناسخُ الثابت والمنسوخُ ما مضى.**

وهذا ما أشرتُ إليه في بداية الكلام من أن النسخ قد يكون نسخاً في الأحكام وقد يكون النسخ أيضاً في الآيات التي جاءت في بيان المعارف والحقائق وهذا النسخ المراد منه أن الناسخ ناظر إلى جهة، إلى حيثية ما

وأن المنسوخ ناظر إلى جهة أخرى ولكن الأئمة سموا هذه الآيات بأنها ناسخة ومنسوخة كما وقع ذلك في الروايات، وأيضاً من جملة النسخ هو نسخُ الأديان فمثلاً الديانة النصرانية نسخت الديانة اليهودية والديانة الإسلامية جاءت فنسخت الديانة النصرانية ونسخت كل الديانات فهي الديانة الخاتمة نسخت كل الديانات التي قبلها.

إذاً هناك نسخٌ في نصوص الآيات التي تتناول الأحكام، نسخٌ في الأحكام، وهناك نسخٌ في الآيات التي تأتي في المعارف في باب المعارف في باب بيان الحقائق كما أشرت إلى مثالين ذكرهما أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في تفسير النعماني، وهناك نسخُ الأديان كما نسخ دين الإسلام الديانات التي سبقت ذلك، وورد في الروايات أيضاً الحديث عن النسخ التكويني، ورد في روايات أهل البيت بأن هذه الآية هي من أوضح مصاديق النسخ ﴿يَمحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ يمحو الله ما يشاء ويثبت الكلام هنا في المعنى الأصلي للآية هو في الجانب التكويني في عقيدة البداء وإن كانت الآية يمكن أن تتحدث أيضاً وتشتمل أيضاً على معنى النسخ في الأحكام النسخ الذي أشرت إليه قبل قليل ﴿يَمحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثبِتُ﴾ وهذا أيضاً ممكن أن يدخل في معنى النسخ في الأديان أيضاً ولذلك هذه الكلمة المشهورة عن الميرداماد رحمة الله عليه السيد مُحَمَّد باقر الميرداماد هذه الكلمة المشهورة حين قال: بأن النسخ بداءٌ في التشريع، وإن البداء نسخٌ في التكوين، وهذا المعنى هو الموجود في هذه الآية ﴿يَمحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ عندنا في بعض الروايات تفسير هذه الآية ﴿مَا نَنسَخ مِن آيَةٍ أَو نُنسِهَا﴾ قال نسخ الآية أن يموت إمام ويأتي بعدهُ إمام لذلك عندنا في الروايات هناك قراءة لهذه الآية غير هذه القراءة وإن كنا نحنُ نقرأ بالقراءة الموجودة في المصحف ولكن في بعض الروايات وردت قراءه ﴿مَا نَنسَخ مِن آيَةٍ أَو نُنسِهَا نَأتِ بِخَيرٍ مِّنهَا مِثلِهَا﴾ نَأتِ بِخَيرٍ مِّنهَا مِثلِهَا: لأننا لو قلنا (أو مثلها) فحينئذٍ ستكون هناك آيتان متساويتان متماثلتان أما ﴿بِخَيرٍ مِّنهَا مِثلِهَا﴾ فإنها مماثله ولكن فيها خيريةٌ تتناسب مع الزمان الذي ظهرت فيه هذه الآية وعلى أي حال لا أريد أن أطيل الوقوف في هذا المطلب.

فإذاً النسخ هو نسخٌ تكويني ونسخٌ تشريعي، النسخُ التشريعي كنسخ الأحكام أو كالنسخ الحادث في بعض آيات المعارف وآيات بيان الحقائق كما بيّنت الروايات المنقولة عن سيد الأوصياء في تفسير النعماني ونسخُ الديانات أيضاً وكذلك النسخُ التكويني البداء التكويني وكذلك الكلام وبالنسبة للبداء التكويني نحنُ تحدثنا

عن هذا الموضوع في أحد حلقات برنامج ندوة المودة وإذا فتح الموقع ستجدون جميع حلقات هذا البرنامج يمكن أن تراجعوا تلكم الحلقة، تحدثت عن هذا الموضوع بشيءٍ من الإسهاب نوعاً ما، وهناك نسخٌ كما في قضية توالي الأئمة حينما يموت إمام فيأتي إمامٌ بعده قالت الروايات الشريفة إن هذا مصداق من مصاديق النسخ الذي جاء في الآية وهذا وجهٌ من وجوه الآية لا يعني أن الآية في دلالتها الأولى في اللفظ والعبارة تشير إلى هذا المعنى فالآيات لها وجوه عديدة وكثيرة جداً من وجوه معاني النسخ في الروايات هو هذه المعاني التي أشرتُ إليها.

﴿مَا نَنسَخ مِن آيَةٍ أَو نُنسِهَا﴾ ننسها: لا كما يقول المخالفون لأهل البيت أو كما يقول جملة من المفسرين بأن ننسها من النسيان يعني أن بعض الآيات ينساها رسول الله ﴿مَا نَنسَخ مِن آيَةٍ أَو نُنسِهَا﴾ ينساها رسول الله، هذا الكلام مخالفٌ للنصوص القرآنية الواضحة أولاً النسيان إنما هو بابٌ من أبواب الضلال فكيف يمكن أن نتصور بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يمكن أن ينطبق عليه هذا المعنى نحن مثلاً نقرأ في سورة البقرة في الحديث عن الشهادات ﴿فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ﴾ هذه الآية الثانية والثمانون بعد المئتين ﴿فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ﴾ يعني من الشهود ﴿فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لماذا امرأتان؟ ﴿أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا﴾ ما المراد أن تضل الآية تبين ﴿فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى﴾ التذكير هو في مقابل النسيان، النسيان ضلال ضرب من ضروب الضلال ﴿فَإِن لَّم يَكُونَا رَجُلَينِ فَرَجُلٌ وَامرَأَتَانِ مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا﴾ لماذا امرأتان؟ ﴿أَن تَضِلَّ إِحدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحدَاهُمَا الأُخرَى﴾ إذاً تذكر في مقابل الضلال وهو النسيان فالنسيان ضلال فلا يمكن أن ينسب الضلال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد يقول قائل إن ذلك إنساء من الله، الله ينسيه الآية، فأقول إن هذا أيضاً يخالفُ القرآن الكريم ومخالفة القرآن الكريم تأتينا في سورة الأعلى الآية السادسة ﴿سَنُقرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾ والآية هنا جاءت في أي مقام في مقام ذكر النعم الإلهية الآية السادسة ﴿سَنُقرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾ الآية التي بعدها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قد يقول قائل ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يعني يمكن أن يكون هناك انساء لرسول الله بهذا الاستثناء إلا ما شاء الله ﴿سَنُقرِؤُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أقول مثل هذا الاستثناء موجود في الكتاب الكريم ورد عندنا في سورة هود في الآية 107 والآية 108 ورد هذا الاستثناء مثلاً الآية 106 وما بعدها ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُم فِيهَا

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ وثابتٌ عندنا إن النيران فيها خلود وإن الجنان فيها خلود ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُم فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ المشيئة هنا هذا الاستثناء يعني انه ما من شيءٍ يتحدى قدرة الله سبحانه وتعالى لكن ما الذي سيكون، الذي سيكون هو الخلود لكن حتى لو كان الخلود فهل إن هذا الخلود يكون خارجاً عن القدرة الإلهية؟ قطعاً لا، هذا الخلود يمكن أن يتغير ولكنه لن يتغير المشيئة هنا ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ هذا الاستثناء في المشيئة لبيان هذه الحقيقة بأنه ما من شيءٍ إلا وهو خاضع لقدرة الله سبحانه وتعالى.

الآية التي بعدها ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ ثم تستمر الآية ﴿عَطَاء غَيرَ مَجذُوذٍ﴾ يعني العطاء غير منقطع ﴿عَطَاء غَيرَ مَجذُوذٍ﴾ العطاء غير منقطع يعني خلود ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾ هذا الاستثناء لبيان هذه الحقيقة: لبيان حقيقة أنه ما من شيءٍ إلا وهو خاضع للمشيئة الإلهية وللقدرة الإلهية لذلك ﴿سَنُقرِؤُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاء اللَّهُ﴾ المراد هنا بيان أنك لن تنسى ولا يمكن أن يتطرق إليك النسيان ولكن جميع أحوالك هي خاضعة للقدرة الإلهية لو أراد الله أن ينسيك فإنه ينسيك ولكن هذا لن يحصل لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى عده نعمة عليه فكيف يعدُ عدم النسيان نعمة وفضيلة لرسول الله وعلى رسول الله ثم ينسيه بعد ذلك.

نحنُ الآن نقرأ في سورة الأعلى ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعلَى﴾ لماذا نسبحهُ؟ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ هل أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق وسوى هل انه سيخالف التسوية؟! سوى يعني أحسن الخلق لَمَّا خلق فسوى فإن التسوية تبقى موجودة ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ وهذي هداية تكوينية هل إن الهداية التكوينية تتغير هل إن القوانين الموجودة في الكون تتغير؟! ﴿وَالَّذِي أَخرَجَ المَرعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحوَى * سَنُقرِؤُكَ فَلَا تَنسَى﴾ حين تقرأ فإنك لن تنسى هذه فضيلة وهذه نعمة يذكرها الباري سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تتغير إذاً ما المراد من معنى ننسها ﴿مَا نَنسَخ مِن آيَةٍ أَو نُنسِهَا﴾ الإنساء هنا هو التأخير، ألا نقول بالنسبة لبيع النسيئة حينما يتأخر الدفع حينما يتأخر الدفع ألا يقال له

هذا بيع النسيئة، بيع النسيئة البيع الذي يتأخر فيه الدفع فالإنساء هو التأخير ﴿مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ نؤخر الآية وهذا هو يحدث في عملية النسخ لأن مثلاً الآية التي جاءت بحكم الجلد هي جاءت متأخرة عن الآية التي جاءت بحكم الحبس وهذا يحدث في كل حالات النسخ وفي غيرها فهناك عندنا نسخ وعندنا إنساء، والإنساء أيضاً يمكن أن يكون في الجانب التشريعي ويمكن أن يكون في الجانب التكويني نفس الحالات والأمور التي أشرت إليها من مصاديق النسخ يمكن أن يجري عليها كذلك معنى الإنساء نفس المصاديق، لكن لكل عنوان من هذه العناوين جهات وخصوصيات تتناسب معه فهناك نسخ وهناك إنساء والإنساء قلت هو التأخير.

﴿مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كل الأمور خاضعةٌ لله وخاضعةٌ لقدرته سبحانه وتعالى وكل ذلك إنما يجري تحت مشيئته وفي ظل إرادته ثم تستمر الآيات:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الله هو المالك لكل شيء ويجري القوانين ومن جملة القوانين التي يجريها قانون النسخ وقانون الإنساء وفي ذلك مصلحة للعباد إن كان ذلك النسخ أو الإنساء في التشريع أو في التكوين فالذي يجري هذه الأحكام هو خالق هذا الكون وهو مالك هذا الكون والذي بيده كل شيء والذي هو على كل شيءٍ قدير هو قادر على أن لا تكون هناك أحكامٌ منسوخة ولا يكون قانون النسخ ولا قانون الإنساء ولكن الحكمة الإلهية تقتضي ذلك لأن هذا العالم طبيعته تحتاج إلى قوانين من جملة القوانين التي تُصلح هذا العالم، هذا العالم الأرضي قانون النسخ وقانون الإنساء الآية السابقة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الله قادرٌ على كل شيء يمكن أن يجري هذه القوانين ويمكن أن لا يجريها ويبدل الكون إلى كون أخر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ النصرة والولاية والقدرة والحكومة، وهل يمكن الفرار من حكومتك، هكذا نخاطبه في دعاء كميل، وهل يمكن الفرار من حكومتك، هل يستطيع الإنسان أن يفر من حكومة الله سبحانه وتعالى هو الحاكم وهو الملك وهو القادر وهو المريد وهو المتسلط على كل شيء.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الخطاب هنا الكلام هنا لأولئك الذين عاشوا في زمان رسول الله ودعاهم رسول الله إلى الإيمان وإلى الإسلام ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الخطاب لأولئك الذين كانوا يعيشون مع رسول الله أي لا تعترضوا لا

تشككوا فيما يبيّنه لكم رسول الله من قوانين النسخ ومن قوانين الإنساء ستأتينا ما هو مقدار الفتنه الذي حدث في حكم نسخ القبلة أليس كان النبي والمسلمون يتوجهون إلى قبلة ثم تغيرت القبلة، هناك تغير في القبلة، وهذا هو أحد مصاديق النسخ صدر نسخٌ في موضوع القبلة وحدثت فتنة وكان هناك من شياطين الإنس ومن شياطين الجن من يثيرون هذه الإلقاءات أي إلقاءات؟ بأن الله سبحانه وتعالى لو كان يعلم بكل شيء لماذا ينسخ الحكم وهذا تصور ساذج للأمور لأن القضية لا تصدر من هذه الجهة، الله سبحانه وتعالى هو الرب والرب يعني المربي والمربي هو العارف بمصلحة من يربيه الله سبحانه وتعالى هو الرازق والرازق هو العارف بمصلحة من يريد أن يرزقه وهذا الرزق، الرزق في الجانب المادي وفي الجانب المعنوي إنما ينزل بمقدار الحكمة بما تفتضيه الحكمة، وهذه القواعد والقوانين قوانين النسخ، قوانين الإنساء إنما تقتضيها الحكمة ﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسأَلُوا رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبلُ﴾ ماذا سئل موسى؟ موسى سئل أشياء كثيرة لكن أقوى سؤال سئل به موسى الذي جاء في سورة البقرة مر علينا في الحلقات الماضية في الآية الخامسة والخمسين ﴿وَإِذ قُلتُم يَا مُوسَى لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهرَةً فَأَخَذَتكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُم تَنظُرُونَ﴾ ومر الكلام بأن هذه الحادثة وقعت لَمَّا اختار موسى من قومه سبعين رجلاً وذهب إلى الميقات وطلبوا من موسى بأنك تقول بأنك تسمع كلام الله نريد أن نسمع كلام الله فأسمعهم كلام الله، اليهود سمعوا كلام الله قالوا نريد ان نرى الله جهرةً نحن لا نريد فقط أن نسمع الكلام نريد أن نراه ﴿وَإِذ قُلتُم يَا مُوسَى لَن نُّؤمِنَ لَكَ﴾ يعني هم سمعوا كلام الله وما آمنوا ﴿لَن نُّؤمِنَ لَكَ﴾ يعني لن نصدقك لن نؤمن لك يعني لن نصدق بإدعاءاتك بأن الله يكلمك ﴿وَإِذ قُلتُم يَا مُوسَى لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهرَةً فَأَخَذَتكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُم تَنظُرُونَ﴾ الله سبحانه وتعالى أنزل عليهم صاعقة وماتوا والقصة ذكرناها في وقتها وتحدثنا عن باقي تفاصيلها.

الآية هنا تخاطب الذين عاشوا مع النبي صلى الله عليه وآله، والذين كانوا أتباعاً له ﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسأَلُوا رَسُولَكُم﴾ حينما يبيّن لكم الحقائق فلا تسألوه كما سأل اليهود موسى ﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسأَلُوا رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبلُ﴾ ليس المراد هنا نفس السؤال وإنما يعني الأسئلة المعترضة على النبي، موسى على طول الخط كان اليهود يعترضون عليه ويشككون في كل ما يقول ويطالبونه الدليل في كل شيء فهنا الآية تخاطب أتباع النبي تقول لهم أنتم لا تفعلوا كما فعل اليهود فإن عاقبة أمركم ستكون خسراً ﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسأَلُوا رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بِالإِيمَانِ﴾ أنتم إذا فعلتم ذلك فإنكم ماذا تفعلون؟ فإنكم

تستبدلون إيمانكم بالكفر، والإيمان هنا لا بمعناه الحقيقي الإيمان بالجملة كما جاء في الخطاب هنا في الآيات المتقدمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو هنا الحديث عن الذين يحملون هذا الإيمان وإلا أصحاب الإيمان الحقيقي لا يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سأل اليهود موسى فيما مر من الأيام ﴿أَم تُرِيدُونَ أَن تَسأَلُوا رَسُولَكُم كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بِالإِيمَانِ﴾ يعني أنتم إذا فعلتم ذلك فإنكم تستبدلون إيمانكم بالكفر ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بِالإِيمَانِ فَقَد ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ سواء السبيل، السبيل هو الطريق سواء السبيل يعني الصراط المستقيم السبيل المستوي فقد ظل سواء السبيل يعني إستقامة الطريق.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّن أَهلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِّن بَعدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً حَسَدًا مِّن عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ﴾ الآية واضحة ولا تحتاج إلى شرحٍ ولا تحتاج إلى بيان ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ مثل ما مر علينا قبل قليل ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ﴾ هم لا يحبون أن تنزل عليكم الآيات والبينات إذاً ماذا يحبون؟ الآية الخامسة بعد المئة ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ وَلاَ المُشرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِّن خَيرٍ مِّن رَّبِّكُم﴾ لا يودون هذا إذاً ماذا يودون ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّن أَهلِ الكِتَابِ﴾ وهم اليهود وغيرهم حتى من عتاة قريش ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّن أَهلِ الكِتَابِ﴾ لكن ذكر أهل الكتاب هنا بالخصوص باعتبار أن أهل الكتاب خصوصاً الأحبار والرؤساء منهم كانوا على يقين بأن مُحَمَّداً على الحق وبأن أتباعه الذين أمنوا به إنما امنوا بالحق ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّن أَهلِ الكِتَابِ﴾ ماذا يودون؟ ﴿لَو يَرُدُّونَكُم مِّن بَعدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً﴾ لماذا؟ ﴿حَسَدًا مِّن عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أنا بيّنت فيما مر من الحلقات من هذا البرنامج أن مشكلة اليهود كانت مع النبي هي الحسد وإلا هم جاؤوا إلى أرض الحجاز لأجل إتباع هذا النبي الخاتم لكنهم يحسدون هذا النبي، يبغضون هذا النبي لأنه كان من ولد إسماعيل وهذه عقدة تأريخيه فيما بين ولد إسماعيل وفيما بين ولد إسحاق.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّن أَهلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِّن بَعدِ إِيمَانِكُم كُفَّاراً حَسَدًا مِّن عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ﴾ كيف تبين لهم الحق؟ من خلال كتبهم ومن خلال ما رأوه من معجزات ومن خلال محججاتهم مع رسول الله، سيرة رسول الله أصلاً لوحدها هي معجزة من يلقى النبي ويحادث النبي هو هذا لوحده معجزة كل الذين لاقوا النبي وتحدثوا معه خرجوا بصورة بأن هذا الرجل هذا الإنسان يختلف عن غيره من الناس يختلف

عن غيرة من الرجال لقاء النبي محادثة النبي هو معجزة بحد ذاته بغض النظر عن كل معاجزه وآياته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطيبين الأطهرين ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ فكيف تتعاملون معهم ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ أتركوهم لا تعبئوا بهم ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ اصفحوا مأخوذة من الصفح والصفح مأخوذة من الصفحة وهو الجانب يعني أعرضوا عنهم ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ أعرضوا عنهم بوجوهكم، أعرضوا عنهم بعقولكم، ستسمعون أذىً كثيراً وكلاماً كثيراً يا شيعة أهل البيت ستثار الشبهات في وجوهكم يا شيعة أهل البيت أعرضوا عن هذا الكلام لا فائدة من كل ما يقال ولا فائدة من كل ما يثار الحقيقة أين؟ الحقيقة في الكتاب وفي العترة، هذي الفضائيات وهذي الأصوات والمنابر والصحف وسائل الإعلام والمتكلمون في الظلام خفافيش الليل وما أكثرهم خفافيش الليل حتى فيما بيننا، وما أكثر خفافيش الليل فيما بيننا، لا تسمعوا لهم الحقيقة في الكتاب والعترة وفي حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الله سبحانه وتعالى لابد أن يبين الحقائق إن لم يكن في هذه الحياة فإنه سبحانه وتعالى يبين الحقائق في يوم القيامة وعند الله تجتمع الخصوم هناك تجتمع الخصوم وتتبين الحقائق ويعرف الظالم من المظلوم ويعرف الكاذب من الصادق هناك تتكشف الحقائق ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ استقيموا لا تعبأوا بما يقال استقيموا على أمركم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية هنا تتحدث عن الجانب العملي الذي يجب على المؤمنين أن يعملوا به أن يعفوا ويصفحوا أن يعرضوا عن أولئك الذين يثيرون الإثارات وماذا عليهم أن يعملوا؟ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة هناك من يؤدي الصلاة وهناك من يقيم الصلاة.

إقامة الصلاة إنما هي بولاية عليٍ أداء الصلاة يمكن الإنسان يتوضأ يتوجه للقبلة ويأتي بالصلاة بشرائطها هذا أداء الصلاة، إقامة الصلاة يشترط فيها أن تكون مقرونة بالإيمان بولاية عليٍ وأن لا تصدر هذه الصلاة إلا عن قلبٍ وعن لسانٍ يقر مذعناً بشكلٍ سريٍ وبشكلٍ علني بولاية عليٍ وآل علي، أن نؤمن سراً وعلناً ظاهراً وباطناً بولاية علي حينئذٍ إذا صلينا بحسب الشرائط الفقهية والشرعية المعروفة المثبتة في مضانها ومصادرها والمنقولة عن أهل بيت العصمة يتحقق معنى إقامة الصلاة، إقامة الصلاة ليست كما يقال هي

بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر كعبادة وإنما هذا جزء من لوازم الصلاة إقامة الصلاة إنما تكون بولاية علي بن أبي طالب، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الفَحشَاء وَالمُنكَرِ﴾ كل هذه المعاني أنما هي من الفروع المترتبة على ولاية علي صلوات الله وسلامه عليه أما في روايات أهل البيت بالمعنى الدقيق ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الفَحشَاء وَالمُنكَرِ﴾ فالفحشاء والمنكر إنما هم أعداء أهل البيت هذي عناوين ومصاديق لأعداء أهل البيت الصلاة تنهى عن موالاة أعداء أهل البيت وإلا ما نفع الصلاة إذا كنت تأتي بها على شرائطها الفقيهة وأنت توالي أعداء أهل البيت، ما قيمة هذه الصلاة أو أن يكون القلب خالياً من ولاية عليٍ ما قيمة صلاة تأتي بها بوضوءها وركوعها وسجودها وبكل تعقيباتها وبكل سننها ما قيمة هذه الصلاة، إقامة الصلاة إنما هي بجوهرها وجوهر الصلاة ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّن خَيرٍ﴾ الخير هو أيضاً ولاية عليٍ وإلا ما قيمة أي عملٍ من دون ولاية عليٍ جوهر الخيرية في الأعمال ولايةُ عليٍ ما تقدموه من خيرٍ في طريق ولاية عليٍ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّن خَيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

أختم حديثي بهذه الرواية التي تتناول المضمون الذي كنت أتحدث عنه، سيدة العبادات سيدة الأعمال الصلاة، والصلاة معراج المؤمن، الصلاة هي سيدة الأعمال وإن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها، وهي أيضاً يتوقف قبولها وردها على ولاية علي، هذي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ماذا قال رسول الله؟ قال: **مفتاح الصلاة الطهور** – يعني أنك إذا أردت تفتح صلاتك بأي شيءٍ، الصلاة بالطهور، تريد أن تدخل إلى الصلاة تريد أن تدخل إلى البيت كيف تدخل إلى البيت من دون مفتاح هل تستطيع أن تلج إلى البيت من دون مفتاح بواسطته تفتح الباب – **مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها** – تحريم يعني بداية السياج بداية الصلاة، تحريمها يعني بداية السياج وبداية المرحلة التي تترتب عليها القوانين – **وتحريمها التكبير** – هي تكبيرة الإحرام – **وتحليلها التسليم** – تحليلها يعني أنك خرجت من الحرم إلا حدود الحل حدود الحل أنه انتهت الصلاة – **مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم ولا يقبل الله الصلاة بغير طهور** – لا صلاة بلا طهور هذا المعنى واضح – **ولا يقبل الله الصلاة بغير طهور** – هل يمكن أن يصلي المصلي من غير طهور – **ولا صدقة من غلول** – الغلول هو المال المأخوذ بالسرقة والخيانة – **ولا يقبل الله الصلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول** – من خيانة ومن سرقة – **وإن أعظم طهور الصلاة** – هناك الطهور الأصغر وهناك الطهور الأعظم في هذه الصلاة – **لا صلاة إلا**

بطهور – هناك طهوران في هذه الصلاة هناك الطهور الأصغر وهو الوضوء الذي له شرائط وهذا الوضوء لا يصح إلا وأنت يمتلىء قلبك بولاية علي يعني أنت إذا كنت تتوضأ وقلبك خالٍ من ولاية علي وضوئك باطل لا معنى له الوضوء الأصغر أيضاً تشترط صحته بإيمانك بولاية علي، إذا لم تكن مؤمناً بولاية علي فما ينفعك هذا الماء الذي تتوضأ به فهناك الطهور الأصغر وهو الوضوء المشترط في صحته وقبوله ولاية علي وهناك الطهور الأعظم في الصلاة وهو سر قبولها، الطهور الأصغر هذا فقط على سبيل الطقس والرسم للدخول لأداء الأفعال أما قبول الصلاة الحقيقي فهو بالطهور الأعظم – **ولا يقبل الله الصلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وإن أعظم طهور الصلاة** – الطهور الأعظم – **الذي لا تقبل الصلاة إلى به ولا شيء من الطاعات مع فقده مولاة مُحَمَّد وأنه سيد المرسلين، ومولاة عليٍ وأنه سيد الوصيين، ومولاة أوليائهما ومعاداة أعدائهما** – هذا هو الطهور الأعظم الطهور الأعظم أنا ألخصه لك بجملة واحدة: الطهور الأعظم ولاية إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، أنت إذا أردت أن تقف للصلاة أنت بحاجة إلى طهورين، بحاجة إلى الطهور الأصغر وهو الوضوء لأجل أن تشرع بالأفعال لأنك من دون الوضوء لا تستطيع أن تشرع بالأفعال، الأفعال ناقصة هذا الجانب الجسدي المادي من الصلاة، الجسد من دون روح ميت ويتحول إلى جثة هامده، إلى جيفة نتنة لذلك الإمام الصادق ماذا قال؟ قال: أنه من لم يكن على هذا الأمر، من لم يوالينا لا فرق صلى أم زنا. لا يفرق الأمر سيان عند الله صلى أم زنا، زنا أم سرق أم صلى الأمر سواء بالنسبة له، حينما نصلي نحن بحاجة أولاً إلى الطهور الأصغر إلى الوضوء بالماء بحسب الشرائط الشرعية لكن بشرط الإعتقاد بولاية علي وإلا فالوضوء باطل هذا الوضوء المادي حتى الوضوء المادي مشروط بالإعتقاد بالولاية للدخول في الأفعال، أما أفعال الصلاة قبولها وصحتها مشروط بالطهور الأعظم، الطهور الأعظم الآن في هذا الوقت في هذه اللحظة ما هو الطهور الأعظم؟ الذي تقبل به الصلاة ولا صلاة إلا بطهور لا صلاة إلا بهذا الطهور الأعظم:

الطهور الأعظم ولاية إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، وهي عنوان ولاية رسول الله وسيد الأوصياء والزهراء والأئمة المعصومين من ولد عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، موالاة أوليائهم والبراءة من أعدائهم، الطهور الأعظم ولاية إمام زماننا، الطهور الأعظم ولاية علي صلوات الله وسلامه عليه، يعني من لم يكن عنده ولاية علي فما عنده من طهور، الطهور في عليٍ وآل عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أسأله تعالى أن يبقينا على هذا الطهور، أن يحينا ما أحيانا على هذا الطهور، وأن يميتنا إذا أماتنا على هذا الطهور، وأن نقبر على هذا الطهور، وأن نحشر على هذا الطهور، وأن نكون في كل موقفٍ من مواقف يوم

القيامة عند الميزان، عند تطائر الصحف، عند الصراط، في كل موقفٍ من تلكم المواقف المفزعة أن نكون على هذا الطهور، على هذا الطهور الأعظم على طهور عليٍ وآل علي أسأل الله ذلك لي ولأهل أنسي ولكل من أحب علياً وآل علي ولأخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي من محبي عليٍ وآل علي ممن يشاهدني الآن أو يستمع إلى حديثتي.

أسئلكم الدعاء جميعاً وإلى لقاءٍ قريب في حلقة جديدة من برنامج قرآننا وأنا ألتقيكم على مودة عليٍ وآل علي أسألكم الدعاء في أمان الله.

الحلقة الخامسة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١١١ الى الآية ١١٧

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم في هذا اليوم الشريف في عيد بعثة نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الحلقة الخامسة بعد العاشرة من برنامج قرآننا، كلامنا متواصلٌ في سورة البقرة حيثُ تمَّ الكلامُ في الحلقة الماضية في الآية العاشرة بعد المئة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَو نَصَارَى تِلكَ أَمَانِيُّهُم قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ هذه هي الآية الحادية بعد العاشرة بعد المئة. ﴿وَقَالُوا﴾ من الذين قالوا؟ لا زال الكلام في سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل بشكلٍ خاص وفي بعض المواطن يكون الحديث عن أهل الكتاب عموماً عن اليهود والنصارى كما في هذه الآية ﴿وَقَالُوا﴾ يعني اليهود قالوا والنصارى قالوا ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً﴾ يعني اليهود قالت بأنهُ لن يدخل الجنة ولن هنا تفيد النفي التأبيدي كأن الجنة خاصةٌ بهم باليهود فقط ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً﴾ هذا قول اليهود ﴿أَو نَصَارَى﴾ هذا قول النصارى لأن النصارى يعتقدون بضلال اليهود فالنصارى قالت بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان منهم واليهود قالت كذلك ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَو نَصَارَى تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ الأماني هنا جمعٌ لأمنية وهو ما يتمناه المرء.

مرَّ علينا في الآية الثامنة والسبعين من سورة البقرة ﴿وَمِنهُم أُمِّيُّونَ لاَ يَعلَمُونَ الكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِن هُم إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ وبيّنت في حينها إن معنى كلمة أماني في الآية الثامنة والسبعين تعني أكاذيب والمراد من أن الأماني أكاذيب في أصل اللغة لأن الفعل مُني يعني ابتُلي ولأن الفعل منَى يعني قدَّر ابتُلي أي قُدِّرَ عليه، ومَنى الله سبحانه وتعالى مَنى العباد ابتلاهم أي قدَّر لهم أو قَدَّرَ عليهم الأمر الكذائي فيُقال للكاذب ولكلامهِ أماني لأنهُ يُقدِّر الكذب في ذهنهِ ثم يقولهُ ويتلفظ به فالأماني في الآية الثامنة والسبعين من سورة البقرة هي

الأكاذيب ﴿وَمِنهُم أُمِّيُّونَ لَا يَعلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ أما في الآية التي بين أيدينا ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ الأماني هنا جمعٌ لأمنية وهي الأمنيات ما يتمناه المرء ما يرغبُ فيه ما يريد أن يتحقق، القرآن هنا قال ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ تلك أمانيهم يعني تلك الأمور التي يحبون أن تتحقق وهي لن تتحقق لأن الأمنية في معناها الحقيقي في معناها الأصلي الشيء الذي لا يمكن تحققه لذلك نحن ماذا نقول؟ نقول نستعمل لعل للترجي وليت للتمني، لعل الأمر الفلاني يقع لعل هنا تفيد الترجي والترجي هو إمكان حصول ذلك الشيء يتوقع أن يحصل، ليت هي للتمني والتمني هو أن الإنسان لا يتوقع أن يحصل ذلك الشيء وإنما يرغب في حصولهِ الفارق بين الترجي والتمني أنهُ في الترجي الإنسان يحب لهذا الأمر أن يقع وسيقع ممكن وقوعه أما التمني أن الإنسان يحب لهذا الأمر أن يقع ولكن لا يقع، فالقرآن هنا يقول ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ هذه أمنيات هذه أشياء يحبون أن تكون الأمور هكذا ولكنها لن تكون هكذا.

﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى﴾ هذا شيء يرغبهُ اليهود أن تكون الجنان لليهود فقط وهذا شيء ترغبهُ النصارى أن تكون الجنان للنصارى فقط ولكن القرآن يقول ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ هذه أمنيات ثم يسأل القرآن ﴿قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ إذا كنتم تصدقون إذا كنتم تقولون الحقيقة والصدق هنا المراد ليس فقط الصدق في الإخبار وإنما الصدق في العلم إذا كان علمكم صادقاً إذا كان علمكم حقيقياً فما هو برهانكم؟ إذا كنتم تقولون بأنهُ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو من كان من النصارى إذا كان هذا الكلام يستندُ إلى علمٍ صادق إلى علمٍ حقيقي فما هو برهانكم على ذلك؟ إنما كلامكم أمنيات فكان ردُ القرآن أولاً وصف كلامهم قال إنما هي أمنيات غايةُ ما في الأمر أنهم يرغبون بذلك وذلك لن يتحقق، لماذا؟ لأنهُ لا حقيقة له لذا جاء القرآن بعد أن وصف حالهم بأن ذلك الكلام هو مجردُ أمنيات طالبهم بالبرهان ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ هذا القسم الأول، القسم الثاني ﴿قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ إنما هي أمنيات كأمنيات المخالفين لأهل البيت، في روايات أهل البيت يسمون الذين يخالفونهم بالمرجئة، المرجئة أو المرجّئة طبعاً في كتب المخالفين حين يتحدثون عن هذا المصطلح عن مصطلح المرجئة أو المرجّئة فهم يتحدثون عن فرقةٍ أنقضت وأنتهت لا وجود لها يعني لو أردنا أن نرجع إلى كتب المخالفين لأهل البيت نبحث عن مصطلح المرجئة أو المرجّئة فإننا سنجد بأنهم يتحدثون عن عقيدةٍ عن فرقةٍ عن مجموعةٍ أنتهت لا وجود لها اليوم، أما في كلام أهل البيت في حديث أهل البيت فإن المرجئة هو عنوان

واسم لمن خالف أهل البيت هذا العنوان وهذا الاسم كان موجوداً في الواقع منذ شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله منذ أن أنقلبت الأُمَّة على وصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ولكن هذا العنوان برز للوجود بشكلٍ واضح ومعروف بعد واقعة الجمل.

بعد واقعة الجمل وبعد أن قتلت تلكم الأعداد الكثيرة في معركة الجمل وقتل من معسكر سيد الأوصياء ومن معسكر الباغين عليه من معسكر عائشة والزبير وابنه عبد الله وطلحة وغيرهم فقتل من جيش سيد الأوصياء الإمام المعصوم وقتل أيضاً من جيش البغاة العصاة الخارجين على إمام زمانهم هذه الأعداد الكثيرة التي قتلت وقتلوا بسيف الحق فماذا يقولون؟ انشأوا عقيدةً هي غريبة عجيبةً قالوا بأن الذين قتلوا في الجمل نحنُ لا نحكم عليهم نوكلُ أمرهم إلى الله نرجئُ أمرهم إلى الله هكذا قالوا نرجىءُ أمرهم إلى الله والله يحكم بينهم لأنه لا ندري هل الحق مع هؤلاء أم مع هؤلاء فنرجىءُ أمرهم إلى الله والله سبحانه وتعالى هو الذي يفصلُ بينهم فلربما هؤلاء البغاة أيضاً هم من أهل الجنان خصوصاً وأن فيهم من العشرة المبشرة بالجنة كما يقولون هم فهم يعتقدون بإرجاء أمرهم إلى الله وهكذا القضية امتدت إلى الذين غصبوا الزهراء حقها وغصبوا علياً حقه فقالوا أيضاً إنهم يجتمعون عند الله فنرجىءُ أمرهم إلى الله منهم من قال بهذا الكلام أيضاً ثم استمرت هذه القضية مع كل من يعادي أهل البيت استمرت أنهم يرجئون أمرهم إلى الله ثم انقلبت الأمور إلى أنهم أخذوا يحبونهم، صارت القضية اسوأ وألعن إن كانوا في فترة من الفترات أرجئوا أمرهم إلى الله، الله يحكم فيهم فقد يكونون من أهل النار أو من أهل الجنة القضية بعد ذلك انقلبت فصارت ديناً يُدان به وصاروا كلهم من أهل الجنة وصاروا كلهم من أهل الحق ثم شيئاً فشيئاً صار عليٌّ هو الذي يُنتقص وغيرهُ يُقَدَّمُ عليه ويُفَضَّلُ عليه أيضاً هؤلاء حقيقتهم كحقيقة هؤلاء نقول ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُم﴾ هذه أمنيات أنتم تتمنون ﴿قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم﴾ أين هو برهانكم؟!

﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَو نَصَارَى تِلكَ أَمَانِيُّهُم قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ﴾ إذاً من الذي ينجو؟ من الذي يدخل الجنة الآية السابقة تتحدث أن اليهود قالوا بأنهُ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً والنصارى قالوا أَو نَصَارَى، الله ماذا يقول؟ ﴿بَلَى مَن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَلَهُ أَجرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾ بَلَى مَن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ: في هذا الحال لأنهُ هناك من يُسلِم وجههُ لله وكل الكائنات تُسلم وجهها لله شاءت أم أبت لكن الحديث هنا عن الإنسان يُسلم وجههُ في حال اختيارٍ في حال إحسان ﴿بَلَى مَن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلّهِ﴾ أسلم وجههُ أسلم قلبهُ أسلم عقلهُ أسلم حقيقتهُ ﴿بَلَى

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أسلم وجههُ أي جعل قلبهُ في دائرة الله سَلَّمَ قلبهُ لله سَلَّمَ عقلهُ لله وهو من معاني ومن مصاديق القلب السليم، القلب السليم كما تقول الروايات هو القلب الذي ليس فيه إلا الله فذلك القلب الذي أسلم إلى الله ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ هناك إسلامُ الوجه وفي حال الإحسان ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ جزاءهُ عند ربه المجازي هو ربهُ ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية هنا لم تقل مثلاً جزاءهُ الجنات جزاءهُ الثواب العظيم قالت ﴿أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وهذا هو أعظم الجزاء يعني أنه يأخذ جزاءهُ بشكلٍ خاص من عند ربهِ فالجنات من عند ربه والثواب العظيم من عند ربه ولكن هناك جزاءٌ له خصوصية هذه الخصوصية أن هذا جزاء خاص بشكلٍ خاص يأتي للعبد من عند ربه لِمن؟

لمن أسلم وجههُ لله وهو محسن ﴿بَلَى﴾ هؤلاء هم أصحاب الجنان لا كما يقول اليهود ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ أو لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى كما يقول النصارى وإنما الجنة لهؤلاء ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ إسلام الوجه يعني إسلام القلب والعقل في حال الإحسان وهو محسن فماذا يترتب على هذا ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ هناك أجرٌ خاص ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يصيبهم الخوف عند الموت ولا يصيبهم الخوف في القبر ولا في يوم القيامة ولا يصيبهم الحزن كذلك، قطعاً الخوف الشديد هو في مواقف يوم القيامة أما الحزن أين يكون؟ الحزن الشديد يكون عند الاحتضار عند الموت لأنهُ عند الموت يُبَشَّرُ الإنسان إما بنارٍ وإما بجنة والتبشير قطعاً بالخير التبشير بالنار يكون على نحو المجاز، عند الموت يُبشّرُ الإنسان إما بنارٍ وإما بجنة فالمبشَّرُ بالجنان يفرح لا يصيبهُ الحزن والمبشر بالنيران يصيبهُ الحزن، الحزن والفرح يبدءان من لحظة الموت حينما يُبشر الإنسان وتُكشف للإنسان عاقبتهُ.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ماذا يترتب على ذلك؟ ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ هناك أجرٌ خاص ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولا يصيبهم الخوف في يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا يصيبهم الحزن عند الموت لماذا؟ لأنهم قد اسلموا وجوههم لله وهم في حال إحسان فما هو السر في أن الحزن لن يصيبهم عند الموت؟ قطعاً إذا لن يصيبهم الحزن عند الموت لن يخافوا في يوم القيامة هناك سر في هؤلاء، هؤلاء الذين اسلموا وجوههم لله وهم محسنون أين هو السر؟ السر تبينهُ لنا سورة لقمان في الآية الثانية والعشرين ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ نفس الكلام الموجود في سورة البقرة ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

في الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئة، في الآية الثانية والعشرين من سورة لقمان ﴿وَمَن يُسلِم وَجهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ﴾ إسلام في حال الإحسان ﴿فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى﴾ من هنا يأتي عدم الحزن ومن هنا يأتي عدم الخوف ﴿فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ أما الذي لا يستمسك بالعروة الوثقى الآية التي بعدها ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحزُنكَ كُفرُهُ﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفرُهُ: هذا الذي كفر هو الذي لا يستمسك بالعروة الوثقى ﴿وَمَن يُسلِم وَجهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى﴾ فيترتب عليه ﴿فَلَهُ أَجرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ﴾ العروة الوثقى إنما هي مظهرٌ إنما هي حقيقةٌ مترتبةٌ على إحسان هذا الذي أسلم وجههُ لله ﴿بَلَى مَن أَسلَمَ وَجهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ﴾ العروة الوثقى هي نتيجة إحسانهِ والعروة الوثقى كما في روايات أهل البيت ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه العروة الوثقى عليٌّ سيد الأوصياء العروة الوثقى، إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه هو العروة الوثقى التي من استمسك بها فقد نجا العروة الوثقى ولاية عليٍّ.

اليوم يوم المبعث الشريف ويوم المبعث الشريف في حقيقتهِ يومُ عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، يوم عليٍّ فهو يوم مُحَمَّد، يومُ محمَّدٍ يوم عليٍّ ويوم عليٍّ يوم مُحَمَّد، ولِذا في هذه المناسبة الشريفة في ليلة المبعث في يوم المبعث أيُّ الأعمال أفضل؟ أفضل الأعمال التواجد عند عليٍّ في النجف أفضل الزيارات، الزيارات المخصوصة في هذه المناسبة في ليلة المبعث في يوم المبعث زيارة عليٍّ، ذكر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه إحياءُ الليلة عند عليٍّ هذه ليلة المحيا عند سيد الأوصياء ليلة المبعث وهذا هو يوم الزيارة ويوم المناجاة عند عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه.

يا صاحب القبة البيضاء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

هذه قصيدة مشهورة للحسين بن الحجاج رضوان الله تعالى عليه من شعراء الشيعة المخلصين وما بعجب أتعلمون بأنهُ من أحفاد الحجاج بن يوسف هذا الحسين بن الحجاج في التأريخ يقولون بأنهُ من أحفاد الحجاج بن يوسف وما ذلك بغريب سيد الأوصياء مرات عديدة يخاطب الناس الذين كانوا في عصرهِ يقول: **وإني لأوثق بما في أصلاب بعض المشركين.** هذا الخطاب خطابٌ للنبي أيضاً خاطب به الناس وخطابٌ لعليٍّ أيضاً خاطب به الناس: **وإني لأوثقُ بأُناسٍ في أصلاب بعض المشركين منكم.** يثق بما في أصلاب بعض المشركين وهذا من مصاديقهِ الحسين بن الحجاج حينما بنى البويهيون وجددوا بناء الحضرة العلوية وكانت القبة في ذلك الوقت قبة بيضاء مجصصة بالجص لم تكن قبة ذهبية لذلك يخاطب الأمير فيقول:

يا صاحب القبة البيضاء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

وأنا أقول هنا:

يا صاحب القبة الشماء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

فقُبتهُ قبةٌ بيضاء في حقيقتها ورايتهُ بيضاء ووجههُ أبيض وحضرتهُ بيضاء ودينهُ أبيض وقرآنهُ أبيض وتلكم هي الحقيقة العلوية البيضاء ...

يا صاحب القبة البيضاء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

يا صاحب القبة الشماء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

لماذا؟ واستشفى ليس من أمراض الأبدان فقط استشفى لديك من أمراض الضلالات ومن أمراض النصب وهذا هو أخطر الأمراض، من أمراض الضلالة ومن أمراض النصب ومن أمراض العقول والقلوب ومن أمراض الأديان، أمراض الأبدان تأتي متأخرة عن هذه الأمراض.

يا صاحب القبة الشماء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شُفي

لماذا؟

لأنك العروة الوثقى فمن علقت بها يداه فلن يشقى ولن يَخَفِ

﴿ وَمَن يُسلِم وَجهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحسِنٌ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى ﴾

لأنك العروة الوثقى فمن علقت بها يداه فلن يشقى ولن يَخَفِ

يا سيد الأوصياء، ترحموا على امهاتكم – **من أحس ببرد حُبنا على كبدهِ أو في كبدهِ فليترحم على أمهِ** – رحم الله أمهاتكم ورضوان الله تعالى على أمهاتكم إن كُنَّ على قيد الحياة أو كُنَّ على قيد الوفاة. اليوم يوم عليٍّ ...

ولقد روينا في حديثٍ مُسندٍ عمَّا رواه حُذيفةُ ابن يمانِ

إني سألت المرتضى لِما لم يكن عقد الولاءِ يصيب كل جنان

إني سألت المرتضى لِما لم يكن عقد الولاءِ يصيب كل جنان

فأجابني بإجابةٍ طابت لها نفسي وأطربني لها استحساني

الله فَضَّلني ومَيَّزَ شيعتي من نسل أرجاس البعول زواني

وروايةٌ أخرى إذا حُشِر الورى رويت عن سلمان

للناصبين يقال يا ابن فلانةٍ ويقال للشيعي يا ابن فلانِ

كتموا أبا هذا لخبث ولادةٍ ولطيب ذا يُدعى بلا كتمان

ربما الآن الكثير من المؤمنين في نجفنا الشريف يزورون قبور أرحامهم قبور أمهاتهم هذه زيارة المبعث والكثير من المؤمنين الكثير من محبي أهل البيت في هذه المناسبة يزورون وادي السلام أقول رحم الله أمهاتكم ورضوان الله تعالى على أمهاتكم إن كُنَّ على قيد الحياة وإن كُنَّ على قيد الوفاة ...

لا عَذَّبَ الله أمي إنها شربت حُبَّ الوصي فغذتنيه في اللبن
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من كان مع عليٍّ فلا خوف عليه، من كان مع عليٍّ لا يصيبهُ الحزن ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ هذا الأجر الخاص ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هؤلاء هم الذين اسلموا وجههم لله وهم في حال الإحسان وما هو هذا الإحسان؟ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ من هو الذي يُقال له محسن؟ الذي يُقال له محسن الذي تلبس بالإحسان تلبس بالحسنى تلبس بالحسنة وهذه التسميات في الكتاب الكريم الحسنة والحسنى والإحسان كلها وردت في روايات أهل البيت في ولاية علي، الحسنى والإحسان والحسنة كلها وردت في ولاية عليٍّ، المحسن هو المتلبسُ بالإحسان أو بالحسنى أو بالحسنة.

في سورة النمل المباركة هذه الآية من أجمل الآيات ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ هذه الحسنة ليست الحسنة التي تُجازى بعشر حسنات وهي التي تتحدثُ عن الطاعات وعن الأعمال التي يترتب عليها الثواب والأجر هذه الحسنة الحسنة الحقيقية ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ معرفة بالألف واللام هذه الألف واللام هي ألف ولام العهد هذه الحسنة المعهودة حسنة واحدة ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ إذاً هناك حسنة واحدة بسببها يأمن الذين يأتون بها مرَّ علينا ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف ولا حزن في نفس الآية ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ هذه الآية هي التاسعة والثمانون من سورة النمل المباركة ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ خيرٌ منها مرافقة عليٍّ وآل علي من جاء بولاية عليٍّ فما جزاءهُ ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يجاور علياً في الجنان.

يا علي، شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم وهم حولي جيراني في الجنة؛ يا علي أنت وشيعتك الفائزون – وهذه الروايات موجودة في كتبنا وفي كتب القوم ولا أعبأ بهذا المطلب لكن الكلام يُذكر – **يا علي أنت وشيعتك الفائزون؛ يا علي أنت وشيعتك خير البرية؛ يا علي شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم وهم جيراني حولي في الجنة** – جيران رسول الله.

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ من جاء بولاية عليٍّ ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ هذه الحسنة ليست حسنة واحدة يعني أن الإنسان مثلاً يعين شخصاً بمالٍ أو بشيءٍ فهل بسبب هذه الحسنة الواحدة ينال هذا المعنى ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ لا يصيبهُ الفزع في يوم القيامة لا يُعقل هذا؟! الكلام هنا عن شيءٍ يسبب الأمن والأمان.

لأنك العروة الوثقى فمن علقت بها يداه فلن يشقى ولن يَخَفِ

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ﴾ هذه السيئة التي تكون مناقضةً للحسنة ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أيَّةُ سيئة هذه؟ الحديث عن سيئة واحدة سيئة معروفة جوهر السيئات لم يتحدث عن سيئة بسبب جريمة قتل مثلاً، بسبب أكل حرام، بسبب غصب مالٍ من الأموال وإنما يتحدث عن سيئة واحدة هي التي تسبب الخلود في النار ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ﴾ سيئة واحدة هذه ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقد مرَّ علينا في سورة البقرة مرَّ علينا في الآية الحادية والثمانين ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ كسب سيئة سيئة واحدة ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يعني بسبب هذه السيئة أحاطت به الخطيئة من كل مكان فسببت له الخلود في النار ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه السيئة سيئة واحدة وهنا جاءت مُنكَّرة، مُنكَّرة ومنونة ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني سيئة واحدة، واحدة فقط هي هذه التي تسبب له أن تحيط به الخطيئة ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . تلاحظون آيات الكتاب بعضها يفسر بعضاً وبعضها يشد بعضاً وذلك إنما برعايةٍ ودلالةٍ من حديث أهل البيت هذه المعاني أنا استقيها ليست من مفسرٍ لا والله هذه المعاني استقيها من كلمات جعفر بن مُحَمَّد هذه المعاني أنا استقيها من كلمات مُحَمَّد

بن علي من كلمات الصادقين من كلمات الباقرين صلوات الله عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين.

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ يتلون يقرأون وإنما أقول يقرأون لأن هذا ورد في الروايات باعتبار أن من المفسرين من فسرها بشيءٍ آخر وإلا أنا أعلم المشاهد يفهم معنى يتلو أنه يقرأ لكنني وقفت عندها وأشرتُ إلى هذه النقطة لأن هذا هو الذي ورد في الروايات بخلاف ما ذكرهُ المفسرون فقالوا يتلون يعملون ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ وهذا كلام واضح، اليهود لا يعتقدون بدين النصارى ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ لأن النصرانية قد نسخت اليهودية ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ وهم يتلون الكتاب كل فريقٍ منهم يتلو كتابهُ اليهود يتلون التوراة والنصارى يتلون الإنجيل وفي كلا الكتابين بشاراتٌ بالنبي الأعظم وببعثتهِ التي نعيش ذكراها في هذا اليوم.

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الذين لا يعلمون هم سائر العرب من غير اليهود والنصارى ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ أيضاً قالوا بأن النصارى لا على شيء واليهود لا على شيء وكذلك محمَّدٌ صلى الله عليه وآله لا على شيء ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القرآن يصف العرب من غير اليهود والنصارى بالأميين الذين لا يعلمون، لا يعلمون الكتاب لأنهم يعيشون أمية العلم الديني وأمية الكتاب السماوي ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لأن اليهود عندهم علم وجزءٌ من علمهم صحيح، والنصارى عندهم علم وجزءٌ من علمهم صحيح وإن وقع التحريف في كتبهم، في كتب اليهود والنصارى لكنهم يعلمون بكثيرٍ من الحقائق خصوصاً الأحبار والرهبان منهم ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ من قالوا بأن الفرق الأخرى لا على شيء ونحن على شيء ونحن على حق.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ إذاً كلهم تساووا اليهود الذين عندهم كتاب وعندهم شيء من علم، والنصارى الذين عندهم كتاب وعندهم شيء من علم، وهؤلاء العرب المشركون الذين ليس عندهم شيء من علم ولا عندهم كتاب أقوالهم واحدة لماذا؟ لأنهم حين ينحرفون عن الحق فالقضية واحدة، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: **الكفر ملةٌ واحدة.**

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الحكم الواضح والحقيقي والنهائي إنما يكون في يوم القيامة لأن هؤلاء يقولون بهذا ويموتون، ويموتون على هذا الحال من اليهود من النصارى ومن سائر الأمم الأخرى فمتى يكون الحكم الفيصل؟ الله يحكم بينهم يوم القيامة ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ بحسب روايات أهل البيت هذه الآية تتحدث عن مشركي قريش لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتخذ له مكاناً خاصاً به وبعليٍّ وخديجة وفي بعض الأحيان يلتحق بهم جعفر، جعفر الطيار، كان النبي قد اتخذ له مكاناً لأن الكعبة كانت المساحة المحيطة بها مفتوحة وكان الناس يتمكنون أن يأخذوا فيها مكاناً النبي أخذ له مكاناً معيناً بمثابة مصلى له بمثابة مسجدٍ له، المسجد هو المكان الذي يُسجد فيه، مسجد مفعل يعني اسم مكان مسجد ماذا تعني في الهيئة في هيئة اللغة العربية مسجد تعني مكان السجود، مسجد على وزن مفعل ومفعل يعني مكان للسجود المكان الذي يُسجد فيه.

النبي اتخذ له مسجداً بنحوٍ خاص داخل المسجد الحرام في المكان المحيط بالكعبة فكان يصلي فيه وعليٌّ وخديجة خديجة الكبرى صلوات الله عليها وفي بعض الأحيان يلتحق بهم جعفر، جعفر الطيار وبعض صحابة النبي أيضاً اتخذوا لهم أماكن في هذا المجال المحيط بالكعبة، قريش بعد ان اشتدت وطأتهم على النبي وعلى اصحابهِ خربوا هذه الأمكنة، قطعاً النبي لم يكن قد بنا بناءً وإنما وضع شيئاً والصحابة أيضاً، شيء كأنهُ يخصص هذا المكان له كفراشٍ أو غيرهِ مثلاً، مثلاً كحصيرٍ أو غيرهِ وضع شيئاً والصحابة أيضاً هؤلاء القرشيون خربوا هذه المساجد خربوها ليس هنا التخريب تخريب البناء وإنما منعوا النبي ومنعوا صحابة النبي من عبادتهم من صلاتهم بما كانوا يفعلونهُ من أفاعيلهم الكثيرة إن كان من ضرب الصحابة من تعذيبهم من منعهم من الاستهزاء بصلاتهم وبقرآنهم وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي كانت تفعلها قريش، بحسب الروايات الآية تتحدث عن تلكم الفترة وعن تلكم الأحداث ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ خراب المساجد بالدرجة الأولى هو بمنع العبادة وبمنع العُباد أن يتعبدوا فيها وبالدرجة الثانية يأتي خراب المكان أن نُخرب المكان، التهديم والتخريب والتشويه للمكان الخراب بالأصل هو منع العبادة ومنع الناس أن يتعبدوا فيها ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ هل هناك من جهةٍ أكثرُ ظلماً من هذه الجهة، الجهة التي تمنع مساجد الله وتسعى في خرابها.

﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُم أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ ﴾ أن يدخلوا مكة أن يدخلوا تلكم المساجد التي كانت في مكة ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُم أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ ﴾ متى؟ بعد فتح مكة وبعد أن منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخول المشركين إلى مكة خصوصاً بعد نزول سورة براءة والقضية فيها تفصيل تأريخي نحن الآن لسنا بصدد الدخول فيه لكن الآية بحسب الروايات تتحدث عن مساجد عن أماكن للعبادة خصصها النبي والصحابة لهم فجاءت قريش فمنعتهم من ذلك، الذين منعوا هذه المساجد بعد فتح مكة اصبحوا لا يستطيعون الدخول إلى مكة وإلى المسجد الحرام إلا وهم خائفون لأنهم منعوا من دخول مكة بأمرٍ من النبي صلى الله عليه وآله.

﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُم أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ مهانة ومذلة ﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ صحيح هناك مساجد وهناك مواطن للطاعة والعبادة لكن المشرق والمغرب لله كل شيءٍ هو لله ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ هذه الآية فيها أكثر من بُعد هناك البُعد الفقهي ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البُعد الفقهي بحسب الروايات الواردة عن أئمتنا عن إمامنا الصادق عن إمامنا الباقر صلوات الله عليهما وعن غيرهما الروايات تقول هذه الآية نزلت في صلاة النافلة، نزلت في التطوع في حال السفر.

الروايات تقول هكذا بأنك إذا كنت في السفر فلا يُشترط في أداء النافلة أن تتوجه إلى القبلة وإنما إذا كنت في السفينة تتوجه إلى الجهة التي تتجه إليها السفينة طبعاً إن لم تكن قادراً على التوجه باتجاه القبلة إذا كنت قادراً على التوجه باتجاه القبلة وليس في ذلك من حرج أو من ضرر فالتوجه إلى القبلة يكون أفضل ولكن لو لم تتمكن من التوجه والسفينة تسير باتجاه مخالف لاتجاه القبلة فصلاة النافلة لا بأس بها حتى ولو كانت إيماءً لا إشكال في ذلك وفي الروايات لو كنت على ظهر الدابة وأردت أن تؤدي النافلة في السفر وأنت على ظهر الدابة باتجاه مسير الدابة توجه حتى تكبيرة الإحرام في بعض الروايات لا يشترط فيها التوجه إلى القبلة والمسألة فيها تفصيلات فقهية لكن بشكل عام نحن الآن لسنا بصدد البحث الفقهي بشكل مفصل الآية في وجه من وجوهها بحسب الروايات تتحدث عن أداء النافلة الصلاة التطوعية في حال السفر إذا كان الإنسان على ظهر الدابة أو في مركب من المراكب في سيارة مثلاً، في طائرة في زماننا فإنهُ يتجه باتجاه حركة

الدابة حركة الطائرة حركة السفينة ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني بأن قبلتك صحيحة في صلاة النافلة في حال السفر لأي جهةٍ اتجهت للمشرق أو للمغرب طبعاً هذا في حال إذا لم يتمكن الإنسان من التوجه للقبلة، بالنسبة للصلوات الواجبة صلوات الفريضة الشرط واجب التوجه للقبلة وهذا التفصيل مذكور في مضانهِ الفقهية لكن كما قلت هناك عدة جهات في هذه الآية الجهة الأولى وهي الجهة الشرعية التي أشارت إليها مجموعة من روايات أهل البيت عليهم السلام بأن الآية تتحدث عن الصلاة التطوعية عن صلاة النافلة في حال السفر فأنت تستطيع أن تتوجه إلى أي جهة بخلاف القبلة ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ توجه للمشرق للمغرب بحسب اتجاه الدابة أو اتجاه الوسيلة التي أنت راكبٌ عليها أو فيها.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ **ثم** فهناك وجه الله **ثَمَّ** بمعنى هناك أو فحيث وجه الله ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فهناك وجه الله فحيثُ وجه الله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذا البُعد الأول طبعاً الآية فيها إشارات دقيقة الآية قالت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ما قالت ولله الشمال والجنوب قالت ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ باعتبار أن أوقات الصلاة المناط فيها جهة الشروق وجهة الغروب في قضية تحديد الوقت وباعتبار أن معرفة الليل والنهار إنما تأتي من جهة المشرق والمغرب وباعتبار أن الناس دائماً حينما يتحدثون، يتحدثون عن أناس مُشَرِّقين وأناس مُغَرِّبين فما يقولون عن أناسٍ ذهبوا إلى الشمال مُشمّلين أو ذهبوا إلى الجنوب مُجَنّبين الحديث دائماً عن مشرق وعن مغرب وحينما يكون الكلام عن المشرق والمغرب فالمقصود عن كل الجهات هكذا يُراد منهُ في كلام العرب خصوصاً أيضاً إذا أضفنا إلى أن الأرض هي كروية فإذا كانت الأرض كروية يعني أننا إذا أردنا أن نتخيل زوايا الأرض فإنما هي بمثابة دائرة ومركز الأرض بمثابة دائرة والدائرة عبارة عن مجموع أربع زوايا قائمة يعني نحن إذا أردنا أن نحلل زوايا مركز الدائرة فهي عبارة عن مجموع أربع زوايا قائمة، الزاوية القائمة تسعون درجة أربع زوايا يعني 360 درجة فستكون الحركة المشرقية بما يعادل 180 درجة والحركة المغربية بما يعادل 180 درجة فكأن هذا النصف من الأرض هو النصف الشرقي والنصف الثاني هو النصف الغربي فتكون الحركة في القسم الشرقي بحدود 180 درجة وفي القسم الغربي بحدود 180 درجة فحينما تقول الآية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني ولله كل الجهات وقطعاً هي التسمية تسمية شرق، غرب، شمال، جنوب، شمال شرقي، شمال غربي، جنوب شرقي، جنوب غربي، هذه التسميات هي قضايا نسبية، نسبية أصلاً لكل شخص ولكل شيء يعني الآن مثلاً الذين يعيشون في استراليا أين هو شمالهم أين هو جنوبهم أين هو شرقهم أين هو غربهم أو الذين يعيشون في

القطب الشمالي في مناطق الاسكيمو أين هو شمالهم أين هو جنوبهم أين هو شرقهم أين هو غربهم هذه قضايا نسبية واعتبارية هذه من المسائل الاعتبارية التي يستعين بها الإنسان لتنظيم حياته يعني إذا أردنا أن نذهب إلى البعد الفلسفي أو إلى البعد الفيزيائي لهذه الحقائق للجهات للشرق للغرب للشمال للجنوب وحتى للفوق وللتحت عندنا أربع جهات تحيط بالإنسان من غير فوقهِ وتحتهِ يُضاف إليها الجهة الفوقية والجهة التحتية هذه الجهات الست، الجهات الست هذه إنما هي جهات اعتبارية ونسبية في نفس الوقت، اعتبارية لا وجود لها وإنما تتشخص بحسب الشيء، هذا الشيء أين يكون هذا المخلوق أين يكون فبحسب هذا الشيء تتشخص هذه الجهات حينما يكون الناس يعيشون في استراليا فلهم شرقٌ وغربٌ وجنوب وشمال وحينما يعيشون كذلك مثلاً في شمال الكرة الأرضية في كندا مثلاً يعيشون أيضاً لهم جهات غير الجهات التي هي في استراليا وهكذا في كل مكان من هنا يقال عن هذه الجهات لأنها اعتبارية من جهة ونسبية من جهةٍ أخرى.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني كل الجهات له ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ والقرينة هنا إينما يعني إلى أي جهةٍ ليس فقط إلى جهة المشرق والمغرب يعني في غير جهة المشرق والمغرب لا يوجد وجه الله لا نقول فَثَمَّ وجه الله ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ يعني في أي اتجاه ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وإلا ليس المقصود ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يعني المشرق الجغرافي والمغرب الجغرافي بعيداً عن الشمال والجنوب الجغرافيين وحينئذٍ تكون الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ إلى المشرق الجغرافي والمغرب الجغرافي ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فهناك وجه الله يعني في جهة الشمال والجنوب كأنهُ لا يُقال ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ المقصود هنا ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ كل جهةٍ كل اتجاهٍ كل مكان كما قلت بأن المشرق 180 درجة والمغرب 180 درجة فتكتمل الدائرة ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع هذه أيضاً قرينة إلى الإحاطة بكل الجهات، الإحاطة ليست الإحاطة المادية، الإحاطة الإحاطة الربوبية الإحاطة الإلهية هو محيطٌ بكل الأشياء لكن لا بنحو الإحاطة المادية والمكانية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ السعة الإلهية تحيط بكل شيء وما قيمة هذه الجهات فهو محيطٌ بكل هذه الجهات ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وهنا جاء الاسم الكريم الصفة الكريمة عليم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لتمييزه عن خلقه لأنني وأنت حينما يريد أن يقصدنا أحد لابد أن يقصدنا من جهةٍ واحدة وهي الجهة الأمامية هذا أولاً وثانياً لابد أن نكون ملتفتين وثالثاً لابد أن يشعرنا بأنهُ قاصدٌ إلينا فهذا على

أي شيءٍ يدل؟

أولاً يدل على أننا لا نملك سعةً كبيرة وإنما دائرة التوجه إلينا ضيقة ويدل أيضاً على جهلنا أيضاً نحن بحاجة إلى من يُعلمنا بأنهُ هو متوجه إلينا إما أن يُشير إلينا بكلام بيد بحركة من عينيه بحركة من رأسه لابد أن يُشعرنا بأنهُ هو متوجه إلينا يريد أن يحدثنا يريد أن يُكلمنا، الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى ذلك إلى هذا المعنى أشار إبراهيم الخليل عليه السلام حين قال: علمك بحالي يغنيني عن سؤالي – وفي بعض النصوص – يغنيك عن سؤالي. علمك بحالي فأنت الواسع العليم ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذه الجهة الأولى الجهة الفقهية وبعض النكات بعض الدقائق الموجودة في الآية الكريمة.

الجهة الثانية الآية تتحدث عن الإحاطة الإلهية بكل شيء، هو محيط بكل شيء هو داخلٌ في الأشياء لا كشيءٍ في شيء هو قريبٌ من الأشياء لكن لا بنحو الملامسة والممازجة هو قريبٌ في بُعدهِ وهو بعيدٌ في قربهِ هو يدنو من الأشياء في علو ويعلو على الأشياء في دنو هكذا وصفت كلمات سيد الأوصياء، كلمات عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه في جانب من معاني التوحيد الآية تتحدث في الجهة الثانية تتحدث عن الإحاطة الإلهية هو محيطٌ بكل شيء جلت قدرته وتعالى شأنهُ.

الجهة الثالثة في هذه الآية فيها إشارة إلى أعظم أولياء الله إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهو وجه الله هو وجه الله المشرق في هذا الوجود الحقيقة المحَمَّدية هي وجه الله المشرق في كل مظاهر هذا الخلق ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، لا أقف طويلاً عند هذه المعاني لأن الوقت لا يكفي وأنا إن شاء الله مثلُ هذه المعاني أبينها في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة لكن فقط أردت أن أشير إشارة سريعة إلى ذلك أن الآية فيها إشارة إلى هذا المعنى إشارة إلى وجه الله، إلى الحقيقة المحَمَّدية المشرقة في كل شيء ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ الآية ما قالت فَثَمَّ الله وإنما قالت: فَثَمَّ وَجهُ اللّهِ، هناك وجه الله المشرق في كل جنبات هذا الوجود حين يأتي الحديث القدسي فيخبرنا بأن الله يخاطب أحمد، الحقيقة الأحمدية – **يا أحمد خلقتك لي** – هذا الذي يُخاطب هكذا كم هي سعتهُ؟! رحم الله الشيخ كاظم الأزري في أزريتهِ وهو يتحدث عن حقيقة محمَّد ...

وهو الآية المحيطةُ في الكونِ ففي عينِ كُلِّ شيءٍ تراها

هذا هو محمَّدُنا وهذه هي بعثته وإلى هذه الحقيقة نحن نقرأُ في أدعية ليلة المبعث وفي أدعية يوم المبعث ربما الكثير منكم في ليلة البارحة قرأ هذا الدعاء وهنيئاً لمن قرأهُ عند عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، الدعاء الذي يُستحبُّ قراءتهُ في ليلة المبعث، هذا مفاتيح الجنان بين يدي في أعمال الليلة السابعة والعشرين من رجب

تقرأ هذا الدعاء الذي جاء فيه: **اللَّهُمَّ إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعَظَّم**... التجلي الأعظم هو هذا الوجه المشرق ...

هو الآية المحيطة في الكون ففي عين كل شيءٍ تراها

اللَّهُمَّ إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعَظَّم – إلى أن تقول في الدعاء – **فأسألك بهِ وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتهُ** – خلقهُ هذا هو الاسم الذي خلقهُ هذا أسمٌ مخلوق أيُّ اسمٍ خلقهُ؟! أليس هي الحقيقة المحَمَّدية – **فأسألك بهِ وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتهُ فاستقر في ظلك** – ما قبل الخلق – **فلا يخرج منك إلى غيرك** – خلقتك لي يا أحمد، وما البعثة الأرضية إلا مظهر من ذلك المقام الأحمدي، يا أحمد خلقتك لي – **فأسألك بهِ وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتهُ فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – هذا في دعاء ليلة السابع والعشرين ليلة المبعث، في يوم المبعث في مثل هذا اليوم هذا الدعاء أيضاً يُقرأ وهنيئاً لمن قرأهُ عند عليٍّ صلوات الله عليه – **فنسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – هذا هو التجلي الأعظم وهذا هو الاسم الأعظم الذي خلقهُ في ظله فلا يخرج منه إلى غيره – **يا أحمد خلقتك لي** – الحقيقة الأحمدية هي التي إليها الإشارة ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ استقر في ظلك، في ظل الله هذه الذات والحقيقة الذات الأحمدية المستقرة في ظل الله المشرقة في جنبات هذا الوجود في كل ذرةٍ من ذرات هذا الوجود يُشرق وجه محمَّد ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذه السعة وهذا العلم أين تتجلى؟ تتجلى في الحقيقة المُحَمَّدية لا أريدُ أن أسهب كثيراً في هذا المضمون إن شاء الله في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة أبين مثل هذه المعاني.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ وقالوا: من الذين قالوا؟ اليهود قالوا بأن الله اتخذ عزيراً ولداً، عُزير هو ابن الله طائفة من اليهود قالوا بذلك والنصارى قالوا بأن المسيح هو ابن الله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ سبحانهُ: هذه الكلمة ربما الكثير يلفظ هذه اللفظة ولا يعرف دلالة هذه اللفظة أو أصل هذه اللفظة في اللغة أنا لا أريد أن أشرح معنى التسبيح إن شاء الله في مناسبة أخرى أتحدث عن هذا المعنى لكن أشير إلى تركيب هذه الكلمة إلى أصل هذه الكلمة في لغة العرب وذلك يعيننا في فهمها، سبحان تأتي اسماً من اسماء الله ولذلك نحن نقرأ في دعاء الجوشن الكبير وفي غيرهِ من اسمائه – **يا سبحان يا حنّان يا منّان** – من اسمائه من اسماء الله الحسنى السبحان وهو المنزَّه المسبَّح نقول يا

سبحان نخاطب الذات المنزه عن كل نقص عن كل سوء والمسبَّحة التي تسبح لها الكائنات تسبح لها الموجودات إن كان هذا التسبيح تسبيحاً وجودياً أو كان التسبيح تسبيحاً عبادياً وأيضاً سبحان تأتي بمعنى تسبيح تأتي مصدر فسبحان هي اسمٌ من اسماء الله فنقول – **يا سبحان يا حنّان يا منّان** – وسبحان مصدر بمعنى تسبيح يعني يمكن أن أقول أسبح الله تسبيحاً وأقول أسبح الله سبحاناً يمكن أن أقول هذا وإن كان غير شائع لكن يمكن أن يُقال فسبحان هي مصدر أسبح الله تسبيحاً، تسبيحاً مفعول مطلق من نفس لفظ الفعل وذلك يأتي لبيان توكيد الفعل والمفعول المطلق إذا جاء بهذه الهيئة فهو مصدر فسبحان إذا جاءت مصدر لابد أن تُضاف لابد أن نقول سبحان الله لابد أن نقول سبحانه وتعالى كما في الآية ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾ فأنت لا تجد في الكتاب الكريم ولا تجد في الأدعية ولا في أحاديث المعصومين سبحان بمعنى التسبيح من دون إضافة لابد أن تُضاف لابد أن أقول سبحان ربي سبحان الله سبحانه وتعالى لابد من إضافة، إضافة إلى ضمير إلى اسم لابد من إضافة لأنها إذا جاءت لوحدها من دون إضافة كما في الدعاء يا سبحان فذلك اسمٌ من اسماء الله سبحانه وتعالى فحين أقول سبحانه يعني تسبيحاً له فسبحان وتسبيح بنفس المعنى.

﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾ تنزيهاً له عن هذه الصفة فإنه أجل من أن يكون له ولد إنهُ أجل وأرقى وأعلى من أن يكون له ولد ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾ الآية تبين الشأن الإلهي ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾ كل ما في هذا الوجود كل ما في هذه السماوات كل ما في هذا الأرض ﴿**كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾ ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ **ما** هنا تشمل الجميع الذوات العاقلة والذوات غير العاقلة كل شيء ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ كل شيءٍ في السماوات والأرض ﴿**كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾ قانتون خاضعون، يقنت يخضع ومن هنا يُقال للدعاء قنوت القنوت هو الخضوع، القنوت هو الخشوع، القنوت هو النهاية في الاستكانة تحت قدرتهِ سبحانه وتعالى ﴿**سُبْحَانَهُ**﴾ منزّهٌ عن الولد ما هو شأنهُ؟ ﴿**بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾ كلٌ له قانتون لأي شيءٍ؟ لأنه مالكهم هو الذي يملكهم وهو المالك الحقيقي لا يوجد في هذا الوجود مالكٌ، لا يوجد هناك مالك غير الله سبحانه وتعالى، المالك الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى لأنهُ هو الذي أوجد وهو الذي خلق وهو الذي أبقى هذا الوجود وهذا الخلق وهو القادر على افنائهِ وإليه يعود كل شيء ولا شريك له ولا نِد له ولا ضد له ولا مثل له ولا مماثل له ولا شبيه له هو المالك

الحقيقي، الإنسان مثلاً هل يمكن أن نسميه بأنه مالك حقيقي؟! لو سمي بأنه مالك حقيقي فهذه تسمية مجازية أصلاً الإنسان هل يملك شيئاً؟! أنا هنا لا أتحدث باللسان الفقهي أو باللسان القانوني وإنما أتحدث بلسان الحقيقة، باللسان الفقهي الإنسان قد يملك العين وقد يملك المنفعة هناك عندنا في الأحكام الفقهية وحتى في القوانين الوضعية الإنسان ربما يملك العين في بعض الأحيان العين والمنفعة وفي بعض الأحيان يملك المنفعة فقط هناك حالات ممكن أن يملك العين من دون المنفعة وحالات يملك العين والمنفعة وحالات يملك المنفعة من دون العين يعني الملكية الفقهية والملكية القانونية على الأرض يمكن أن نقسمها إلى هذه الأقسام الثلاثة أن الإنسان يملك العين والمنفعة يملك العين من دون المنفعة ويملك المنفعة من دون العين وقد يقال للإنسان الذي يملك العين والمنفعة بأنهُ مالك حقيقي في النظرة الفقهية أو القانونية في النظرة العرفية في النظرة اللغوية المحدودة لكن في الحقيقة الإنسان هو لا يملك العين وإنما يملك المنفعة في جميع الأحوال العين بما هي عين لا يملكها فهو لا يستطيع أن يتصرف في أصل وجودها المالك الحقيقي هو الذي يستطيع أن يتصرف في أصل وجودها الإنسان حتى لو ملك العين في الحقيقة هو يملك الانتفاع من العين لكن هذا التقسيم الفقهي هذه تقسيمات اعتبارية في الحياة الدنيوية فيُقال الإنسان يملك العين والمنفعة أو يملك العين من دون المنفعة أو يملك المنفعة من دون العين هذه تقسيمات فقهية وقانونية لا في عالم الحقيقة، تقسيمات اعتبارية لتنظيم الحياة.

المالك الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ألا يُستحب أن نقول عند الصباح حينما نصبح حينما نستيقظ لصلاة الصبح لصلاة الفجر أن نردد هذه العبارة – **أصبحنا وأصبح الملكُ لله الواحد القهار** – طبعاً هذا الكلام إنما هو لتذكير القلوب وإلا هو متى كان الملك ليس لله حتى أصبحنا وأصبح المُلك لله، هو من نحن؟! نحن وما أصبحنا نحن وصباحنا وكل ما عندنا وكل ما فينا ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعونَ**﴾ هو المالك الحقيقي هو المتصرف الحقيقي الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي فكل شيءٍ في مُلكهِ خاضعٌ له وما عيسى وما عُزير وأي مخلوقٍ آخر إنما هم من أجزاء مُلكهِ فلا يمكن للمملوك أن يتجاوز حدود الملكية هو مملوك ضمن حدود المملوكية لا يمكن أن يخرج منها يعني الآن حتى في الحياة العرفية من كان عنده ولد ومن كان عنده مملوك هل يستطيع المملوك أن يخرج عن حد المملوكية فيكون ولداً فيتصرف كما يتصرف الولد لا يمكن ذلك هذا في القوانين الشرعية وفي الأعراف وفي القوانين الوضعية إذا كان هناك عبد مملوك العبد المملوك لا يمكن أن يخرج من حد المملوكية فيصبح ولداً ويتصرف كما يتصرف الولد وإنما يبقى في حد المملوكية لأنهُ مملوك هذه حدودهُ وهذه حقيقتهُ.

كل شيءٍ في الوجود من دون الله إنما هو مملوك فلا يمكن أن يخرج عن حد المملوكية فلا يمكن أن نتصور أن

يكون ولدٌ لله سبحانه وتعالى لا يمكن أن نتصور هذا المعنى لأن كل ما في الوجود هو في دائرة المملوكية لذلك الآية تشير إلى هذه الحقيقة ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ هو أجل من أن يكون له ولد ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لازال الكلام مستمراً ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بديع يعني الذي أوجد السماوات والأرض من دون مثال من دون أن تكون هناك سماوات وأرض فقلدها من دون أن يكون هناك إله آخر فعمل مثل ما عمل ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو الذي أوجدها من العدم ومن دون أن يكون هناك مماثل لذلك يقال للذي، حتى للناس، للذي يأتي بشيءٍ جديد لم يسبقهُ إليه أحد يُقال له مُبدع، المبدع ما هو؟ هو الذي يأتي بشيءٍ من عندهِ من مواهبهِ لم يسبقهُ إليه أحد يُقّال هؤلاء مبدعون هذا شاعرٌ مُبدع لأنه يأتي بالشعر من نفسهِ بنحوٍ لا يشابه شاعراً آخر جاء بشيءٍ جديد لم يسبقه أحد إلى هذا المعنى تفوق على من سبقه وعلى من هو معاصر له يقال له مُبدع.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو الذي أوجدها وهو الذي أبدعها سبحانه وتعالى ولذلك هو مالكها لا زال الكلام في هذا المضمون في الحديث عن الولد الذي نسبهُ اليهود والنصارى إلى الله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو المالك ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ فهو الذي أبدعها ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ هل أن الله سبحانه وتعالى بحاجةٍ إلى أن يقول لشيءٍ يريدهُ أن يتحقق أن يقول له كُن؟! إنما هذا الكلام على نحو الكناية، اللغة قاصرة وتبقى اللغة قاصرة والإنسان قاصر الله سبحانه وتعالى حين يكلمنا في القرآن يكلمنا بنفس اللسان العربي وبنفس اللغة العربية وبنفس الأساليب التي يستعملها العرب فلذلك نحتاج إلى الكنايات نحتاج إلى الاستعارات نحتاج إلى المجازات نحتاج إلى الأمثلة وكم ضرب الله في القرآن من الأمثلة لأجل توضيح المعاني هذا الكلام لتقريب الفكرة وإلا فإن الله سبحانه وتعالى لا يقول هذه الكلمة.

لذلك أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حين يتحدث عن هذه الحقيقة عن قولة: **كن** ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ماذا يقول؟ **ما هو بصوتٍ يُقرع ولا نداء يُسمع وإنما هي إرادة الله سبحانه وتعالى الله، إذا أراد كانت الأشياء من دون صوتٍ مقروع ومن دون نداءٍ مسموع.** يقول سيد الأوصياء في نهج البلاغة الشريف في نصٍ جميل ومختصر في الحديث عن هذه الحقيقة ماذا يقول عن الله سبحانه وتعالى؟

يقول سيد الأوصياء: **إنهُ الله سبحانه وتعالى يقول ولا يلفظ ويريد ولا يُضمر**. هي هذه الكلمة، الجملة كافية لا تحتاج إلى شرح وإلى تطويل التطويل من عندي وإلا كلام عليٍّ واضح يقول، الله يقول ولا يلفظ بلا صوتٍ مقروع ولا نداء مسموع، يقول ولا يلفظ ويريد ولا يُضمر أنا أضمر أنا حينما أريد شيئاً لابد أن هذا المعنى يتحقق في ضميري أضمرهُ في ذهني في فكري في نيتي ثم أتحرك لتحقيق ذلك الأمر، الله لا يحتاج إلى إضمار لأن هذه من صفات المخلوقين أنا حينما أقول أحتاج إلى ألفاظ، الله يقول ولا يلفظ ويريد ولا يُضمر قولهُ إرادتهُ واحد ولذلك الآية هنا لتقريب المعنى ﴿وَإِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ إذا أراد تحقق من دون قولٍ من دون صوتٍ مقروع ونداء مسموع من دون قول ملفوظ من دون أن يُضمر شيئاً فهو يقول ولا يلفظ ويريد ولا يُضمر إلى هذا المعنى أشارت هذه الرواية وهذا الكتاب بين يدي الجزء الأول من الكافي الشريف الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر صلوات الله عليهما – **عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن** – صفوان بن يحيى من خواص أصحاب إمامنا الكاظم – **قال قلت لأبي الحسن** – وإذا ورد في الروايات أبو الحسن من دون صفة فإنهُ هو إمامنا الكاظم، إذا ورد في الرواية عن أبي الحسن الأول عن أبي الحسن الماضي فإنهُ إمامنا الكاظم يَرِدُ في الروايات عن أبي الحسن عن أبي الحسن الأول عن أبي الحسن الماضي عن أبي إبراهيم عن العبد الصالح عن العالم كل ذلك المراد به إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه صفوان بن يحيى من خواص أصحابهِ – **قال: قلتُ لأبي الحسن أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق** – الآية هنا تتحدث عن الإرادة ﴿وَإِذَا قَضَى أَمراً﴾ يعني إذا أراد أمراً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ **أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق قال، فقال عليه السلام: الإرادة من الخلق الضمير** – شيء يُضمرهُ الإنسان النية يعني – **الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل** – لابد هناك من نية من تفكير وبعد ذلك تتحول النية إلى عمل ومن هنا نحن نقول إنما الأعمال بالنيات العمل لابد أن يكون مسبوق بالنية أي شيء الإنسان يفعلهُ كيف يتحرك الإنسان؟

لابد أن يُضمر شيئاً يريد شيئاً في مُضمرهِ في داخلهِ حتى يدفعهُ ذلك الشيء المُضمر إلى أن يتحرك – **الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله تعالى فإرادتهِ إحداثهُ لا غير ذلك** – إحداثهُ للأمر مجرد أن يريد يحدث ذلك الأمر – **وأما من الله تعالى فإرادتهِ إحداثهُ لا غير ذلك لأنهُ لا يُرَوي** – لا يحتاج إلى تروي التروي يعني الأنات لا يحتاج إلى أن يتأنى ويفكر لا يحتاج إلى أنات – **ولا يَهِم** – ولا يحتاج إلى شيء يهمُّ بهِ يضمرهُ – **ولا يتفكر وهذه الصفاتُ منفيةٌ عنه وهي صفات الخلق – وأما من الله تعالى** – الإرادة – **فإرادتهُ إحداثه لا غير ذلك لأنهُ لا يُروي ولا يَهِم ولا يتفكر**

وهذه الصفاتُ منفيةٌ عنه وهي صفات الخلق فإرادة الله الفعل لا غير ذلك يقول له كُن فيكون بلا لفظٍ ولا نُطقٍ بلسان ولا هِمَّةٍ ولا تفكر – يقول له كُن فيكون، كيف ذلك؟ – **بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا هِمَّةٍ ولا تفكر** – ثم يقول الإمام – **ولا كيف لذلك** – لا توجد هناك صورة أو هيئة معينة أي كيفية لذلك لا توجد – **كما أنهُ لا كيف له** – كما أن الله لا كيف له أيضاً إرادتهُ وتحقق إرادتهِ لا كيفية لها هذا هو التوحيد هذا توحيد عليٍّ وأبناء علي فجئني بتوحيد مثله.

هؤلاء الذين يقولون بأننا مشركون ما هو توحيدهم أقرأوا كتب توحيدهم وقارنوا بين توحيد عليٍّ وأبناء عليٍّ وبين توحيدهم ستجدون الفارق الكبير والشاسع البعيد هذا هو توحيد عليٍّ وأبناء علي – **يقول له كُن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا هِمَّةٍ ولا تفكر ولا كيف لذلك** – لا توجد كيفية لهذا الأمر – **كما أنهُ لا كيف له** – ﴿وَإِذَا قَضَى أَمراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ – **إرادتهُ إحداثهُ من دون صوتٍ مقروع من دون نداءٍ مسموع يقول ولا يلفظ ويريد ولا يُضمر** – كلمة مختصرة لسيد الأوصياء تتحدث عن هذه الحقيقة هذا أفق، هذا أفقٌ من أفاق الآية، الآية أفاقها كثيرة الآية هنا تحدثت عن كُن، وكُن هذه خزانة الأسرار كُن كما يقول أهل المعرفة خُزانة الأسرار.

كُن هذا العنوان هو عنوان الحقيقة المُحَمَّدية إلى هذا المعنى أشار سيد الأوصياء في هذا الحديث الذي يرويه شيخنا المجلسي في الجزء الخامس والعشرين من بحار الأنوار الشريف فقط أقرأ هذا المقطع وأنا إن شاء الله هذه المطالب أتعرض لها بالبيان أكثر في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا الكلام كلامُ عليٍّ واليوم يوم عليٍّ ماذا يقول عليٌّ صلوات الله عليه وهو يتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد؟ **خلقهم الله من نور عظمتهِ وولاهم أمر مملكته** – هذه المملكة الوجود بكلهِ – **وولاهم أمر مملكته فهم سرُّ الله المخزون وأوليائهُ المقربون** – وماذا بعد؟ – **وأمرهُ بين الكاف والنون** – كُن هذا عنوان الحقيقة المُحَمَّدية هذا رمز من الرموز القرآنية التي تشير من بعيد إلى الحقيقة الناصعة في كل ذرةٍ من ذرات هذا الوجود إلى وجه الله المشرق في كل هذا الوجود – **خلقهم الله من نور عظمته وولاهم أمر مملكته فهم سرُّ الله المخزون وأوليائهُ المقربون وأمرهُ بين الكاف والنون** – وفي نسخة أخرى – **لا بل هم الكاف والنون، وأمرهُ بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون إلى الله يدعون** – وإلى هذا أنا أشرت أن كُن هي خُزانة الأسرار – **لا بل هم الكاف والنون، إلى الله يدعون وعنه يقولون وبأمرهِ يعملون علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعز الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر** – أولئك هم سادتي آل محمَّد فجئني بمثلهم، هكذا يقول سيد الأوصياء – **علم الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء في سرهم وعز الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر** – الذرة شيءٌ لا يُرى والقفر هو المساحة الواسعة

جداً، الذرة إنما تُطلق على الشيء الصغير جداً أو تُطلق على هذا الهبا الموجود في الضوء الداخل من الكِوى والمنافذ الآن إذا أكو منفذ أو نافذة وتدخل حزمة من الضوء ألا ترى شيئاً يجولُ في وسط هذا الضوء ما يسمى بالهبا بذرة الهبا، الذرة هو الشيء الصغير والذرة اسمٌ للنملة أيضاً، النملة الصغيرة يُقال لها ذرة في لغة العرب الذرة الشيءُ الصغير والذرة لذلك يقال شيءٌ يُذر إذا كان أجزاء صغيرة جداً ويُذرى في الهواء، والذرة هي النملة والذرة هي ذرة الهباء هذه التي الذرات المتحركة في حُزم الضوء الداخلة من المنافذ والشبابيك والتي لا نستطيع أن نُمسك بها، فعلمُ الأنبياء في علمهم وسر الأوصياء وعزُّ الأولياء بالنسبة لآل مُحَمَّدٍ كالقطرة في البحر وكالذرة في القفر ...

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ضماءٌ وألبب

صلوات الله عليكم وسلامٌ عليكم ما أشرقت شمسٌ وما أغربت، سلامٌ عليكم في كل آنٍ من آنات حياتنا سلامٌ عليكم سلامٌ على سيد الأوصياء وعلى آلهِ المعصومين مع كل نفسٍ من أنفاسنا يصعد أو ينزل، سلامٌ عليكم مع كل طرفةٍ من طرفات عيوننا مع كل ضربةٍ من ضربات عروقٍ تضرب في أبداننا، سلامٌ عليكم يا سيد الأوصياء وعلى الآئك الأطهرين مع كل دفقة دمٍ تدفقها قلوبنا في شراييننا وأوردتنا، سلامٌ عليكم، سلامٌ عليكم، سلامٌ عليكم.

وأنتم يا أحبة عليٍّ ويا زوار عليٍّ في هذا اليوم سلامٌ عليكم وطبتهم وطابت أرضٌ أنتم فيها طاب عليٌّ وطابت أرض عليٍّ وطبتم أنتم يا شيعة علي سلامٌ عليكم أسألكم الدعاء وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ

الفهرست

قـرآننـــا 1

يا زهـراء 3

الحلقة الاولى : تفسير سورة الفاتحة 5

الحلقة الثانية : تفسير سورة البقرة من الآية ١ الى الآية ١٦ 18

الحلقة الثالثة : تفسير سورة البقرة من الآية ١٧ الى الآية ٢٤ 31

الحلقة الرابعة : تفسير سورة البقرة من الآية ٢٥ الى الآية ٢٩ 46

الحلقة الخامسة : تفسير سورة البقرة من الآية ٣٠ الى الآية ٣٧ 65

الحلقة السادسة : تفسير سورة البقرة من الآية ٣٨ الى الآية ٤٨ 83

الحلقة السابعة : تفسير سورة البقرة من الآية ٤٩ الى الآية ٥٧ 101

الحلقة الثامنة : تفسير سورة البقرة من الآية ٥٨ الى الآية ٦١ 116

الحلقة التاسعة : تفسير سورة البقرة من الآية ٦٢ الى الآية ٧٣ 134

الحلقة العاشرة : تفسير سورة البقرة من الآية ٧٤ الى الآية ٨٢ 149

الحلقة الحادية عشر : تفسير سورة البقرة من الآية ٨٣ الى الآية ٨٨ 169

الحلقة الثانية عشر : تفسير سورة البقرة من الآية ٨٩ الى الآية ٩٣ 188

الحلقة الثالثة عشر : تفسير سورة البقرة من الآية ٩٤ الى الآية ١٠٢ 207

الحلقة الرابعة عشر : تفسير سورة البقرة من الآية ١٠٢ الى الآية ١١٠ 229

الحلقة الخامسة عشرة : تفسير سورة البقرة من الآية ١١١ الى الآية ١١٧ ... 255

الختام 276

الفهرست 277